الوافي
في شرح
الأحاديث الأربعين الفلسطينية



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

حسابات هيئة الأرض المقدسة على وسائل التواصل الاجتماعي

@holyland_48 | +90 552 300 60 06

@holyland_48 | هيئة الأرض المقدسة

@holylandd48 | holyOland@gmail.com

pholyland.com



رؤية واعية... لأرض واعدة

الوافي
في شرح
الأحاديث الأربعين الفلسطينية

إعداد

ابن الأرض المقدسة

جهاد جميل العاص الآغا

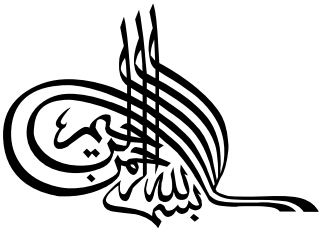
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان بالجميل لأصحاب الفضل الكبير:

١) الشيخ المحقق/ بدر البدر، من دولة الكويت.

٢) الشيخ الدكتور/ عاطف التهامي، من جمهورية مصر.

٣) الشيخ الدكتور/ عبد الرحمن أحمد عودة، من فلسطين.

٤) الشيخ/ محمد صالح السيلاوي، من فلسطين.

لما بذلوه من جهد في مراجعتهم الدقيقة والكاملة للكتاب، وإتحافي بالعديد من الملاحظات والتوجيهات والتوصيات.

كما أشكر إدارة جامعة «أريس» التي مَنَحَتْني درجة الماجستير، حيث إنَّ أصل هذا الكتاب رسالة قدَّمتها لنيل درجة الماجستير؛ لذا أتوجه بالشكر للجنة الإشراف المناقشة، المؤلفة من:

الشيخ الدكتور/ رائد الملا من المملكة العربية السعودية (مشرفاً).

والشيخ الدكتور/ ماجد نيازي درويش من الجمهورية اللبنانية (مناقشًا).

والشيخ الدكتور/ هلال درويش درويش من الجمهورية اللبنانية (مناقشًا).

كما أشكر كلًّا من:

١) الشيخ الأستاذ الدكتور/ نافذ حماد، أستاذ الحديث الشريف وعلومه بالجامعة الإسلامية بغزة.

٢) الأستاذ الدكتور/ سامي محمد أبو عرجة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر بغزة، وعضو مجلس الإفتاء الفلسطيني الأعلى.

٣) الدكتور/ خالد الخالدي، أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة الإسلامية بغزة.

على اطلاعهم على الكتاب وتوجيهاتهم بحسب اختصاصهم.

والشكر موصول للجنديين المجهولين، الأخوين الفاضلين:

١) الأخ/ طه عبد السميع أبو طه، من فلسطين - غزة، على مراجعته للكتاب ومطابقته.

٢) الأخ الشيخ/ محمد زياد الناجي، من فلسطين - غزة، على مراجعته للكتاب وتدقيقه لغويًّا وإملائيًّا.

ولا أنسى زوجتي/ أم معاوية - حفظها اللَّه - التي كانت ولا زالت داعمة لي في إنجاح هذا الكتاب وجميع مشاريعي العلمية والدعوية.

وفي الختام أسأل اللَّه - جل في علاه - أن يغفر لوالدينا وأبنائنا ولإخواننا، وأن يحفظ بلادنا والمسلمين في كل مكان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد للَّه رب العالمين

مقدمة الكتاب

إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحمَدهُ، وَنَسْتعينُهُ، وَنستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنَا، وسَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِه اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّه وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورَسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمَّا بَعدُ:

فكتاب «**الأحاديثُ الأربعون الفلسطينية**»، وثيقة نبوية تؤكّد ارتباط الأرض المقدسة «فلسطين» برسالة التوحيد عبر الأزمان كلها، أولها وأوسطها وآخرها، إنها أحاديث المصطفى ﷺ التي تشد العالمين إلى أرض فلسطين، وهي وثيقة سفر للمسلمين في العالم؛ لتبحر

فلسطين في وجدانهم بعمقها الإسلامي، وعبق أريجها المختلط بنسمات أنفاس أنبياء اللَّه تعالى الذين ولدوا فيها، وعاشوا على أرضها، ووراهم ثراها، ومثلهم ما لا يحصى عددهم من العلماء الربانيين والمجاهدين والصالحين؛ لتربطهم بأرضها المباركة، وسمائها المظللة بملائكة ربها، إنها رسالة الأرض المقدسة - فلسطين- للعالمين؛ لتنهض بها هممهم، وتؤكد ولاءهم وتقرره وتقدسه، وتعرّفهم بحقها عليهم، لترشدهم الطريق السوي إليها. فإن عَجَزَت أو حُجِزت خطواتهم وأجسادهم عنها، أقبلوا إليها بأرواحهم وأشواقهم، وعلمهم بها، وعطائهم لها.

إن كتاب «الأحاديث الأربعون الفلسطينية» وثيقة العهد بيننا وبين الأرض المباركة - فلسطين -، لنحفظ متنه، ونفقه شرحه، ونبثّه للعالمين بلغاتهم أينما كانوا، إنه وصية للمجاهدين والدعاة المربين لأجيالهم المتعاقبين، إنه زبدة أحاديث سيد المرسلين حول فلسطين وأهلها، صحيحة صريحة تبعث فينا الأمل والجرأة في الحق، وصدق اليقين.

فهو باب من أبواب العلم يُدرّسُ في المساجد، وحِلَق العلم، والمدارس، والمعاهد الشرعية، كمنهج علمي تربوي عقدي جهادي ينبغي على دعاتنا مدارسته وتعليمه للناس، لاسيما في زمن كثر فيه المتخاذلون عن نصرة الأقصى وأكنافه.

لقد لقي متن كتاب «الأحاديث الأربعون الفلسطينية» قبولًا واسعًا، والذي تدافع إليه الكثيرون لترجمته إلى لغاتهم، وآخرون إلى حفظه، وعقد الندوات، والمسابقات، والجلسات لشرحه، فاستحق أن يكون لهذا المتن شرح يليق به، بعد أن شكَّل محتواه وحدة موضوعيّة متناغمة، في فضل هذه الأرض، وأهلها، ومسجدها، وما له من مكانة عظيمة في الشرع، فضلًا عما ستؤول إليه هذه الأرض آخر الزمان - بإذن اللَّه - من أحداث جسام وانتصار للحق فيها على الباطل.

لقد استخرت اللَّه في الحرمين، مع استدامة النظر والتأمل والتفكر قبل الشروع في هذا الشرح، فوجدت نفسي مقبلة بحماسة عالية لخوض غمار شرح كتاب «الأحاديث الأربعون الفلسطينية»، وأسميته تفاؤلًا: «الوافي في شرح الأحاديث الأربعين الفلسطينية».

ودفعت به ليكون -بعد أن رجوت ربي عز وجل- سهمي للجهاد في سبيل اللَّه لتحرير الأرض المقدسة - فلسطين - ومقدساتها من براثن يهود.

خطة الشرح:

- كتابة نص الحديث، مع تشكيله، لضبط ألفاظه.
- إضافة ألفاظ مختلفة، وردت من طرق وروايات أخرى، وهو

أشبه بما كان يصطلح عليه المتقدمون «بالتلفيق» أو ما يطلق عليه الباحثون «جمع المفترق» لنثري المادة، ونحيط بها ما أمكن، لتخدم الفكرة، والبناء الشمولي والموضوعي للحديث[١].

- تخريج وافٍ لأحاديث المتن من مظانِّها، ونقل حكم العلماء المعتبرين عليها، من غير تدخل مني فيه إذ لست أهلًا لذلك، فاكتفيت بما نقلته من تخريج أو حكم على الحديث، عن كبار العلماء والمحدثين من المتقدمين والمتأخرين المختصين المتقنين لهذا الفن.

- أما ما كان في الصحيحين فقد تعمدت الاستزادة في التخريج لأحاديثهما، على غير عادة العاملين في هذا الفن، ومع اعتقادي الجازم أن فيهما الغنية عن غيرهما، وما كان ذلك إلا طمعًا منّي في توفير مزيد من المراجع بين يديْ المهتمين بسبر الحديث من مظانه، علَّها تعينهم على الوصول إلى أكبر قدر من الشروحات الحديثية.

- ذكر ترجمة مختصرة لراوي الحديث من الصحابة، مع التركيز في ترجمته على وجوده ودوره في فلسطين، أو بلاد الشام إن وجد، وإن تكررت رواياته لأحاديث أخرى من الكتاب أَحَلْنا القارئ إلى الحديث الذي سبق.

---

(١) انظر للفائدة في هذه المسألة كتاب «جمع المفترق من الحديث النبوي» تأليف: د. ياسر الشمالي، الناشر: دار الفرقان، طبعة ١٩٩٩م.

- ذكر سبب ورود الحديث إن وجد، وتيسر لي ذلك.

- بيان ترجمة مختصرة لكل نبي ورد ذكره في بعض الأحاديث، مع ذكر شيء من المقارنة بين ما عند اليهود في كتبهم المحرفة والمعتمدة عندهم، وما ثبت عندنا معشر المسلمين في الكتاب والسنة، من تكريمهم وإجلالهم، عليهم أفضل الصلاة والتسليم.

- شرح معاني الكلمات الغريبة.

- التركيز على أهمية التعريف بالمواقع والبلدان، تعريفًا وصفيًّا معاصرًا ما أمكن.

- ربط شرح الأحاديث بواقع المسلمين اليوم في فلسطين، وصفًا وتحليلًا دون تكلّف، خاصة تلك الأحاديث التي تحاكي واقعنا بالدقة، كالحديث الثالث: «ليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض» أو تحميلٍ لبعضها مالا يحتمل، أو حمله على ما لا ينبغي من مراد النبي ﷺ، كالأحاديث المتعلقة بآخر الزمان ولم تقع، كالحديث التاسع والثلاثين: «فيقول الحجر أو الشجر..».

- استنباط أهم ما يستفاد من الأحاديث، من فوائد، ومُلحٍ، ونُكتٍ، بشكل مركَّز.

- أمّا شرح الحديث فسيكون بطريقة متسلسلة سلسة، نحاول فيها ربط الفقرات بأسلوب مرن، ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا بحول اللَّه

وتوفيقه، حتى يبدو لمن يقرأ الشرح كأنما يقرأ قصة مترابطة الأفكار والعناصر.

- التعرّض لما جاء ذكره من بشارات نبوية في الحديث، وإعجازه، وعلاقته بالواقع، ما تيسر لنا ذلك.

- ذكر ما لا يصح -أحيانًا- من أحاديث وآثار كلّ في بابه، فيما نرى أهمية للتنبيه عليه والتحذير منه.

وعندما أبدي رأيي أصدّره بكلمة: «قلت»، وأقصد بها المؤلف: «جهاد» رغبة في توضيح معنى أو خلاصة رأي، واللَّه أعلم.

وغير ذلك مما هو معمول به في شروحات الأحاديث، والتي تسهم في خدمة هذا المشروع على أحسن وجه ممكن.

راجيًا من ربي أن يغفر لي الخلل والزلل، وما كان مني بغير قصد، كما آمل ممن قرأه فوجد فيه من عيب لا يخلو منه كتاب بشر، أن يبادرني بالنصح والتوجيه الذي يسهم في تصويب الخطأ، وبه أسعد وإليه بالأشواق.

واللَّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل، ، ،

* * * * *

الحديث الأول
الْمَسْجِدُ الأَقْصَى أَوَّلُ قِبْلَةٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «**صلينا مع رسول اللَّه ﷺ نحو**، وفي رواية: (قِبَلَ)[١] **بيتِ المقدسِ سِتَّة عَشَرَ- شهرًا أو سَبعةَ عَشَرَ- شهرًا**، وفي رواية: (وكان يُعجبُهُ أن تكونَ قبلتُهُ قبل البيت)[٢]، وفي رواية: (وكان رسول اللَّه يحب أن يُوَجَّه إلى الكعبة)[٣]، وفي رواية: (بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ)[٤]، **ثم صُرِفْنَا**، وفي رواية: (صرفه)[٥]، وفي رواية: (وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَستَقبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكانَت وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْقِبْلَةِ)[٦]، **نحو الكعبة**»[٧].

---

(١) أخرجها البخاري، عن البراء بن عازب (٤٤٨٦).
(٢) أخرجها البخاري، عن البراء بن عازب (٤٤٨٦).
(٣) أخرجها البخاري، عن البراء بن عازب (٣٩٩ و٧٢٥٢).
(٤) أخرجها البخاري، عن ابن عمر(٤١٣٢).
(٥) أخرجها البخاري، عن البراء بن عازب (٤٤٨٦).
(٦) أخرجها البخاري، عن ابن عمر (٤١٣٢).
(٧) أخرجه البخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٥٢٥)، بهذا اللفظ، وأحمد (١٨٧٣٨)، والنسائي (٤٧٥) وابن خزيمة (٤٢٨) وسعيد بن منصور (٢٢٣) و(٢٢٤)، بنحوه أو بألفاظ متقاربة.

ترجمة الصحابي راوي الحديث: البراءُ[١] بن عازب[٢] بن الحارث الأنصاري الحارثي، أبو عُمارة المدني نزيل الكوفةِ، من أعيان الصحابة، أول من بايع ليلة العقبة.

شهد غزوات كثيرة مع النبي ﷺ، واستُصغِر يوم بدر وقال: «كنتُ أنا وابن عُمر لِدةً»[٣]، تُوفي سنة اثنتين وسبعينَ، وأبوهُ من قدماء الأنصار.

من فقهاء الصحابة روى أحاديثَ كثيرةً، فقد روى عن أبي بكر الصدّيق، وخاله أبي بُردة بن نيار، عدد أحاديثه: ثلاث مائة وخمسة أحاديث، منها في الصحيحين اثنان وعشرون حديثًا[٤].

سبب ورود الحديث:

عن البراء: أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال: أخواله ـ من الأنصار وأنه صلى قِبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا... وذكر الحديث[٥].

---

(١) البراء: آخر ليلة في الشهر. الإفصاح عن معاني الصحاح، شرح للجمع بين الصحيحين، الوزير العالم ابن هبيرة، (١/ ٥٦)، دار الوطن، الرياض، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد.

(٢) العازب: المسافر عن وطنه. انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٥٦).

(٣) المتقاربان في سنة ميلادهما.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣/ ١٩٤)، مؤسسة الرسالة، ت: مجموعة من المحققين.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠).

شرح الحديث:

ذكر الإمام البخاري هذا الحديث في عدة مواضع من الصحيح؛ منها: باب الصلاة من الإيمان، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، باب ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، باب: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

وترجم له الإمام ابن خزيمة في كتابه مختصر المختصر[(١)]، فقال: «بابُ ذكر الصَّلاةِ كانت إلى بيتِ المقدس قبل هِجرةِ النَّبيِّ ﷺ إلى المدينةِ، إذ القبلةُ في ذلِك الوقتِ بيتُ المقدس لا الكعبة»[(٢)]، وتبويبات المحدثين لمصنفاتهم الحديثية هي علم وخلاصة فقه للحديث وفوائده، ويُعلم بها - أي أبواب الحديث - عمق فهم المصنف لمعاني الحديث والنكت الخفية التي لا تظهر في نص الحديث بشكل جلي وواضح ولا يعرفها إلا الخريت الموفق الذي فتح اللَّه عليه، وهي لا تقل شأنًا عن الشرح إن لم تكن هي خلاصة شرح الحديث.

---

(١) قلت: يشكل على البعض أنه كتاب غير صحيح ابن خزيمة، بيد أنه نفس الكتاب، ويبدو أن التسمية التي ارتضاها ابن خزيمة لكتابه هي «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ»، واللَّه أعلم.

(٢) صحيح ابن خزيمة (١/ ٥٠٤)، وزارة الأوقاف في قطر، ت: ماهر الفحل.

أسماء المسجد الأقصى:

قوله: صلينا مع رسول اللَّه ﷺ نحو بيتِ المقدسِ: بيت المقدس: فيه لغتان مشهورتان: إحداهما: فتح الميم وإسكان القاف «المَقْدس»، والثانية: ضم الميم وفتح القاف «المُقَدس»، ويقال فيه أيضًا: إيلياء، وإلياء. وأصل المقدس والتقديس من التطهير[(١)]. قال ابن حزم: بيت المقدس؛ نعني: المسجد وحده، هذا قول جمهور العلماء[(٢)].

ولبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين منها: إيلياء بالمد والقصر، وبحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على هذا الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف، وسكون الدال، وبضمها أيضًا، وشلّم بالمعجمة وتشديد اللام وبالمهملة، وشلام بمعجمة، وسَلِم بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة، وأوْرِي سلم بسكون الواو، وبكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة. ومن أسمائه: كورة وبيت أيل، وصهيون، ومصروث آخره مثلثة وكورشيلا وبابوس»[(٣)].

قال العلامة شمس الدين المنهاجيَّ السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، في إتحاف

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ٩-١٠).

(٢) المحلى، ابن حزم: (٧/ ٢٧٩)، مطبعة النهضة - مصر، ت: أحمد محمد شاكر.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٨٣، ٨٦). وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب «ليس في كلام العرب».

الأخِصَّا، معللًا كثرة الأسماء للمسجد الأقصى: «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى»[(١)].

وجاء أن بيت المقدس: المكان الذي جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام، وإبعادها عنه، ومَنْ شَدَّدَه «المقدّس»، فمعناه: المطهَّر، أي: المكان الذي يطهر فيه من الذنوب[(٢)]، ومن أسمائه أيضًا: «المسجد». وقيل له: الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة[(٣)]، وقيل: لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدّس المطهّر من ذلك»[(٤)].

قال الزمخشري: سُمِّي الأقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبث، وقيل: هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة؛ لأنه بعيد من مكة، وبيت المقدس أبعد منه[(٥)]. ا.هـ، ويسمى أيضا أُورِيشَلِم[(٦)]، ومسجد القدس[(٧)].

---

(١) «بصائر ذوي التمييز» مجد الدين الفيروزأبادي (١/ ٨٨).

(٢) المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة، طارق بن عوض اللَّه (٣٨٨)، دار الخير- دولة الكويت.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ١٤٨)، دار السلام بالرياض ودار الفيحاء بدمشق، ت: عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٠٨) (١٠/ ١٤٨).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٦٤- ٦٦).

(٦) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: (١/ ٢٧٩).

(٧) والنسبة إليه (مقدسي)، انظر: مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٢٤)، دار الكتاب العربي.

وجاء في بعض روايات الحديث كلمة «الشام»، وأراد بها الصحابة «مسجد بيت المقدس» وهو من باب إطلاق الكل على الجزء، وعكسه صحيح أيضًا.

ويرى د.عبد الفتاح العويسي أن الترجمة المناسبة لعبارة «بيت المقدس» باللغة الإنجليزية هي «ISLAMICJERUSALEM» ويشير إلى أنها كلمة واحدة وليست كلمتين[١].

هل كان استقبال بيت المقدس ثابتًا بالقرآن أم باجتهاد النبي ﷺ؟

مسألة اختلف فيها العلماء، قال الماوردي في «الحاوي»[٢]: «واختلف أصحابنا في جملة العلماء هل استقبل بيت المقدس برأيه أو عن أمر ربه عزوجل؟ على قولين: أحدهما: أنه استقبل بيت المقدس برأيه واجتهاده لما تقدم من تخيير اللَّه سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فاختار بيت المقدس، وهو قول الحسن، وعكرمة وأبي العالية والربيع، والقول الثاني: أنه كان يستقبل بيت المقدس عن أمر ربه عز وجل لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ

(١) تقديم بيت المقدس، عبد الفتاح العويسي، (٢٥).

(٢) الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي، وهو مرجع أصيل في الفقه الشافعي، قال الماوردي بحق الكتاب: سميته بـ «الحاوِي» رجاءَ أن يكونَ حاويًا لما أُوجبُهُ بِقَدرِ الحالِ من الإستيفاءِ والإستيعاب. انظر: الحاوي الكبير (٦٧)، دار الكتب العلمية - بيروت، ت: علي محمد معوض/ عادل عبد الموجود.

مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهذا قول ابن عباس، وابن جريج.

واختلفوا أيضًا في عكسه وهو نسخ السنة للقرآن، فجوَّزه الأكثرون، ومنعه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطائفة»[(١)].

ومع ما سبق إلا أن مسألة الصلاة نحو بيت المقدس ثابتة شرعًا، وما جاء فيها من خلاف لا يعدو أن يكون هل هو من أمر اللَّه تعالى، أو هو من اجتهاد النبي محمد ﷺ.

كم صلى النبي نحو بيت المقدس؟

قوله: ستة عَشَرَ -أو سَبعةَ عَشَرَ- شهرًا: حديث الباب يُجمل عدد الأشهر التي صلاها النبي ﷺ وأصحابه في المدينة قِبَل بيت المقدس وكانت سِتَّة عَشَرَ- أو سَبعةَ عَشَرَ- شهرًا، وجاء في روايات أخرى، : ثَمَانِيَة عشر شهرًا[(٢)].

وقد تكون بذلك كلمة «أو» ليست للشك في مقدار ما صلاه النبي ﷺ بل للتخيير بين طريقتين في حساب القدر الذي صلاه نحو بيت المقدس وذلك من خلال تفسير الخلاف بين الروايتين: «نحو بيتِ المقدسِ سِتَّة عَشَرَ -أو سَبعةَ عَشَرَ- شهرًا».

---

(١) شرح النووي على مسلم، (٣/ ٩-١٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٨٧)، وابن ماجه، برقم (١٠١٠) وقد حكم الحافظ ابن حجر على رواية ابن ماجه بالشذوذ في الجملة الأولى. وقال: هي من طريق أبي بكر بن عياش. وأبو بكر سيىء الحفظ، وقد اضطربت فيه. ثم بين الاضطراب. اهـ، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٣٦٧).

وتأويل المسألة يكون بأنّ من جزم بستة عشر شهرًا، جمع أيام شهر القدوم وشهر التحويل فاكتمل نصاب الشهر عنده وألغى الزائد من الأيام، ومن قال بسبعة عشر شهرًا عدَّهما معًا.

مجموع ما صلاه النبي ﷺ في مكة والمدينة نحو بيت المقدس:

مجموع ما صلَّاه النبي ﷺ تجاه بيت المقدس بعد أن فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة، إلى أن هاجر ﷺ ، وهو عدد ما صلَّاه النبي ﷺ إلى بيت المقدس في مكة، أضف إليه ما صلاه في المدينة، فيكون مجموع ما صلاه النبي ﷺ في مكة والمدينة إلى بيت المقدس، هو سنتان وخمسة أشهر تقريبًا[١].

تحول النبي ﷺ في صلاته نحو الكعبة:

قوله: ثم صرفنا نحو الكعبة: وفي رواية عن البراء بن عازب «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ»، وفي رواية: (و كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ)، وجاء في بعض روايات الحديث «قِبَلَ بيت المقدس»: أي مُقَابِله.

وسميت القِبلةُ قِبلة؛ لأن المُصلي يقابلها وتقابله، يقال: أين قبلتك؟ أي: جهتك[٢].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٣٥).

(٢) شرح السنة، البغوي، (٢/ ٣٢٢)، المكتب الإسلامي- بيروت، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير شاويش.

وهي في الأصل الحال التي عليها الإنسان من الاستقبال، فصارت عُرفًا للمكان المتوجّه إليه للصلاة؛ وجاء في بعض الآثار أن الكعبة هي القبلة التي كان عليها إبراهيم عليه السلام، وذكر الطبري[1] ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] أحبار اليهود، وعُلماء النَّصارى. يقولُ: يعرفُ هؤلاء الأحبار من اليهود، والعلماءُ من النَّصارى أنَّ البيت الحرام قبلَتُهُم، وقبلة إبراهيم، وقبلة الأنبياء قبلك، كما يعرفون أبناءهم.

فرضت الصلاة قبل الهجرة، وكان رسول اللَّه ﷺ يحب أن يتوجه إلى الكعبة قبلة أبيه إبراهيم ويرفع وجهه إلى السماء راجيًا من اللَّه تعالى دون أن يطلب منه ذلك، أدبًا منه ﷺ مع اللَّه تعالى، علَّه سبحانه وتعالى أن يحقِّق له أمنيته، فأنزل اللَّه عز وجل قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

سبب رغبة النبي ﷺ بالتوجه في صلاته نحو الكعبة:

قيل في سبب رغبة النبي ﷺ بالتوجه في صلاته نحو الكعبة أقوال عدة:

أَحدها: أَنها قبلة إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام.

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٢/ ٦٧٠)، مؤسسة الرسالة - بيروت.

والثاني: لمخالفة اليهود.

والثالث: قيل: إنَّه صلَّى أوَّل ما صلَّى نحو الكعبة قبلة الأنبياء قبله، لمَّا كان في مكة، ثُم صُرفَ عنها إلى بيتِ المقدس لما انتقل إلى المدينة، وهذا قولٌ لا دليل عليه حيث إن الأمر يُحْمَل على الاستمرار، فبما أن النبي ﷺ صلى في المدينة إلى بيت المقدس من غير صارف له فهذا يعني أنه ﷺ بقي على قبلته التي كان عليها في مكة.

قلت: ولعل سبب ذلك أن المسجد الأقصى كان بعيدًا عن أصحاب النبي زمانًا ومكانًا، وكثير منهم لا يعرفه، ولم يره، وسيطرة النصارى عليه باقية، وكأن الشارع الكريم أراد أن يبقي المسجد الأقصى مع كل ما سبق من أحوال في وجدان المسلمين؛ خاصة الرعيل الأول أصحاب النبي ﷺ مع ما يعترض المسجد الأقصى من أحوال، فإن بَعُدَ عنهم زمانًا ومكانًا أراد اللَّه بهذا أن يجعله نصب أعينهم حُكمًا وقبلة، واللَّه تعالى أعلم.

لماذا اختار اللَّه سبحانه وتعالى بيت المقدس قبلة؟

ذكر بعض العلماء سبب اختيار اللَّه تبارك وتعالى «بيت المقدس» قبلة، على قولين:

القول الأول: إنَّ العرب لما كانت تحج البيت ولم تألف بيت المقدس، أحب اللَّه سبحانه وتعالى امتحانهم بغير ما ألِفوه، ليظهر من يتّبع الرسول ممن لا يتّبعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي

كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهذا قول الزجّاج[١].

القول الثاني: أنه اختاره ليتألف أهل الكتاب، قاله أبو جعفر بن جرير الطّبري»[٢].

متى كان تحويل القبلة؟

كان قدوم النبي ﷺ إلى المدينة في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان تحويل القبلة في أرجح الأقوال من السنة الثانية للهجرة، قبل غزوة بدر بشهرين ويومين، وبدر كانت في اليوم السابع عشر من رمضان، وفي العام نفسه فُرض الصوم، وفيه تزوج علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ.

في أَي شهر حُوِّلت القِبلَة؟

القول الأول: يوم الإثنين للنّصف من رجب.

والقول الثَّاني: يوم الثُّلاثاء وقت الظّهر للنّصف من شعبان، بعد أن زار رسول اللَّه ﷺ وأصحابه أم بشير بن البَراء بن معرور، فتغدَّى

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، (١/ ٢١٨) المنسوب إلى إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت.

(٢) ناسخ القرآن ومنسوخه، ابن الجوزي (ص١٧٤)، شركة أبناء شريف الأنصاري- بيروت، ت: أبي عبد اللَّه العاملي.

عندها فحضرت صلاة الظّهر، فصلى بِأصحابه في مسجد القبلتين[١] ركعتين من الظّهر إِلى الشَّام وأُمر أَن يستَقبل الكعبة وهو راكع في الرَّكعة الثَّانية، فاستدار إِلى الكعبة واستدارت الصُّفُوف خلفه ثم أتم الصَّلاة، فَسُمي مسجد القبلتين لهذا.

والقول الثالث: حُوِّلت في جُمادى الآخرة[٢].

أول صلاة أداها المسلمون قِبَل الكعبة:

إن أوَّل صلاة صَلّاها النبي ﷺ تجاه مكة هي صلاة الظهر، كما جاء ذلك صريحًا من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كُنَّا نَغْدُو لِلْسُوقِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَمُرُّ عَلَى الْمَسْجِدِ فَنُصَلِّي فِيهِ، فَمَرَرْنَا يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقُلْتُ: لَقَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، فَجَلَسْتُ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَةِ، قُلْتُ لِصَاحِبِي: تَعَالَ نَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ

---

(١) يقع على هضبة مرتفعة شمال غربي المدينة المنورة ويبعد عن المسجد النبوي خمسة كيلومترات تقريبًا، قرب وادي العقيق. ولا يجوز قصده بصلاة أو زيارة يقصد بها فضل خاص دون سواها من مساجد، قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ «أما المساجد السبعة ومسجد القبلتين وغيرهما من المواضع التي يذكر بعض المؤلفين في المناسك زيارتها فلا أصل لذلك ولا دليل عليه، والمشروع للمؤمن دائمًا هو الاتباع دون الابتداع، واللَّه ولي التوفيق». انظر الفتاوى للإمام العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، محمد لقمان السلفي، (٥١٢).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٢/ ٢٤٧).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَكُونَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى، فَتَوَارَينَا فَصَلَّيْنَا، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَصَلَّى لِلنَّاسِ الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ»[(١)] .

فَخَرَجَ رَجُل، وهو: عباد بن نهيك[(٢)] وقيل عباد بن بشر، وكان ممن صلَّى معه، فمر على أَهل مسجد- وهو مسجد بني سَلمَة، ويُعرف بمسجد القبلتينِ- وهم في صلاة العصرِ، فقال: أَشهدُ باللَّه لقد صلَّيتُ مع رسول اللَّه ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فداروا كما هُم قِبَلَ البيتِ، وقد أَخرجَ البخَارِيُّ في صحيحه من حديث البراء بن عازب أنه قال: «. . . وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْر، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ، وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ؛ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ. . .»[(٣)] .

وفي رواية عن ابن عمر قال: بَيْنَمَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٩٣٧).

(٢) عباد بن نهيك الأنصاري الخطمي. ذكر ابن عبد البر أنه هو الذي أخبر قومه بتحويل القبلة. ولمزيد فائدة انظر ترجمته في: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٨٠٦/٢)، دار الجيل - بيروت، ت: علي محمد البجاوي) و(الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (٦١٩/٣)، دار الكتب العلمية- بيروت، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠).

أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ(١).

وجاء في رواية أخرى، عن أنس؛ أن رسول اللَّهِ ﷺ كان يصلّي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً فَنَادَى: أَلَا إِنَّ القِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ. فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ القِبْلَةِ(٢).

وكان أنس آخر من بقي من صحابة رسول اللَّه ﷺ، صلى القبلتين قال أنس رضي الله عنه في آخر عمره: «لم يَبقَ مِمَّن صلّى القِبلَتَين غَيري...»(٣).

والسؤال هنا كيف نوفق بين الرأيين؟

قال الحافظ ابن حجر: والجواب أن لا منافاة بين الخبرين؛ لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة، وهم بنو حارثة، وذلك في حديث البراء. والآتي إليهم بذلك عباد بن بشر، أو ابن نهيك، ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣).
(٢) أخرجه مسلم (٥٢٧)، وأبو داود (١٠٤٥).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٨٩).

وهم بنو عمرو بن عوف، أهل قباء[١].

وهذا يعني كذلك أن أهل قباء صلوا المغرب والعشاء إلى القبلة الأولى.

ولا تعارض فيما جاء من رواية عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح[٢] إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول اللَّه قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة»[٣]، وقوله: وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبَلوها: بفتح الباء ماضيًا، وكسرها أمرًا، والضمير عائد على أهل قباء[٤]، ورُوِيَ «فاستقبلوها» بكسر الباء وفتحها والكسر أصح وأشهر، وهو الذي يقتضيه تمام الكلام بعده[٥].

ومعنى قوله ﷺ: بينما وبينا: قال أهل اللُّغة: أَصل: (بَيْنَمَا، وَبَيْنَا) بين وتقديره: بين أوقات صلاته، قال كذا وكذا. أي بين أوقات

---

(١) انظر فتح الباري: (١/ ٥٠٦).

(٢) قال الشافعي رحمه الله: سماها اللَّه تعالى الفجر، وسماها رسول اللَّه ﷺ الصبح، فلا أحب أن تسمى بغير هذين الاسمين. انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٩-١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٣).

(٤) التوشيح شرح الجامع الصحيح، السيوطي (٤٩١)، مكتبة الرشد وشركة الرياض للنشر - الرياض، ت: رضوان جامع رضوان.

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/ ٩-١٠).

ائتماري وكذا. أو تقديره بين أوقات كذا[١].

وقباء موضع بقرب مدينة النبي ﷺ من جهة الجنوب ويبعد عن المسجد النبوي خمسة كيلومترات تقريبًا، وهو أول مسجد بني في الإسلام بناه الرسول ﷺ لما وصل مهاجرًا إلى المدينة المنورة من مكة المكرمة وفيه قال تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وكان رسول اللَّه يأتيه كل سبت[٢] يصلي فيه، فقد جاء عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي قُبَاءً رَاكِبًا وماشِيًا. وزاد ابن نُمير حدثنا عبيد اللَّهِ عن نافع: «فَيُصَلِّي فيهِ رَكعَتَين»[٣].

الجهة التي كان يصلي إليها النبي ﷺ إلى بيت المقدس وهو في مكة:

هي مسألة خلافية بين الفقهاء حول الجهة التي كان يصلي إليها النبي في مكة هل إلى الكعبة أم إلى بيت المقدس؟ فقيل إنه ﷺ كان يتجه إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، كما جاء في

---

(١) شرح النووي على مسلم، راجع: باب تحويل القبلة واستحباب القنوت واعتزال النساء.

(٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ مَاشِيًا وَرَاكِبًا وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَفْعَلُهُ» أخرجه البخاري(١١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٤).

مسند أحمد، عن ابن عباس قال: «صلَّى رسول اللَّه نحو بيت المقدس وهو بمكة والكعبة بين يديه، وبعدها هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا ثم صُرف إلى الكعبة»[(١)]، وفي الأثر عن ابن إسحاق قال: «كانت قبلة رسول اللَّه بمكة إلى الشام، وكانت صلاته بين الركن اليماني والركن الأسود، ويجعل الكعبة بينه وبين الشام»[(٢)].

هل يجوز للمصلي أن يصحح وجهته إلى الاتجاه الصحيح للقبلة؟

جاء في نص الحديث سابق الذكر وغيره: «وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلى الكَعْبَةِ» فهم صلوا صلاة واحدة باتجاهين، ولم يؤمروا بإعادة الصلاة، وجاء من حديث أنس: «وَاعْتَدُّوْا بِمَا مَضَى مِنْ صَلاتِهِمْ»[(٣)].

ويقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ «من صلى إلى جهة بالاجتهاد ثم تغيَّر اجتهاده في أثنائها فيستدبر إلى الجهة الأخرى حتى لو تغير اجتهاده أربع مرات في الصلاة الواحدة، فصلى كل ركعة منها إلى جهة؛ صحت صلاته على الأصح؛ لأن أهل هذا المسجد المذكور في الحديث استداروا في صلاتهم واستقبلوا الكعبة ولم يستأنفوها»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٩١).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (٢/ ٥٨)، مكتبة الرشد- الرياض، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٤٣١).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣/ ٩-١٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

كيف تحول المصلون إلى القبلة الجديدة؟

تحول المصلون وإمامهم تحولًا كليًا من جهة الشمال وهي جهة بيت المقدس إلى الجنوب وهي جهة مكة المكرمة، حيث يقع بيت المقدس بالنسبة للمدينة في جهة الشمال الغربي، وتقع مكة بالنسبة للمدينة في جهة الجنوب.

وبعد تحول النبي ﷺ إلى القبلة الجديدة، أغلق ما كان من باب في الجدار الجنوبي- أي القبلة حاليًا - وفتح عوضًا عنه بابًا في الجدار الشمالي باتجاه القبلة سابقًا؛ لأنه اتجاه بيت المقدس.

وكان حينها مسجد النبي ﷺ وفق المقاييس الحالية، لا يزيد عن ٢٤٥٠م٢، وطوله ٥٠م، وعرضه ٤٩م، بارتفاع قامة الرجل تقريبًا، وكان من سعف النخيل واللبن، وسقفه من جذوع النخل، وتنفذ إليه من ثلاثة أبواب[١].

ما حكم من مات على القبلة الأولى قبل أن تحول؟

معلوم أن استقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة، ونقل الإجماع على ذلك ابن عبد البر والنووي.

أثارت قضية تحويل القبلة عند الصحابة مسألة حكم من ماتَ على

---

(١) انظر المسجد النبوي عبر التاريخ، محمد السيد الوكيل (٢٣، الطبعة الأولى دار المجتمع للنشر.

القبلةِ قبل أن تُحوَّل قِبَل البيت، ولم يكن يعلم الصحابة حكم ما يقال فيهم، فأنزل اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

جاء في فتح الباري[(١)]، قال البراء بن عازب في حديثه هذا: إنه ماتَ على القبلةِ، قبل أن تحول رجالٌ قُتِلوا، فلم نَدْرِ ما نقول فيهم؟ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] اهـ، إيمانكم: أي صلاتكم.

الكفار وإشاعة الفتنة بعد تحول القبلة:

وتحويل القبلة أثار طائفة من الكفار، فأكثروا الأقاويل والاتهامات في حق النبي محمد ﷺ، ومما قالوه: إن محمدًا رجع إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنَّا على الحق، واليهود قالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبيًا لما خالف، وعلى الفور جاءهم الرد من اللَّه تبارك وتعالى فوصفهم بالسفهاء مدافعًا عن شرعه ونبيه، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]. والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل، والمراد بالسفهاء الكفار وأهل النفاق واليهود.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (١/ ٩٥)، دار السلام ودار الفيحاء - دمشق، ت: عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز.

فلما كثرت ثرثرة هؤلاء السفهاء وهرطقاتهم أنزل اللَّه هذه الآيات لجمًا لهم، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٠٦-١٥٠].

القبلتان والعلاقة الهندسية بينهما:

إن الاتجاه الحالي لقبلة المسجد الأقصى[١] والذي تشير الدراسات الأثرية لأساساته أنه من بناء هيرودوس الكبير يظهر من التوجيه الجغرافي له باتجاه الجنوب؛ وهو الاتجاه الذي يشير إلى اتجاه الكعبة المشرفة من جهة الشمال - الجنوب الحقيقي- ينحرف ٧٩,٢٣ درجة إلى الشرق، وبما أن الصورة الجوية أوضحت أن المحور الرئيس لأسوار المسجد الأقصى ينحرف حوالي ٨١,١١ درجة عن اتجاه القبلة الحقيقي، وبما أن محيط الكرة الأرضية يساوي ٣٦٠ درجة تمامًا، فهذا يعني أن نسبة انحراف قبلة المسجد الأقصى عن جهة مكة المكرمة هي تقريبًا ٣٪ وهي نسبة ضئيلة يمكن إهمالها، وهذا يعني أن المحور الأساس لمنطقة ساحات المسجد الأقصى وما دار عليها من جدار تتجه إلى مكة المكرمة قبلة المسلمين[٢].

---

(١) يرتفع المسجد الأقصى (٧٣٥) مترًا عن سطح البحر.

(٢) المسجد الأقصى أم الهيكل المزعوم، د.م يحيى وزيري، (١٤- ١٦)، الناشر: المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة. (بتصرف يسير)

وهذا يؤكد العلاقة بين المسجدين، وأن الشكل المعروف بتوجيهه الجغرافي للمسجد الأقصى يؤكد بدلالة الآثار أنه مسجد مرتبط ارتباطًا فعليًا ومنطقيًا بالكعبة المشرفة وأن ذلك لم يكن من قبيل المصادفة.

هل لليهود قبلة، وأين هي؟

نعم لليهود قبلة اعتاد عليها، يهود الأمس ويهود اليوم، وهي القبلة التي كنا عليها بادئ الأمر ثم نسختها شريعة المصطفى، ولما كان اليهود مُصِرِّين على كفرهم به معاندين له رفضوا أمره ﷺ، حتى زعم متأخروهم أن لا نسخ في شريعة اليهود[١]، فعن عكرمة والحسن البصري، قالا: أوَّل ما نُسخَ من القُرآن القبلة، وذلك أنَّ النَّبي ﷺ كان يستقبلُ صخرةَ بيتِ المقدس، وهي قِبلة اليهود[٢]، فَاسْتَقْبَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ليؤمنوا به ويَتَّبِعُوهُ، ويَدعو بذلك الأُمّيين من العرب، فقال اللَّهُ عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

---

(١) انظر كتاب إفحام اليهود، للسموأل المغربي، وهو حبر من أحبار اليهود أشهر إسلامه ورد على اليهود في منعهم حصول النسخ في شريعتهم وقد أثبت مواضع وأحكامًا كثيرة من شريعتهم وقع فيها النسخ.

(٢) نقل ابن قيم الجوزية في كتابه بدائع الفوائد (٤ / ٦٧٨) قال: (كانوا ينصبون التابوت ويصلون إليه من حيث مَرَجُوا فإذا قدموا نصبوه على الصخرة وصلوا إليه، فلما رفع صلوا إلى موضعه، وهو الصخرة).

صخرة بيت المقدس، هي قبلة اليهود:

ويعتقد كثير من اليهود أن صخرة بيت المقدس والتي يعلوها «قبة الصخرة» هي (قدس الأقداس) وهي القبلة التي يتوجهون إليها، وأنها أقدس الأماكن في الهيكل المزعوم ولا يدخلها سوى كبير الكهنة في يوم واحد في العام فقط وهو «يوم الغفران»؛ ليتفوه باسم الإله (يهوه)، ويعتقدون أنه لا يستطيع أن يَتَفَوَّه به أحد في أي زمان ومكان سوى في هذا المكان، ويعتقدون أن «قدس الأقداس» يقع في وسط الدنيا تمامًا.

ويحتوي قدس الأقداس كما جاء في موروثاتهم غير المسندة على الشمعدان ومنضدة ومذبح، وكل ذلك من الذهب الخالص، وكان في قدس الأقداس زمن الهيكل الأول، كما يزعمون «حجر الشرب» الذي كان يقف عليه و«تابوت العهد»، ويعتقدون أنه في زمن الهيكلين الأول والثاني، أن الكاهن الأكبر كان يدخل إلى المكان مرّة كل عام في «يوم الغفران».

ويصف اليهود تابوت العهد الذي يكون في «قدس الأقداس» أنه مصنوع من خشب الزان، ومطلي بالذهب، ويغلفه القماش من الأطراف، ولم يكن في الهيكل الثاني تابوت، بل عبارة عن حجر شرب، وكان يتوجب على الكاهن الأكبر عند دخوله أن يتصوّر في مخيلته شكل التابوت المفقود!

وتابوت العهد كما يزعمون أنه أقدس قطعة كانت موجودة بالهيكل، وكان يحوي سابقًا لَوْحَيْ الشهادة والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، ووجوده بين ظهرانيهم كان يكفل لهم النصر، ويسمّونه تابوت الشهادة، وتابوت العهد، وقيل: إنّهم كانوا يصلون نحوه[١].

وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الصخرة قبلة منسوخة[٢]، وقد جاءت أقوال وأحاديث كثيرة في فضلها، وجميع ما قيل في فضل الصخرة لا يصح البتة نسبته إلى النبي ﷺ. وقد بيَّن الإمام ابن القيم، أنَّ كل الأحاديث الواردة في فضل الصخرة ضعيفة لا تصح، فقال في المنار المنيف: «وكل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى، والقَدَم الذي فيها كذبٌ موضوعٌ مما عملته أيدي المزورين، الّذين يُروِّجُونَ لها ليكثر سوادُ الزَّائرين، وأرفع شيء في الصخرة أنها كانت قبلة اليهود، وهي في المكان كيوم السبت في الزمان، أبدل اللَّه بها هذه الأمة المحمدية الكعبة البيت الحرام»[٣].

والمشاهد للصخرة يرى أنها بمثابة مغارة صخرية ينزل إلى تجويفها من خلال عدة درجات، تصل أعلى نقطة فيها ثلاثة أمتار إلى

---

(١) لمزيد من الفائدة راجع بحثنا «تابوت السكينة، قبلة حرم منها اليهود» في سلسلة بيت المقدس للدراسات، التي تصدر عن: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، العدد (٩) شتاء ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٢٧/ ١٢).

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، (٨٧ - ٨٨).

سقفها[١]، وأنها ليست معلقة كما يزعم البعض.

من فوائد الحديث:

١- وجوب الصَّلاة إِلى القبلة والإِجماع على أنَّها الكعبة.

٢- بيان شرف المصطفى ﷺ، وكرامته عند ربه، لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال[٢].

٣- وفيه جواز التحول إلى القبلة أثناء الصلاة إذا عُلم الاتجاه الصحيح[٣]، وفيه جواز الاستدارة نحو القبلة على أي هيئة كان عليها المصلي، كما جاء ذلك في حديث أنس: مرَّ رجل من بني سلمة فناداهم وهم ركوع في صلاة الفجر: «أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَمَالُوا رُكُوعًا»[٤].

٤- فيه جواز تعليم وتوجيه من هو خارج الصلاة لمن هو في صلاته، إذا كان خطؤه متعلقًا بصلاته، ويشرع للمصلي أن ينصت ويستجيب لتوجيه المعلم، واللَّه أعلم.

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، مجير الدين الحنبلي، (١/ ٢٧٢)، المكتبة الجديدة.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (١/ ٩٩).

(٣) جاء في مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٣٦٩)، باب: في الرجل يصلي بعض صلاته لغير القبلة من قال: يعتد بها.

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٤٣٠).

٥- وفيه جواز قبول خبر الواحد[١]، بل وجوب قبول خبر الواحد الثابت في العلم والعمل، كما هو العلم بتحويل القبلة، ثم العمل بها.

٦- فيه دليل على جواز النسخ ووقوعه[٢]. فإن قيل: هذا نسخ للمقطوع به بخبر الواحد، وذلك ممتنع عند أهل الأصول، فالجواب أنه احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم، وخرج عن كونه خبرَ واحدٍ مجردًا[٣].

٧- فيه دليل على أن حكم النسخ لا يلزم المرء قبل بلوغ الخبر إليه؛ لأن أهل قباء كانوا شرعوا في الصلاة إلى بيت المقدس بعد النسخ، لأن آية النسخ نزلت بين الظهر والعصر، ووصل الخبر إلى أهل قباء في صلاة الصبح، ثم انحرفوا وبنوا على صلاتهم ولم يعيدوها[٤].

٨- أجمع العلماء على أن أول ما نسخ من القرآن شأن القبلة، وفيه جواز نسخ السنة بالقرآن.

٩- والحديث واضح على فضيلة بيت المقدس وسابقتها وعظيم مكانتها.

١٠- وفيه أن تحويل القبلة إلى بيت المقدس شأن إيماني سلوكي

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ٩-١٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) شرح السنة، البغوي (٢/ ٣٢٤).

تربوي لتدريب الصحابة على الانصياع لأمر اللَّه ورسوله في ترك ما ألفوه من توجههم إلى الكعبة التي ورثوا تعظيمها واستقبالها عن آبائهم في جاهليتهم.

١١- من خصائصه ﷺ أن اللَّه جل جلاله جمع له بين القبلتين بيت المقدس والكعبة.

* * * * *

الحديث الثاني
الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ثَانِي مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قال: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، فقُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سنة»، وفي رواية: (عامًا)[١]، ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، وفي رواية: (بعدُ فَصلِّه فإنَّ الفَضْلَ فيهِ)[٢]، وَالْأَرْضُ لَكَ، وفي رواية: (كُلُّها)[٣]، مَسْجِدٌ، وفي رواية: (مُصلى)»[٤][٥].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

أبو ذر جُندب بن جُنادة الغِفاريُّ وقيل: جُندب بن سكن. وقيل: بُرير بن جُنادة. وقيل: بُرَير بن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنه.

وكان آدم، ضخمًا جسيمًا، كثَّ اللحية. وكان رأسًا في الزُهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوَّالًا بالحقّ، لا تأخذُه في اللَّهِ لومةُ

---

(١) أخرجها مسلم، عن أبي ذر (٥٢٠).
(٢) أخرجها البخاري (٣٣٦٦).
(٣) أخرجها البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (١٢٠)، وابن خزيمة (٧٨٧)، وابن ماجه (٧٥٣).
(٤) أخرجها ابن ماجه، عن أبي ذر (٧٥٣).
(٥) أخرجه البخاري (٣٤٢٥)، وأحمد (٢١٦٥٩)، والنسائي في الكبرى (٧٦٩)، وابن ماجه (٧٥٣)، وابن خزيمة (١٢٩٠).

لائم، على حدَّة فيه.

أحَدُ السَّابقين الأوَّلين من نُجباء أصحاب محمد ﷺ. وخامس خمسة في الإسلام كما قيل، كان يُفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان.

روى عنه جمع منهم: حذيفة بن أُسيد الغفاري، وابن عباس، وأنس ابن مالك، وابن عمر وغيرهم كثير.

شهد فتح بيتِ المقدس والجابية مع عمر[(١)]، نزل بيت المقدس يوم ارتحله عثمان إلى المدينة[(٢)]، وقدم دمشق، ورآه بها الأحنف بن قيس، وقيل: ببيت المقدس[(٣)]، .....

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/ ٤٦-٤٨)، مؤسسة الرسالة، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٦٦/ ١٧٥)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ت: عمرو بن غرامة العمروي.

(٣) وذلك فيما رواه الأحنف بن قَيسٍ عن زيارة أبي ذر لبيت المقدس والصلاة فيه، قال: دخَلتُ بَيتَ المقدسِ فَوَجدتُ فِيه رَجُلًا يُكثِر الْسُّجُود فَوَجَدتُ في نَفسي من ذَلِكَ فَلَمَّا انصَرَف قُلت أَتَدرِي على شَفع انصَرفتَ أَم على وترٍ، قال: إِن أَكُ لا أَدرِي فَإِنّ الْلَّه عز وجل يَدْرِي! ثُمَّ قَالَ: أخبرَنِي حِبِّي أَبُو القَاسِمِ ﷺ ثُمَّ بَكى، ثُمَّ قَالَ: أَخبَرَنِي حِبِّي أَبُو القاسِمِ ﷺ ثُم بكى ثُمّ قال أَخبرنِي حِبِّي أبو القاسم ﷺ أَنَّه قَال: مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّه سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ الْلَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْه بِهَا خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً قَالَ: قُلتُ أَخبِرنِي مَن أَنتَ يَرحَمُكَ الْلَّهُ؟ قال: أَنَا أَبو ذر صاحِبُ رسُول الْلَّهِ ﷺ فَتَقَاصَرَت إِلَيَّ نَفسِي. أخرجه أحمد (٢١٤٥٢)، ومصنف عبد الرزاق (٢/ ٣٢٧)، وانظر: الأم للشافعي (١/ ٢٨٨).

وما رواه عبد اللَّه بن أبي قيس قال: خرجت مع غضيف بن الحارث نريد بيت =

وقيل: بحمص[(١)]. شهد غزو قبرص[(٢)] سنة سبع وعشرين غزاها فيما ذكر جماعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فيهم أبو ذر، وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام، والمقداد، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس[(٣)]. هاجر إلى

= المقدس، فلما أتينا دمشق قال غضيف: لو انطلقنا إلى أبي الدرداء فسلمنا عليه! قال: فأتيناه فسلمنا عليه؛ فقال لغضيف: أين تريد؟ قال: بيت المقدس؛ قال أبو الدرداء: هذا مسجدٌ فصلِّ فيه! فقال: إني قد تجهزت وحملت عيالي؛ فقال أبو الدرداء: إن كنت لابد فاعلا فلا تزد على صلاة يوم وليلة والْقَ أبا ذر فقل له: إن أخاك أبا الدرداء يقول لك: اتق اللَّه وخِفِ الناس، قال: فلما أتينا بيت المقدس، ألفينا أبا ذر قائمًا يصلي، وإذا قيامُه قريب من ركوعه، وركوعه قريب من سجوده، فقال: فجلسنا، فلما فرغ من صلاته سلمنا عليه وقلنا له: إن أخاك أبا الدرداء يقرئك السلام ويقول لك: اتّق اللَّه، وخف الناس، فقال: يرحم اللَّه أبا الدرداء! إنْ كنّا قد سمعنا فقد سَمِع، وإن كنا قد جالسنا فقد جالس، وما علم أني بايعت رسول اللَّه ﷺ على أنيّ لا أخاف في اللَّه لومة لائم. انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر (٤٨/ ٧٥) والطبقات الكبرى، لابن سعد (٤/ ٢٣١)، دار الكتب العلمية - بيروت، ت: محمد عبد القادر عطا.

وعن عمير بن فائض اللخمي قال: كنت عند أبي ذر ﷺ بإيلياء قاعدًا فأتي بقصعة تفور، فوضعت بين يديه، فقال: دعوها حتى يذهب بعض حرارتها. السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٤٥٧) (١٤٦٣٢)، مصنف عبد الرزاق (٢/ ٣٢٧).

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٦٦/ ١٧٤)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٤٧).

(٢) قبرص أو قبرس: بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة ، كلمة رومية وافقت العربية القبرس النحاس الجيد (معجم البلدان، للحموي ٤/ ٣٠٥) وهي جزيرة كبيرة تقع شمالي شرق البحر المتوسط، أمام خليج الإسكندرون. عاصمتها (نيقوسيا) وشعبها من الأتراك واليونان، بيد أن جزءًا منها يتبع دولة اليونان والجزء الآخر يتبع جمهورية تركيا.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ص ٧٢٨، اعتنى به أبوصهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية الأردن، لا يوجد رقم ولا تاريخ طبعة.

الشام بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه ، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، فاستقدمه لشكوى معاوية منه، فأسكنه الرَّبَذة[١] حتى مات بها[٢].

سبب ورود الحديث:

عن إبراهيم التيمي قال: كنت أنا وأبي نجلس في الطريق، فيعرض عليَّ القرآن وأعرض عليه. قال: فقرأ السجدة، فقلت له: أتسجد في الطريق؟ قال: نعم، سمعت أبا ذر يقول[٣]: فذكر الحديث.

شرح الحديث:

وضَّح هذا الحديث حقيقة تاريخية مهمة وهي أنّ المسجد الحرام سبق في بنائه المسجد الأقصى بأربعين عامًا، غير أنه ليس هناك

---

(١) الرَّبَذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري. (معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٣/ ٢٤)، دار صابر- بيروت) وهي من جهة الجنوب الشرقي من المدينة المنورة بأكثر من ١٠٠ كيلًا، تسمى اليوم بركة أبي سُلَيم، جنوب منطقة الحناكيّة. وهي في قلب نجد وهي من منازل الحجاج بين العراق ومكة وفيها نزل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٢) معرفة الصحابة، أبي نعيم الأصبهاني (٢/ ٥٥٧)، دار الوطن للنشر- الرياض، ت: عادل بن يوسف العزازي. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (٧/ ١٠٥)، دار الكتب العلمية- بيروت، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. وكتاب: الجبال والأمكنة والمياه، للزمخشري (٧٧)، مطبع بريل- ليدن.

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١٢٩٠).

نص ثابت في أول من بنى المسجد الأقصى، لكن لا خلاف أنه كان في الزمن الذي بُني فيه المسجد الحرام، وأن المسجد الأقصى بناه وتعاهده الأنبياء وأنه أقدم بقعة على الأرض عرفت عقيدة التوحيد بعد المسجد الحرام في مكة المكرمة، وأن الفرق بين مدة وضعهما في الأرض أربعون سنة.

قوله: (قلت: يا رسول اللَّه، أي مسجد وضع في الأرض أول):

نلحظ في الحديث كيف كان الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه يتعاهد المسجد الأقصى بسؤال النبي ﷺ عن أحوال المسجد بين الحين والآخر كما سنجد ذلك في سؤاله رضي الله عنه في غيرما حديث يسأل فيه النبي ﷺ عن المسجد الأقصى، لكن السؤال هنا جاء عن أول مسجد في تاريخ البشرية وضعه اللَّه لعباده؟

فجاءت كلمة «أول» من أبي ذر رضي الله عنه تحمل عمق هذا المعنى في السؤال كما وضح ذلك أبو البقاء: «الوجه أن يضم (أوَّلُ) ضمة بناء، كما يقال: ابدأ بهذا أولُ، وإنما بني بقطعه من الإضافة كما بنيت قبلُ وبعدُ، والتقدير: أوّل كلِّ شيء»[(١)] أي أول مسجد بني أول للصلاة فيه، أي الأولوية المطلقة في بدء البناء.

أما كلمة «وضع» في الحديث فقد تكون دلالتها أعمق من مفهوم

(١) إعراب الحديث النبوي، أبو البقاء العُكْبَرِي (١٦٣)، مجمع اللغة العربية- دمشق، ت: عبد الإله نبهان.

البناء، لأن البناء هو التشييد أما الوضع فهو إشارة وبشكل دقيق إلى اختيار المكان وتخصيصه كموضع عبادة واللَّه أعلم.

قوله: (قال ﷺ: المسجد الحرام): كانت إجابة النبي ﷺ لأبي ذر عن أول مسجد وضعه اللَّه لعباده المؤمنين في الأرض هو المسجد الحرام في مكة المكرمة، وفي كتابه تبارك وتعالى بيَّن ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] والأولية المقصودة هي أولية البناء، وما لزم له من بركة وعبادة وقصد.

قوله: (فقلت: يا رسول اللَّه، ثم أيُّ): بعد أن عرَف أبو ذر وعرَّف النبيُّ بالمسجد الأول الذي وضعه اللَّه لعباده المؤمنين في الأرض، توجه أبو ذر على الفور باستقصاء الأمر بسؤال النبي ﷺ عن المسجد الذي تلاه في الوضع والبناء.

قوله: (قال ﷺ: المسجد الأقصى): فكان جواب النبي أن ثاني مسجد وضعه اللَّه لعباده في الأرض هو المسجد الأقصى في مدينة بيت المقدس في فلسطين.

ومع صراحة وصحة أن أول مسجد وضعه اللَّه في الأرض المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى، إلا أن الخلاف وقع للبعض من أهل السير والتاريخ وعلماء التفسير وغيرهم، في أول من وضع قواعد المسجدين.

أول من وضع قواعد الكعبة والمسجد الأقصى في الأرض:

وهنا ينبغي أن نفرق بين وضع القواعد، وبين رفعها والبناء عليها، وعند مناقشة القضية ينبغي أن نحذر الخلط في تناول هذه المسألة.

وهنا سنتناول قضية وضع القواعد وأول من تولى ذلك ابتداءً، غير أنه لم يرد في هذه المسألة الخبر الصحيح في من أول من وضع قواعد المسجدين صراحة، بل هي آراء متفاوتة بين العلماء، ننقلها في نقاط:

أولًا: جاء عند القرطبي قوله: «اختلف النَّاسُ في من بنى البيت أولًا وأسسه، فقيل: الملائكة»[(١)].

ثانيًا: وأورد الطبري في تفسيره، فقال: «هي قواعد بيتٍ كان بناه آدمُ عليه السلام أبو البشر بأمر اللَّهِ سبحانه وتعالى إياه بذلك، ثم درس مكانه وتعفَّى أثرُه بعده، حتى بَوَّأَه اللَّهُ إبراهيمَ عليه السلام فبناه- أي رفع جدرانه على القواعد -.

ثالثًا: وقال الطبري نقلًا عن آخرين: «بل هي قواعدُ بيتٍ كان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أهبطَه لآدمَ من السماءِ إلى الأرضِ، يطوفُ به كما كان يطوفُ بعرشِه في السماء، ثم رفعَه إلى السماءِ أيام الطوفان، فرفعَ إبراهيمُ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ١٢٠)، دار الكتب العلمية، ت: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش.

قواعدَ ذلك البيتَ.

رابعًا: وقال الطبري في الموضع السابق نفسه: بل كان موضعُ البيتِ ربوةً حمراء كهيئة القبة، وذلك أن اللَّه لما أراد خلق الأرض، علا الماء زبدة حمراء أو بيضاء، وذلك في موضع البيت الحرام، ثم دحا اللَّهُ الأرض من تحتها، فلم يزل ذلك كذلك حتى بوَّأه اللَّه إبراهيم، فبناه على أساسه»[(١)].

خامسًا: أورد ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري: «إن أول من أسس المسجد الأقصى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: الملائكة، وقيل: سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٢)].

أول من باشر في بناء ورفع قواعد المسجدين:

جاءت آراء العلماء متباينة في أول من رفع وأقام بناء المسجدين، جاء عند القرطبي: «قد رُويَ أنّ أوّل من بنى البيت ـ البيت الحرام ـ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدَّم. فيجُوز أن يكون غيره من ولدِه وضع بيت المقدس من بعده بأربَعين عامًا، ويجوزُ أن تكون الملائكة أيضًا بَنته بعد بنائها البيت بإذن اللَّهِ، وكلٌّ مُحتمل. واللَّهُ أعلم»[(٣)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري (٣/ ٥٧-٥٩)، مؤسسة الرسالة-بيروت.
(٢) فتح الباري، للعسقلاني، كتاب الأنبياء (٦/ ٤٠٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ١٣٨).

وقال كذلك ـ أي ابن حجر ـ: «وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم عليه السلام هو الذي أسس كلا المسجدين، ما ذكره ابن هشام في «كتاب التيجان» إن آدم عليه السلام لما بنى الكعبة أمره اللَّه بالسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونَسَكَ فيه وبناء آدم للبيت مشهور»[(١)].

غير أن السيوطي رحمه الله في شرحه على سنن النسائي قد بين بوضوح وفصَّل في قوله: «إن آدم عليه السلام نفسه هو الذي وضع المسجد الأقصى، وأن بناء إبراهيم وسليمان تجديد لِما كان أسسه غيرهما وبدأه»[(٢)].

وقال البعض: إنه إبراهيم عليه السلام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن): في تفسيره للآية السابقة القَواعِدُ: أساسُهُ، في قول أبي عبيدة والفرَّاء. وقال الكسائي: هي الجدُر. والمعروف أنها الأَساسُ. وفي الحديث: «إِنَّ الْبَيْتَ لَمَّا هُدِمَ أُخْرِجَتْ مِنْهُ حِجَارَةٌ عِظَامٌ»[(٣)] فقال ابن الزُّبير: هذه القواعدُ الَّتي رفعها إبراهيم عليه السلام. وقيل: «إنّ القواعد كانت قد اندرست فأَطلع اللَّهُ إبراهيم عليها»[(٤)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، كتاب الأنبياء، (٦/ ٤٠٩).

(٢) شرح السيوطي على سنن النسائي، السيوطي (٢/ ٣٣).

(٣) هذا الأثر أورده القرطبي ولم أجده إلا عنده واللَّه تعالى أعلم.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ١٢٠)، دار الكتب العلمية، ت: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش.

قلت: يبدو - واللَّه أعلم - أن الوضع هو وضع القواعد التي رفع عليها البناء فيما بعد، وأن إبراهيم مرحلة متأخرة عن زمن وضع القواعد، وأن وضعها ليس من عمله عليه السلام، بل كان عمله هو رفع ما كان من بناء عليها فحسب، واللَّه أعلم، ولا مانع أن إبراهيم عليه السلام رفع المسجدين في زمنه؛ خاصة أنه كان يتردد بينهما، وكان له في بيت المقدس زوج وولد وفي مكة كذلك، أضف إلى ذلك أن فترة الأربعين عامًا ليست متباعدة فيما بينها، لاسيما إذا علمنا أن إبراهيم عليه السلام عاش مدة تناهز المئتي عامًا، كما جاء عن أبي هريرة، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِينَ سَنَةً»[(١)]، وهي مدة كافية لإتمام إبراهيم عليه السلام رفع قواعد المسجدين في زمنه، واللَّه أعلم.

ومما سبق يتضح معنا أن سليمان عليه السلام ليس هو أول من بنى المسجد الأقصى، ولا إبراهيم عليه السلام أول من بنى الكعبة، بل هو تجديد لبناء غيرهما، كعادة من يتعاقبون على مثل ذلك من أنبياء وحكام - واللَّه أعلم -، فيكون- كما ذكر أكثر المفسرين- إبراهيم عليه السلام قد جدد بناء المسجد الأقصى وأقامه ليكون مسجدًا للأمة المسلمة من أبنائه وذريته المؤمنين، واستمرت إمامة المسجد

(١) صحيح ابن حبان (٦٢٠٤)، وصححه الألباني في الأدب المفرد (١٢٥٠) وقال عنه: صحيح الإسناد موقوفًا ومقطوعًا.

الأقصى وبيت المقدس في يد الصالحين من ذرية إبراهيم عليه السلام من بعدهم جيلًا بعد جيل يتعاهدونه بعمارته بالعبادة والترميم.

ونحو ذلك ما ذكره ابن كثير[١]: «أنه في عهد يعقوب بن إسحق عليهما السلام أعيد بناء المسجد بعد أن هَرِمَ بناء إبراهيم عليه السلام».

ومثله ما ذكره شهاب الدين المقدسي[٢] رحمه الله: «والقول بأن هذا البنيان كان تجديدًا هنا أولى منه في قول كعب: إن أول من أسسه سام».

والأمر كما بين العلماء أن سليمان عليه السلام قام على تجديد المسجد وليس بناء التأسيس، وهي حقيقة تاريخية يكشف عنها ويلفت الانتباه إليها ابن الجوزي رحمه الله، في تبيان ما أشكل من حديث رواه عبد اللَّه ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنَّ سُليمانَ بن داود ﷺ لَمَّا بنى بَيتَ المقدس سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وجلَّ خِلالًا ثلاثةً، سأَل اللَّهَ عَزَّ وجلَّ حُكمًا يُصادِفُ حُكمَهُ فَأُوتِيَهُ، وسأَل اللَّهَ عزَّ وجلَّ مُلكًا لا يَنبغِي لِأحَدٍ مِن بَعدِهِ فَأُوتِيَهُ، وسأَل اللَّهَ عزَّ وجلَّ حِينَ فَرَغَ مِن بِناءِ المَسجِدِ أَن لا يَأْتِيَهُ أَحدٌ لا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلاةُ فيه أَن يُخْرِجَهُ من خَطِيئَتِهِ كيومِ ولَدَتهُ أُمُّهُ»[٣]، فقوله ﷺ: «إنَّ سُليمانَ بن دَاود ﷺ لَمَّا بنى بيتَ

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١/ ١٨٤).
(٢) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ابن تميم المقدسي (ص١٣٤).
(٣) سيأتي تخريجه عند الحديث السادس عشر.

المقدسِ» لا يقصد من ذلك بناء التأسيس، بل هو بناء التجديد، ولو كان غير ذلك لما انسجم الأمر مع توضيح النبي ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن بينهما أربعين عامًا، وبين إبراهيم وسليمان أكثر من ألف سنة، كما أشار ابن حجر في الفتح[١] إلى أن ابن الجوزي ذكر في قول النبي ﷺ: «أربعون سنة» إشكالًا؛ لأن إبراهيم عليه السلام بنى المسجد الحرام، وسليمان بنى بيت المقدس وبينها أكثر من ألف سنة، ثم أجاب ابن الجوزي عن هذا الإشكال بقوله: «إن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس»، ثم قال ابن الجوزي: «فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن»، وكذا قال القرطبي رحمه الله: «إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان أسَّسَهُ غيرهما».

ومما سبق يتبين لنا ويتجلى، أن ما قام به سليمان عليه السلام في بيت المقدس ليس بناء لهيكل، وإنما هو تجديد للمسجد الأقصى المبارك، كما فعل إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٠٧).

ظنون يهودية خاطئة حول زمن بناء الأقصى:

وأما عند اليهود فتبدأ حكاية المسجد الأقصى وبداية تأسيسه من فترة سليمان عليه السلام، متغافلين عن كل ما سبق من فترات وسياق تاريخي، واعتبروا ما أسسه سليمان عليه السلام هو ما عبروا عنه باسم «هيكل سليمان الأول» فاختزلوا ما سبق من تاريخ للمسجد الأقصى في قصة اخترعوها وأسموها هيكل سليمان الأول، ليقوموا وبخبث كبير بتركيب أحداث تاريخية متطابقة وتجييرها حسب مراد الفهم اليهودي لمحاولة تشكيل نسق تاريخي يهودي ماكر سمج، قائم على عملية اختطاف وتزوير التاريخ الإسلامي بل التاريخ مطلقًا بمراحله المختلفة.

لقد بقي بناء سليمان عليه السلام -أي المسجد الأقصى، وما عبر عنه اليهود بهيكل سليمان الأول، عامرًا بفخامته وروعته التي أخذت بلب عقل اليهود، فكان المسجد بالنسبة لهم أسطورة إلى أن خرّبَه «نبوخذ نصر» البابلي في ستمائة ألف راية، حتى قتل وأفنى بني إسرائيل - الذين فرطوا بالمسجد ولم يرعوه حق الرعاية، بالأخذ بما أمر اللَّه به، والنهي عما نهى اللَّه تعالى عنه، وكان من بناء داود للمسجد الأقصى إلى أن خربه بنوخذ نصر أربعمائة وأربع وخمسون سنة[1].

يقول الإمام البغوي في تفسيره: «قالوا: فلم يزل بيت المقدس على

---

(١) انظر مثير الغرام، ابن تميم المقدسي (ص ١٥٠) بتصرف.

ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر، فخرب المدينة، وهدمها، ونقض المسجد، وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر، فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق»[(١)].

جاء في التوراة وروايات اليهود التي تغنت بجمال هذا المكان، وأغرقت في وصف عظمة بنائه ومكوناته، دون الالتفات أو الحسرة والندم على أسباب فقد بيت الرب، الذي تواطؤوا عليه بكفرهم وعصيانهم أوامر أنبيائهم، حتى حرموه إلى الأبد، وكانوا سببًا في هدمه، وما مسجد بيت المقدس اليوم وفي وصفه الحالي إلا جزءًا يسيرًا من بقايا بناء سليمان عليه السلام.

لقد تعجلنا هنا في طرح علاقة نبي اللَّه سليمان عليه السلام بالمسجد الأقصى المتضمنة بالحديث السادس عشر من هذا الكتاب للصلة المهمة مع حديث الباب، وعدم انفكاك العلاقة بينهما الخاصة بموضوع سلسلة بُناة المسجد الأقصى، وهو رد متقدم على اليهود يجب استحضاره عند شرح الحديث السادس عشر، واللَّه الموفق.

أوجه التشابه بين الكعبة والمسجد الأقصى:

لقد توصل الباحثون والمهندسون المعماريون إلى أوجه الشبه

(١) معالم التنزيل، البغوي (٦/ ٣٩٠)، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض.

المعمارية التي لم تأت مصادفة، بين الكعبة والمسجد الأقصى، فنجد أن كليهما ليس فيه ضلع واحد موازٍ أو مساوٍ لضلع آخر، وهذا يعني أن وصفه من الناحية الهندسية بـ «الأشكال المنحرفة» أو «مختلفة الأضلاع» نادرة الاستعمال في مجال التصميم المعماري للمباني، وهذا وجه من أوجه التطابق الهندسي.

ومن أوجه التطابق الهندسي ما يعرف بـ«النسبة الذهبية» والتي تعتبر من أجمل النسب الهندسية على الإطلاق، فضلًا عن الراحة البصرية لمن يشاهده وعلى العكس تمامًا منه تجد كيف اعترض الهيكل المزعوم ساحات المسجد الأقصى، بشكل يدلل على إقحام هذا البناء، وبشكل غير مدروس حيث نرى أن الهيكل يعترض ساحات الأقصى مسحوبًا من جهة الشرق إلى الغرب بطريقة مزعجة بصريًا، وباتجاه الشمس الذي عرفت به غالب المعابد الوثنية، فضلًا عن عدم وجود أي مبرر عقدي مقنع عند اليهود يبرِّر سبب توجيه البناء باتجاه الشرق[١].

وطالما أن حديث الباب يناقش قضية بناء ووضع المسجد، فدعونا نبحر معكم في شيء متعلق ببناء المسجد الأقصى:

---

(١) لمزيد من التفصيل حول الجانب الهندسي، انظر المسجد الأقصى أم الهيكل المزعوم، د. يحيى وزيري. كما وانظر مشكورًا البحث القيم «المسجد الأقصى في الآثار القرآنية» للدكتور المهندس هيثم فتحي الرطروط، في مجلة دراسات بيت المقدس، عدد صيف ٢٠٠٥م.

حدود المسجد الأقصى:

لقد أشكل على كثير من مسلمي العالم فضلًا عن غيرهم ماهية المسجد الأقصى وحدوده، فاعتقد البعض أن قبة الصخرة - ولا شيء سواها - هي فقط المسجد الأقصى، ومنهم من حصر المسجد في البناء الأول الذي بناه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والموضوع حاليًا في قبلة المسجد من الجهة الجنوبية، لكن الحقيقة التي يجب أن تجلى وتدرك بوعي هي أن المسجد الأقصى هو كل ما دار عليه السور.

وقد أدرك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أهمية توضيح حدوده فقال: «فإن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد؛ فإن عمر ابن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة؛ لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية، خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها، فإن لنا صدور المساجد. ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، وقد روي عن عمر

رضي الله عنه أنه صلى في محراب داود»[(١)].

ويبدو أن إشكالية فهم حدود المسجد الأقصى كما كانت ملتبسة عند الناس في زمن ابن تيمية نجدها كذلك ملتبسة على الناس في زمن مجير الدين الحنبلي رحمه الله، كما نلمس ذات المفهوم الخاطئ في تعريف المسجد الأقصى في زماننا أشد وأنكى، واللَّه المستعان!

قال مجير الدين الحنبلي: «إن المتعارف عند الناس أن الأقصى هو الجامع المبني في صدر المسجد من جهة القبلة الذي به المنبر والمحراب الكبير، وحقيقة الحال أن اسم الأقصى هو لجميع المسجد وما دار عليه السور. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والأروقة وغيرها محدث، والمراد بالمسجد الأقصى هو جميع ما دار عليه السور»[(٢)].

قوله: (قلت: كم كان بينهما؟): والذي يسأل هو أبو ذر رضي الله عنه الذي أصبح عارفًا وخبيرًا بما للمسجد الأقصى من فضائل ومعالم نهلها من النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ثمرة جملة من أسئلة وجهها إليه في فترات من الزمن مختلفة حول المسجد الأقصى المبارك، غير أنه رضي الله عنه لم يتوقف عن مزيد من الاستقصاء ليكتمل عنده المشهد.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٢٧/ ١١ - ١٢)، دار التقوى للنشر والتوزيع- بلبيس.

(٢) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي (٢/ ٢٤).

قوله: (قال: أربعون سنة): وهي حقيقة تاريخية لم تردنا إلا من النبي ﷺ بين فيها الفترة الزمنية التي كانت بين البناءَيْن، وفي رواية أخرى: أربعون عامًا[(١)]، والمراد من ذلك هو الفترة الزمنية بين البناءَيْن.

قوله: (ثم حيثما أدركتك الصلاة فصلِّ، والأرض لك مسجد): وهذا مما اختصت به شريعة محمد ﷺ دون غيرها من الشرائع أن يصلي الرجل حيث أدركته الصلاة وذلك ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه عن

---

(١) فائدة: ورد في الحديث كلمة «سنة» في رواية أخرى كلمة «عام» فهل هناك فرق بين اللفظتين:

الفرق بين العام والسنة: «أن العام أيام والسنة جمع شهور... ولهذا يقال: عام الفيل ولا يقال: سنة الفيل، ويقال في التاريخ: سنة مائة وسنة خمسين، ولا يقال عام مائة، وعام خمسين، فالسنة من أول يوم عددته إلى مثله، والعام لا يكون إلا شتاءً وصيفًا. وقد يكون فيه نصف الصيف، ونصف الشتاء. وعلى هذا فالعام أخص من السنة، وليس كل سنة عامًا». لمزيد فائدة انظر مشكورًا: الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري (ص ٢٧١).

أما غالب السياق القرآني فنجد أن لفظ العام جاء في سياق ما هو خير والسنة لما فيه شر. كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧] ويظهر هنا مضاعفة الجهد والمشقة التي سيتحملونها في زراعة هذه السنوات السبع، أما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] وهي سنوات العيش الرغيد، أما في قصة نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] فالخمسون عامًا المستثناة التي لم يلبثها في دعوتهم كانت سنوات لا مشقة فيها أما التسعمائة والخمسون هي سنوات المشقة التي قضاها داعيًا بين ظهرانيهم. واللَّه تعالى أعلى وأعلم.

النبي ﷺ: «وَجُعلَت لِي اَلْأَرضُ مسجِدًا وطَهُورًا»[(١)]، ومن حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُعطيتُ خمسًا لَم يُعطَهُنَّ أَحدٌ قَبلي: نُصِرتُ بالرُّعبِ مَسيرَةَ شهرٍ، وجُعِلَت لِي الأَرضُ مسجدًا وطهُورًا»[(٢)]. وفي رواية قال ﷺ: «فإنَّ الفضلَ فيه»، قال ابن حجر: «أي: في فعل الصلاة إذا حضر وقتها»[(٣)]. وهو من باب المسارعة والمبادرة إلى الصلاة أول وقتها دون اشتراط وجود مسجد.

من فوائد الحديث:

١- فيه زيادة على السؤال في الجواب لما في ذلك من تمام الإجابة وزيادة الإيضاح، وإبراء للذمة.

٢- فيه أن أول مسجد وضع في الأرض هو المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى وبينهما أربعون عامًا.

٣- وفيه فضيلة المسجد الأقصى؛ لأنه ثاني مسجد بُني بعد المسجد الحرام.

٤- وفيه فضيلة الأمة المحمدية؛ لأن الأمم قبلهم كانوا لا يصلون

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥ و٤٣٩)، ومسلم (٥٢١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٠٩).

إلا في مكان مخصوص، لكن هنا (حيثما أدركتك الصلاة فصل)[١].

٥- وفيه إشارة إلى ضرورة المحافظة على وقت الصلاة في موعدها، ولا يفوت وقتها طلبًا للصلاة في الأماكن الفاضلة.

٦- في الحديث دلالة على أن الصلاة جائزة في جميع المواضع إلا ما استثناه الشرع من الأماكن النجسة وأعطان الإبل والمقابر.

٧- اهتمام الصحابة بمعرفة تواريخ بناء المساجد وإقرار النبي ﷺ على ذلك.

٨- والحديث فيه رد مهم على اليهود بأنه مسجد إسلامي وليس هيكلًا يهوديًا.

٩- إن مشاهد الاقتران والتوأمة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى واضحة جلية جدًا وسابقة لغيرها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٠٧).

الحديث الثالث
فَضْلُ الصَّلاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: **تذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هذا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى،** وفي رواية: (هُوَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ، وَأَرْضُ الْمَنْشَرِ)[١]، **ولَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ،** وفي رواية: (ألا يكون)[٢]، **لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الأَرْضِ،** وفي رواية: (ليأتيَنَّ على الناس زَمانٌ ولقيدُ سَوطِ، أو قال: قوسِ الرجل)[٣]، وفي رواية: (مثل سِيَة قوسه من الأرض)[٤]، وفي رواية: (وليوشكن أن يكون للرجل مثل سبط قوسه من الأرض)[٥]، **حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ**

---

(١) أخرجها الطحاوي، شرح مشكل الآثار عن أبي ذر (٦٠٨) والطبراني في الأوسط (٦٩٨٣).

(٢) أخرجها الحاكم (٨٦٩٥).

(٣) أخرجها البيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١١٧٩): رواه البيهقي بإسناد لا بأس به وفي متنه غرابة.

(٤) لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا الحجاج وسعيد بن بشير، تفرد به إبراهيم بن طهمان عن الحجاج وتفرد به ابن سليمان بن أبي داود عن سعيد، المعجم الأوسط (٦٩٨٣).

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥٨٧٤)، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ. و عزاه للطبراني في الأوسط وقال: «رجاله رجال الصحيح».

الدُّنْيَا جَمِيعًا، قَالَ: أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[١].

وفي رواية عن أبي ذر قال: قلت: يارسول اللَّه ! أخبرنا عن بيت المقدس؟ قَالَ: «أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ فصلوا فيه، فليأتين على بيت المقدس وَلَبَسْطَةُ قوس أو مسحة قوس في بيت المقدس، أو من حيث يرى بيت المقدس، خير من كذا وكذا»[٢].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الثاني.

شرح الحديث:

لقد تميزت وتمايزت أنواع العلاقة والأحوال الخاصة بهذا المسجد؛ فحينًا يذكر النبي ﷺ فضله وفضل الارتحال إليه والصلاة فيه، وتارةً يذكر خبرًا هو ناقوس خطر للمسجد الأقصى لم يقع في زمنه ﷺ.

يخبر عن أمر وحال يصير إليه المسجد الأقصى من حصار له، ومنع من دخول المسلمين إليه وإحاطته بالمغتصبات، والجُدُر المحكمة

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٩٨٣) والحاكم (٨٥٥٣)، وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠) «رجاله رجال الصحيح» وقال الألباني في الصحيحة (٦/ ٩٥٤)، هو أصح ما جاء في فضل الصلاة فيه، وانظر تمام المنة (٢٩٤).

(٢) أخرجه الطحاوي في المشكل، عن أبي ذر (٦٠٨)، والطبراني في الشاميين (٢٧١٤، وغيرهما، وانظر: (فضائل بيت المقدس للواسطي وفضائل بيت المقدس لابن الجوزي وكلاهما بتحقيق عمرو عبد العظيم شريف).

المُلْتَفَّة حوله، التي سدَّت كل أفق وزقاق ونقب مؤدٍ إليه، يعتليها أبراج فيها جنود يتلصَّصون بأعينهم مُصَوِّبين أسلحتهم وفُوَّهات بنادقهم إلى كل من يتحرك نحوه أو إليه؛ حتى يتمنى حينها المرء المسلم أن يكون له من الأرض بضعة أمتار أو أشبار يقف عليها؛ لِيُطِلَّ منها ويشرف ببصره عن بعد إلى المسجد الأقصى، وكأنها إشارة أخرى إلى غلاء الأسعار وارتفاعها حوله، والضرائب التي يفرضها الصهاينة على سكان المدينة المسلمين منهم بخاصة، وصعوبة الوصول أو امتلاك الأراضي للوصول إلى أقرب نقطة منه إليه، كما هو حاصل اليوم.

وها هو أبو ذر رضي الله عنه يطالعنا مرة أخرى في مشهد جديد مع المسجد الأقصى ورعاية منه لتدشين المشروع المعرفي للبيت المقدس بحضور ثلة من الصحابة ليحاور النبي ﷺ حول هذا المسجد الذي كان حينها أسيرًا وتحت سلطان أعداء اللَّه.

قوله: (تذاكرنا ونحن عند رسول اللَّه ﷺ): هذا التذاكر بين الصحابة في حضرة النبي ﷺ عن المسجد الأقصى يدل على حبهم وحرصهم وشغفهم وشوقهم للمسجد الأقصى، ولم يمنعهم بُعْد المسافة أو سيطرة الرومان عليه من نسيانه أو تناسيه أو الانشغال عنه، بل كان حديث كثير من مجالسهم، وكأنه تذاكر في فضله وتذكير بشأنه وقضيته.

وهذا يدل على قدسية المسجد قبل بعثة النبي ﷺ وأن ذكره حاضر في حياة الصحابة، وأن الصحابة يرغبون بمعرفة المزيد عنه، وما تذاكُر

الصحابة فضل الصلاة في المسجد الأقصى وهم بعيدون عنه ولم يُصلّوا فيه بعد، إلا أنهم يحيون شعائره بالسؤال عنه وإشاعة ذكره وأحواله في مجالسهم وعلى مسامعهم، ومسامع من حولهم ومعهم، وإلا فما قيمة ذلك وهم بعيدون عنه مسيرة شهر سوى ما ذكرنا.

كل ذلك ليُحيِيَ النبي ﷺ شأن الأقصى في وجدان أصحابه؛ وما سؤالات الصحابة عنه مرة بعد مرة في أماكن ومناسبات متعددة، إلا بمثابة ثمرة تربية أو ما يعبر عنه التربويُّون بمخرجات تربية النبي ﷺ لصحابته على حب الأقصى.

وكأني بهذه المجالس التي كانت بحضرة وحضور النبي ﷺ وجملةٍ من أهمِّ أصحابه هي وبلغة اليوم مؤتمرات أو ندوات أو ورش عمل مصغرة، كل ذلك لتجديد علاقة الصحابة بالمسجد الأقصى، فكانت لأجله تعقد المجالس؛ ليكون برنامج عمل لهم ومشروع تحرير له في المستقبل القريب.

قوله: (أيهما أفضل: مسجد رسول اللَّه، أو مسجد بيت المقدس؟)

أي أيهما أعظم أجرًا في الصلاة فيه، وهو ضرب من ضروب بحث الصحابة عن فضائل الأعمال والتسابق إليها، نعم نحن بحاجة ماسة اليوم إلى إحياء سنة أبي ذر رضي الله عنه في التذاكر الصحيح لا السقيم، السني لا البدعي، عن المسجد الأقصى، في ظل غياب الوعي

الإسلامي والتشكيك اليهودي بهذه الثوابت لصرف المسلمين عنه، وهذا السؤال يدلّ على أن مكانة المسجد الأقصى لم تتزعزع في قلوب أصحاب النبي ﷺ لما انصرفوا عنه كقبلة منسوخة، وأن مكانته باقية ولم تؤثر فيهم شُبَه اليهود، فجاء السؤال هنا عن قدر الأجر والثواب المترتب على الصلاة فيه.

قوله: (فقال رسول اللَّه ﷺ: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه): والفضل المقصود هنا مضاعفة الأجر لا الإجزاء وفي هذا الحديث بيَّن النبي ﷺ فضل الصلاة في مسجده بالمدينة النبوية على المسجد الأقصى بأربع مرات وإذا علمنا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أجر الصلاة في مسجد المدينة، كما أخبر النبي ﷺ يعدل ألف صلاة في غيره؛ قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[(١)].

تبين لنا أن أجر الصلاة في المسجد الأقصى يعدل مئتين وخمسين صلاة، ومما لاشك فيه أن المسجد الحرام أفضل المساجد[(٢)]، ويليه

---

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، والترمذي (٣٢٥)، والنسائي (٢٨٩٩)، وابن ماجه (١٤٠٤).

(٢) فعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة...) ذكره الطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٢١١)، والإرواء (١١٣٠).

مسجد النبي ﷺ ، ويليه المسجد الأقصى[١].

فكان جواب النبي ﷺ متضمنًا أمرًا واحدًا وهو أجر الصلاة، وليس التفضيل المطلق في كل شيء، لذلك أتبعه النبي ﷺ على الفور بقوله «ولنعم المصلى» مدحًا له وتأكيدًا على شرفه ومكانته، دون أن يخل الأجر المضاعف في المسجد النبوي بمكانة المسجد الأقصى، واللَّه أعلم.

هل المسجد الأقصى حرم؟

المسجد الأقصى فضله عظيم، ومكانته جليلة، لكنه ليس حرمًا، وتسميته بالحرم لا تصح؛ لأن الحرم ما يحرم صيده وشجره وغير ذلك من أحكام فقهية خاصة متعلقة به، وهذا ما لم يحرم في المسجد الأقصى، ولا يصح إطلاق كلمة (حرم) إلا على حرم مكة، وحرم مدينة الرسول ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأقصى اسم للمسجد كله ولا يسمى هو ولا غيره حرمًا وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة»[٢].

كما أنه لم تثبت تسمية المسجد الأقصى حرمًا عند أحد من العلماء المحقِّقين ومنهم الإمام بدر الدين الزركشي في «إعلام الساجد بأحكام

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (٤٣٤).

المساجد»، والشيخ مجير الدين الحنبلي، في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» والشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية» رحمهم اللَّه جميعًا.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبعد من ذلك ليتناول في ذكره المسجد الإبراهيمي في الخليل، في قوله: «وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى»[(١)]. وليس ببيت المقدس مكان يسمى (حرمًا) ولا بتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع...، فإن الحرم: ما حرم اللَّه صيده ونباته، ولم يحرم اللَّه صيد مكان ونباته خارجًا عن هذه الأماكن الثلاثة[(٢)].

وقال: «وليس في الدنيا حرم، لا بيت المقدس، ولا غيره، إلا هذان الحرمان، ولا يسمى غيرهما حرمًا كما يُسَمِّي الجهال. فيقولون: حرم المقدس، وحرم الخليل. فإن هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين، والحرم المجمع عليه حرم مكة، وأما المدينة فلها حرم أيضًا عند الجمهور، كما استفاضت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ»[(٣)].

وبمثله قال الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما سمعته من كبار أهل البلد أنهم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ١٣).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ١٤-١٥).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (٢٦/ ١١٧).

يقولون: (حرم القدس) فيحرمون ما أحل اللَّه افتراءً على اللَّه، ونعوذ باللَّه من الخذلان»[(١)].

ونرى أن شيخ الإسلام ابن تيمية يؤكد ويحذر في آن واحد على أن المسجد الأقصى ليس له خصوصية في العبادة أو الأحكام الخاصة به عن سواه من الحرمين، فيقول: «والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد إلا المسجد الحرام، فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد الطواف بالكعبة، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى وسائر المساجد، فليس فيها ما يطاف به، ولا فيها ما يتمسح به، ولا ما يُقَبّل، فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ، ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين، ولا بصخرة بيت المقدس[(٢)]. مع أنها كانت قبلة لكن نُسخ ذلك»[(٣)].

أما حرمة مكة والمدينة فقد تواترت وتوافرت الأدلة الواضحة على ذلك وسبق الإشارة إلى ذلك في مواطنه من هذا الكتاب.

---

(١) تحصيل الأنس لزائر القدس، عبد اللَّه بن هشام الأنصاري، (ص١٥٩)، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ت: عيسى قدومي وخالد نواصرة.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧ / ١٠).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ١٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، معللًا اصطفاء اللَّه تعالى لهذه الأماكن وتخصيصها بالتحريم: «فذوات ما اختاره اللَّه واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست لغيرها، ولأجلها اصطفاها اللَّه، وهو سبحانه فضلها بتلك الصفات، وخصَّها بالاختيار، فهذا خلقه، وهذا اختياره ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٧]»[(١)].

وكون المسجد الأقصى ليس بحرم، فإن ذلك لا يقلل من مكانته الشرعية وفضله العظيم، كما لا ينبغي أن يكون وراء ذلك العاطفة لأنه يجب علينا أن نتقيد بالشرع، وما جاء به وأن نلزم غرزه، ولا نبتدع فيه بزيادة ولا نقصان، وقد أوضح ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، بأوضح عبارة، فقال: «لأن دين اللَّه بلغه عنه رسوله، فلا حرام إلا ماحرمه اللَّه تعالى، ولا دين إلا ما شرعه اللَّه، واللَّه تعالى ذم المشركين؛ لأنهم شرعوا في الدين مالم يأذن به اللَّه، فحرموا أشياء لم يحرمها اللَّه»[(٢)].

قوله: (ولنعم المصلَّى): وهو مدح من النبي ﷺ للمسجد الأقصى، مع أنه ليس بحرم إلا أن النبي يؤكد فضله ويبالغ في مدحه.

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية، (١/ ٥٣)، مؤسسة الرسالة، ت: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: (٢٧/ ١٤٨).

قوله: (وليوشَكن أن يكون للرجل): لكن هنا وفي هذا الحديث تحديدًا، يدق النبي ﷺ ناقوس الخطر الذي أخبر به وعنه ﷺ في قوله: (وليوشَكن) وفي رواية: (أن لا يكون) للرجل مثل (شطن) فرسه من الأرض، وفي رواية: (مثل سِيَة قوسه من الأرض)، وفي رواية: (وليوشكن أن يكون للرجل مثل سبط قوسه من الأرض)، ليوشكن: أي ليقربن، أي لابد من ذلك سريعًا، فالرسول يخبر عن مستقبل يكون فيه المسجد الأقصى بعيد المنال عن المسلمين، وفي الكلمات التالية يحدد النبي ﷺ طبيعة الخطر الذي سيتعرض له المسجد الأقصى.

قوله: (مثل شطن فرسه من الأرض): «والشَطَنُ»، بفتحتين، وجمعه أشطان[(١)] وهو الحبل الطويل الشديد الفتل[(٢)] يستقى به من البئر، أو تشدُّ به الدابة.

وفي رواية «سِيَة قَوْسِه» الفَرْضُ الذي فيه الوَتَر[(٣)]. وهو ما عُطِف من طَرَفَيها ولها سِيَتان والجمعُ سِياتٌ[(٤)].

---

(١) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي: ٣٣٨).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، الإمام البغوي، (١/ ٥٢٠)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ت: لجنة من المحققين بإشراف نور الدين طالب.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، دار العلم للملايين - بيروت، ت: أحمد عبد الغفور عطار.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب السين، دار ابن الجوزي - السعودية. وأدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب ابن قتيبة (١/ ٤٠، مؤسسة الرسالة، ت: محمد الدالي.

إنه إخبار واضح عن حال المسجد الأقصى بعد زمان النبي ﷺ، وفي أيامنا هذه يتحقق ما عنه أخبر النبي ﷺ بكل وضوح وجلاء وما آل إليه من حرمان المسلمين الوصول إليه والصلاة فيه، إنها دلالة من دلائل نبوة المصطفى ﷺ ، يخبر عن يوم يتمنى فيه المسلم أن يقف على مساحة صغيرة أو محدودة من الأرض أو من خلال إطلالة يشرف منها عليه مكحلًا بها عينيه، كما جاءت في قوله: «شطن» محاولًا من هذه البقعة أن يُطِلَّ برأسه ليرى فقط المسجد!، فضلًا عن الصلاة فيه، أَلَا نرى في هذا الحديث وصفًا دقيقًا لحال المسجد اليوم، وما آل إليه من إحكام السيطرة اليهودية عليه حتى حُرِم ما يزيد عن المليار والنصف مليار مسلم من الخلوص إليه!

قوله: (حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا، أو قال: خير من الدنيا وما فيها): «وهذا فضل آخر من فضائل المسجد الأقصى وهو فضل النظر إليه وعظيم الأجر المترتب على ذلك»، لكن من المُؤسِف والمُحزِن أن وقائع الأحداث وتتابعها تسير في فلك تحقيق هذا الحديث، وأن حراك اليهود المتنامي في اتجاه السيطرة على المسجد الأقصى يومًا بعد يوم حتى تجلَّى أمامنا ما أخبر عنه النبي ﷺ في هذا الحديث وأن الأحداث تدور في جملتها لتصب في النهاية إلى الأمنية التي تتمناها الأمة المسلمة بجملتها والتي زادت عن المليار ونصف المليار من المسلمين كلهم يتمنى أن يحال بينه وبين يهود وما جعلوه من حواجز وموانع تحول

بيننا وبين المسجد الأقصى .

وما أخبر عنه النبي ﷺ في منع المسلمين من دخول المسجد الأقصى تمثل في أنواع من الأطواق والحواجز والموانع والقوانين والقرارات اليهودية بشأن بيت المقدس والمسجد الأقصى، المتمثلة بالمغتصبات المتنامية يومًا بعد يوم، التي أنشأها اليهود حتى لا يرى المسجد الأقصى، وقد طوقت المدينة المقدسة بأكملها وحجبتها ومسجدها، بأطواق خانقة متعددة ومتنوعة، ومن ذلك:

(الطوق الأول) حول أسوار البلدة القديمة في المدينة المقدسة «القدس»:

١- الحي اليهودي.	٢- المركز التجاري الرئيس.
٣- مشروع قطاع ماميلا.	٤- الحديقة الوطنية.

(الطوق الثاني) مجموعة من الأحياء اليهودية التالية:

١- رامات أشكول	٢- نحلات دفنا
٣- سانهدريا	٤- النبي يعقوب
٥- التلة الفرنسية(حي شاييرا)	٦- الجامعة العبرية
٧- تلبيوت (الطالبية الشرقية)	٨- راموت
٩- غيلو (شرفات)	١٠- غفعات همفتار
١١- عطاروت	

(الطوق الثالث) المغتصبات اليهودية حول مدينة بيت المقدس:

١- الكانا	٢- كندا بارك
٣- كفار عتسيون	٤- إيلون شفوت
٥- روش تسوريم	٦- أليعيزر
٧- أفرات	٨- تكواع
٩- غفعات حداشا	١٠- غفعون
١١- الموغ	١٢- معاليه أدوميم (أ)
١٣- معاليه أدوميم (ب)	١٤- معاليه أدوميم (ج)
١٥- بيت حورون	١٦- هارغيلو (روش غيلو)

و(الطوق الرابع) هو الجدار اليهودي الفاصل حول مدينة بيت المقدس والأحياء والتجمعات الفلسطينية.

كما أن هناك جملة من الممارسات تمثلت بحزمة من القرارات والتشريعات أسهمت بجملتها في طرد المقدسيين وتفريغ المدينة المقدسة ومسجدها من المصلين، من ذلك:

* غلاء الأراضي وفحش أسعارها: مقارنة بدخل المقدسيين الذي أثقلته تبعات الإقامة في المدينة المقدسة، وقد أسهمت المنظمات الصهيونية وما تقدم من إغراءات مالية مهولة في ارتفاع أسعار العقار حتى غدا المقدسي بين مطرقة الإغراءات المالية الضخمة في شراء بيته الصغير الذي لا يستوعب أفراد أسرته، وسندان شراء بيت

يستوعب أفراد أسرته لكن بمبالغ تنوء بحملها الجبال.

* النكبات الاقتصادية: من خلال سلسلة إجراءات منع وصول أبناء عموم سكان فلسطين من الضفة والقطاع المحاصر من سنوات وتحديدًا بداية النصف الأول من عام ٢٠٠٦م إلى المدينة المقدسة، مما أثر سلبًا على الحركة الاقتصادية وضعف وارداتها، مما اضطر كثيرًا من التجار المقدسيين إلى عدم الصمود أمام سلسلة من الضرائب التي لا مثيل لها في العالم ليفر منها إلى غيرها من مدن فلسطينية أخرى.

* الطوق الأمني: والذي يرمي إلى حصار ممنهج مدروس يحقق المطلب الصهيوني للتضييق الديني أولًا؛ ليمنع المدد الجماهيري من عموم أهل فلسطين الموصول بالمسجد الأقصى والاقتصادي ثانيًا الذي يدعم صمود التاجر المقدسي، والاجتماعي ثالثًا، الذي يدعم اللُّحمة ويغذي التواصل الاجتماعي بين عموم الفلسطينيين، وفي المقابل منحت السلطات اليهودية المغتصبين اليهود العديد من التسهيلات لتمكينهم في الإقامة داخل المدينة المقدسة وضواحيها، وكانت النتيجة أن ما يزيد عن (٤٢٠) ألف يهودي يقطن في بيت المقدس اليوم في جزأيْها الشرقي والغربي مقابل (١٧٠) ألف فلسطيني يقطنون في الجزء الشرقي من المدينة.

* الطرد: عندما احتل اليهود كامل مدينة بيت المقدس سنة ١٩٦٧م اعتبروا السكان الأصليين الموجودين - مواطني المدينة المقدسة -

أجانب يقيمون إقامة دائمة في الكيان اليهودي بموجب قوانينهم، ووجودهم فيها بمثابة أجانب اضطرتهم الظروف بالاستقرار في دولة أجنبية، وكل من أمضى مدة سبع سنوات خارج حدودها، فقد حقه في الإقامة فيها، وكل من يسكن خارج مدينة بيت المقدس تلغى هويته المقدسية، ولا يحق له دخولها والسكن بها أو التمتع بامتيازات القاطنين فيها.

* خطورة السكن والإقامة في البلدة القديمة وحول المسجد الأقصى: وذلك لما يتعرض له السكان المسلمون من الاعتداءات اليومية الممنهجة من اليهود والتي تمثلت بالطعنات والمضايقات بالحركات والألفاظ البذيئة، وإلقاء القاذورات على أبواب وفي أحواش البيوتات المقدسية، وتكسير وتخريب السيارات ونوافذ وأبواب البيوت، والمرافق الخاصة بالسكان المقدسيين، فضلًا عن المضايقات اليهودية التي يواجهها المصلون المسلمون المتجهون بخاصة للصلاة في المسجد الأقصى في حال خروجهم لصلاة الفجر وصلاة العشاء بشكل خاص؛ حيث يتعرضون للمضايقات والأذى الجسماني، وهذا مما يجبر البعض ممن يطلب الأمان على الخروج خارج أسوار القدس الشرقية، وتشتد وطأة كل ما سبق من مضايقات في الأعياد والمناسبات اليهودية التي تحظر على المسلمين التحرك وممارسة أعمالهم اليومية بشكل طبيعي.

وما سبق هو غيض من فيض الكثير من الإجراءات والقوانين التي لا يتسع المجال لذكرها، والإسهاب في شرحها، وتطرقت لها العديد من الكتب والدراسات الخاصة بهذا الشأن.

والمتتبع اليوم لأحوال المسجد الأقصى في ظل الاحتلال اليهودي الحاقد، وتصاعد الأحداث والممارسات الصهيونية اليومية، يوقن بصدق ما أخبر به النبي ﷺ ؛ حيث يسعون بكل الطرق لتفريغ الأقصى من أهله المسلمين وتهجيرهم والتضييق عليهم.

التشكيك بمكان ومكانة المسجد الأقصى عند بعض الطوائف الضالة:

ومما يدفع بشكل وآخر تقويض العلاقة بالمسجد الأقصى وتبديد مكانته العظيمة في قلوب المسلمين يطالعنا بين الفينة والأخرى من ينتسبون للإسلام ليشككوا في مكانة المسجد الأقصى كبعض الكُتَّاب وأنصاف المتعلمين ويسمون أنفسهم بالأكاديميين ليلتقطوا شبهات تارة تأتيهم من فرق ضالة وتارة تأتيهم من أكاذيب وسيل من شبهات اليهود الذي لا ينتهي.

ومن ذلك ما جاء في كتب بعضهم أنهم لا يرون أن المسجد الأقصى الذي نعرفه في فلسطين هو ذاك الذي جاء ذكره في مطلع سورة الإسراء، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، إنما هو كما في اعتقادهم وأهم كتبهم موجود في السماء، ولا فضل له، بل مساجد أخرى أفضل منه!

أَين المسجد الأقصى بنظر اليهود؟!

قد مضى من محاولات اليهود في التشكيك بمكان ومكانة المسجد الأقصى وأشاعوا أنه ليس هو هذا المسجد المتعارف عليه بين المسلمين أنه في بيت المقدس وإنما هو في مكان آخر! ويجب على المسلمين أن يبذلوا وسعهم في البحث عنه بعيدًا عن بيت المقدس!

يقول: «يهودا ليطاني» في مقالة له: «بجريدة يديعوت»[(١)]: (إنّ هناك تفسيرات إسلامية أخرى لعبارة المسجد الأقصى تجعله في مناطق أخرى من جملتها، بقرب المدينة المنورة).

واعتبروا أنّ العرب والمسلمين احتلوا القدس والمعبد عام (٦٣٨) م وحطّموا ما بقي من آثار الهيكل الثاني والمذبح.

كما يتهمون الخليفة الأمويَّ عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه بنى قبة الصخرة على أقدس بقعة يهودية - قدس الأقداس -، وكل ذلك من غير إذن أو موافقة اليهود، ويعتبرون ذلك تعدِّيًا على أملاك الغير واستعمار لها.

---

(١) نقلًا عن جريدة الرأي العام الكويتية العدد الصادر، بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٠٥م.

ويتهمون المسلمين أَنهم يحاولون إتلاف وإخفاء كل ما يمت لليهود بصلة في الأرض المقدسة، كما يدَّعون أن المسلمين يروجون الأكاذيب حول ملكيتهم للأقصى!

كما يتهمون الدول الكبرى والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي حتى الولايات المتحدة الأمريكية بتقصيرهم جميعًا، تجاه مطالب اليهود بإرجاع المقدسات اليهودية من العرب المسلمين، وأن هؤلاء جميعًا ينافقون العرب لكسب نفطهم.

من فوائد الحديث:

١- المسجد الأقصى في أرض باركها اللَّه تعالى بقوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. قيل: لو لم تكن له فضيلة إلا هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية؛ لأنه إذا بورك حوله، فالبركة فيه مضاعفة. ومن بركته أنه فُضِّل على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ.

٢- فيه دلالة واضحة على اهتمام أصحاب النبي ﷺ بالمسجد الأقصى وفضله وقصد زيارته وأجر الصلاة فيه، مع أنه مُحتَل من قبل الرومان الصليبيين، ولم يفتح بعد.

٣- وفيه ثناء النبي ﷺ على المسجد الأقصى المبارك بقوله: «ولنعم المصلى».

٤- الحديث فيه دلالة ظاهرة على أنه سيُفتَح ويُصلي فيه المسلمون. كما بشر النبي ﷺ بفتحه، فقد أَخبر عن أمر غيبي سيقع للمسجِد الأقصى لا محالة وهو احتِلاله مرة أخرى، وبيَّن النبي ﷺ عن أحوال يصير إليها المسجد من حصارٍ ونحوه، وبأن المُحتَل سيمنع المسلمين من الاقتراب منه والصلاة فيه أو حتى مشاهدته عن بعد، وأن من نال شرف رؤية المسجد فقد حظي بخير كثير.

٥- الحديث من أعلام نبوة محمد ﷺ؛ فقد أخبر عن أمر غيبي وقع في زماننا هذا منذ عام١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م، وهو احتلال مسجد بيت المقدس وحبسه عن المسلمين.

٦- فيه دلالة على حسن تربية النبي ﷺ لأصحابه وكيف غرس فيهم حب المسجد الأقصى والاهتمام به مع أن جلهم لم يزره من قبل.

٧- وفيه إشارة إلى عظم المسؤوليات التي سيتحملها أهل فلسطين بعامة وأهل بيت المقدس بخاصة من تبعات هذا الحصار الخانق.

٨- والحديث فيه دلالة بالغة على مكانة المسجد في نفوس المسلمين وخاصة الرعيل الأول منهم من أصحاب النبي ﷺ، وعظم مكانة المسجد الأقصى في الشرع الإسلامي.

٩- وفيه دلالة واضحة على أن قضية الأقصى ستبقى حية في نفوس أبناء هذا الدين لا يزعزع اعتقادنا بذلك إنكار الأعداء وافتراءات المشككين.

١٠- نسخ القبلة الأولى - المسجد الأقصى - لم يلغ منزلته ومكانته الشرعية في الإسلام، بل بقيت منزلته محفوظة ومكانته مرموقة.

١١- فيه فضل النظر إلى المسجد الأقصى.



الحديث الرابع
ثَالِثُ الْمَسَاجِدِ الْتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «**لَا تُشَدُّ**، وفي رواية: (لا تشدوا)[١]، **الرِّحَالُ**، وفي رواية: (لا تعمل المطي)[٢]، وفي رواية: (إنما يسافر إلى)[٣]، وفي رواية: (إنما تشد الرحال إلى ثلاث)[٤]، **إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ**، وفي رواية: (مسجد الكعبة)[٥]، **وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ**، وفي رواية: (ومسجدي هذا)[٦]، **وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**، وفي رواية: (ومسجد بيت المقدس)[٧]، وفي رواية: (مسجد إيلياء)[٨][٩].

---

(١) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة (١٣٠٧).
(٢) أخرجها مالك في الموطأ (١٦) عن بصرة بن أبي بصرة، وصححه الألباني، في صحيح الجامع (٧٣٧١).
(٣) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة (١٣٩٧).
(٤) أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (١٣٦٨٣).
(٥) أخرجها الدارمي في سننه، عن أبي هريرة (١٤٦١).
(٦) أخرجها البخاري، عن أبي سعيد الخدري (١٩٩٥).
(٧) أخرجها الطبراني في المعجم الكبير، عن ابن عمر (١٣٢٨٣).
(٨) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة برقم: (٥١٣).
(٩) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأحمد (٧١٩١)، وأبو داود =

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

أَبُو هُريرةَ الدَّوسِيُّ عبد الرحمن بن صخر اليماني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سيد الحفاظ الأثبات، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول اللَّهِ ﷺ.

اختُلفَ في اسمه على أقوال جمة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر، ويقال: كان في الجاهلية اسمه عبد شمس، أبو الأسود فسمَّاه رسول اللَّهِ ﷺ: عبدَ اللَّهِ، وكنَّاه أبا هريرة. وأمُّهُ هي: ميمونةُ بنتُ صبِيحٍ. وقال عبد الرحمن بن لُبَيْنة: رأيت أبا هريرة رجلا آدم، بعيد ما بين المنكبين، أفرق الثَّنيّتين، ذا ضفيرتين، وقال ابن سيرين: كان أبو هريرة، أبيض، ليِّنًا، لحيته حمراء.

صحِب النبي ﷺ، أربع سنين. وكان أبو هريرة من أحفظ الصحابة، قال أبو هريرة عن نفسه: نشأت يتيمًا، وهاجرت مسكينًا، عن خبَّاب بن عُروة، رأيت أبا هريرة، وعليه عمامة سوداء[1].

= (٢٠٣٣)، والنسائي (٧٠٠)، وابن ماجه (١٤٠٩)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق، انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٦) وإرواء الغليل، للألباني (٧٧٣)، وفضائل البيت المقدس للواسطي وفضائل بيت المقدس، لابن الجوزي وكلاهما بتحقيق: عمرو عبد العظيم.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٦٢٨).

حمل عن النبيّ ﷺ علمًا كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه، لم يُلحق في كثرته، وعن: أُبي، وأبي بكر، وعمر، وأسامة، وعائشة، والفضل، وبصرة بن أبي بصرة، وكعب الحبر.

حدَّث عنه: خلقٌ كثيرٌ من الصحابة والتابعين. كان مقدمُهُ وإسلامُهُ في أول سنة سبعٍ، عام خيبر.

وقال الواقديُّ: كان ينزل ذا الحُليفةِ، وله بها دارٌ، فتصدَّقَ بها على مواليه، فباعوها لعمرو بن مِربَعٍ.

وقد حدَّث بدمشق. وقد ولي أبو هريرة البحرين لعمر، وورد أنه رأى قومه بفلسطين، فأتوه بالرقاق الأول، فلما رآه بكى، فقيل له، يا أبا هريرة ما يبكيك؟ فقال: «مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا بِعَيْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا»[(١)].

مات هو وعائشة، سنةَ سبعٍ وخمسين، قبل معاوية بسنَتَين. ولأبي هريرة قبر مزعوم في قرية (يبنى) من قضاء الرملة[(٢)]؛ وفي لحف جبل طبرية قبر يقولون: إنه قبر أبي هريرة رضي الله عنه[(٣)].

عدد أحاديثه: خمسة آلاف وثلاث مائة وأربعة وسبعون حديثًا.

---

(١) الجوع، ابن أبي الدنيا (١٥٨)، والرقاق: الخبز المنبسط الرقيق.
(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٤٢٨).
(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ١٩).

المتفقُ في البخاريِّ ومسلمٍ منها: ثلاثُ مائةٍ وستة وعشرون، وانفرد البخاري: بثلاثة وتسعين حديثًا، ومسلم: بثمانية وتسعين حديثًا[١].

وقيل إن له في الصحيحينِ ست مائة وتسعة أحاديث المتفقُ عليها منها: مائة وستة وعشرون، وانفرد البخاري بثلاث وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين[٢].

شرح الحديث:

بوَّب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث تحت عنوان: كتابُ فضلِ الصلاةِ فِي مسجِدِ مكةَ والمدينةِ ، وباب مسجد بيت المقدس.

نحن أمام حديث من أحاديث النبي ﷺ التي زادت المسجد الأقصى رفعة وتشريفًا، ولما كانت مكانته عالية كان هدي النبي ﷺ بأن يوصي أصحابه بشد الرحال إليه، إلا أنك تجد في المقابل كيف انسل فريق من الباحثين الصهاينة وعلى رأسهم د. كستر المتخصص في علم الحديث في معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بالجامعة العبرية إلى التشكيك في الأحاديث النبوية التي تمتدح بيت المقدس ومنها حديث الباب ليقول: إن الإجماع على حرمة المساجد الثلاثة لم تتبلور بوضوح إلا في مطلع القرن الثاني للهجرة، أما قبل ذلك فقط ظهرت

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٥٧٨-٦٣٣).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح شرح للجمع بين الصحيحين، الوزير العالم ابن هبيرة (٦/ ٤١).

اتجاهات قديمة استهدفت تعظيم حرمة مكة، أو حرمة مكة والمدينة، مع التقليل من حرمة بيت المقدس، ويدلل على كلامه بمجموعة من الأحاديث النبوية، التي تتناقض في مضمونها كما هو ظنه مع حديث شد الرحال متهمًا الأمويين بوضع هذه الأحاديث لتحويل الحج من مكة إلى بيت المقدس وأن هذه الأحاديث هي وليدة الأحداث السياسية بين ابن الزبير في مكة وعبد الملك بن مروان[١].

قوله: (لا تُشد): قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «بضم أوله بلفظ النفي، والمراد النهي عن السفر إلى غيرها، قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلّا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به»[٢].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري: «هو استثناء مفرغ تقديره لا تشد الرحال إلى موضع، - أي موضع للصلاة فيه - إلا لهذه المساجد الثلاثة»[٣].

ويعلل الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «شرح السنة» هذا التخصيص

---

(١) لمزيد فائدة انظر مجلة دراسات بيت المقدس، السنة الحادية عشرة صيف ٢٠١١م، مقال/ المستشرقون اليهود ومحاولة التهوين من قدسية بيت المقدس (ص ١٠) للباحث/ حسن السلوادي.

(٢) فتح الباري، للعسقلاني (٣/ ٧٧).

(٣) فتح الباري، للعسقلاني (٣/ ٧٧).

لهذه المساجد، فيقول: «تخصيص هذه المساجد، لما أنها مساجد الأنبياء صلوات اللَّه عليهم، وقد أمرنا بالاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]»[(١)].

الرحال: مفرده الرحل وهو للبعير كالسرج للفرس، وكنى بشد الرحال عن السفر؛ لأنه لازمه، وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشي بل وركوب وسائل المواصلات الحديثة من طائرة وسيارة وقطار، ويدل عليه قوله ﷺ، فيما أخرجه مسلم: «إنما يسافر».

وهي: كناية عن السفر لأن شدها لازم للسفر فخرج على الغالب في ركوب المسافر وهي جمع رَحْل بفتح وسكون كُنِّيَ به عن السفر، قال ابن الأثير[(٢)]: وهو سرج البعير الذي يركب عليه، والمراد: أنه لا يعزم على قصد زيارة إلا هذه الأماكن المذكورة، فإن من أراد سفرًا شد رحله ليركب ويسير. «لا تشد الرحال»: هذا مثل قوله: «لا تعمل المطي» أي لا تسير ويسافر عليها[(٣)]، وكنى به عن السير والنفر،

---

(١) شرح السنة، البغوي (٢/ ٣٣٧).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير (٥/ ٢٥٩)، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ت: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون.

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، (١/ ٣١٥)، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ت: طه عبد الرؤوف سعد.

والمراد من ذلك: أنه لا يقصد موضع أو مكان بنية التعبد للَّه تعالى إلا إلى هذه المواضع الثلاثة، تعظيمًا وتشريفًا لها.

قوله: (إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ): «إِلَّا» استثناء، والاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجِد من المساجِد، أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلَّا إلى الثلاثة المذكورة، وشدُّ الرحال لزيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان[(١)].

قال الدهلوي في شرح حديث: «لا تشد الرحال» تعليقًا على البخاري: «المستثنى منه المحذوف في هذا الحديث إما جنس قريب أو جنس بعيد؛ فعلى الأول تقدير الكلام لا تشد الرحال إلى المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد وحينئذ ما سوى المساجد مسكوت عنه، وعلى الوجه الثاني لا تشد الرحال إلى موضع يتقرب به إلا إلى ثلاثة مساجد، فحينئذ شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة المعظمة منهي عنه بظاهر سياق الحديث»[(٢)].

وأما زيارة بيت المقدس، فمشروعة في جميع الأوقات[(٣)]؛ ويؤيد ذلك ما أخرجه مالك في «الموطأ» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقيت

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٨٣ - ٨٦).
(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، الآبادي، كتاب المناسك (٨٩٩-٩٠٠).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ١٥).

بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور، فقال: لو أدركت قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ».

قال الشيخ ولي اللَّه، في «حجة اللَّه البالغة»[(١)] معللًا سبب المنع، في قوله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى» أقول: «كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها ويتبركون بها، وفيها من التحريف والفساد ما لا يخفى، فسَدَّ النبي ﷺ الفساد؛ لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير اللَّه، والحق عندي أن القبر ومحل عبادة ولي من أولياء اللَّه والطور كل ذلك سواء في النهي»[(٢)].

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أهمية المنع، حتى لو كان هذا المسجد هو مسجد قباء في المدينة المنورة مع ما له من فضل فقد نص العلماء على أنه لا يقصد سفر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من الثلاثة، وإنما تستحب زيارته لمن كان بالمدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل، كما في الحديث الصحيح: «مَن تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ

---

(١) (١/ ٢٣٥)، هو: شاه ولي الدهلوي (المتوفى: ١١٧٦هـ) مجدد وعالم هندي. له تقريبًا أربعون مؤلفًا في علوم شتى من علوم الشريعة.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، الآبادي، كتاب المناسك (٨٩٩-٩٠٠).

صَلاةً كانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمرَةٍ[١]»[٢].

قوله: (المسجد الحرام): المراد به مسجد الكعبة في مكة المكرمة، وهو حرم.

قوله: (ومسجد الرسول): أي مسجد الرسول محمد ﷺ في المدينة المنورة، وهو حرم كذلك ولا حرم غيرهما.

قوله: (ومسجد الأقصى): أي مسجد بيت المقدس في فلسطين المحتلة، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة[٣] «وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة، وفضيلة شد الرحال إليها؛ لأن معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها»[٤]. وما كانت هذه الفضيلة لهذه المساجد الثلاثة، ومزيتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء؛ ولفضل الصلاة فيها؛ ولأن الأول: قبلة الناس، وإليه حجهم، والثاني: أُسِّسَ على التقوى، والثالث: كان قبلة الأمم السالفة[٥].

وقد حرص كثير من صحابة النبي ﷺ على العمل بهذا الحديث فقد كان

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤١٢).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٢٢١).
(٣) لمزيد فائدة يرجى الرجوع للحديث الأول من هذا الكتاب.
(٤) شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٣٩).
(٥) فتح الباري، للعسقلاني (٣/ ٦٤).

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء؛ لتصيبه دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لقوله: (لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ فِيهِ)، فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه، ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة[١].

واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه؛ كالصلاة، والدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، والاعتكاف[٢].

وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به. فلو نذر الرجل أن يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إلى غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة[٣].

وفي قصد زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صاحب بذل المجهود[٤]: «وأما الاختلاف الواقع في زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسفر له والشد إليه، فقال بعضهم: لا يجوز ذلك لهذا الحديث. والصواب عند الحنفية وغيرهم من الشافعية والمالكية أنه يستحب ذلك فإن النهي عن شد الرحال بالنسبة إلى المساجد لا إلى جميع البقاع...».

قال ابن الهمام[٥]: «فإذا نوى زيارة القبر فلينو معه زيارة المسجد،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧ / ٢١٩).
(٤) بذل المجهود في حل أبي داود، خليل السهارنفوري (٩/ ٣٨١).
(٥) شرح الهداية، ابن الهمام (٣/ ١٧٩).

أي مسجد الرسول فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال».

ولا يدخل في النهي ما هو متعلق في زيارة لطلب علم أو لصلة رحم أو نحوها من زيارات الإخوان والخلَّان أو قصد التجارة أو السياحة ونحو ذلك من زيارات مندوبة أو مباحة.

المشككون في مشروعية زيارة الأقصى:

وأما بعض الفرق فيرون أن المسجد الأقصى ليس هو أحد هذه المساجد التي تشد إليها الرحال وأن مسجد الكوفة هو خير ما تشد إليه الرحال عوضًا عن الأقصى، كما جاء في كتبهم عن أمير المؤمنين قال: (لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله، ومسجد الكوفة)[1] ومسجد الكوفة تشد الرحال إليه كما في زعمهم.

ومن هذا تجدهم يعلنون تَقيَّة نصرتهم للقدس ومسجدها كل عام في آخر يوم جمعة من رمضان، فيما أطلقوا عليه «يوم القدس العالمي» لاستدرار عاطفة الجماهير المسلمة في العالم!

وللمستشرق اليهودي «جولد تسيهر»[2] مع هذا الحديث حكاية

---

(١) الوسائل (٣/ ٥٢٥)، كامل الزيارات (١٣٧).

(٢) مستشرق يهودي مجري، ولد عام ١٨٥٠م، مرجع وصاحب مدرسة استشراقية تتلمذ عليها العديد من المستشرقين، له (٥٩٢) بحثًا جُلُّهَا في الدراسات الإسلامية.

سمجة مُتَّهِمًا عبد الملك بن مروان، أنه هو من أمر المحدث والإمام الزهري[١] بوضع هذا الحديث وتأليفه وغيره من أحاديث ليُعطي مكانة مقدسة لبيت المقدس ومسجدها ولَوْلَاه - أي الزهري - لما عرف عنها فضيلة، وقد حاصره د. مصطفى السباعي بردود تقصم ظهره وتلجم فاه، فكشف عواره وجهله وسوء طويته[٢].

من فوائد الحديث:

١- عظم شأن هذه المساجد الثلاث وخصوصيتها في الشريعة الإسلامية.

٢- أن هذه المساجد الثلاثة هي أفضل المساجد على الإطلاق وتأتي أولوية التفضيل وعظم الأجر كما جاءت مرتبة في الحديث.

٣- وفيه دلالة وبشارة ضمنية من النبي ﷺ على الفتح العمري للمسجد الأقصى بعد هيمنة الصليبيين عليه.

٤- الحديث واضح وصريح في الرد على المشككين في مكان ومكانة المسجد الأقصى، فلو كان في السماء كيف نشد الرحال إليه!

---

(١) عالم الشام والحجاز، أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي الزهري المولود عام (٥١) هـ.

(٢) للاستزادة انظر مشكورًا، كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (١٩٠ - ١٩٤).

٥- حرص جمع كبير من صحابة النبي ﷺ على تطبيق هذه السنة في شدهم الرحال إلى المساجد الثلاث.

* * * * *

الحديث الخامس

فَضْلُ الْاعْتِكَافِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إنّ رسول اللّه ﷺ قال: «لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ:[1] المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ المقْدِسِ»[2]. وفي رواية (أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ

---

(١) قال الألباني عن الجزء الأول من الحديث «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة»: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه الطبراني، في الكبير (٩٥١١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٨٠١٦)، وابن أبي شيبة، في مصنفه (٩٦٦٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٥٧٤)، والفاكهي، في أخبار مكة (١٣٣٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٧٧١) والإسماعيلي في «المعجم» (٣٤٥)، وقال ابن تيميَّة في الصيام من شرح العمدة (٢/ ٧٢٤): إسناده جيد وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨١) «صحيح غريب عال» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧٦) رجاله رجال الصحيح وإسناده مرسل إلا أن الألباني ذكر شواهد له وله كلام نفيس في ذلك فلتراجع الصحيحة (٦/ ٢٨٥)، وقد قال به من السلف حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب وعطاء؛ راجع قيام رمضان للألباني (ص٢٧) حيث ذكر من قال بهذا من السلف بعد أن قال: «ثم وقفت على حديث صريح يخصص المساجد المذكورة يقصد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويقصد بالمساجدِ الثلاثةِ: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى وإذا سلمنا بنسخ الحديث فلا يُنسخ تشريف هذه المساجد الثلاثة بهذا الحديث، فيُنسخ الحكم ويبقى أهمية وشرف هذه المساجد بما يشهد له بأحاديث أخرى، وهناك =

لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ)[١]، وفي رواية: (لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ)[٢].

سبب ورود الحديث:

أن حُذَيْفَةَ بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لِعَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عُكُوفٌ بَيْنَ دَارِكَ وَدَارِ أَبِي مُوسَى لَا تُغَيِّرُ؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسَاجِدِ الثَلَاثةِ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَعَلَّكَ نَسِيتَ وَحَفِظُوا، وَأَخْطَأْتَ وَأَصَابُوا[٣].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

حُذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، واسم اليمان: حِسْل - ويقال: حُسَيْل - ابن جابر العبسي، اليمانيُّ، أبو عبد اللَّهِ حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر.

= من قال بأن الحديث منسوخ راجع بيان مشكل الآثار للطحاوي: (٧/ ٤٠)، وصححه الألباني مرفوعاً في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٨٦)، وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٨٠٠٨)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، أَحْسَبُهُ عن ابن المُسَيِّب قال: «لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ».

(١) أخرجها الطبراني، في الكبير (٩٥٠٩) وعبد الرزاق في مصنفه (٨٠٠٩ و٨٠١٠ و٨٠١٧)، وابن أبي شيبة، في مصنفه (٩٦٧٣ و٩٦٧٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجها البيهقي، في السنن الكبرى (٨٥٧٢) عن ابن عباس والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) تخريجه كما هو تخريج حديث الباب.

سئل علي عن حذيفة، فقال: علم المنافقين، وسأل عن المعضلات؛ فإن تسألوه، تجدوه بها عالمًا. وليَ حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة.

وكان النبي ﷺ قد أسرّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمَّة. قال حذيفة عن نفسه: واللَّهِ إنّي لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة. قال الذهبي: «من نجباء أصحاب محمَّد وهو صاحب السرّ»[(١)].

ندبه رسول اللَّهِ ﷺ ليلة الأحزاب ليجسَّ له خبر العدو، وعلى يده فُتح الدينور عنوة. ومناقبه تطول، شهد مع رسول اللَّهِ ﷺ أُحدًا هو وأبوه، روى عن: النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب، مات سنة ست وثلاثين في المدائن[(٢)]. له في الصحيحين سبعة وثلاثون حديثًا، المتفق عليه منها اثنا عشر، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بسبعة عشر[(٣)].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/ ٣٦١).

(٢) تهذيب الكمال، المزي، (١١٤٧)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ت: بشار عواد معروف. وسير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/ ٣١٦). وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن عبد البر، (١/ ٧٠٦).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح شرح للجمع بين الصحيحين لأبي عبيد اللَّه الحميدي الأندلسي (٢/ ٣٨٧، الوزير العالم ابن هبيرة، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد.

شرح الحديث:

هذه مزيةٌ ولون آخر من ألوان الفضائل التي اختص بها المسجد الأقصى، فقد تنوعت أشكال فضائله وتعددت أنواع العبادة فيه ما بين الصلاة إليه قبل أن تنسخ القبلة وبين فضل الصلاة فيه أو فضل قصد زيارته أو المكث فيه تقربًا إلى اللَّه تعالى وهذا مراد حديث الباب، فإليكم شرحه.

ويبدو واللَّه أعلم أن ابن مسعود لم يقصد تخطئة حذيفة في روايته للحديث وكأنه أراد أن لَا اعتكاف كاملًا إلا بالمساجد المذكورة.

قوله: (لا اعتكاف إلّا في المساجد الثلاثة): الاعتكاف: «وهو الاحتباس[(١)] وعكف على الشيء، أقبل عليه مواظبًا لا يصرف عنه وجهه، وقيل أقام، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾، أي يقيمون؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾»[(٢)].

قال العلَّامة الأصولي البارع الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن صح هذا الحديث فالمراد به لا اعتكاف تام، أي إن الاعتكاف في هذه المساجد أتم وأفضل من الاعتكاف في المساجد الأخرى، كما أن الصلاة فيها أفضل من الصلاة في

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي، (٤٤٩).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٩/ ٢٥٥)، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت.

المساجد الأخرى»[(١)].

هل الاعتكاف خاص بالمساجد الثلاثة دون غيرها:

فقد تباينت وجهات النظر ابتداءً بين بعض الصحابة؛ فهذا حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل يستنكر فعل بعض الناس لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يعتكفون في غير المساجد الثلاث، فقال حذيفةُ لابنِ مسعودٍ: أَلا تعجبُ من قومٍ بين دارِكَ، ودار أبي موسى يزعُمونَ أنهمْ معتكفونَ، قالَ: «فَلَعَلَّهُمْ أَصَابُوا، وَأَخْطَأْتَ أَوْ حَفِظُوا، وَنَسِيتَ»، قالَ: «أَمَّا أَنا فقد عَلمتُ أَنَّهُ لا اعتِكافَ إِلَّا في مَسجدِ جَمَاعَةٍ»[(٢)].

ويرى فريق كبير جدًا من العلماء مشروعية الاعتكاف في جميع المساجد ومن غير تخصيص المساجد الثلاث فقط، فقد ذكر الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ باب بيان مشكل ما روي عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول اللَّه ﷺ في المساجد التي لا يجوز الاعتكاف إلا فيها: «قال حذيفةُ لعبدِ اللَّهِ: عكوفٌ بينَ دارِكَ ودارِ أَبِي موسَى لَا تُغيِّرُ، وقدْ علمتَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا اعتِكَافَ إِلَّا في المساجِدِ الثَّلاثَةِ: المسجِدِ الحَرَامِ ومَسجِدِ النَّبيِّ ﷺ ومَسجِدِ بَيتِ المقدِسِ» قال: عبدُ اللَّهِ لعلَّكَ نسيتَ وحفظُوا، وأخطأتَ وأصابُوا.

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين، (٦/ ٥١٢)، مؤسسة آسام - الرياض، اعتنى به: سليمان أبا الخيل وخالد بن علي المشيقح.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني (٩٥٠٩)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ت: حمدي السلفي.

قال أبُو جعفرٍ: فتأملنا هذا الحديث فوجدنا فيه إخبار حذيفة ابن مسعودٍ أنهُ قد علم ما ذكرَهُ لهُ عن النبيّ ﷺ وترك ابن مسعود إنكار ذلك عليه وجوابه إياه بما أجابَهُ به في ذلك من قوله: «لَعَلَّهُم حَفِظُوا» نسخَ ما قد ذكرْتَهُ من ذلك، وأصابُوا فيما قد فعلوا، وكان ظاهرُ القرآن يدلُّ على ذلك وهو قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فعمَّ المساجد كلها بذلك، وكان المسلمونَ عليه من الاعتكافِ في مساجد بلدانهم، إمّا مساجد الجماعات التي تقام فيها الجمعات، وإما هي وما سواها من المساجد التي لها الأئمةُ والمؤذنون على ما قاله أهلُ العلم في ذلك»[(١)].

وبه قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفضلية المساجد واختصاصها بشد الرحال إليها لا تستلزم اختصاصها بالاعتكاف»[(٢)].

وأما من العلماء المعاصرين كالشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن الاعتكاف جائز في جميع المساجد لكن هذه المساجد الثلاث اختصت بفضل الاعتكاف الكامل فيها فقال: «ويدل على أنه عام في كل مسجد قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فقوله تعالى: ﴿ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ (ال) هنا للعموم، فلو كان الاعتكاف لا يصح إلا في المساجد الثلاثة لزم أن تكون (ال) هنا

(١) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، (٧/ ٢٠١)، مؤسسة الرسالة، ت: شعيب الأرنؤوط.
(٢) نيل الأوطار (٤/ ٣١٨).

للعهد الذهني، ولكن أين الدليل؟ وإذا لم يقم دليل على أن (ال) للعهد الذهني فهي للعموم، هذا الأصل، ثم كيف يكون هذا الحكم في كتاب اللَّه للأمة من مشارق الأرض ومغاربها، ثم نقول: لا يصح إلا في المساجد الثلاثة؟! فهذا بعيد أن يكون حكم مذكور على سبيل العموم للأمة الإسلامية، ثم نقول: إن هذه العبادة لا تصح إلا في المساجد الثلاثة، كالطواف لا يصح إلا في المسجد الحرام، فالصواب أنه عام في كل مسجد، لكن لا شك أن الاعتكاف في المساجد الثلاثة أفضل، كما أن الصلاة في المساجد الثلاثة أفضل»[(١)].

قلت: وبما أن الحديث صحيح صريح في إثبات أصل الاعتكاف في سائر المساجد، إذًا المراد هنا هو نفي كمال الاعتكاف في غير المساجد الثلاث المخصوصة، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ فهو عام، ومعلوم في الأصول أن يُحمل العام على الخاص، لذا نرى واللَّه أعلم أن الحديث مخصص للآية.

وهناك طائفة من أهل العلم ترى عدم جواز الاعتكاف في غير هذه المساجد الثلاث، قال الخطابي: قال بعض أهل العلم: لا يصح الاعتكاف إلا في واحد من هذه المساجد الثلاثة»[(٢)].

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين (٦/ ٥١٢)، مؤسسة آسام، الرياض، اعتنى به: سليمان أبا الخيل وخالد بن علي المشيقح.

(٢) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، كتاب المناسك (٨٩٩-٩٠٠).

قوله: (المسجد الحرام ومسجد النّبي، ومسجد بيت المقدس):

والتعريف بهذه المساجد وبفضلها وأجر الصلاة فيها مرَّ معنا في هذا الكتاب.

اعتكاف اليهود:

ويظهر واللَّه أعلم أن بني إسرائيل لما كانوا على الشريعة كان من هديهم الاعتكاف ومن محله المسجد الأقصى، فهذه مريم بنت عمران، أم عيسى عليه السلام بعد أن نذرتها أمها وكفلها زوج خالتها نبي اللَّه زكريا عليه السلام، كان لها محراب في المسجد الأقصى تتحنث فيه وتعتكف، كما أخبر المولى عن حالها في محرابها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

ومن جهة أخرى وبعد انحراف بني إسرائيل وفساد عقيدتهم يرى اليهود وكعادتهم الطعن في اللَّه تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، بقولهم: إن الرب اعتكف في اليوم السابع، وهو اعتكاف استراحة من تعب أصابه، كما جاء في توراتهم[1] المحرَّفة: «في عيد الفصح، يذبح غنمًا وبقرًا، ولا يأكل عليه خبزًا مختمرًا، لمدة سبعة أيام، ويذبح مساء نحو غروب الشمس، وفي اليوم السابع اعتكاف للرب إلهك، لا يعمل فيه أبدًا». فيجب الاعتكاف في اليوم السابع

(١) تثنية: (١٦: ٨).

ويحرم فيه العمل كحرمته في يوم السبت[١].

وبعد أن فرض الرب عليهم الاعتكاف لم يعد يقبله منهم لكثرة شرورهم كما جاء نص ذلك في التوراة[٢]: «إن اللَّه لم يقبل من اليهود اعتكافهم، لكثرة شرورهم، لست أطيق الإثم والاعتكاف»[٣].

وبذلك سقط عنهم الاعتكاف وأقروا أنهم كثيروا الشرور، أعاذنا اللَّه من شرورهم.

من فوائد الحديث:

١- جواز الاعتكاف في جميع المساجد دون اختصاص المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث عن غيرها إلّا بتمام الاعتكاف.

٢- فيه بيان عظم أجر وقدر المساجد الثلاثة، وتنوع ألوان العبادة فيها.

٣- وفي الحديث إشارة إلى فضل الاعتكاف وثوابه وأجره وأنه يتفاوت بحسب أجر الصلاة في المساجد الثلاثة، كما جاء في ترتيب الحديث وغيره من أحاديث تفاوت فيها أجر الصلاة بين المساجد الثلاثة.

---

(١) انظر: كتابنا «عطلة السبت شريعة يهودية منسوخة» فيه تفصيل لأحكام السبت عند اليهود.

(٢) أشعياء: (١: ٣).

(٣) انظر: كتاب شرح الأحكام الشرعية في التوراة، نادي العطار (٢١٧)، مركز ابن العطار للتراث -القاهرة.

٤- والاعتكاف المشروع كان من شريعة بني إسرائيل، لكنهم بدّلوا وغيّروا.

* * * * *

الحديث السادس
جَوَازُ نَذْرِ الصَّلَاةِ فِي بيْتِ الْمَقْدِسِ

عن جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ رَجُلًا قَامَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ لِلَّه إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيكَ مَكَّةَ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيتِ المَقدِسِ رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ ﷺ: صَلِّ هَا هُنَا. ثُمَّ أَعَادَ عَليهِ؛ فَقَالَ ﷺ: صَلِّ هَا هُنا. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيهِ؛ فَقال ﷺ: شَأْنَكَ إِذًا، وفي رواية: (والذي بعث محمدًا بالحق لو صليت ههنا لأجزأ عنك صلاة في بيت المقدس)[(١)]»[(٢)].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

جابر بن عبد اللَّه بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجي السلمي أبو

---

(١) أخرجها أبو داود، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف (٣٣٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٩٨١) وأبو داود (٣٣٠٥) بهذا اللفظ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٥٧٤)، وعبد بن حميد (١٠٠٩)، والدارمي (٢٣٣٩)، أشارَ عبد الحق الأشبيلي في مقدمة الأحكام الصغرى (٧٤٢) أنه صحيح الإسناد، وقال ابن دقيق العيد في الاقتراح (١١٢): «صحيح» وأشارَ ابن الملقن في تحفة المحتاج أنه صحيح أو حسن وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٥٩٧) وقال: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصحيح أبي داود (٣٣٠٥)، وقال الوادعي في الصحيح المسند (٢٦٦) صحيح على شرط مسلم.

عبد اللَّه. ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد، أمه نسيبة بنت عقبة ابن عدي.

روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة وطلحة ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وخالد بن الوليد وأبي هريرة وأم شريك وأم مالك وأم مبشر من الصحابة، وروى عنه أولاده وخلق كثير.

قال جابر: لم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعني أبي قال: فلما قُتل عبد اللَّه لم أتخلف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة قط، رواه مسلم، وقال حماد بن سلمة: عن أبي الزبير عن جابر استغفر لي النبي ﷺ ليلة البعير خمسًا وعشرين مرة، وقال وكيع: عن هشام بن عروة رأيت لجابر بن عبد اللَّه حلقة في المسجد يؤخذ عنه. قال ابن سعد والهيثم: مات سنة (٧٣) للهجرة، وقال محمد بن يحيى: مات سنة (٧٧) للهجرة، وأبو نعيم قال ويقال مات وهو ابن (٩٤) سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة وقال عمرو بن علي ويحيى بن بكير وغيرهما مات سنة (٧٨) للهجرة، وقيل غير ذلك، قال البخاري: صلَّى عليه الحجاج[١]. شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد[٢]. شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، عُمِيَ في آخر عمره، وهو آخر من

(١) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٧).

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١/ ٣٠٧).

مات بالمدينة ممن شهد العقبة، توفي سنة أربع وسبعين[١].

له في الصحيحين مائة وعشرة أحاديث؛ المتفق عليه منها ثمانية وخمسون، وانفرد البخاري بستة وعشرين، ومسلم بستة وعشرين[٢].

شرح الحديث:

لا زلنا نبحر في فضائل هذا المسجد العظيم ونتقلب بين جملة من أحكامه، ونلمس وبكل وضوح حرص أصحاب النبي ﷺ عليه، فها هو رجل من عامة أصحاب النبي ﷺ يعلنها صراحة برغبة جامحة زيارة المسجد الأقصى إن يسر اللَّه فتح مكة للنبي ﷺ.

قوله: (إنَّ رجلًا قامَ يومَ الفتحِ، فقالَ): إن رجلًا: من الأنصار[٣]، والرجل هو الأرقم[٤]، قال: جئت رسول اللَّه ﷺ، لأودِّعه، وأراد الخروج إلى بيت المقدس فرحًا بما منّ اللَّه على المسلمين من فتح مكة المكرمة في رمضان عام ٨هـ الموافق يناير ٦٣٠م، ويبدو أنه كان متشوقًا عجلًا متفائلًا بأن تفتح بيت المقدس بعد مكة.

قوله: (يا رسولَ اللَّهِ ﷺ إنِّي نذرتُ للَّه): «وكان الأرقم قد أضمر هذا النذر قبل الفتح، حتى كان يوم الفتح فأخبر النبي ﷺ بنذره.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١/ ٤٩١). باختصار وتصرف يسير.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، الوزير العالم ابن هبيرة (٦/ ٢١٩).
(٣) أخرجه أحمد (٢٣١٦٩).
(٤) أخرجه الحاكم (٦١٣٠).

والنَّذر لغة: النَّحْبُ، وهو ما يَنْذره الإنسان، فيجعله على نفسه نَحْبًا واجبًا، وجمعه نُذُور كقولك: نذَرْتُ أَنذِرُ وأَنذُر نذْرًا، إذا أَوجبتَ على نفسِك شيئًا تبَرُّعًا، من عبادة أَو صدقةٍ أو غير ذلك»[(١)]، واصطلاحًا: هو ما يوجبه المكلَّف على نفسه أمرًا لم يلزمه به الشارع الكريم.

قوله: (إِن فَتَحَ اللَّهُ عليكَ مكَّةَ): وهو ما اشترطه في نذره أن تفتح مكة: بيت اللَّه الحرام، سميت مكة؛ لأنها تمك الجبارين - أي: تذهب نخوتهم-، ويقال: إنما سميت مكة؛ لازدحام الناس بها، ويقال: مكة اسم المدينة، وبكة اسم البيت، وقال زيد بن أسلم: بكة الكعبة والمسجد، ومكة ذو طوى، وهو بطن الوادي[(٢)].

ومن أسمائها فاران: وهي كلمة عبرانية معربة، وقيل: هو اسم لجبال مكة، وقيل: فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية[(٣)]. قال البغوي[(٤)]: وقيل: مكة وبكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم.

قوله: (أن أُصلِّي في بَيتِ المقدس ركعتينِ): أي في المسجد الأقصى، وهذا يدل على أن الرومان المحتلين حينها لبيت المقدس لم يكونوا يمنعون دخول آحاد المسلمين المسجد الأقصى، والذي

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة «نذر».
(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٢١٠).
(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٤/ ٢٥٥).
(٤) شرح السنة، البغوي (٧/ ٢٩٣).

لم يفتح إلَّا زمن الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام ١٥هـ.

أما دخول بعض المسلمين إلى فلسطين تحت حراب الصهاينة بحجة الصلاة في المسجد الأقصى فهي من النوازل الفقهية المعاصرة، والتي ينبغي تقييدها بالمصالح الشرعية.

قال ﷺ: (صلِّ هاهُنا)، ثُم أعاد عليه، فقال: (صلِّ هاهُنا)، ثم أَعادَ عليهِ): أكد له مرارًا بأن هذا الذي أرشده إليه أولى له من أن يذهب إلى بيت المقدس ليفي بنذره شفقة عليه وتيسيرًا له.

فقال: ﷺ (شأنَكَ إِذًا): بالنصب على المفعول به، أي الزم شأنك، والمعنى أنت تعلم حالك، وقد ترك له النبي ﷺ خيار الأمرين بعد أن وجهه إلى الأصوب.

(إذًا): بالتنوين جواب وجزاء، أي إذا أبيت أن تصلي هاهنا فافعل ما نذرت به من صلاتك في بيت المقدس[(١)].

قوله: (صل هاهنا): فيه دليل على أن من نذر صلاة أو صدقة أو نحوهما في مكان ليس بأفضل من مكان الناذر لا يجب عليه الوفاء بإيقاع المنذور به في ذلك، بل يكون الوفاء بالفعل في مكان الناذر ما لم يكن معصية، ويمكن الجمع بأن يتعين مكان النذر إذا كان مساويًا له أو أفضل منه[(٢)].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، الشهير العظيم آبادي، كتاب الأيمان والنذور (١٤١٧).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، الشهير العظيم آبادي (٥/ ٩٤).

أي: إن كنت عازمًا ولا بد فلك أن تذهب إذا شئت، ولا يلزمك الصلاة هنا، وإرشاد النبي ﷺ له يكفيه ويغنيه من مشقَّة السفر؛ لأن صلاته في المسجد الفاضل تغنيه عن المفضول.

ومثله ما جاء في حديث ابن عباس، أنّه قال: إِنَّ امرأَةً اشتَكَت شَكوى، فَقَالَتْ: إِنْ شَفَانِي اللَّهُ لَأَخْرُجَنَّ فَلَأُصَلِّيَنَّ في بَيتِ المقدِس، فَبَرَأَت، ثُمّ تَجَهَّزَت تُرِيد الخُرُوج، فجَاءَت مَيْمُونَة زَوجَ النَّبِي ﷺ تُسَلِّم عليها، فَأَخبَرَتها ذلك، فقالت: اجلِسِي فَكُلِي ما صَنَعت، وصلِّي في مسجِدِ الرَّسول ﷺ؛ فإِنِّي سَمعتُ رسول اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «صلاةٌ فيه أَفضَلُ من أَلفِ صلاةٍ فيما سِواهُ من المساجِد إِلَّا مسجِد الكعبَة»[(١)].

وبه اتضح تعليل ميمونة بأن مكان السائلة أفضل لإيفاء نذرها من بيت المقدس الذي هو أقل أجرًا من مسجد النبي ﷺ، وهذا من فقهها والتزامها هدي نبيها محمد ﷺ.

مذاهب العلماء في النذر الذي يجب الوفاء به:

وقد تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ مناقشًا مسألة نذر السفر إليه والصلاة فيه أو الاعتكاف، فقال: «هل يجب عليه الوفاء بنذره؟ على قولين مشهورين، وهما قولان للشافعي:

أحدهما: يجب الوفاء بهذا النذر، وهو قول الأكثرين، مثل مالك،

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٦).

وأحمد بن حنبل، وغيرهما.

والثاني: لا يجب، وهو قول أبي حنيفة، فإن من أصله أنه لا يجب النذر إلا ما كان جنسه واجبًا بالشرع، فلهذا يوجب نذر الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة، فإن جنسها واجب بالشرع ولا يوجب نذر الاعتكاف، فإن الاعتكاف لا يصح عنده إلا بصوم، وهو مذهب مالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه. وأما الأكثرون، فيحتجون بما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن نَذَرَ أَن يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، ومَن نَذَرَ أَن يَعصِيَهُ فَلا يَعصِهِ». فأمر النبي ﷺ بالوفاء بالنذر لكل من نذر أن يطيع اللَّه، ولم يشترط أن تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع، وهذا القول أصح[(١)].

ونحوه قال البغوي[(٢)]: لو نذر أن يصلي في مسجد من هذه المساجد الثلاثة لا يخرج عن النذر إذا صلى في غيرها من المساجد، ولو نذر أن يصلي في مسجد الرسول ﷺ يخرج عن نذره إذا صلى في المسجد الحرام، ولا يخرج إذا صلى في المسجد الأقصى؛ لقول النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، ولو نذر أن يصلي في المسجد الحرام فلا يخرج عن نذره بالصلاة في غيره، ولو نذر أن يصلي في المسجد الأقصى، فصلى في المسجد الحرام، أو في مسجد الرسول ﷺ يخرج عن النذر.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٦، ٧).

(٢) شرح السنة، للبغوي (١٠/ ٢٩- ٣٠).

كما جاء عن جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «فيمن نذر الصلاة في المسجد الأقصى، يجزئه في المسجد الحرام»[(١)].

ولا يوفى النذر بمسجد دون الأقصى في الفضل كسائر المساجد غير الثلاثة، ومثله قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : «هذا في النذر ينذره الإنسان أن يصلي في بعض المساجد، فإن شاء وفىّ به وإن شاء صلىّ في غيره، إلّا أن يكون نذر الصلاة في واحد من هذه المساجد فإن الوفاء يلزمه بما نذر فيها. وإنما خص هذه المساجد بذلك لأنها مساجد الأنبياء صلاة اللَّه وسلامه عليهم وقد أمرنا بالاقتداء بهم»[(٢)].

النذر في شريعة بني إسرائيل:

وقد عرف النذر في شريعة من كان قبلنا كبني إسرائيل، ففي زمنهم نذرت امرأة عمران وقيل إن اسمها «حمنة» ما في بطنها لسدانة البيت المُقَدَّس، لمَّا علمت حملها شكرًا للَّه، قال اللَّه تعالى على لسانها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]. وهذا يدل على جواز النذر بعامة في شريعة بني إسرائيل وبخاصة للمسجد الأقصى، وجواز

---

(١) أخرجه أبوداود (٣٣٠٥) وأورده الألباني في إرواء الغليل (٨/ ٣٣١) وقال عنه صحيح.

(٢) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، الشهير العظيم آبادي، كتاب المناسك (٨٩٩-٩٠٠).

مثله في شريعتنا أن ينذر المسلم ابنًا له لخدمة الدين لتعليم الناس الخير أو إعداده جنديًا من جنود الإسلام ويحتسب ما ينفقه عليه من مأكل ومشرب ونحوه إرضاءً للَّه تعالى وخدمة لدينة فإنها من عظيم القربات التي يتحصل بها جملة من الخيرات والصدقات الجارية والنفع العظيم للمسلمين.

وعودًا على نذر امرأة عمران، لما علم اللَّه منها صدق النية عاجلها بقبول نذرها، فقال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] وهذا مما يدُل على جواز نذرها بل ومباركته بالإنبات الحسن؛ فسخَّر لها مريم[١] الصديقة - وهي التي وبعد زمن - أخرج من رحمها بكلمة منه ومن غير زوج، نبي اللَّه عيسى عليه السلام، وكذلك سخر اللَّه من يسهم في كفالتها ورعايتها وإعانة امرأة عمران على نذرها، وهو نبي اللَّه زكريا عليه السلام لما كفِلها، ليأتيها بعد ذلك رزق اللَّه من حيث لا تحتسب إلى محرابها من غير جهد منها ولا من غيرها من البشر، ومن عظيم فضلها أن اللَّه تعالى لم يذكر اسم أنثى في كتابه غيرها، وهذا من عظيم فضل اللَّه تعالى على هذا النذر المبارك.

من فوائد الحديث:

١- فيه دليل على حب الصحابة للمسجد الأقصى والاشتياق للصلاة فيه مع ما في ذلك من مشقة السفر إليه.

---

(١) مريم: في لغة قومها تعني العابدة، فسمتها أمها بذلك تفاؤلاً.

٢- فيه دليل على أصل جواز زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه وهو تحت حكم الاحتلال، فالمسجد الأقصى في عهد النبي ﷺ كان تحت حكم الرومان ومع هذا فإن النبي ﷺ لم يمنع هذا الصحابي ولا غيره من الصلاة في المسجد الأقصى لمسوغ وجود الهيمنة الرومانية عليه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الخلاف في المسألة اليوم خلاف معتبر يجب النظر إليه.

٣- وفي الحديث إرشاد النبي ﷺ للسائل بأنه يجزئ الوفاء بنذره في المسجد الحرام فأمر النبي ﷺ هنا يفيد جواز الانتقال من المفضول إلى الفاضل، ولا يجوز العكس؛ لأن المسجد الحرام أفضل من سائر المساجد.

٤- فيه دلالة واضحة على صبر النبي ﷺ وسعة صدره وتحمُّله لأصحابه وحرصه على تعليمهم.

٥- يشير الحديث ومع كون المسجد الأقصى محتلًّا إلا أنه كان بإمكان الصحابة دخول المسجد من غير مانع ولا عائق.

٦- والحديث فيه دليل على تيسير الشريعة ورحمتها بالمكلفين باختيار الأيسر والأسهل لهم.

* * * * *

الحديث السابع
الْبُرَاقُ دَابَّةُ الرَّسُول ﷺ مِنْ مكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: **أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ**، وفي رواية: (ليلة أُسري به مُلجَمًا مُسرَجًا)[١]، **وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ**، وفي رواية: (فلم نزايل- أي نفارق - ظهره أنا وجبريل)[٢]، **حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**، وفي رواية: (لما انتهيت)[٣]، **قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**... وفي رواية: (فخرق جبريل الصخرة بإصبعِه وشدَّ بها البراق)[٤][٥].

---

(١) أخرجها الترمذي، عن أنس رضي الله عنه (٣١٣١).

(٢) أخرجها أحمد، عن حذيفة بن اليمان (٢٣٣٣٢)، والطيالسي (٤١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٤)، وصحيح الجامع الصغير (١٢٨).

(٣) أخرجها ابن حبان، عن عبد اللَّه بن بريدة عن أبيه (٤٧) وفي موارد الظمآن بتحقيق الألباني (٣٣) وقال عنه: صحيح.

(٤) أخرجها ابن حبان، عن عبد اللَّه بن بريدة عن أبيه (٤٧) وفي موارد الظمآن بتحقيق الألباني (٣٣) وقال عنه: صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) واللفظ له، وأحمد (٣٤٩٩) وأبو يعلى (٣٣٧٥)، والبغوي (٣٧٥٣).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

أنس بن مالك بن النَّضر بن ضمضم الأنصارِيُّ، ابن زيدِ بن حرامِ بن جُنْدُبِ بن عامر بن غنمِ بن عديّ بن النجَّار.

راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادمُ رسول اللَّهِ ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، ومن آخر أصحابه موتًا. دعا له رسول اللَّه ﷺ بكثرة المال والولد، فَوُلِد له من صلبه ثمانون ذكرًا وابنتان.

وكان أنس يقول: قدم رسول اللَّهِ ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، وكنَّ أمهاتي يَحْثُثْنَني على خدمة رسول اللَّهِ ﷺ.

فصحب أنس نبيَّه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، إلى أَن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة.

كان مولده قبل عام الهجرة بعشر سنين، وأما موتُه: فاختلفوا فيه، فروى مَعمَر، عن حميد: أنه مات سنة إحدى وتسعين. قيل إنه توفي عن مائة سنة وثلاث سنين. وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، وكان موته بقصره بالطَّفّ، ودُفن هناك على فرسخين من البصرة[1].

عدد أحاديثه: ألفان ومائتان وستة وثمانون، اتفق له: البخاري،

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، (١/ ٢٩٤-٢٩٧). باختصار وتصرف يسير.

ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري: بثمانين حديثًا، ومسلم: بتسعين[١].

شرح الحديث:

إنها رحلة سماويَّة خاصة، على أسرع دابة عرفتها البشرية، برعاية ربانيَّة لم يبلغها ولن يبلغها مخلوق، بتشريفات واستقبال لم يحظ به أحد على وجه الأرض، من أشرف وأعظم المخلوقات من الملائكة والأنبياء الذين عرفتهم الأرض والسماء، وفي أعظم ضيافة وأرقاها وأجلها كانت للنبي ﷺ في الأرض والسماء.

و للحديث تتمة طويلة يصف فيها ﷺ رحلته مرورًا بكل سماء إلى أن يصل إلى سدرة المنتهى، وفرض الصلاة المكتوبة على أمته. قال السيوطي فيه: «هو أجود أحاديث الإسراء والمعراج وأتقنها»[٢].

قوله: (إنّ رسول اللّه ﷺ قال: أُتيتُ بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل): النبي ﷺ يخبر عن نفسه واصفًا أهم المشاهد التي وقعت له في هذه الرحلة والدابة التي حملته.

قوله: (بالبراق): وكان أول مشاهد الرحلة ما حمل عليه وهي أجلُّ

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٣٩٥).

(٢) الإسراء والمعراج (الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء)، السيوطي (٤٥)، دار الحديث القاهرة.

وسيلة نقل عرفتها البشرية، مرافقًا له عليها أجل وأعظم مرافق وصاحب له في سفره، بتدبير رباني متكامل للرحلة ولوازمها.

وقال صاحب الفتح موضحًا أهمية طريقة التعاطي مع النبي ﷺ في مركبه وطريقة ركوبه إلى السماء فيقول: «فقد جرت العادة بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه ما يركبه، وقال: ركوب البراق كان زيادة له في تشريفه؛ لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماشٍ، والراكب أعز من الماشي»[(١)].

صفة البراق:

البراق هو: مركب الأنبياء، هو بضم الباء الموحدة. والبراق اسم الدابة التي ركبها رسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء. وسمي بذلك إما اشتقاقًا من البَرْق لسرعة سيره، وأنه يضع حافره حيثُ يَجعل طرفه، أو لكَونه أبرق، وهو الأَبْيَض[(٢)] الشديد صفاؤه وتلألؤه وبريقه.

أما عن لونه وطوله وسرعته: يحدثنا عن ذلك أنس بن مالك فيقول: إنّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٢٠٦).
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، السبتي (١/ ٨٥).

الْأَنْبِيَاءُ». . . »[١].

أما عن قوة البراق وأثره على ما مر به، قال ﷺ: «مَرَرْت بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ وَهِيَ فِي مَكَان كَذَا وَكَذَا فَنَفَرَتْ الْإِبِل مِنَّا وَاسْتَدَارَتْ وَفِيهَا بَعِير عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ غِرَارَة سَوْدَاء وَغِرَارَة بَيْضَاء فَصُرِعَ فَانْكَسَرَ»[٢].

قوله: (يضع حافره): وفي رواية «يَضَعُ خطوُهُ»: بالضم، وبالفتح مرة، ما بين الرجلين[٣].

قوله: (عند منتهى طَرْفه): طَرْفِهِ: بسكون الراء، أي: العين، أي يضعها منتهى ما يرى ببصره[٤].

قوله: (قال: فركبته): وفي رواية: «فلم نزايل»- أي: لم نفارق ظهر البراق أنا وجبريل، وفيه دلالة على الركوب الحقيقي على البراق.

هل البراق دابة خُصَّ بها نبينا محمد ﷺ عن غيره من الأنبياء؟

جاء في بعض الآثار أن البراق دابة جبريل عليه السلام كما هو في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أدناه.

وجاء كذلك أن البراق مركب عامة الأنبياء قبل النبي ﷺ، فعن أبي

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).
(٢) الإسراء والمعراج، الألباني، من حديث أنس بن مالك (٤٧).
(٣) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، الزركشي (٨٠٧)، ت: يحيى بن محمد الحكمي.
(٤) المصدر السابق.

سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاء تَرْكَبُهُ قَبْلِي. . .» ذكره ابن كثير عند تفسيره الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾. وجاءت آثار فيها نظر أن البراق دابة الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم.

ومنها أن إبراهيم كان يتنقل فيه بين فلسطين ومكة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهُ يَزُورُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَى الْبُرَاقِ، وَهِيَ دَابَّةُ جِبْرِيلَ»[(١)].

ولعل قول جبريل للبراق في حديث أنس رضي الله عنه : «ما ركبك أحد أكرم على اللَّه منه»[(٢)] فيه إشارة ضمنية أن غير النبي محمد ﷺ ركِبه، واللَّه أعلم.

جاء في الأثر أن البراقَ دابة رسول اللَّه ﷺ يوم المحشر، كما جاء عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «تُبْعَثُ الأَنْبِيَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الدَّوَابِّ لِيُوافُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِهِمُ بِالْمَحْشَرِ، وَيُبْعَثُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَتِهِ، وَأُبْعَثَ عَلَى الْبُرَاقِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن طهمان، في مشيخته (٨).

(٢) كما جاء نصه، عن أنس أن النبي ﷺ: (أتي بالبراق ليلة أسري به مسرجًا ملجمًا فاستصعب عليه، فقال له جبريل: ما يحملك على هذا!؟ فو اللَّه ما ركبك أحد أكرم على اللَّه منه قال: فارفض عرقًا) أخرجه الترمذي (٣١٣١)، وابن حبان في صحيحه (٤٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٧٢٧) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، إتحاف المهرة، لابن حجر (١٨٣٣٧).

قوله: (حتى أتيت بيت المقدس): وهو المسجد الأقصى في فلسطين، وقد سبق ذكره والتعريف به.

قوله: (قال: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ): شدَّه: أوثقه[١].

قال النووي هو في الأصول (به) بضمير المذكر، أعاده على معنى الحلقة، وهو الشيء، قال صاحب التحرير: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس[٢]. لذلك كان من السنة شد الرحل إليه والصلاة فيه، كما هو معلوم[٣].

«الحلقة»: إسكان اللام أو فتحها. وأما قوله ﷺ: «الحلقة التي يربط بها» قال صاحب التحرير: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس[٤]. واللَّه أعلم. وفي رواية أن جبريل عليه السلام خرق الحجر ليربط به البراق، عن ابن بُرَيدةَ، عن أبيه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ؛ قَالَ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ فَخَرَقَ بِهِ الحجَرَ وَشَدَّ بِهِ البُرَاقَ»[٥].

قال جبريل بإصبعه، أي: أشار بها[٦]. العرب تجعل القول عبارة

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٣٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢١١).

(٣) صحيح موارد الظمآن، ابن حبان (١/ ١٠٩)، ت: الألباني، قاله الألباني، بهامش الصفحة.

(٤) شرح النووي على مسلم، (٢/ ٢١١).

(٥) أخرجه الترمذي (٣١٣٢).

(٦) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، المباركفوري (٨/ ٤٤٩).

عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده، أي: أخذ، وقال برجله، أي: مشى[(١)].

وقد أنكر حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ربط براقه بالحلقة، في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد، قال حذيفة معترضًا على زر بن حُبيش: أَوَ كان يخاف أن تذهب منه، وقد أتاه اللَّه بها؟.

قال ابن حجر ردًا على هذه المسألة وموضحًا لها نقلًا عن البيهقي: «المثبت مقدم على النافي، يعني من أثبت ربط البراق، والصلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك، فهو أولى بالقبول»[(٢)].

ومثله قال ابن كثير: وهذا الذي قاله حذيفة نفي، وما أثبته غيره من الصلاة وربط الدابة مقدم عليه[(٣)].

«يربط به الأنبياء» فيه إشارة إلى ربط الأنبياء البراق ذاته عند هذه الحلقة أو دوابهم التي كانوا يرتحلون عليها إلى بيت المقدس، كما أن فيه إشارة واضحة وصريحة أن أنبياء اللَّه تعالى كانوا يأتون المسجد الأقصى.

جاء الحديث بأنواع من التوثيقات والروابط فربط بين قبلتين:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ١٢٤).
(٢) فتح الباري، للعسقلاني (٧/ ٢٠٩).
(٣) الآية الكبرى، السيوطي (١٠٠).

(الكعبة والمسجد الأقصى)، وأرضين: (مكة وبيت المقدس)، وربط بين الأنبياء كلهم لما جمعهم اللَّه في المسجد الأقصى وأمَّهم النبي ﷺ فيه، وربطهم بالأرض المقدسة، وربطها بالسماء، وربط بين زمانين، في اختصار وقت التنقل بين مكانين في الأرض، وبين الأرض والسماء، وربط البراق في حلقة باب المسجد الأقصى مع أن البراق ليس بحاجة إلى ربطه لأنه مؤتمر بأمره ﷺ ، وجبريل عليه السلام؛ ليشتمل الأمر على مزيج من الروابط والفضائل يصعب فِكاكُها أو التغافل عنها.

دابة النبي ﷺ وعلاقته بحائط البراق في بيت المقدس[١]:

إن التسمية التي ننسبها لحائط البراق وهو ذلك الجزء الواقع في الجهة الغربية من سور المسجد الأقصى بطول: (٤٧)م، وارتفاع: (١٨)م، وعرض: (٣,٠٠م) تقريبًا، وهي تسمية متواترة جاءت بعدة روايات صحيحة صريحة وأثبتتها شواهد التاريخ، وسمي الحائط بالبراق، نسبة إلى البراق الذي ركبه النبي ﷺ إلى بيت المقدس في حادثة الإسراء والمعراج، والتي جاء خبرها من اللَّه سبحانه وتعالى في مطلع سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]،

(١) لمزيد اطلاع راجع كتابنا: حائط البراق تاريخ مصور وموثّق للأحداث (٣-٨)، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

وأخبر النبي ﷺ عن هذه الرحلة وأن مركوبه فيها إلى بيت المقدس كان على دابة البراق، قال ﷺ: «أُتِيتُ بالْبرَاقِ وَهُوَ دَابةٌ أَبيَضُ طَوِيلٌ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَلَمْ نُزَايِلْ ظَهْرَهُ أَنَا وَجِبرِيلُ حَتَّى أَتَيْتُ بيْتَ الْمَقْدِسِ، فَفُتِحَتْ لَنَا أَبوَاب السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»(١). أما من حيث قصة ربط البراق عند أحد أبواب المسجد الأقصى فهي ثابتة صحيحة صريحة، وقد جاء ذلك فيما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ: لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ بِإِصْبَعِهِ فَخَرَقَ بِهَا الْحَجَرَ وَشَدَّ بِهَا الْبُرَاقَ)(٢).

وروى مثله أنس بن مالك، عن النبي ﷺ ذكر: «أَنَّهُ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاق فَأَوْثَقَ الدَّابَّة بِالْحَلْقَةِ..»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قال: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ»(٤).

ومع تأكيدنا على صحة ما سبق، أقول: ولا يمنع أن يكون حائط

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٣٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٢٨) والسلسلة الصحيحة (٨٧٤).

(٢) سنن الترمذي (٣١٣٢) وقال: «هذا حديث غريب» وصحح إسناده الألباني في صحيح جامع الترمذي والسلسلة الصحيحة وصحيح ابن حبان، انظر كتاب الإسراء.

(٣) أخرجه أبو يعلى، في مسنده (٤٠٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٢).

البراق هو عين المكان الذي ربط نبينا براقه عنده، لذات التسمية لهذا الجزء من السور بالذات، وهذا ما تعارف وتواتر عليه الناس جيلًا بعد جيل ولا مخالف لهم في ذلك.

كما تعاقبت الأمة وتواترت على تسمية الباب المؤدي للمسجد الأقصى من جهة حائط البراق، بـ(باب البراق) وهو أقرب الأبواب لهذا الحائط وقد أغلقه اليهود، وقيل: إنهم انتزعوا حلقة كانت عنده، عام ١٩٦٧م.

على أية حال لا تعدو نظرتنا لهذا الحائط سوى أنه سور للمسجد الأقصى من الجهة الغربية ولا نعتقد فيه أو له أي قدسية خاصة تميزه عن غيره من أسوار المسجد الأقصى.

أو تسميته بـ: «حائط البراق الشريف»، فإن كان الحائط هو المقصود بالشرف دون غيره من حوائط المسجد، فهو تخصيص لا محل له ولا دليل عليه شرعًا من كتاب أو سنة، وقد يفضي إلى تقديس ما لم يأمر الشرع الحكيم بتعظيمه وتقديسه.

ما هي علاقة اليهود بحائط البراق!

يدّعي اليهود أن هذا الحائط هو جزء متبق من هيكل سليمان الثاني الذي هدمه تيطس عام ٧٠م، ويطلق اليهود على حائط البراق مصطلح (حائط المبكى)، ويقابل هذا المعنى في اللغة العبرية عبارة (كوتيل

معرافي)، وحقيقة الأمر أن هذه الكلمات لا تعني (حائط المبكى) بل ترجمتها الحقيقية هي (الحائط الغربي) ولابد أن ألمح إلى أن الحائط هو بدعة جديدة في دين يهود اليوم وأن الموسوعة العبرية لم تتطرق أبدًا إلى ذكر عبارة (حائط المبكى)، أما القاموس العربي العبري، الصادر عن وزارة الدفاع اليهودية عام (١٩٩٧م) الطبعة الخامسة، فلم يُشر كذلك أو يستخدم عبارة (حائط المبكى)، بل عند ترجمته للعبارة العبرية(كوتيل هد ماعوت) أشار إليها باللغة العربية: (حائط الدموع)، أما ترجمتها أو ما يعبر عنها باللغة الإنجليزية هو (ويلنج وول - WAILING WALL).

ونخلص من هذا المصطلح اليهودي المنسوب لهذا الحائط زورًا وبهتانًا أن اليهود درجوا على مصطلح ليس له مستند في كتبهم التي اعتمدوها، وإنما هو كلمة ونسك جديد مبتدع أضافوه إلى شريعتهم خالفهم فيه كثير من حاخامات اليهود قديمًا وحديثًا، إلا أنهم في نهاية المطاف استطاعوا فرضه على الكثير منهم.

ويبدو أن مرادهم من التسمية هو البكاء؛ لأن صلواتهم عند هذا الحائط تأخذ شكل العويل والنواح[(١)].

أما تلمودهم فإنه يشير إلى بكاء الرب - تعالى اللَّه عما يقولون علوًا

(١) تاريخ مختصر الدول، أبو الفرج غريغريوس الملطي (٢٥)، دار الكتب العلمية.

كبيرًا - ونحيبه الذي لا ينقطع، ندمًا على ما قصر من حماية الهيكل لما دمر، جاء في التلمود: (ومن بعد تدمير الهيكل وإلى الآن فإن اللَّه لم ينقطع عن البكاء والنحيب؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة وهذه الخطيئة قد أبهضت ضمير اللَّه، حتى إنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشًا على ذاته مالئًا الدنيا زئيرًا كالأسد، ثم يصرخ: الويل لي لأني تركت بيتي ينهب وهيكلي يحرق وأولادي يشتتون).

وجاء في الأساطير اليهودية قديمًا وهم على ذلك إلى يومنا هذا، أن الحائط نفسه يذرف الدموع!! في التاسع من آب في السنة العبرية، وهو التاريخ الذي هدم فيه الهيكل كما يدعون.

ويسعى اليهود وبكل جدية إلى بناء ما يسمونه بهيكل سليمان الثالث على ساحات المسجد الأقصى المبارك.

من فوائد الحديث:

١- ربط البراق بالحلقة فيه إشارة إلى أنَّ على المسلم أنْ يتوكل ولا يتواكل، ويعتني ويحرص على أموره كبيرها وصغيرها. وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على اللَّه تعالى. واللَّه أعلم[(١)].

٢- فيه إكرام اللَّه تعالى لنبيه محمد ﷺ وعظم مكانته عنده.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٣-١٨٤).

٣- في الحديث أن النبي ﷺ أول ما أتى بيت المقدس كان في ليلة الإسراء، ولم يأته قبل ذلك.

٤- ركوب النبي ﷺ البراق وبصحبة جبريل فيه مزيد من التشريف والإكرام والاعتناء بالنبي ﷺ.

٥- وربط البراق بالحلقة ذاتها فيه تأكيد على متابعة النبي ﷺ لمن قبله من الأنبياء وأنهم في طريق واحد وتأكيدٌ على منهجهم الواحد، ومتابعته لهم في جميع الأمور ودقيقها.

٦- صحبة جبريل عليه السلام مع النبي رديفًا وأنيسًا ومعرفًا له في رحلته هو مزيد تشريف وتبجيل وتكريم للنبي ﷺ.

٧- فيه مشروعية الأخذ بالأسباب، وربط البراق لا يقدح بالتوكل على اللَّه.

* * * * *

الحديث الثامن

مُعْجِزَةُ إِسْرَاءِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ منْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ

عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى؛ أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلى صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ! قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ؛ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ: أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ»[(١)].

ترجمة الصحابية راوية الحديث:

عائشةُ، بنتُ الصديق، خليفة رسول اللَّهِ ﷺ أبي بكر عبد اللَّهِ بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن

(١) أخرجه الحاكم (٦٣)، وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص، والبيهقي في دلائل النبوة (٦٥٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).

مُرَّة بن كعب بن لؤي القرشية، التيمية، المَكية، المدنية، أمّ المؤمنين، وهي ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثمانية سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبويَّ إلّا وهما يدينان الدين.

وأمها: هي أم رُوْمان بنت عامر بن عُوَيْمِر بن عبد شمس بن عَتّاب ابن أذينة الكنانية.

تزوجهَا نبي اللَّهِ قبل مُهاجَره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه ﷺ من غزوة بدر، وهي ابنة تسع. أما شأن الإفك واتهامها في عرضها: كان في غزوة المُريسيع، سنة خمس من الهجرة، وعمرُها رضي الله عنها يومئذ اثنتا عشرة سنة.

أعلم أمة محمد ﷺ بل ما في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها[1]. روت عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، طيبًا، مباركًا فيه. وعن: أبيها. وعن: عمر، وفاطمة، وسعد، وحمزة بن عمرو الأسلميّ، وجدامة بنت وهب.

وكانت امرأة بيضاء جميلة، يقال لها: الحُميراء، ولم يتزوج النبيّ ﷺ بكرًا غيرها، ولا أَحبّ امرأَة حُبّها.

توفيت سنة ثمان وخمسين. في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان

(١) إمتاع الأسماع، المقريزي (٦/ ٣٥).

بعد الوتر، أمرت أن تدفن من ليلتها. فدفنت بالبقيع[١].

مسند عائشة: يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على: مائة وأربعة وسبعين حديثًا.

كان لأبيها أبي بكر اهتمام وعناية خاصة بفتح بيت المقدس، وقد تمثّل ذلك بقوله لخالد بن الوليد لما كتب له قائلًا: (أنِ اعجَلْ إلى إخوانكم بالشام، فواللَّه لَقريةٌ من قرى بيت المقدس يفتتحها اللَّه سبحانه وتعالى أحبُّ إليّ من رستاق عظيم من رساتيق العراق)[٢].

وعقد أبوبكر لواءَ عمرو بن العاص وجعل وجهته فلسطين، وقال له: (عليك بفلسطين وإيليا)[٣]. وأوصاه لما جعله على جند فلسطين قائلًا له: (...وإذا انتهيْت إلى فلسطين فعسكر هناك حتى تلحقك الجيوش، وإياك والوهن، ولا تقل: رمى بي في نحر العدو، فقد رأيت نصر اللَّه إيانا ونحن قليل...)[٤].

شرح الحديث:

كان مسرى النبي محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى، من أول مسجد

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ١٦٨-١٩٤).

(٢) فضائل بيت المقدس، ابن المرجى (٦٧).

(٣) فتوح الشام، الواقدي (٢٠)، دار الكتب العلمية.

(٤) جمل من أنساب الأشراف، البلاذُري (١٠/ ١١٣)، دار الفكر - بيروت، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي.

وضع في الأرض إلى ثاني مسجد وضع فيها، فجمع له فضل البيتين وشرفهما، ورؤية القبلتين وفضلهما، وفي حادثة الإسراء ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوّات والرسالات؛ لهذا سمى اللَّه سورة في القرآن باسم سورة «الإسراء»، مطلعها قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

والإسراء معجزة من معجزات النبي محمد ﷺ، أن يخرج من بيته في مكة إلى بيت المقدس في فلسطين، ثم إلى السماء ويمر بالسماوات واحدة تلو الأخرى ويلتقي بإخوانه من الأنبياء ويسلم عليهم حتى يصل إلى سدرة المنتهى ويعود محملًا ببعض الأوامر والنواهي في نفس خط الرحلة وكل ذلك في جزء من الليل!

نعم إنها محطة بل معجزة لا يمكن وقوعها في عالم البشر، بتفرُّدِها بالأسلوب والطريقة التي كانت كالصعقة لمستوى إدراك الناس، لتعيد برمجة الأمة بأهمية هذا المسجد من خلال معجزة الإسراء والمعراج، بطريقة لم يعرفها العرب ولا غيرهم، وفاقت مستوى عقولهم، من خلال الإسراء إليه، من بيته في مكة إلى بيت المقدس، والمعراج منه إلى السماء، في ساعةٍ من ليلٍ، بأسرع دابَّةٍ عرفتها البشرية.

أما زمن الإسراء فقد قيل قبل الهجرة بسنة في ربيع الأول، وهو قول

الأكثرين حتى بالغ ابن حزم فنقل الإجماع على ذلك[١] ا.هـ.

وفي هذا الحديث تروي لنا السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مشهدًا من مشاهد هذا الحدث الكبير الذي كان سببًا في تغير أحوال كثير من الناس.

ولك أن تعلم حجم عظم هذا الأمر وقوة إعجازه من جميل ما نقله البيهقي عن الشافعي رحمهما اللَّه، قال: ما أعطى اللَّه نبيًا إلا أعطى اللَّه محمدًا ﷺ ما هو أكثر منه، فقيل له: أعطى عيسى ابن مريم إحياء الموتى، فقال الشافعي: حنين الجذع أبلغ؛ لأن حياة الخشبة أبلغ من إحياء الميت، ولو قيل: كان لموسى فلق البحر، عارضناه بفلق القمر؛ وذلك أعجب؛ لأنه آية سماوية، وإن سئلنا عن انفجار الماء من الحجر، عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ؛ لأن خروج الماء من الحجر معتاد، وأما خروجه من اللحم والدم فأعجب، ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عارضناه بالمعراج[٢].

قولها: (لَمَّا أُسْرِيَ): أُسري: مأخوذ من السرى وهو سير الليل، ولا يكون إلا به، أي: جعل البراق ساريًا به ليلًا من المسجد الحرام وهو

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (١٧/ ٢٧).

(٢) الإسراء والمعراج منحة ربانية بعد اشتداد المحن، سعد المرصفي (١٤٦٣)، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - دولة الكويت.

مسجد مكة إلى المسجد الأقصى وهو مسجد بيت المقدس.

وفيه تنبيه على أنه أسري به في بعض ليلة؛ لأنه لو قال: أسرى بعبده، ولم يقل ليلًا، انصرف إلى الليل كله[١].

قولها: (بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى): وهو المسجد المعروف في بيت المقدس - القدس - في فلسطين، وكان للَّه في ذلك حكمة، ومن جميل ما قاله الأنصاري في ذلك: «الحكمة في إسرائه ﷺ من بيت المقدس دون مكة؛ لأنه محشر الخلائق فيطؤه بقدمه؛ ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدمه، أو لأنه مجمع أرواح الأنبياء فأراد اللَّه أن يشرفهم بزيارته ﷺ، أو أسري به منه؛ ليشاهد من أحواله وصفاته، ما يخبر به كفار مكة صبيحة تلك الليلة، فيكون إخباره بذلك مطابقًا لما رأوا، وشاهدًا ودليلًا على صدقه في الإسراء»[٢].

قولها: (أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ): لا شك أن النبي ﷺ هو من بادر الناس بالتحديث عن ما جرى له في جزء من ليلته تلك التي ارتحل بها من مكة إلى فلسطين، ثم إلى السماء، ثم رجع في نفس خط السير

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، الوزير العالم ابن هبيرة (١/ ٥٧- ٥٨). ومثله قال ابن منظور في لسان العرب، باب سرا.

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (٢٢٩)، عالم الكتب، ت: محمد علي الصابوني.

الذي جاء منه، كما أنه لم تنقل لنا الآثار أن أحدًا افتقد النبي ﷺ، فلم يجده في بيته، أو على فراشه، فيكون بذلك خرج النبي ﷺ من غير أن يشعر به أحد، لذا بدأ النبي ﷺ بعد عودته من هذه الرحلة المعجزة يحدث الناس عنها فعن مالك بن صعصعةَ: «أن نبي اللَّه حدثهم عن ليلةِ أُسري به»[(١)]، لكن بعد إخبار النبي ﷺ لهم اضطرب الناس بين مصدق ومكذب أو مذهول من شدة هول الخبر على إدراكهم البشري المتواضع أمام عظيم خلق اللَّه تعالى، غير أن المؤمن منهم كان يعلم صدق كل ما يأتي به النبي محمد ﷺ من غير أدنى شك.

قولها: (فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ): دل ذلك على أن جحود وقوع آية الإسراء وإنكارها يعد مُخرجًا عن الملة بإجماع المسلمين؛ لأنه إنكار لنص قرآني صريح في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

قولها: (وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلى صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ؛ لَقَدْ صَدَقَ): وهو تصديق وإقرار مطلق

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي (٢/ ٣٧٧)، دار الكتب العلمية - بيروت.

ومن غير أدنى شك أو ريبة منه رضي الله عنه بالنبي ﷺ، وأنه لم يجامل هذا الجمع الذي جاءه وهو يظن في أبي بكر أنه لن يخيب أملهم فيه، في أمر هو فوق إدراكهم وعلمهم وفيه عند البعض أن النبي ﷺ تجاوز المعقول كما في ظنهم.

قولها: (قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟): يسألون أبا بكر وهم مستنكرون متعجبون أن يأتي النبي ﷺ بيت المقدس من مكة في ليلة وهم يقطعونها في شهر!

قولها: (قال: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ: أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ): الغدوة ما بين صلاة (الغداة) وطلوع الشمس والجمع (غُدا)[١].

قولها: (أَوْ رَوْحَةٍ): العرب تستعمل الرواح في السير كل وقت، يقال راح القوم إذا ساروا وغدوا كذلك[٢].

قولها: (فلذلك سمي أبوبكر، الصديق): الصديق: وهو الملازم للصدق[٣]. أي نسبوه إلى الصدق ووسموه حينها بالصديق لما سارع في تصديق النبي ﷺ.

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٦٩-٤٧٠).

(٢) موطأ الإمام مالك (٣٣٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣/ ٣٣٩)، دار الفكر، ت: عبد السلام محمد هارون.

الحكمة في معراج النبي ﷺ من بيت المقدس:

إن أمر اللَّه كله حسن ولا يصدر منه شيء سبحانه وتعالى إلا لحكمة يعلمها، علمنا بعضًا منها وأخفى عنا البعض الآخر، ولما كان أمر الإسراء عظيمًا وحادثة غير مسبوقة في عالم البشر تناول كثير من العلماء حكمًا جمة من معراجه ﷺ.

ليس عبثا أن معراجه ﷺ تحديدًا من بيت المقدس دون غيرها من أماكن، لحكم بدا لنا بعضٌ منها وخفي البعض الآخر، ينقل لنا صاحب «الإفصاح» طرفًا من هذه الحِكَم، فيقول: «فأما الحكمة في أنه عرج به من بيت المقدس ولم يعرج به من مكة، ومكة أفضل من بيت المقدس، فالذي أراه في ذلك أنه لو عرج به من مكة لَفَاته مشاهدة بيت المقدس، ولما كان يقيم الحجة على قريش بصفة النبي ﷺ كما ثبتت حجته عليهم حين وصف لهم بيت المقدس والنظر إليه، فلما عرج به من بيت المقدس اجتمع له الحالان، ولتكون خطاه إلى قصد ربه سعيًا وعروجًا[(١)].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد تناول الحكمة من إسرائه ومعراجه وعلاقة كل من مكة وبيت المقدس، فقال: «فمكة مبدأ وإيليا معاد في الخلق، وكذلك في الأمر؛ فإنه أُسري بالرسول ﷺ من مكة إلى

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، الوزير العالم ابن هبيرة (٥/ ١٩).

إيليا، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام، فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية»[١].

هل أسري النبي محمد ﷺ بروحه فقط، أم بروحه وجسده؟

الذي دلت عليه الكثير من الأحاديث الصحيحة، وهو ما ذهب إليه معظم علماء السلف والخلف أن الإسراء كان بجسده يقظة إلى بيت المقدس، ثم السموات، وهو الحق والصواب الذي لا يجوز العدول عنه[٢].

قال الحافظ: «وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة، فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وَقَعَا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل»[٣].

وبه قال ابن عباس[٤] رضي الله عنه: «الإسراء والمعراج بالنبي محمد ﷺ كان يقظة، بجسده وروحه: في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٥٠٧).
(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري (٨/ ٥٦٧).
(٣) فتح الباري، للعسقلاني (٧/ ٢٣٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٨).

أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين، أُرِيها رسول اللَّه ليلة أسري به إلى بيت المقدس، قال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي شجرة الزقوم».

من فوائد الحديث:

١- أن الإسراء والمعراج بالنبي محمد ﷺ كان بروحه وجسده، في جزء من ليلة واحدة، من غير أن يشعر بغيابه أحد.

٢- معجزة الإسراء والمعراج كانت اختبارًا للمسلمين؛ فقد ارتدّ منهم نفر كذبوا رسول اللَّه ﷺ وأما المشركون فزادوا في غيِّهم.

٣- أن الإسراء والمعراج معجزة خاصة بالنبي محمد ﷺ، ولم تكن لغيره من الأنبياء.

٤- كانت الرحلة مرحلة فاصلة في التاريخ الديني للأمم، بانتقال القيادة الدينية من أمة بني إسرائيل نسل إسحق إلى نسل إسماعيل في أمة محمد، ومن بيت المقدس إلى مكة المكرمة.

٥- هي إعلان وإعلام بانتقال ميراث الرسل جميعًا إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ صاحب الرسالة الممتدة والخاتمة لهم جميعًا عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٦- هي إعلان وإعلام للمشركين ومن سكن بيت المقدس من النصارى حينها أنها ميراث نبوي لمحمد ﷺ ومن تبعه، وأنهم

قادمون لاستلام مفاتيحها ولو بعد حين، وكان ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٧- أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح يقظة ولو كان رؤيا في المنام لما كان فيه فضل ولا فضيلة ولا توصف بالمعجزة.

٨- وقت الإسراء ليلًا دون النهار حكمة يجب التأمل بها.

٩- إنكار حادثة الإسراء كفر باتفاق.

١٠- إيمان أبي بكر رضي الله عنه ، وثقته المُطلَقة بالنبي ﷺ وثباته على المبدأ، دون أن يزعزه شيئ كانت سببًا لوصفه تشريفًا له بالصديق.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث التاسع

النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَخْتَارُ الْفِطْرَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ليلةَ أُسريَ بي، وفي رواية: (به بإيلياء)[١] رأيتُ موسى، وإذا هو رجلٌ، ضَرْبٌ رَجِلٌ كأنهُ مِن رِجالِ شنُوءَة، ورأيتُ عيسى، فإذا هو رَجلٌ رَبعةٌ أحمرُ، كأنما خَرج من ديماس، وأنا أشبَه ولدِ إبراهيم به. وفي رواية: (قال: ورأيت إبراهيم صلوات اللَّه عليه، وأنا أشبه ولده به)[٢]، ثُمَّ أُتيتُ بإناءيْنِ. فِي أحدهما لَبَنٌ وفي الآخَر خَمْرٌ، فقال: اشرب أيَّهما شئْتَ، فأخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتهُ، وفي رواية: (فنظر إليهما فأخذ اللبن، قال جبريل: الحمد للَّه الذي هداك للفطرة»[٣]، فَقيلَ: أخذتَ الفِطرةَ، أما إنَّكَ لَو أخذت الْخَمْرَ غَوَتْ أمَّتكَ»[٤].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٨/ ٤٩٧).
(٢) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة (٢٧٢).
(٣) أخرجها البخاري، عن أبي هريرة (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، بهذا اللفظ، ومسلم (١٥٤)، وأحمد (٧٧٧٦) والترمذي (٣٠٠)، وقال: «حسن صحيح».

شرح الحديث:

يجلي لنا النبي محمد ﷺ في هذا الحديث مشهدًا من أبرز مشاهد زيارته لبيت المقدس وفيه استعرض لُقيا بعضٍ من أنبياء اللَّه عيانًا بأشخاصهم وأوصافهم الحقيقية، وفيها قدمت له ضيافة كانت تخييرًا له بين الخمر واللبن، كاختبار له ﷺ ، فاختار اللبن كعلامة وإشارة إلى الإسلام الهادي إلى الفطرة السليمة، وكل ذلك على مشهد من أنبياء اللَّه وحضورهم هذا الترشيح التاريخي لمحمد ﷺ ، وباختياره فطرة الإسلام في بيت المقدس، والحمد للَّه رب العالمين على نعمة الإسلام.

قوله: (ليلةَ أُسريَ بي): السّيْر بالليل[١]. وقد سبق التفصيل فيه.

قوله: (رأيتُ موسى وإذا هو رجلٌ ضَرْبٌ): بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة أي نحيف[٢] قال القاضي عياض : هو الرجل بين الرجلين في كثرة اللحم وقلته[٣].

قوله: (رَجِلٌ): بفتح الراء وكسر الجيم أي دهين الشعر ومسترسله ومسرحه ومنظفه ومحسنه، وقال ابن السكيت: شعر رجل أي غير جعد. وهو بالرفع على القطع، أي: هو رجل، وعند الأصيلي

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤٢٨).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٢١ -٥٢٢).
(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٣١).

بالرفع والخفض، ووجه الخفض أن الرَّجلَ غير السَّبط، قال صاحب مرآة الزمان: الجيم ساكنة من (رجل الشعر) وحكى الجوهريُّ عن ابن السكيت لغتين غير هذه: أحدهما: بفتح الراء وكسر الجيم. والثانية: فتح الراء والجيم، أي: لم يكن شديد الجعودة ولا سَبِطًا[١].

قوله: (كأنهُ مِن رِجالِ شنُوءَة): بالفتح، ثم الضم، وواو ساكنة، ثم همزة مفتوحة، وهاءٍ، أي في طوله وسمرته، وشنوءة قبيلة من قحطان. وهي مخلاف باليمن بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخًا، تنسب إليها قبائل من الأزد[٢]. وقيل هو حيّ من اليمن ينسبون إلى شنُوءَةَ، وهو عبد اللَّه بن كعب بن عبد اللَّهِ بن مالك بن نضر بن الأزد ولُقِّب شَنُوءَة لشنآن كان بينه وبين أهله[٣]، وهي لغة: التباعد عن الأدناس، أو رجل فيه شنوءة أي تفرق، ويقال: لأنهم تشانؤوا وتباعدوا[٤]. وقيل: لُقِّبوا بذلك لطهارة نسبهم وحسن سيرتهم[٥].

غير أن البخاري روى في موضع آخر لفظة أخرى وصف بها موسى

---

(١) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٧٦١)، ت: يحيى بن محمد الحكمي. ولسان العرب: رجل.

(٢) انظر «معجم البلدان» ياقوت الحموي (٣/ ٤١٨).

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري (١٠/ ٩٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢٦).

(٥) شرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ١٦٥).

عليه السلام: «وأما موسى فآدم جسيم سبط، كأنه من رجال الزُّط»[(١)]، وهي كذلك قبيلة من اليمن، يقال لهم: أزد شنوءة.

وبذلك يكون النبي ﷺ رأى موسى في رحلته هذه ثلاث مرات: في قبره عند الكثيب الأحمر، كما جاء في حديث أَنَس بن مالك؛ أَنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»[(٢)]. والثانية: في المسجد الأقصى لما صلى بهم النبي ﷺ إمامًا. والثالثة: في السماء، وممكن أن تكون هناك رؤية رابعة على اعتبار أنه ﷺ صلى في المسجد الأقصى مرتين: مرة قبل عروجه إلى السماء، والثانية بعد عودته من السماء.

قوله: (ورأيتُ عيسى فإذا هو رَجلٌ رَبعةٌ): رجل ربعة: بفتح الباء، وإسكانها، ومربوع أي بين الطويل والقصير.

قوله: (أحمرُ): وصف عيسى عليه السلام في هذا الحديث أنه «أحمر» وفي حديث آخر أنه «آدم» وقد وفق ابن حجر[(٣)] رحمه الله بين الروايتين فقال: الأحمر عند العرب الشديد البياض، والآدم الأسمر، ويمكن الجمع

---

(١) الزط: جنس من السودان، كذا رواه البخاري عن محمد بن كثير في حديث مجاهد عن ابن عمر. انظر: مصابيح الجامع، الدماميني (٧/ ١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٥).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١/ ٤٨٦).

بين الأمرين بأنه أحمر لونه بسبب التعب، وهو في الأصل أسمر.

وقد روى البخاري عن ابن عمر أنه أنكر رواية أحمر، وحلف أن النبي ﷺ لم يقله يعني وأنه اشتبه على الراوي، فيجوز أن يتأوَّل الأحمر على الآدم، ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة بل ما قاربها. واللَّه أعلم[(١)].

غير أن الشيخ ناصر الدين الألباني[(٢)] يرى أن: الأحمر هو الأشقر، وآدم يعني أسمر، وأنه ليس المراد حقيقة الأدمة والحمرة، بل ما قاربهما، واللَّه أعلم.

وللشيخ محمود عطية توفيق آخر بين الروايتين، قال: «رأى رسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء عيسى عليه السلام يقظة، ورآه يطوف بالكعبة منامًا، وفي هذه الحالة، فإن وصف رسول اللَّه ﷺ لعيسى عليه السلام يقظة مقدم على وصفه له منامًا»[(٣)].

قلت: غير أني أفهم أن رؤيا الأنبياء حق، وأن ما أشار له الشيخ عطية يفهم منه أن ما رآه النبي ﷺ في المنام مشكوك فيه ملتبس عليه، غير أن النبي ﷺ لم يشر إلى هذا الالتباس أو شكَّ في الحالتين وما ذهب إليه ابن حجر قريب من المعقول، واللَّه أعلم.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٩٨-١٩٩).

(٢) قاله معلقًا في مختصر صحيح مسلم على حديث (٧٨).

(٣) فقد جاء أشراطها، محمود عطية (١٠٩)، طبعة دسمان ومكتبتها.

قوله: (كأنما خَرج من ديماس): الديماس: بفتح الدال وكسرها: الحمام بلغة الحبشة، أراد إشراقة لونه ونضارته، وقال الخطابي: الديماس: السَّرَبَ[١] يقال دمست الرَجُلَ إذا قبرتُه وأراد نضرة وجهه وحسنه كأنه خرج من كِنٍّ. وقال الجوهري: لأنه قال في وصفه: كأن رأسه يقطر ماء[٢].

وذكر صاحب المطالع الأقوال الثلاثة فيه فقال: الديماس: قيل هو السرب، وقيل الكن، وقيل الحمام، هذا ما يتعلق بالديماس. وأما الحمام فمعروف وهو مذكر باتفاق أهل اللغة. واللَّه أعلم[٣].

قوله: (وأنا أشبَه ولدِ إبراهيم به): وفي رواية أخرى قال: «ورأيت إبراهيم صلوات اللَّه عليه، وأنا أشبه ولده به»، أي الخليل عليه السلام، وزاد مسلم من رواية أبي الزبير عن جابر: «ورأيت جبريل فإذا أقرب الناس به شبهًا دحية».

قوله: (ثُمَّ أُتيتُ بإناءيْنِ فِي أحدهما لَبَنٌ وفي الآخَر خَمْرٌ فقال: اشرب أيَّهما شئْتَ، فأخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتهُ، فَقيلَ: أخذتَ الفِطرةَ): «أخذتَ الفطرةَ»: أي هُديَ الى الفطرة، التي فُطر الناس عليها، وفسّروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة[٤].

---

(١) السرب: جحر الوحشي، والحفير تحت الأرض. القاموس المحيط «س ر ب».
(٢) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي.
(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ٣٧٤).
(٤) شرح مصابيح السنة، البغوي، (٦/ ١٦٨).

قوله: (أما إِنَّكَ لَو أخذت الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتكَ): أما: كلمة تنبيه. إنّك: بكسر الهمزة «لو أخذت الخمر» بدل اللبن. غوت: أي ضلَّت، فإنَّ الخمر لكونها ذات تلف ومفسدة صيغ منها مثال الغواية وما يفسد الروحانية»[(١)].

غوت: والتغاوي هو التجمع والتعاون على الشر، وأصله من الغواية أو الغي[(٢)]. و(الغَيُّ) الضلال والخيبة أيضًا[(٣)].

وجاء في رواية أخرى من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الذي جاء وقدم له هذه الضيافة هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، وجاء في رواية أخرى أنه عرض على النبي ﷺ مرة في السماء آنية فيها لبن وعسل أو لبن وماء أو لبن وخمر، ولا أظن أن في ذلك تناقضًا بل هو ترحيب وضيافة للنبي ﷺ يستحقها حيث حلّ، كان في السّماء أو في بيت المقدس، وفيه تأكيد على استقامة الفطرة التي اختارها النبي ﷺ في الأرض وفي السماء، واللَّه أعلم.

قال الألباني[(٤)]: كذا وقع في هذه الطريق ذكر الإناءين هنا قبل

---

(١) شرح مصابيح السنة، البغوي، (٦/ ١٦٨).

(٢) غريب الحديث، الهروي (٣/ ٤٣٠)، دار الكتاب العربي- بيروت، ت: محمد عبد المجيد خان.

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٨٥).

(٤) كتاب الإسراء والمعراج (ص ٢١).

المعراج ووقع في الطريق المتقدمة[١]، بعد المعراج عند سدرة المنتهى ولكل منهما شواهد ذكرها في (الفتح) (١٠/ ٧٣).

وجعل اللبن علامة - على الفطرة - لكونه سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين سليم العاقبة. وأما الخمر فإنها أم الخبائث، وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل. واللَّه أعلم[٢].

من فوائد الحديث:

١- اختيار النبي ﷺ للَّبن، هو تأكيد على استقامة وسلامة فطرته ونجاحه في هذا الاختبار.

٢- وفي الحديث دليل على بشرية أنبياء اللَّه وأن لهم أطوالًا وألوانًا وشبهًا بسائر البشر وقبائلهم.

٣- جعل الخمر علامة على الفطر المنتكسة وعلى سائر الفواحش والخبائث.

٤- كان من تشريف النبي ﷺ واحترامه أن قُدِّمت له الضيافة في المسجد الأقصى وفي السماء.

٥- كان المسجد الأقصى منبر تدشين مشروع الإسلام للعالمين، وبحضور أنبياء اللَّه أجمعين.

---

(١) كتاب الإسراء والمعراج (١٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٣-١٨٤).

الحديث العاشر

النَّبِيُّ مُحَمَّد ﷺ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لقد رأيتُني فِي الحِجْرِ وقُرَيشٌ تسْألُني عن مَسرَاي، فَسَألَتْنِي عن أشياءَ من بيتِ المقدِسِ لم أثبِتْها؛ فَكُرِبْتُ كُرْبةً مَا كُرِبْتُ مثله قطُّ. قال: فَرفعَهُ اللَّه لِي أَنْظرُ إلَيه.

ما يسْألُونِي عن شَيءٍ إلا أنْبَأتهمْ به، وقَد رأَيتُني في جَمَاعَةٍ من الأنبياءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ، كأَنهُ مِنْ رجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْربُ النَّاسِ به شَبَهًا عُروةُ بْنُ مَسعُود الثَّقَفيُّ وَإِذَا إِبراهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَشبهُ النَّاسِ به صَاحبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحانَت الصَّلَاة، وفي رواية: (ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِيَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ..)[1] فَأممتُهُمْ. وفي رواية: (فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا

(١) أخرجها النسائي في سننه (٤٥٠)، عن أنس رضي الله عنه.

النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ)[١] فَلَما فَرَغْتُ من الصلاةِ قال قائلٌ: يَا مُحَمدُ! هذا مالكٌ صَاحبُ النارِ، فسَلِّمْ عليه، فَالْتَفَتُّ إليه فبدَأَني بالسلامِ»[٢].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

شرح الحديث:

لقد جذَّر اللَّه جلَّ في عُلاه قُدسيَّة المسجد الأقصى في قلوب أتباع شرائعه السماويَّة السابقة، يحملها كلُّ خَلَفٍ عن سلَفِهِ عقيدةً صافيةً سليمةً من الكفر باللَّه أو عِنادِه أو معصية أنبيائِه، في سلسلةٍ من المؤمنين تَتْرا تؤمن بقدسيَّتِه، يقودهم نبيٌّ تلو الآخر إلى ذات الهدف، حتى استقرَّ أمر خلافته ﷺ ببسط شريعته في المسجد الأقصى لما كان إمامًا للأنبياء فيه ليلة الإسراء والمعراج، خاتِمًا بها ما سبق من رسلٍ ورسالاتٍ، إقرارًا لصبغته الإسلامية ولإمامة محمد ﷺ وأمته على المسجد الأقصى، ولم يجتمع الأنبياء على الأرض في غير هذا المكان، بعد أن أحيى اللَّه الرسل والأنبياء، فازداد المسجد الأقصى مكانة وتشريفًا، في أعظم جمع ومناسبة سجلها التاريخ.

---

(١) أخرجها أحمد، عن ابن عباس (٢٣٢٤) تحقيق أحمد شاكر.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢) وأحمد (١٠٨٤٢) والنسائي في الكبرى (١١٢٢٠) و(١١٤١٦).

قوله: (لقد رأيتُني فِي الحِجْرِ): أي نفسي وأنا في الحجر، ويسمى الحجر كذلك حطيمًا: سُمِّي لما حُطِمَ من جداره، فلم يُسوَّ ببناء البيت[(١)].

قوله: (وقُرَيشٌ تسْألُني عن مَسرَاي): أي جماعة من قريش تسأل عن مسيري إلى بيت المقدس.

قوله: (فسألتني عن أشياءَ من بيتِ المقدِسِ لم أثبِتْها): منَ الإثباتِ أي لم أحفظها، ولم أضبطها ولم أنتبه إليها لاشتغالي بأمورٍ أهمَّ منها.

قوله: (فَكُرِبْتُ كُرْبةً مَا كُرِبْتُ مثله قطُّ): الكُرْبة: بالضم، أَي: أُحزِنتُ حزنًا شديدًا، يسد النفس بشدته[(٢)]، وأخذني الغمّ الذي يأخذ بالنفس، وفي رواية عن ابن عباس: (فظعت)، فظعت: أي اشتد علي وتعبت[(٣)].

قوله: (مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ): أي: مثل ذلك الكربِ.

قوله: (فرفعَهُ اللَّه لِي أَنْظرُ إِلَيه ما يسْألُونِي عن شَيءٍ إلا أَنْبَأْتهمْ به): «فَرَفَعَهُ اللَّهُ» أَي: بيتَ المقدسِ (لِي) أَي: لِأَجلِي (أَنْظُرُ إِلَيْهِ)، حالٌ،

---

(١) كما جاء في حديث الإسراء الطويل الذي يرويه، مالك بن صعصعة، أخرجه البخاري (٧/ ١٦٢)، عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا في الحطيم مضطجعًا إذ أتاني آت...» شرح السنة، البغوي (١٣/ ٣٤٢).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البغوي (٣/ ٤٩٦).

(٣) الفتح الرباني (٢٠/ ٢٦٢)، وجاء في المجمع (١/ ٦٤) (فضعت).

أي رُفعَ الحجابُ بيني وبينهُ لأنظر إليه، وأخبر الناس بما اطّلعتُ عليه[١].

وفي رواية: «فجيء بالمسجد وأنا أنظر»: وفي رواية: «ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»، وفي رواية عن ابن عباس: «فجيء بالمسجد وأنا أنظر، حتى وضع دون دار عقال أو عقيل[٢]، فنعتُّه وأنا أنظر إليه» ويفهم منه أن اللَّه جاء بالمسجد على الحقيقة، وإن لم يكن قد أحضره فعلًا فيمكن أنه جاء بصورته.

قال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن يريد أنه حُمل إلى أن وُضع بحيث يراه ثم أُعيد، وهذا أبلغ في المعجزة، ولا استحالة فيه، فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يقتضي أنه أُزيل من مكانه حتى أُحضر إليه، وما ذاك في قدرة اللَّه بعزيز»[٣].

قلت: ويحتمل أن اللَّه لم ينقله ولم يصوره، بل زوى له الأرض فرآه مكانه، كما زوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها كما في الحديث.

وأيًّا كانت الطريقة التي تعرف بها النبي ﷺ على وصف المسجد

---

(١) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٨٠٦)، ت: يحيى بن محمد الحكمي وشرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ٢٨٩).

(٢) عَقيل: بفتح العين. (التوضيح لشرح الجامع الصحيح)، ابن الملقن (٢/ ١٠٩).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٢٤٠).

الأقصى إلا أن اللَّه عز وجل دحض معاذير قريش بما أوضح لهم من دلالة صدقه ﷺ.

وكل ما سبق كان هو عين التأييد والنصر من اللَّه لعبده محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وجاء في بعض الآثار أن الذي اقترح على النبي ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس هو المطعم بن عدي ، كما أخرجه أبو يعلى من حديث أم هانئ .

قوله: (وقَد رأَيتُني في جَمَاعَةٍ من الأنبياءِ): وقد اختلف البعض في حال الأنبياء عند ملاقاة النبي ﷺ في المسجد: هل أُسرِي بأجسادهم إلى المسجد وأرواحهم مستقرة حيث رأى كلا منهم في السماء؟ غير أن ابن حجر يرى أنه يجوز «أن يكون لروحه اتصال بجسد الأرض، فلذلك يتمكن من الصلاة وروحه مستقرة في السماء[(١)]. لكن وصفه ﷺ لصلاتهم وهيئاتها وأجسادهم البشرية الخاصة بكل واحد منهم دليل أن جمعهم بأجسادهم وأرواحهم وليس هو بالأمر البعيد أو المستحيل على اللَّه أن يجمعهم من قبورهم.

قوله: (فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي): قال ابن القيم[(٢)]: «إن اسم موسى

---

(١) انظر بتوسع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٢١٢).
(٢) انظر مشكورًا كتاب جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية (١١٣).

في اللغة العبرانية موشى بالشين، وأصله الماء والشجر وبأنهم يقولون للماء: «مو» و«شا» هو الشجر، وموسى التقطه آل فرعون من بين الماء والشجر، وأما ماهية الصلاة التي كان يصليها موسى وحقيقتها وكيفيتها، فقد قال القاضي عياض: «قد تكون الصلاة هنا بمعنى الذكر والدعاء وهي من أعمال الآخرة»[١].

ومن جميل ما قال الحنبلي في «أنسه» عن صلاة موسى في قبره: «وأما صلاته في قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الإكرام والتشريف؛ لأن الأنبياء عليهم السلام حبب إليهم في الدنيا عبادة اللَّه تعالى والصلاة، فكانوا يلازمون ذلك وتوافقوا عليه فشرفهم اللَّه تعالى بإبقائهم على ما كانوا يصنعون ويحبون فعله في الدنيا ، فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها»[٢]. واللَّه أعلم.

قال القاضي: «فإن قيل: كيف رأى موسى عليه السلام يصلي في قبره، وصلى النبي ﷺ بالأنبياء ببيت المقدس، ووجدهم على مراتبهم في السماوات وسلموا عليه ورحبوا به؟ فالجواب أنه يحتمل أن تكون رؤيته موسى في قبره عند الكثيب الأحمر كانت قبل صعود النبي ﷺ إلى السماء وفي طريقه إلى بيت المقدس، ثم وجد موسى قد سبقه إلى السماء. ويحتمل أنه ﷺ رأى الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد، ومعه بلوغ الأماني للساعاتي (١٠٤/ ٢٠).
(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الحنبلي (١/ ١٠٣).

عليهم وصلى بهم على تلك الحال لأول ما رآهم ثم سألوه ورحبوا به، أو يكون اجتماعه بهم وصلاته ورؤيته موسى عليه السلام بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى. واللَّه أعلم»[(١)].

قوله: (فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ): أي: نوع وسط من الرّجال أو خفيفُ اللحم. الممشُوق المُستَدِقّ[(٢)]. وهي وما يليها صفة هيئة موسى عليه السلام.

قوله: (جَعْدٌ): فيه معنيان. أحدهما: جُعودَةُ الجسم، وهو اجتماعُه. والثاني: جعُودَةُ الشَّعر، والأول أصح هاهنا لما جاء في رواية أبي هريرة: أنه «رَجِلُ الشَّعر» كذا قاله صاحب التحرير، وقال النووي: يجوز أن يراد به المعنى الثاني أيضًا؛ لأنه يقال: شعرٌ رَجِلٌ إذا لم يكن شدِيدَ الجُعودة[(٣)].

قوله: (كأَنهُ مِنْ رجَالِ شَنُوءَةَ): أي في الطول، وسبق التعريف بشنوءة.

قوله: (وَإِذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ به شَبَهًا عُروةُ بْنُ مَسعُود الثَّقَفيُّ): أي شاهد عيسى عليه السلام على هيئته الحقيقية وهو يصلي، وعروة صحابي جليل ينسب إلى قبيلة ثقيف

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٢٠٣-٢٠٤).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٥٤١).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري (٩/ ٣٧٧٣).

أكثر الناس «شبهًا» - بِفَتحتين - أي نظيرًا وشبيهًا بعيسى عليه السلام.

قوله: (وَإِذَا إِبراهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي أَشبهُ النَّاسِ به صَاحبُكُمْ «يَعْنِي نَفْسَهُ»): وكذا إبراهيم يصلي صلاة حقيقية وشاهده على صفته الحقيقية وقد بين النبي ﷺ أن أقرب الناس شبهًا بإبراهيم هو نبينا محمد ﷺ. وقوله: «يعني نفسه» هو من كلام وتوضيح أبي هريرة رضي الله عنه، ونلحظ هنا أن الأنبياء صلوا صلاة قبل صلاتهم مع النبي ﷺ وكأنها تحية للمسجد.

قوله: (فَحانَت الصَّلَاة): دخل وقتها، ولعل المراد بها صلاة التحية، أو يراد بها صلاة المعراج على الخصوصية[١].

ويبدو واللَّه أعلم أنه ليس ثمة صلاة مفروضة دخل وقتها في شريعة محمد ﷺ لأنه أسري وعرج به ليلًا، فقد تكون لمناسبة خاصة كالمعراج ونحوه وإذا كانت بعد معراجه فيحتمل أن تكون هي مما فرض عليه من صلاة أدى بعضها مع الأنبياء إقرارًا منهم عليهم السلام بما كلف به من شريعة خاصة وخاتمة جاء بها لأتباعه.

كالإقرار بشريعة محمد وصلاة الجماعة التي خُصَّت بها شريعته؛ كما جاء عند العراقي نحو ذلك: «صلاة الجماعة من خصائص هذه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٩/ ٣٧٧٤)، دار الفكر- بيروت.

الأمة وكانت الأمم المتقدمة يصلون منفردين»[(١)].

و يبدو أنه أول عهد النبي ﷺ بالمسجد الأقصى وقبل عروجه إلى السماء، وأن الصّلاة التي صلاها كانت ركعتي تحية المسجد، واللَّه أعلم.

قوله: (فَأَممتُهُمْ): أي صِرتُ لهم إمامًا وكنتُ لهم إمامًا. قال عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ثبت في حديث الإسراء: أنه ﷺ اجتمع بالأنبياء في السموات وفي بيت المقدس وصلى بهم، ولا يبعد أن اللَّه تعالى أحياهم كما أحيا الشهداء[(٢)].

وفي حديث ابن عباس[(٣)] قال: «فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ المسجِدَ الأَقصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ...»، وفي حديث أنس[(٤)] عن النبي ﷺ أنه قال: «ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِيَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ».

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٢/ ١١٢)، دار الفكر العربي.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٤٨٦)، وزارة الأوقاف في دولة قطر، ت: دار الفلاح - مصر.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٢٤).

(٤) أخرجه النسائي (٤٥٠).

قال ابن كثير في «تفسيره» في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]: وهو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جُمِعوا له هناك كلهم، فأمَّهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم صلوات اللَّه وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

هل صلى النبي ﷺ إمامًا بالأنبياء قبل عروجه أو بعد عروجه إلى السماء؟

قال ابن حجر: «والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كانت قبل العروج، واللَّه أعلم»[(١)].

قال الشيخ شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، في تعليقهما على قصة إسراء النبي ﷺ في، «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٣١): «استظهر الحافظ في «الفتح» أن صلاته بهم كانت قبل العروج بينما يرى ابن كثير أن الصحيح: أنه كان صلى بهم في بيت المقدس بعد عروجه».

«ويحتمل أنه ﷺ رأى الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم وصلى بهم على تلك الحال لأول ما رآهم ثم سألوه ورحبوا به، أو يكون اجتماعه بهم وصلاته ورؤيته موسى بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى. واللَّه أعلم»[(٢)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٢٠٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ٢٠٣-٢٠٤).

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمشهور في «الصحاح» أن جبريل كان يعلمه بهم أولًا، ليسلم عليهم سلام معرفة، وفيه أنه ﷺ اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السماوات، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه، وصلى بهم في السماوات، وصلى بهم فيه، ثم إنه ركب البراق، وكر راجعًا إلى مكة. واللَّه أعلم»[(١)].

وأن صلاته بالأنبياء كانت بعد معراجه من السماء بعد أن فرضت الصلاة، واللَّه أعلم، ولم يصلِّ ﷺ في طريقه في مكان آخر كما جاء أنه صلى في بيت لحم أو غيرها من أماكن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنبي ﷺ ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره. وأما ما يرويه بعض الناس من حديث المعراج أنه صلى في المدينة، وصلى عند قبر موسى وصلى عند قبر الخليل، فكل هذه الأحاديث مكذوبة موضوعة»[(٢)].

وأما صلاته ابتداء في المسجد - أي - قبل العروج فهي سنة دخول المسجد مع أن النبي ﷺ لم تفرض عليه الصلوات الخمس بعد، لكنها وعلى ما يبدو هي وهيئتها كانت شريعة من قبلنا من الأنبياء واللَّه أعلم.

---

(١) الإسراء والمعراج، الألباني (ص٩٣)، المكتبة الإسلامية - عمان.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٩).

قوله: (فَلَما فَرَغْتُ من الصلاة): فَرَغَ: من الشغل[١]. أي انتهى من إتمام الصلاة.

قوله: (قال قائلٌ: يَا مُحَمدُ! هذا مالكٌ صَاحبُ النارِ فسَلِّمْ عليه. فَالْتَفَتُّ إليه فبدَأَني بالسلام): مالك: خازن النار، ولما كان مالك خازن النار كان ابتداره بالسلام على النبي ﷺ طمأنة له وترحيبًا به ضيفًا على السماء وأهلها، وكأنه نوع إشارة أن النبي ﷺ محفوظ من النار وأهلها.

في أي جزء من المسجد الأقصى صلى محمد ﷺ بالانبياء؟

«صلّى النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في صدر المسجد الأقصى، وتحديدًا في الجهة الجنوبية منه، وقد عرفنا ذلك من الروايات الكثيرة في فتح عمر بن الخطاب لبيت المقدس، فعن عبيد اللَّه بن آدم، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول اللَّه، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء، فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس»[٢].

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٠٠).

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٦).

من فوائد الحديث:

١- فيه ربط بين رسالات التوحيد زمانًا ومكانًا، من لدن إبراهيم إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وربط بين الأماكن المقدسة التي ارتادها قبله إبراهيم ومن جاء بعده متنقلًا بين الشام وجزيرة العرب.

٢- صلاته بجميع الأنبياء في المسجد الأقصى لم تكن وقت صلاة مكتوبة وليس عليهم صلاة مفروضة، إنما هي حكم تجلت في موقف مشهود، وعلى العاقل أن يتأمل.

٣- «قوله: فَأَمَمْتُهُمْ» فيه إشارة إلى تولي محمد ﷺ وأمته زمام قيادة الأمم والبشرية وبحضرة وقبول جميع الأنبياء واللَّه أعلم.

٤- ومنه كان معراج النبي ﷺ إلى حيث أكرمه اللَّه تعالى فأراه من آياته الكبرى، ورفعه إلى سدرة المنتهى في السماوات العلى حيث فرضت الصلاة على المسلمين، خمس صلواتٍ في كل يوم وليلة بأجر خمسين صلاة، تخفيفًا على العباد، وكرمًا بالأجر والثواب من الكريم التواب.

٥- وحادثة الإسراء شاهدة على أن بيت المقدس للمسلمين، ومكانته ثابتة في قلوبهم، وفيها إعلان وراثة الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين والناسخ بشريعته سائر شرائع النبيين والمرسلين.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث الحادي عشر

الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُجَلَّى لِلرَّسولِ ﷺ فِي مَكَّةَ لِيَصِفَهُ لِقُرَيْش

عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما، قال أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَمَّا كذَّبَتني قُريشٌ، وفي رواية: (حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ)[١]، وفي رواية: (البيت المقدَّس)[٢]، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، وفي رواية: (لقد رأيتُني فِي الحِجْرِ وقُرَيشٌ تسْأَلُني عن مَسرَاي، فسألتني عن أشياءَ من بيتِ المقدِسِ لم أثبِتْها؛ فَكُرِبْتُ كُرْبةً مَا كُرِبْتُ مثله قطُّ)[٣]، وفي رواية: (فظعت)[٤]، وفي رواية: (وقريش تسألني عن مسراي)[٥]، وفي رواية عن أم هانئ: (قالوا له: كم للمسجد من

---

(١) أخرجها البخاري (٣٨٨٦، ٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠)، وأحمد وبرقم: (٣/ ٣٧٧)، والبغوي (٣٧٦٢).

(٢) أخرجها أحمد، عن جابر بن عبد اللَّه (١٥٠٣٤٥)، وانظر فضائل البيت المقدس للواسطي ومثله لابن الجوزي، وكلاهما بتحقيق عمرو عبد العظيم، وقال عنه إسناده صحيح.

(٣) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة (١٧٢).

(٤) أخرجها أحمد، عن أبي هريرة (٢٨٢٠) والنسائي في الكبرى (١١٢٨٥)، والطبراني (١٢٧٨٢).

(٥) أخرجها مسلم، عن ابن عباس (٢٧٨)، وللفائدة انظر كتاب الإسراء والمعراج، للألباني (ص٨).

باب؟ قال: ولم أكن عددتها، فجعلت أنظر إليه وأعدها بابًا بابًا)[١]، **فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ**، وفي رواية: (فرفعه اللَّه لي أنظر إليه)[٢]، وفي رواية: (فجيء بالمسجد وأنا أنظر، حتى وضع دون دار عقال - أو: عَقيل - فنعتُّه وأنا أنظر إليه)[٣]، وفي رواية: (فخيل لي بيت المقدس)[٤] **فَطفِقْتُ أُخبِرُهُم عن آياتِهِ، وأنا أنظُرُ إليهِ**، وفي رواية: (ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به)[٥]، وفي رواية: (فقال القوم: أما النعت، فواللَّه لقد أصاب)[٦]»[٧].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث السادس.

---

(١) أخرجها ابن سعد، في الطبقات الكبرى (١/ ١٨٣)، وانظر شرحه في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٠).

(٢) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة ﷺ (٢٧٨) وللفائدة انظر كتاب الإسراء والمعراج، للألباني (ص٨).

(٣) أخرجها أحمد، عن ابن عباس ﷺ (٢٨١٩)، وانظر كتاب الإسراء والمعراج للألباني (ص٨٢).

(٤) أخرجها ابن سعد، عن أم هانئ، في الطبقات الكبرى (١/ ٦٧).

(٥) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة ﷺ (٢٧٨) وانظر كتاب الإسراء والمعراج، للألباني (ص٨).

(٦) من حديث ابن عباس ﷺ، راجع كتاب الإسراء والمعراج للألباني، (ص ٨٢).

(٧) أخرجه البخاري (٣٨٨٦ و٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠).

سبب ورود الحديث:

جاء في حديث آخر عن ابن عباس الحال والمكان والأشخاص الذين دار معهم الحوار الخاص بوصف النبي ﷺ للمسجد الأقصى ورحلته إليه.

عن ابن عباس، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا كانَ لَيلَةُ أُسرِيَ بي، وأَصبَحتُ بِمكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وعَرَفتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلسَ إِليهِ، فَقال لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هل كانَ من شَيْءٍ؟ فَقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَم قال: ما هُوَ؟ قَالَ: إِنَّهُ أُسريَ بي اللَّيلَةَ. قال: إِلى أَينَ؟ قال: إِلى بَيتِ المقدِسِ؟ قال: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قال: نعم قال: فَلَم يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ، مَخَافَةَ أَن يَجْحَدَهُ الحدِيثَ إِن دَعا قَوْمَهُ إِلَيهِ، قال: أَرَأَيتَ إِن دَعَوتُ قَومَكَ تُحَدِّثُهُم ما حدَّثْتَنِي؟ فقال رسُول اللَّهِ ﷺ: نَعَم. فقال: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعبِ بن لُؤَيّ حتَّى قال: فانْتَفَضَت إِلَيهِ المجالِسُ، وجَاؤُوا حتَّى جَلَسُوا إِلَيهِما، قال: حَدِّث قَومَكَ بما حدَّثْتَنِي. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أُسرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قالوا: إِلى أَين؟ قال: إِلى بَيْتِ المقدِسِ، قالوا: ثُمَّ أَصبَحتَ بَين ظَهْرَانَيْنَا؟ قال: نعم قال: فَمِن بَينِ مُصَفِّقٍ، ومِن بَينِ واضِعٍ يَدَهُ عَلى رَأْسِهِ، مُتَعَجِّبًا لِلكَذِبِ زَعَمَ قالُوا: وهل تَستَطِيعُ أن تَنْعَتَ لنا المسجِدَ؟ وفي القوم من قَد سافَرَ إِلى ذَلِكَ البَلَدِ، ورَأَى المسجِدَ،

فقال رسول اللَّهِ ﷺ: فَذَهَبتُ أَنْعَتُ، فما زِلتُ أَنْعَتُ حتَّى الْتَبَسَ عليَّ بعضُ النَّعْتِ، قَال: فَجِيءَ بالمسجِدِ وَأَنا أَنظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقالٍ أَو عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ، وأَنا أَنْظُرُ إِليهِ، قال: وكان مع هذا نَعتٌ لَم أَحفَظهُ قال: فقال القومُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لقد أَصابَ»[(١)].

شرح الحديث:

بوَّب البخاري هذا الحديث فقال: «باب حديث الإسراء، وباب ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]».

هذا الحديث يحكي حال النبي ﷺ مع قريش لما أخبرهم برحلة الإسراء ومالاقاه من معاناة وهمِّ إقناعهم بصدق ما جاء به من خبر، لكن اللَّه عاجله بالنصر والتأييد ولم يخذله بطريقة لم تخطر على بال النبي ﷺ ولم يعهدها هو ولا قومه ﷺ، لكنه وعد اللَّه حيث قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وإليكم الحكاية على لسان النبي ﷺ.

قوله: (لَمَّا كذَّبَتني: وفي رواية: «حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ») أي: كذَّبتني في أنه أسري بي إلى بيت المقدس في بعض ليلة، ونسبوني إلى الكذب فيما ذكرت من قضية الإسراء، وطلبوا مني علامات بيت المقدس دلالة على صدق دعواي في

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨١٩).

زيارة بيت المقدس هذه الليلة.

قوله: (قُريشٌ): ويبدو أن أول من تبادر لهم خبر إسراء النبي ﷺ، هم قريش وتحديدًا أبو جهل لذلك هو أول من بادره وسأله كما جاء في سبب الحديث أعلاه، وجاء عند أبي يَعلَى أن الذي سأله عن صفة مسجد بيت المقدس، هو المطعم بن عدي، والد جبير بن مطعم.

قوله: (قمتُ في الحِجرِ): بالكسر، اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة من قبل الشام. سمِّي حجرًا؛ لأنه حُجِرَ عنه بحيطانه، وفي رواية من حديث أبي هُريرة قال: «لقد رأيتُني فِي الحِجْرِ وقُرَيشٌ تسْأَلُني عن مَسرَاي»[(١)].

وجاء في بعض الروايات (بينما أنا في الحطيم)، والحطيم: هو الحِجر، وسمي حطيمًا، لأنه حُطِّمَ جداره عن مساواة الكعبة، فلعله ﷺ حكى لهم قصة المعراج مرات، فعبّر بالحطيم تارة، وبالحجر أخرى[(٢)].

ولما كان النبي متوكلًا على اللَّه حق توكله عالمًا بنصره وتأييده جاءه الفرج من اللَّه حتى جلَّى له المسجد الأقصى ينظر إليه، وصاحب «الإفصاح» وبتعبير يصف فيه المعجزة حال معاينة النبي محمد ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦ (٤٧١٠)، ومسلم (١٧٠)، والبغوي (٣٧٦٢).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٤٩٠).

معالم المسجد الأقصى لما رفع له فقال: «فلما رآه اللَّه سبحانه وتعالى قائمًا بأمره في المعنى، قائمًا بصورته في العيان، أدركه بقوته، فجلّى له بيت المقدس، وهو في الحجر، فشاهده ورأى آياته، فأخبر بها عن معاينة غضة، فهي أبلغ مما كان قد علم ﷺ حين دخله في النَّوْبَة الأولى أن قريشًا ستسأله، ويطوفه طواف مُسْتَثبت لآثاره، بل لما فوَّض إلى اللَّه عز وجل أتاه مبتغاه، وقت حاجته إليه، فجلّى له بيت المقدس وقت سؤالهم إياه، فجعل يخبرهم وهم لا يشاهدون»[(١)].

وفي رواية: «فسألتني عن أشياءَ من بيتِ المقدِسِ لم أثبِتْها»، لم ألاحظها، لم أنتبه إليها، لم أشاهدها على التعيين.

ومن ذلك ما جاء عن أم هانئ: «قالوا له: كم للمسجد من باب؟ قال: ولم أكن عددتها، فجعلت أنظر إليه وأعدها بابًا بابًا»[(٢)].

قوله: (فَجَلَّى اللَّهُ لِيَ بَيتَ المقدِسِ): روي بتشديد اللام وتخفيفها، ومعناه: كشف وأظهر[(٣)]. أي أظهره لي، وهو كقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٨/ ٢١٩).

(٢) أخرجه ابن سعد، في الطبقات الكبرى (١/ ١٨٣)، وانظر شرحه في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧/ ٢٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ٥١٣).

قوله: (فَطفِقْتُ أُخبِرُهُم): طفق، أي: أَخَذَ في الفِعل وجَعَل يَفْعَل، وهي من أفعال المُقارَبةِ[١] أخذت وشرعت في الوصف.

قوله: (عن آياتِهِ): الآية: العلامة والجمع (آيُ) و(آياتٌ)[٢]. أي: علاماته وأوضاعه وأحواله.

قوله: (وأنا أنظُرُ إليهِ): سبق شرحه في حديث الباب السابق.

من فوائد الحديث:

١- اعتمد النبي ﷺ في التدليل على صدقه بالأمر الملموس والمشاهد، وذلك من خلال التعريف بأوصاف المسجد الأقصى، وهو سبيل إلى التدليل على صدق قوله ﷺ لما وقع له في إسرائه ومعراجه، ويحتاج الداعية إلى ذلك أحيانًا ليخاطب به بعض العقول التي لا تؤمن إلا بالملموس.

٢- إن اللَّه تعالى رفع له بيت المقدس، وهو بمكة، فوصفه لقريش حتى عرفه منهم من كان قد شاهده، وإنما فعل اللَّه سبحانه ذلك تقوية له وتثبيتًا[٣].

٣- وفيه أيضًا أن كل مُحِقٍّ إذا أتى بالحق، ونطق بالصدق، فكذبه

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٥٦٥).
(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٧).
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٨/ ٢٨).

مكذب، فإن عون اللَّه عز وجل منه قريب، ونصره إياه سريع غير متراخٍ[(١)].

٤- وفيه أن اللَّه سبحانه وتعالى إذا أراد أن يجلِّي أمرًا عن امرْئٍ مؤمن صادق، كان ما بينه وبين أجرام الجبال والمفاوز والجدر عدمًا.

* * * * *

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٨/ ٢٢٠-٢٢١).

الحديث الثاني عشر

النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُو نَصَارَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِلْإِسْلَامِ

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أبا سُفيانَ رضي الله عنه أَخْبَرَهُ: (أنَّ هرَقْلَ أَرسلَ إليه وهم بإِيلياءَ، ثُمَّ دعا بكتَابِ رسُول ﷺ، فلمَّا فرغ منْ قرَاءة الكتَاب كثُرَ عندَهُ الصَّخَبُ، فارتَفعَت الأصوَات، وَأُخْرِجنَا.

فقُلتُ لأصحابِي حين أخرِجنَا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أَبِي كبْشَةَ إنَّهُ يخافهُ مَلِكُ بني الأَصْفَرِ)[1].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

عبد اللَّهِ بن عباس: أبو العباس، ابن عبد المطلب شيبةَ بن هاشم، واسمُه عمرُو بنُ عبدِ منافٍ بنِ قُصَيِّ بن كلَاب بن مُرة بن كعب بن لُؤي ابن غالب بن فِهر القرشي، الهاشمي، المكي، الأمير رضي الله عنه. مولده: بشعب بني هاشم، قبل عام الهجرة بثلاث سنين أو بسنتين. أمه هي: أم الفضل، أخت أم المؤمنين ميمونة، وهو ابن خالة خالد بن الوليد المخزومي.

وأولاده: الفضل، ومحمد، وعبيدُ اللَّه، ماتوا ولا عقبَ لهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٨) بهذا اللفظ، ومسلم (١٧٧٣).

ولبابة، ولها أولاد، وعقب من زوجها علي بن عبد اللَّهِ بن جعفر بن أبي طالب، وبنته الأخرى أسماء، وكانت عند ابن عمها عبد اللَّهِ بن عبيد اللَّهِ بن العباس، فولدت له: حسنًا، وحسينًا.

انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، قال عن نفسه وأمه: كنت أنا وأمي من المستضعفين؛ أنا من الولدان، وأمي من النساء.

هو حبرُ الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، كان أبيض، طويلًا، مُشربًا صُفرة، جسيمًا، وسِيمًا، صَبيح الوجه، له وفرة، يخضبُ بالحناء. صحب النبي ﷺ نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه. ودعا له النبي ﷺ بالحكمة.

روى عن: عمر، وعليّ، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلقٍ كثير.

قال عن نفسه: توفِّي رسول اللَّهِ ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة، وأنا خَتين.

قال علي بن المديني: توفيَ ابن عباس سنة ثمان وستين، أو سبع وستين. وقيل: عاش إحدى وسبعين سنة[١].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣ / ٣٣٣-٣٨٥).

وعدد أحاديثه: ألف وستّ مائة وستون حديثًا. وله من ذلك في (الصحيحين): خمسة وسبعون. وتفرد: البخاري له بمائة وعشرين حديثا، وتفرد: مسلم بتسعة أحاديث.

ترجمة الصحابي أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

هو صخرُ بن حربِ بن أمية الأموي ابن عبد شمسِ بن عبدِ منافِ بنِ قصي بنِ كلابٍ. رأسُ قريش، وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق. وله هَنَاتٌ وأمور صعبة، لكن تداركه اللَّه بالإسلام يوم الفتح، فأسلم شبه مكره خائف، ثم بعد أيام صلح إسلامه.

وكانَ من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، فشهد حُنينًا، وأعطاه صهرهُ رسول اللَّهِ ﷺ من الغنائم مائة من الإبل، وأربعين أوقية من الدراهم يتألفهُ بذلك.

وشهد قتال الطائف، فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكانَ يومئذ قد حسن إيمانه، فإنه كان يومئذ يحرضُ على الجهاد.

وكان تحت راية ولده يزيد، وكان أسنَّ من رسول اللَّهِ ﷺ بعشر سنين، وعاش بعده عشرين سنة. وكان حَمْوَ النبي ﷺ وكان عمر يحترمه؛ وذلك لأنه كان كبير بني أمية.

وكان يحبُّ الرِّياسَةَ والذكر، وما ماتَ حتى رأى ولديهِ يزيد ثم

معاويةَ[١] أميرينِ على دمشق، توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين[٢].

شرح الحديث:

حديث الباب يحكي لنا لقاء وحوارًا تاريخيًا بين رأسين في الكفر حينها موضوعهم هو محمد بن عبد اللَّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، سجلته لنا دواوين السنة الصحيحة، وتناولته كتب التواريخ بشيء من التفصيل، فكانت قصة حَرِيَّة بالاهتمام والدراسة.

إنني وبكل صدق أقف أمام حوار أخذ بلب عقلي وقلبي، لما فيه من المصداقية وقمة الشفافية، ولما كانت هي قصة متماسكة المحاور عظيمة الفوائد، كان من الأهمية بمكان نقل الحوار بتمامه، وسنقوم على نقل شرحه كاملًا بحول اللَّه وتوفيقه.

عن ابن عبَّاس، قال: حدَّثني أبو سفيان، من فيهِ إِلى فِيَّ، قال: انطَلَقتُ في المُدَّة الَّتي كانت بَينِي وبَينَ رسُول اللَّهِ ﷺ. قال: «فَبَينَا أَنَا بِالشَّامِ، إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلى هِرَقل، قال:

---

(١) لما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وذلك يوم السابع عشر من رمضان سنة أربعين، بايع أهل الكوفة الحسنَ بن علي بالكوفة، وبايع أهل الشام معاوية بن أبي سفيان بإيلياء. صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٨٩)، باختصار. وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١/ ٢١٥).

وكان دِحْيَةُ الكَلبِيُّ جاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلى هِرَقْلَ، قال: فقال هِرَقْل: هَل ههُنا أَحَدٌ من قَومِ هذا الرَّجُلِ الَّذِي يزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالُوا: نعم قال: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ من قُرَيشٍ، فَدخَلنا على هِرَقْلَ، فَأَجلَسَنَا بَين يَدَيهِ؛ فقال: أَيُّكُم أَقرَبُ نَسَبًا من هذا الرَّجُلِ الَّذي يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فقال أَبو سُفيان: فَقُلتُ: أَنا.

فَأَجلَسُوني بين يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصحابي خَلفِي، ثُمَّ دَعا بِتَرجُمَانِهِ، فقال قُل لَهُم: إِنِّي سائِلٌ هذا عَن هذا الرَّجُل الَّذي يَزعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فإِن كذبني فَكَذِّبُوهُ، قال أَبو سُفيان: وايْمُ اللَّهِ لولا أَن يُؤْثِرُوا عليَّ الْكَذِبَ لَكَذَبتُ، ثُمَّ قال لِتَرْجُمَانِهِ: سَلهُ كَيفَ حَسَبُهُ فِيكُم؟ قال: قُلتُ هُوَ فِينا ذُو حَسَبٍ. قال: فَهَل كانَ من آبائِه مَلِكٌ؟ قال: قُلتُ: لا. قال: فهل كُنتُم تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِب قَبلَ أَن يَقُولَ ما قال؟ قُلتُ: لا. قال: أَيَتَّبِعُهُ أَشرافُ النَّاس أَم ضُعفاؤُهُم؟ قال: قُلتُ: بل ضعفاؤُهُم. قال: يَزيدُونَ أو يَنقُصُونَ؟ قال: قُلتُ لا، بَل يَزِيدُونَ. قال: هل يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنهُم عن دِينِهِ بَعد أَن يَدخُلَ فيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ قال: قُلتُ: لا.

قال: فَهَل قَاتَلتُمُوهُ؟ قال: قُلتُ نَعَم. قال: فَكَيفَ كان قِتَالُكُم إِيَّاهُ؟ قال: قُلتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يُصِيبُ مِنَّا وَنصِيبُ مِنْهُ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هذِهِ الْمُدَّةِ لَا نَدْرِي مَا

هُوَ صَانِعٌ فِيها. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هذِهِ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟قُلْتُ: لا.

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبائِهِ مَلِكٌ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ، أَضُعَفَاؤُهُمْ أَم أَشرَافُهُمْ فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَزَعَمتَ أَنْ لَا. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ علَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.وَسَأَلْتُكَ: هَل يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. وَكَذلِكَ الإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ.وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: هل قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُون لهُمُ العاقِبَةُ. وَسَأَلْتكَ: هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ: هل قَالَ أَحَدٌ هذَا القَولَ قَبْلَهُ. فَزَعَمْتَ أَنْ لَا.فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ هذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ. قَالَ:

إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فيهِ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ ولَو أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَلَو كُنتُ عندَهُ لَغَسَلْتُ عَن قَدَمَيْهِ وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ ما تَحتَ قَدَمَيَّ. قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُول اللَّهِ إِلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بعدُ: فإِنِّي أَدعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجرَكَ مَرَّتَينِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فَلَمَّا فَرَغَ مِن قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الأَصوَاتُ عِندَهُ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنا فَأُخرِجنا.

قَال: فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصفَر فَما زِلتُ مُوقِنًا بِأَمرِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيظهَرُ حَتَّى أَدخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامَ»[(١)].

وقد بوَّب البخاري هذا الحديث في عدة مواضع وبعدة تبويبات: باب (دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ إِلى الإِسلَام وَالنُّبُوَّةِ).

وباب (قُل يَا أَهل الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ).

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٣).

وباب (فَضلِ الوفَاءِ بِالعهدِ).

وباب (تَرْجَمَةِ الحُكَّام، وهل يَجُوزُ تَرجُمَانٌ واحدٌ؟).

وباب (من أَمَرَ بِإِنجَازِ الوَعدِ).

وباب قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] والحرب سجال.

وباب (هل يُرشِدُ الْمُسلِم أهل الْكِتابِ، أَو يُعَلِّمهُم الْكِتاب).

وباب (ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها بالعربية وغيرها).

وباب (كيف يكتب إلى أهل الكتاب).

وباب (قول النبي: نصرت بالرعب مسيرة شهر)، وغير ذلك من تبويبات.

قوله: (حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ، مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ): من فمه إلى فمي إشارة لإصغائه بحيث يتمكن من الجواب.

قَالَ أبو سفيان: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ): والمدة هنا تعني صلح الحديبية التي كانت سنة ست للهجرة مدة عشر سنوات[(١)].

قوله: (قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ): وجاء في رواية متن حديث الأربعين

(١) انظر: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني (٧/ ٥٥).

الفلسطينية أن هرقل كان في إيلياء[١] «أنَّ هرَقْلَ أَرسلَ إليه وهم بإِيلياءَ» وهو اسم من أسماء بيت المقدس، وجاء في مواضع أخرى من أحاديث النبي ﷺ منها ما سيمر معنا في هذا الكتاب، أن النبي ذكرها حكاية وليس إقرارًا لها؛ لأن أصل التسمية رومانيٌ وَثَنيٌّ حادثٌ على المدينة المقدسة، بل وجاء في بعض الآثار النهي عن تسمية المدينة بهذا الاسم، فعن ثور بن يزيد، قال: بلغني أن كعبًا مرّ بابن أخيه ورجل معه فسألهما: «أين تريدان؟» قال: «نريد إيلياء» قال: كعب: «مه! لا تقولا إيلياء، ولكن قولا: بيت اللَّه المقدَّسُ، وصفوته من بلاده[٢].

وكان أول ما أطلق هذا الاسم على المدينة المقدسة، لما أعلن اليهود تمردهم عام (١٣٠م - ١٣٦م) بقيادة أحد زعمائهم يدعى (بركوكبا) على الإمبراطورية الرومانية، في ثورة مسلحة انتصر فيها اليهود كما تقول

---

(١) لم يكن في إيلياء في عهد هرقل يهودي واحد، حيث كان هرقل قد شردهم وقضى عليهم بعد طرد الفرس من فلسطين، عندما أغاروا عليها المرة الأخيرة سنة ٦١١م، واستردها هرقل سنة ٦٢٨م وكان اليهود قد اتفقوا مع الفرس على ذبح المسيحيين في القدس وتدمير أماكنهم الدينية، وعندما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه العهد لأهل القدس، شرط لهم ألَّا يساكنهم أحد من اليهود، كما تشهد الروايات العربية، والوثائق المسيحية التي لا زالت محفوظة في كنيسة القيامة، بالقدس الشريف (١).

(٢) فضائل البيت المقدس، الواسطي (١٧٧)، ت: عمرو الحويني، وقال عنه: إسناده ضعيف جدًا. وجاء في معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص١٦٩)، أن هذه اللفظة من الألفاظ التي لا تصح.

مصادرهم، اجتاحهم الإمبراطور الروماني «ايليوس هدريان» فأزال معالم المدينة وما بقي من مسجدها، وحرث الأرض تدميرًا ولاحق اليهود؛ لاجتثاثهم من أورشليم، ثم أقام مكانه معبدًا وهيكلًا وثنيًا رومانيًا للمشتري -رب الآلهة عند الرومان- باسم (جوبيتار).

عندها لم يبق لليهود أثر في الأرض المقدسة بعد أن هاموا على وجوههم في البلاد، فغير الرومان كل شيء في المدينة المقدسة حتى اسمها الذي أصبح (إيليا كابوتلينيا).

وإيلياء: فيه ثلاث لغات أفصحهن وأشهرهن هذه الواقعة هنا (إيلياء) بكسر الهمزة واللام وبالمد، والثانية كذلك إلا أنه مقصور، والثالثة: (إلياء) بحذف الياء وبالمد[(١)]. وقد وضعه الإمبراطور الروماني «هدريان» سنة ١٣٥م وإلياء اسم جد عائلة الإمبراطور، أو اسم عائلته، وبقي هذا الاسم شائعًا حتى الفتح الإسلامي، حيث جاء العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لأهل القدس[(٢)].

قوله: (إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ): لما وصل كتاب رسول اللَّه ﷺ إلى هرقل حاص بحثًا في الشام عمن وفد إليها من جزيرة العرب أقرب نسبًا من رسول اللَّه، حينها كان أبو سفيان هناك، كما روى الزهري عن أبي سفيان «قال: كنا قومًا تجارًا وكانت الحرب قد

(١) شرح السنة، البغوي (٢/ ٣٣٧).
(٢) بيت المقدس والمسجد الأقصى، محمد شراب (ص ٣٤).

حصبتنا، فلما كانت الهدنة خرجت تاجرًا إلى الشام مع رهط من قريش، وكان حينها موضعه من الشام في غزة[١].

(١) رواية لأبي نعيم في الدلائل أن غزة هي الموضع الذي كان فيه أبو سفيان ، وتقدر المسافة بين بيت المقدس وغزة بـ(٧٨) كيلاً تقريبًا. وغَزَّةُ: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه. قال أبو زيد العرب تقول قد غز فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه وغزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. قال أبو المنذر: غزة كانت امرأة صور الذي بنى صور - في الجنوب اللبناني - مدينة الساحل قريبة من البحر. وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول اللَّه ﷺ وبها قبره؛ ولذلك يقال لها غزة هاشم. وبها ولد الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وانتقل طفلاً إلى الحجاز فأقام وتعلم العلم هناك. انظر: الإشارات إلى معرفة الزيارات، أبو الحسن الهروي (٣٧).
وهي بلدة كنعانية عربية، من أقدم مدن العالم. وهناك أقوال قيلت عن معنى «غزة». فياقوت يقول في معجم البلدان (٤/ ٢٠٢): «غَزَّ فلان بفلان واغتز به إذا اختصه من بين أصحابه». والأرجح أنها بمعنى «قوي» و«مخازن» و«كنوز» و«مايُدَّخر».
تقع غزة على حافة الأراضي الخصبة، العذبة المياه التي تأتي مباشرة بعد برية سيناء، وعليه فهي المحطة الطبيعية لكل من الآتين من مصر ووجهتهم الشام، كما أنها المحطة الأخيرة لكل قادم من الشام ووجهته مصر مما جعلها مجمعًا للقوافل التجارية وغيرها قبل دخول البادية.
ولموقع غزة التجاري -لوقوعها في نهايةِ طريق القوافل العربية الآتية من الجنوب- أهمية كبيرة كان لها أكبر الأثر في ثرائها ورخائها؛ كما كانت تبعث بخيرات بلاد العرب والهند وغيرها إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط.
وقاست غزة، كما قاسى غيرها من المدن الواقعة على الطريق بين مصر والعراق، الشيء الكثير من المآسي والفواجع من جراء الحروب التي قامت بين فراعنة مصر وأهل العراق من آشوريين وبابليين، ثم بين البطالسة والسلوقيين من خلفاء الإسكندر. انظر: (موسوعة بلادنا فلسطين، الدباغ، الجزء الأول، القسم الثاني (٣٥) (٣٦).

(إِلَى هِرَقْلَ): بكسر الهاء وفتح الراء على المشهور، ويقال مع سكون الراء، ملك الروم وهو اسمٌ، وقيصر لقبه، كما يلقب ملك الفرس كسرى، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين.

وذلك لما كشف اللَّه عن الروم جنود فارس مشى هرقل من حمص إلى إيلياء شكرًا للَّه، وكانَت دَارَ مُلْكِهِ.

قوله: (قَالَ: وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ): دحية بكسر الدال وحكي فتحها لغتان ويقال إنه «الرئيس» بلغة أهل اليمن وهو ابن خليفة الكلبي صحابي جليل، كان أحسن الناس وجهًا وعلى صورته كان يأتي جبريل النبي محمدًا ﷺ.

زمن إرسال خطاب النبي ﷺ للروم:

في محرم عام سبعة للهجرة أرسل النبي ﷺ دحية الكلبي حاملًا كتابه إلى هِرَقْل، ولعل سماحة وجه دحية من الأسباب الإضافية لإرساله لهؤلاء القوم؛ ليتلطفهم ﷺ في كل شيء في مبعوثه إليهم، وحسن خطابه وما حواه من رُقي وأدب جم.

قوله: (فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ): «عظيم بصرى» وهو زعيمهم وكبيرهم الذي يعظمونه، بُصرى: بضم الباء، وهو موضع بالشام ينسب إليه السيوف، وقيل هي مدينة حوران.

وعظيمها: هو الحارث بن أبي شمر الغساني، وقيل: إن الكتاب

أرسل إلى هرقل مع عدي بن حاتم[١] فوصلا به معًا إلى هرقل؟

قوله: (فَقَالَ هِرَقْل: هَلْ ههُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟): أي هل من أحد في بلاد هرقل من قوم محمد ﷺ.

فَقَالُوا: (نَعَمْ. قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ): والمعنى أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب وذاك؛ لأنه كان كبيرهم وأقربهم نسبًا وقربًا من النبي ﷺ فخصه بالسؤال وقيل إن عددهم كان ثلاثين رجلًا وقيل نحوًا من عشرين[٢].

قوله: (فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ، فَأَجْلَسَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ): في مجلسه وبين خاصة قومه كبرائهم ومن البطارقة[٣] والقسيسين والرهبان.

قوله: (فَقَالَ هرقل: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا): أي قال الترجمان على لسان هرقل، أيكم أقرب من هذا الرجل الذي خرج بأرضكم ويزعم أنه نبي، فأجابه أبو سفيان أنه أقرب الرهط نسبًا به؛ لأنه من بني عبد مناف وهو الجد الرابع للنبي ﷺ وأبي سفيان، ولم يكن غيره من

---

(١) انظر الصحابة لابن السكن.

(٢) رواه الحاكم في الإكليل وابن السكن في الصحابة.

(٣) بطرق: بَطارِقَتُه من الروم، هي جمع بِطريق، الحاذِق بالحرب وأمورها بلغة الروم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٨١). وله لباس معين، وللأسف سمي الطائر القطبي باسمه لأنه يشبهه.

عبد مناف في هذا الرهط، والقُرْب الذي أراده هرقل يحققّ له مطلب المعرفة الدقيقة بالنبي ﷺ ومعرفة ظاهر أموره وباطنها دقيقها وعظيمها.

قوله: (فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي): فجعلوهم خلف ظهره لئلا يراهم إذا نقلوا عنه الكذب إلى هرقل.

قوله: (ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ): التُّرجُمَان بالضَّمّ والفتح: هو الذي يُترجِم الكلام، أي يَنقُله من لُغة إلى لُغة أخرى. والجمع التَّراجِم[(١)]. وهو المُفسِّر لغة بلغة أخرى، وهي سنة الملوك في اتخاذ من يترجم لهم لغة غيرهم.

قوله: (فَقَالَ هرقل قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هذَا عَنْ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبنِي فَكَذِّبُوهُ): كَذَبَني: بتخفيف الذال، نقل إليَّ الكذب.

قوله: (قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللَّهِ): هو قسمٌ يجوز بالهمزة وغيرها.

قوله: (لَوْلَا أَنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ): أَنْ يُؤْثِرُوا: بصيغة الجمع وصيغة المعلوم، ويروى: ويؤثر، بِفَتح الثَّاء المُثَلَّثة بصيغة الإفراد على بناء المجهول[(٢)]. أَي: لولا أَن يؤثروا عني الكذب ويحكوه، أو يتناقلوه فيما بينهم، لقلت الكذب ولم أصدق هرقل.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ص١٠٦).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١٨/ ١٤٤).

وواو الجماعة في الفعل «يؤثروا» عائدة على الوفد المرافق له، ويعني أبو سفيان، لولا أن أُعْرِفَ عندهم بالكذب؛ لأن الكذب فيهم مستقبح وتعافه أخلاقهم؛ فخاف أن يعيِّروه بهذا إذا رجعوا إلى قومهم، وحرص على إبقاء مكانته عالية عندهم وبينهم.

لكذبت على هرقل مع علمه أنهم لن ينقلوا عنه الكذب؛ لأنه سيدهم، ومن مصلحتهم جميعًا إخفاء محاسن النبي ﷺ لا إظهارها أمام هرقل، ولو كَذَبَ أبو سفيان على هرقل لأقرّوه على ذلك لاشتراكهم جميعًا في عداوة النبي ﷺ.

قوله: (ثُمَّ قَالَ هرقل لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟): وهنا بدأ الحوار المُتَرْجمْ بين هرقل وأبي سفيان، أي ما حال نسبه فيكم، أهو من أشرافكم أم لا؟

قوله: (قَالَ أبو سفيان: قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ): والتنوين هنا في جملة «ذُو حَسَبٍ» للتعظيم، لأن أبا سفيان يشترك معه في هذا النسب.

قوله: (قَالَ هرقل: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ: لا): وجاء بلفظة «مَن مَلَكَ»، وكلاهما بمعنى واحد[1].

قوله: (قال هرقل: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان: قُلْتُ: لَا):

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١/ ٣٥).

فيه تأدب مع النبي ﷺ في غيابه، وعلم مسبق بعدم كذبه على الناس بعبارة دقيقة لطيفة مع النبي ﷺ قال: تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ؛ لأن التهمة إذا انتفت انتفى سببها؛ لأنها قد تكون تهمة فقط ولا يلزم صحتها، وكأنه يقرر صدق النبي ﷺ سلفًا.

قوله: (قَالَ هرقل: أَيَتَّبِعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟): والمراد بالأشراف هنا أهل النخوة والتكبر منهم لا كل من عرف بالشرف.

قوله: (قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ: بَلْ ضعَفَاؤُهُمْ): تبعه منا الضعفاء والمساكين، فأما ذوو الأنساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الأكثر الأغلب.

قوله: (قَالَ هرقل: يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟: قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ لَا، بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ هرقل: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ: لَا): سَخطةً: بفتح السين، ويروى سُخطًا بضمها. وقد اعتادت الملوك أن تكون أسئلتها غاية في الدقة، فمن ذكائه أخرج من سؤاله من ارتد مكرهًا عن الدين وأراد بسؤاله من خرج عن دين محمد ﷺ رغبة بدين غيره.

قوله: (قَالَ هرقل: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟، قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ نَعَمْ): أي هل أعلنتم الحرب عليه وشرعتم في قتاله؟

قوله: (قَالَ هرقل: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا، مِنْهُ): سجال: بكسر السين: نُوَبٌ

ودُولٌ، مرة على هؤلاء ومرة على هؤلاء، من مساجلة المُستقين على البئر بالدلاء. وقوله: «يُصِيبُ مِنَّا وَنصِيبُ» جملة تفسيرية، وقد قالها أبو سفيان على مسمع نبينا محمد ﷺ، يوم أحد في قوله: «يوم بيوم بدر، والحرب سجال».

قوله: (قَالَ هرقل: فَهَلْ يَغْدِرُ؟: قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ: لَا): يغدر: بدال مكسورة، أي هل ينقض العهد؟

قوله: (وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هذِهِ الْمُدَّةِ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيها): المدة هي صلح الحديبية أو غيبته ﷺ وانقطاع أخباره عنهم[١].

قوله: (قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هذِهِ): «لا ندري ما هو صانع فيها» لم يجزم بغدره وليس من كلمة في هذا اللقاء ذم بها النبي ﷺ سوى هذه الكلمة[٢]. (قال) أبو سفيان: (واللَّه ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا) أنتقصه به (غير هذه) الكلمة[٣].

قوله: (قَالَ هرقل: فَهَلْ قَالَ هذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لا): أي: هل ادّعى أحد من قومكم - يعني قريشًا أو العرب - ما ادعاه.

قوله: (ثُمَّ قَالَ هرقل لِتُرْجُمَانِهِ: قلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا،

(١) إرشاد الساري شرح البخاري، القسطلاني (٧/ ٥٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبائِهِ مَلِكٌ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ، أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ): أراد بالضعفاء هم أهل الاستكانة أتباع الرسل لا أهل الاستكبار والشقاق والعناد وأهل الحسد.

قوله: (وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ علَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ فَزَعَمْتَ أَنْ لا. كَذلِكَ الإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ): «قوله حين يخالط بشاشة القلوب»: بالنصب على المفعولية، والقلوب: مضاف إليه أي يخالط الإيمان انشراح الصدور والقلوب ويظهر نورًا يزداد بالصلاة والصيام والزكاة وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وكذا أمر أتباع النبي ﷺ يزدادون ويزداد الإيمان بهم حتى أتمَّ اللَّه دينه وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

قوله: (وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعاقِبَةُ).

قوله: (وَسَأَلْتكَ: هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ): قوله: وكذلك الرسل لا تغدر وهذا ما عَلِمَه من خلق الرسل أنها لا تغدر؛ لأن ذلك خسة في الأخلاق؛ لأن الغدر من صفة الجبناء ومن يلهث وراء الدنيا الذي لا يبالي طالبه أخذ حقه بحلال أو حرام، ولأن الغدر صفة جامعة لجملة من الأخلاق الذميمة.

قوله: (وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ هذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ. فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ هذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ هرقل: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟): قوله بماذا يأمركم يدل أنه يعلم أن لكل رسول شريعة جاء بها، من مضامينها أمر ونهي.

قوله: (قَالَ أبوسفيان: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالْعَفَافِ): قال أبو سفيان: يأمرنا بالصلاة والصلة والعفاف وهذا ماجاءت بجملته الرسل، وأنها لم تأت لطلب جاه أو سلطان لها أو لاستعباد الناس وتسخيرهم لخدمتها.

قوله: (قَالَ هرقل: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا فَإِنَّهُ نَبِيٌّ): خَلُصَ هرقل من ثمرة هذا اللقاء بعد أن حقق أمنيته به، أن صاحب الكتاب نبي حقًا، إن صدقت المعلومات التي أدلى بها أبو سفيان.

قوله: (وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ): قال المازني: «هذه الأشياء التي سأل عنها هرقل ليست قاطعة على النبوة إلا أنه يحتمل أنها كانت عنده علامات على هذا النبي بعينه؛ لأنه قال بعد

ذلك قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم»[(١)].

قوله: (وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ): قوله: «لو أني أعلم»يظهر من كلامه أنه يعلم علم اليقين أنه لو أعلن إسلامه فلن يستطيع الوصول إلى النبي ﷺ ؛ لأن قومه لن يسمحوا له وسيكون مصيره الموت قبل وصوله إلى النبي ﷺ.

قوله: «أخلص»: أي أصل إليه، «لأحببت لقاءه» وفي رواية البخاري: «لتجشمت لقاءه» أي: تكلفت بما فيه من مشقة. وفي مطالع الأنوار: «ولتجشمت لقاءه» أوجه؛ لأن الحب للشيء لا يصُدُّ عنه، إذ لا يطلع عليه وإنما يصد عن العمل الذي يظهر، فلا يملك في كل حين»[(٢)].

وقوله: «لغسلت عن قدميه» مبالغة في تبجيل النبي ﷺ واحترامه والخدمة له، واقتصاره على ذكر غسل القدمين إشارة منه إلى أنه لا يطلب منه إذا وصل إليه سالمًا لا ولايةً ولا منصبًا وإنما يطلب ما تحصل له به البركة.

وقوله: «وليبلغن ملكه ما تحت قدمي» أي بيت المقدس التي كان لقاؤه بأبي سفيان فيها، أو بلاد الشام كلها التي كانت مملكته ومقرها

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١/ ٧٣).
(٢) مطالع الأنوار، الوهراني (٢/ ١٦٨).

حمص وكان ما استشرفه هرقل من ملك النبي ﷺ لما تحت قدميه قد وقع حقًا وذلك لما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس عام ١٥هـ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أسئلة هرقل كانت مركزة وذكية، وتحمل وراءها معانيَ واستدلالات كثيرة. وأنه عنده علم من كتب الأولين.

ذكر ابن إسحاق في روايته عن أبي سفيان قوله: «فواللَّه ما رأيت من رجل قط كان أدهى من ذلك الأقلف يعني هرقل». وقال عنه الخطابي: إذا تأملت معاني ما ستقرأه من أوصافه تبينت قوة إدراكه، وللَّه دره من رجل! ما كان أعقله لو ساعد معقوله مقدوره[(١)].

قال: ثم دعا بِكِتابِ[(٢)] رسول اللَّهِ ﷺ فقرأَهُ: أي طلب الكتاب ممن أودعه عنده، فهو محفوظ عند كاتم سره، وواضح أنه ليس مع ترجمانه كذلك. وسيلاحظ أن الكتاب كتب بلغة العرب، فلم ينزل النبي ﷺ إلى لغتهم؛ لِيُظهَر اعتزاز العرب والمسلمين بلغتهم، ولعلم النبي ﷺ أن هرقل وأمثاله قد اتخذ ترجمانًا، وهذا فيه إدراك من النبي ﷺ لعادات الملوك وسلوكهم.

قوله: (فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ):

وقد بدأ النبي ﷺ كتابه بالبسملة، ويرى الكثير من أهل العلم استحباب

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١/ ٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (١٧٧٣)، وانظر: زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية (٣ / ٦٠٠)، ت: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

ذلك، كما جاء عند النووي في شرحه على مسلم[١] وغيره من العلماء «استحبابُ تصدير الكتاب بِبِسمِ اللَّهِ الرَّحمن الرَّحيم وإن كان المبعوثُ إليه كافرًا، ومنها أنّ السُّنَّة في المُكاتَبَة والرّسائل بين النَّاسِ أن يبدأ الكاتِبُ بنفسه».

قوله: (إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ): هو حكاية على حاله كزعيم الروم ورئيسها، ولم يكتب له النبي ﷺ إلى ملك الروم حتى لا يكون من النبي ﷺ إقرار له على ملك لا يستحقه إلا بالإسلام، كما فيه ملاطفة وتألف لقلبه؛ لأن الزعماء يرغبون بالنعت الذي يظهر رياستهم وتفوقهم على غيرهم. وهو من باب قوله تعالى لموسى وأخيه هارون أن يقولا لفرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]. قولًا لينًا لا مداهنة فيه ولا يخالف شرع اللَّه.

قوله: (سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى): أي سلم من عذاب اللَّه من أسلم، ولم يقصد بها بدأ الكافر بتحية؛ لأن ما جاء بعده من سياق حمل معانيَ تحمل ذنوب الأتباع، وإن قصد التحية، فقد جاءت وكأنها مشروطة أن من يستحق السلام هو من اتبع هدى اللَّه.

قوله: (أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ): بدعاية الإسلام بكسر الدال من قولك دعا يدعو دعاية، أي بدعوته، وهي الكلمة الداعية إليه

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٠٧).

وهي أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه، التي تدعى إليها الأمم، ويدخل بها الناس الإسلام. أدعوك بدعاية الإسلام وأقول لك ولأتباعك.

قوله: (أَسْلِم): وهي أمرٌ بالإسلام.

قوله: (تَسْلَم): وهي ترغيب، أي إنك تسلم من عقاب اللَّه.

قوله: (وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ): كان هرقل كافرًا يدين بالنصرانية، ويؤتك: ترغيب آخر أي إن اللَّه سيعطيك ويضاعف لك الأجر، أجر النصرانية ودخول الإسلام أجر الإيمان بعيسى وبمحمد عليهما السلام.

أو يضاعف الأجر لك ومن معك ومن أسلم بسببك من أتباعك، وتكرار كلمة «أسلم» قد تكون للتأكيد أو للدخول في الإسلام والثاني للدوام عليه كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] وهو موافق لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤][(١)].

قوله: (فَإِنْ تَوَلَّيْتَ): هو زجر له، أي أعرضت عن الإجابة إلى الدخول في الإسلام، وحقيقة التولي إنما هو بالوجه، ثم استعمل

(١) انظر باختصار وتصرف شديد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١/ ١٩١) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (١/ ٧٨)

مجازًا في الإعراض عن الشيء، وهي استعارة تبعية[١].

قوله: (فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ): الأريسيون: كلمة أعجمية، وتروى على أوجه كثيرة، وقد اختلف في صيغها ومعناها، فجاءت عند البعض هم: المزارعون والأجراء، وقال بعضهم: هم اليهود والنصارى، وقيل هم الأكارون، أي: الفلاحون، قال أبو عبيد: المراد بالفلاحين أهل مملكته؛ لأن كل من كان يزرع، فهو عند العرب فلاح سواء كان يلي ذلك بنفسه أو بغيره، وقال الخطابي: «أراد: إن عليه إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليدًا له؛ لأن الأصاغر أتباع الأكابر»[٢] وأما معناها: لصده إياهم عن الدين، وقال أبو عبيد في كتاب (الأموال): أصحاب الحديث يقولون الأرِيسِيّون منسوبًا مجموعًا، والصحيح الأريسين، وقال بعضهم: إن في رهط هِرَقْلَ فرقةً تعرف بالأروسِيّة، فجاء على النسب إليهم، وقيل: إنهم أتباع عبد اللَّه بن أَرِيس[٣]. الذي وحد اللَّه عندما تفرقت النصارى. وقيل: إن اللَّه بعث نبيًا في زمانه، فخالفه هو وأصحابه، فقتلوه[٤].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١/ ٩٥).

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية (٣ / ٦٠٠)، ت: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط. وانظر: غريب الحديث، الخطابي (١/ ٤٩٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣٣).

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ١٤- ١٥).

قوله: (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ عِنْدَهُ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا): جاء في حديث الباب أنه «كثر عنده الصّخَب[١]، والسّخَب الضّجّة، واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام»[٢]. وجاء بلفظة أخرى أنهم «حاصوا»، أي: نفروا وكروا راجعين، وقيل: صالوا، والمعنى قريب[٣].

فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول اللَّه ﷺ: أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية، ويؤيده ما أخرجه البيهقي عن النبي ﷺ لما جاءه جواب كسرى وهرقل، قال: «مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَهُ، وَلَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ هِرَقْلَ، قال: ثَبَّتَ اللَّهُ مُلْكَهُ»[٤].

أين كتاب النبي ﷺ الذي أرسله لهرقل:

ذكر السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيمًا له وأنهم يتوارثونه بينهم حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة ثم كان عند سبطه[٥].

---

(١) الصخب: الصوت والجلبة. انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/ ٣٣٦).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٥١٠).
(٣) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٣٠).
(٤) أخرجه البيهقي، في معرفة السنن والآثار (١٨٤٦٠).
(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١/ ٣٤-٤٥) وفيه مزيد من الروايات تحكي قصة توارث خطاب النبي ﷺ بين ملوك الروم.

قوله: (قَالَ أبوسفيان: فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ): أَمِرَ: أي عَظُم وزاد. أَمرُ: بمعنى الشأن والحال. أي ارتفع شأن النبي محمد ﷺ[(١)]. وهو جواب لقسم محذوف تقديره: واللَّه قد أمر أمره وانتشر.

قوله: (ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ): يريد به النبي ﷺ، قيل إنه كنية جد جده وَهَب، لأن أمه آمنة بنت وَهَب، وأم جد وَهَب قيلة بنت أبي كَبْشة، وعادة العرب إذا تَنَقَّصَت نسبت إلى جد غامض، وقيل: هو أبوه من الرَّضاعة، واسمه الحارث بن عبد العُزَّى، وكانت له بنتٌ تسمى كَبْشَة، يُكْنَى بها، وقيل: هو رجل من خُزاعة اسمه وَجْز بن عامِر بن غالِب، خالف قريشًا في عبادة الأوثان، فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة، وذكر ابن حبيب في «المُجْتَبى» جماعة من أجداده عليه الصلاة والسلام من قِبَلِ أبيه، ومن قِبَل أمه كل واحد منهم يُكنى أبا كبشة[(٢)]. ولا يزال الغموض هو سيد الموقف في معرفة أصل هذه الكلمة واللَّه أعلم.

قوله: (إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَر): قوله «إنه يخافه» هو بكسر الهمزة استئنافًا تعليليًا، قوله ملك بني الأصفر هم الروم. وهو مصداق قول النبي ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر؛ لأنه كان بين

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١/ ٦٥).

(٢) كوثر المعاني الدَّراري في كشف خبايا صحيح البخاري، الشنقيطي (١/ ٣٤٦).

المدينة وبين المكان الذي كان قيصر ينزل فيه مدة شهر أو نحوه[١].

وما قاله أبو سفيان لأصحابه عن النبي ﷺ هو نتيجة هذا الزلزال الوجداني الذي حصل له في هذا اللقاء التاريخي مع ملك من ملوك الأرض، إنه قدر اللَّه أن يجتمع رأسان في الكفر على كتاب رسول اللَّه، وهي تشكل نوعًا من أنواع اجتماع أهل الكفر في حديثهم عن الإسلام.

قوله: (فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلَامَ): أي تأكد لي بيقين أمر محمد، وفي رواية عبد اللَّه بن شداد عن أبي سفيان: «فما زلت مرعوبًا من محمد حتى أسلمت»[٢] أخرجه الطبراني. قال الذهبي: «ولا ريب أنّ حَديثهُ عن هِرَقل وكتابِ النَّبي ﷺ يَدُلُّ على إِيمانه، وللَّهِ الحمد»[٣].

ويبدو واللَّه أعلم أن هرقل من حيث يدري أو لا يدري، حرك في أبي سفيان معاني الإيمان وكان هذا باتجاهين أنه كافر مثله لكنه أعمل عقله ودان بعقيدة أهل الكتاب والتي فيها ما يبشر بمبعث رسول اللَّه ﷺ، والثاني: أنه سيد في قومه، وأعظم سلطانًا منه لكنه أذعن للحق وتواضع لهذا الرسول، بقوله: «وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ١٥٦).
(٢) أخرجه الجوزجاني، في سنن سعيد بن منصور (٢٤٧٩).
(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٨٩).

تَحْتَ قَدَمَيَّ» فكانت النتيجة أن أبا سفيان استقر في ضميره ووجدانه أن أمر رسول اللَّه سيظهر.

الحق ما شهدت به الأعداء، إن ما ذكره أبو سفيان لهرقل لما كان على الكفر حين صدقه القول وشهد على حسن أخلاق هذا النبي الكريم، كان سببًا في تعريف هرقل بحقيقة دعوة النبي ﷺ، والذي على ما يبدو أنه اقتنع بها، وأضمر إسلامه، واللَّه أعلم، وفي ظني أنه مع ما حمله هذا اللقاء من معاني الإجلال والتقدير للنبي ﷺ كان كل منهم يقر في داخله بعظيم شأن محمد ﷺ وصدق دعوته، وذلك لما امتثل كل منهم صدق الحديث عن النبي ﷺ واللَّه أعلم.

هل دخل هرقل في الإسلام؟

تنازع بعضهم مسألة إيمان هرقل؛ لأنه قد بدر من كلامه ما استحسن به هذا الخطاب، وما جاء به وحفظه وهل ما قاله يكفي إقرارًا بإيمانه؟ أم عدم تصريحه بالإيمان للخوف على نفسه من القتل ينفي ذلك؟

ومما يشير إلى عدم إيمانه، أنه جهز الجيوش لمواجهة المسلمين في مؤتة ٨هـ، وتبوك ٩هـ، واختلف الإخباريون هل هو الذي حاربه المسلمون في زمن أبي بكر وعمر أو ابنه، وهل كان ذلك بعد خطاب النبي ﷺ أو قبله؟ قال ابن حجر في الفتح[(١)]: «والأظهر أنه هو»، واللَّه أعلم.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١/ ٣٤-٤٥).

من فوائد الحديث:

١- قال ابن بطال: فيه جواز كتابة بسم اللَّه الرحمن الرحيم إلى أهل الكتاب، وتقديم اسم الكاتب على المكتوب إليه. قال: وفيه حجة لمن أجاز مكاتبة أهل الكتاب بالسلام عند الحاجة، قال ابن حجر: في جواز السلام على الإطلاق نظر، والذي يدل عليه الحديث: السلام المقيد مثل ما في الخبر السلام على من اتبع الهدى أو السلام على من تمسك بالحق أو نحو ذلك[١].

٢- إن أبا سفيان لما كان بإيلياء في لقائه مع هرقل لم يكن قد أسلم بعد لكنه كان يدرك رسالة الإسلام، وكذلك كان هرقل.

٣- الصدق كان خلقًا عربيًا قديمًا قبل الإسلام، والكذب منقصة لصاحبه.

٤- استشرف هرقل مستقبل دعوة النبي ﷺ بأنها ستصل إلى بلاد الشام عمومًا وبيت المقدس خصوصًا، بقوله: «سيملك موضع قدمي».

٥- ويظهر من كتاب النبي ﷺ فن كتابة الخطابات الرسمية الرصينة مع أنه نبي أُمِّيّ إلّا أن الخطاب احتوى على المُرْسِل والمُرْسَل إليه والمُحتوى وهو نص الخطاب والخاتمة، بكلمات جزلة مختصرة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١١ / ٥٧-٥٨).

الحديث الثالث عشر

الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى مِحْرَابُ الْأَتقيَاءِ

عن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «إِنَّ بَني إِسرائيلَ استَخلفوا خليفةً عليهم بَعدَ موسى، فَقَامَ يُصَلِّي لَيلَةً في القمر فَوقَ بَيتِ المقدِسِ، فَذَكَرَ أُمورًا كانَ صَنَعَها، فَخَرَجَ فَتَدَلَّى بِسَبَبٍ، فَأَصْبَحَ السَّبَبُ مُتَعَلِّقًا في المسجِدِ، وَقَدَ ذَهَبَ، قَالَ: فانطَلَقَ حَتَّى أَتى قَومًا عَلَى شَطِّ البَحْرِ، وفي رواية: (بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي مَمْلَكَتِهِ تَذَكَّرَ فَعَلِمَ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ مُنْقَطِعٌ، وَأَنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، فَانْسَابَ مِنْ قَصْرِهِ لَيْلًا حَتَّى صَارَ إِلَى مَمْلَكَةِ غَيْرِهِ)[1]، فَوَجَدَهُم يَضرِبونَ لَبِنًا أَوْ يَصْنَعونَ لَبِنًا، فَسَأَلَهم: كيفَ تَأخُذونَ عَلَى هَذا اللَّبِن؟ قَالَ: فَأَخْبَروهُ، فَلَبِنَ مَعَهُم، فَكَانَ يَأْكُل مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، فَإِذا كَانَ حِينَ الصَّلاةِ قَامَ يُصَلِّي، فَرَفَعَ ذَلكَ العُمَّال إِلى دِهْقانِهِم، أَنَّ فينا رَجُلًا يَفْعَلُ كذا وكذا، فأَرسَلَ إِلَيهِ فَأَبى أَن يَأتِيَهُ، ثَلاثَ مَراتٍ، ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَهُ يَسيرُ عَلى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا رَآهُ فَرَّ، فَاتَّبَعَهُ فَسَبَقَهُ، فَقَال: أَنْظِرني أُكَلِّمُكَ، قَالَ: فَقَام حَتَّى كلَّمَهُ، فَأَخبَرَهُ خَبَرهُ، فَلَّما أَخبَرَهُ أَنَّهُ كانَ

---

(١) أخرجها أحمد، عن عبد اللَّه بن مسعود (٤٣١٢) وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٥٣٨٣).

مَلِكًا، وَأَنَّهُ فَرَّ مِن رَهْبَةِ اللَّه، وفي رواية: (ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ: أَنَا فُلَانٌ صَاحِبُ مَمْلَكَةِ كَذَا وَكَذَا، تَذَكَّرْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا كُنْتُ فِيهِ مُنْقَطِعٌ، وَأَنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي)[١] قال: إِنِّي لأَظُنَّنِي لاحقٌ بِكَ، قَالَ: فاتَّبَعَهُ، فَعَبَدا اللَّه، وفي رواية: (فَسَأَلَا اللَّهَ أَنْ يُمِيتَهُمَا جَمِيعًا)[٢]، حَتَّى مَاتا بِرُمَيْلَةَ مِصْرَ.

قال عبد اللَّه: لَو أَنِّي كُنتُ ثُمَّ لاهتديتُ إلى قبرهما بصفة رسول اللَّه التي وصف لنا»[٣].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

هو الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، المكي، المهاجري، البدرِي، حليف بني زهرة.

كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا،

---

(١) أخرجها أحمد، عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه (٤٣١٢) وأبو يعلى الموصلي في مسنده، (٥٣٨٣).

(٢) أخرجها أحمد، عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه (٤٣١٢) وأبو يعلى الموصلي في مسنده، (٥٣٨٣).

(٣) أخرجه أحمد. برقم: (٤٣١٢) والطبراني في الأوسط (٦٥٩٩)، والبزار (١٩٩٠)، بهذا اللفظ، وأبو يعلى (٥٣٨٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢١): «إسناده حسن»، وقال أحمد شاكر في التعليق على مسند أحمد (٦/ ١٥١): إسناده حسن، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٣٣).

وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا.

كان من أجودِ الناسِ، وحسنَ الصوتِ بالقرآنِ، وأولُ من جهرَ بالقرآنِ بمكةَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأول من قرأَ آية عن ظهر قلب، كان آدمًا، لطيفَ الجسم، ضعيفَ اللحم، قصيرًا، دقيق الساقين وقال في حقهما رسول اللَّه: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»[(١)].

حدَّث عنه جمع منهم: أبو موسى، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وعمران بن حصين، وجابر، وأنس، وآخرون.

عاش بضعًا وستين سنة، وأوصى إلى الزبير أن يصلي عليه، مات سنة ثلاث وثلاثين بالمدينة، ودفن بالبقِيعِ[(٢)]. شهد فتح بيت المقدس مع الخليفة عمر، وطاف معه في بعض مدائن فلسطين[(٣)].

شرح الحديث:

وضعنا حديث الباب تحت عنوان المسجد الأقصى محراب الأتقياء؛ لأنه مكان يتحنَّث فيه الأنبياء والعباد والأولياء والزهاد وآثار

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١/ ٤٦٢-٤٩٩).

(٣) الروض المعطار في خبر الأقطار (٥١٠)، الحِميرى، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ت: إحسان عباس.

ذلك شاهدة في معالم الأقصى إلى يومنا هذا، من محاريب ومصاطب عدة متناثرة هنا وهناك في ساحات المسجد الأقصى، ومنهم طائفة من الأنبياء وغيرهم ممن جاء ذكرهم في القرآن الكريم، أو السنة المطهرة وغيرهم كثير لم يصلنا خبرهم، كان المسجد الأقصى محرابهم، وإليكم طائفة ذكر اللَّه تعالى عبادتهم في المسجد الأقصى، مثل:

- نبي اللَّه زكريا، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

- نبي اللَّه سليمان، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [سبأ: ١٢- ١٣].

- نبي اللَّه داود، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢١-٢٢].

- وأما العابدة مريم والدة نبي اللَّه عيسى التي لم تفارق المسجد الأقصى قال في حقها ربي جل في علاه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]. . وبهذه الآيات وغيرها اتضح أن الأنبياء عليهم السلام لم يبنوا هيكلًا بل محاريب

في صدور مساجدهم يصلون فيها.

وقد تكررت كلمة المحارِيبَ في الآيات وهي: الغرف، واحِدها محراب. أي مساجِد، كان المؤمنونَ يُصَلُّونَ فيها. ويقالُ: أراد بالمحاريب الغُرف والمواضع الشريفة، يقالُ لأشرفِ موضعٍ في الدار محرابٌ، والمحرَابُ مُقَدَّمُ كلِّ مسجدٍ ومجلس وبيتٍ[١].

قال الزجاج[٢]: المحراب الذي يصَلَّى فيه، وأشرف موضع في الدارِ وفي البيت يقال له المحراب، وهو هنا كالغرفة. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: المحراب أي: مصلاه[٣].

ومن جانب آخر يكشف هذا الحديث عن أنموذج فريد من رؤساء بني إسرائيل قلَّ أمثالهم فيهم، من عبادة في خلوة رغبة ورهبة من اللَّه جل جلاله، وإخلاص وتجرُد وتواضع وكسب يدٍ شريف، إنه رسالة لملوك الأرض قاطبة؛ لما فيها من عظة وعبرة ومعان سامية.

قوله: (إنّ بني إسرائيل): إسرائيل: اسم، قيل هو مضاف إلى «إيل»[٤] قال الأخفش: هو يهمز ولا يهمز قال ويقال إسرائين

---

(١) تفسير القرآن العظيم، المنسوب للطبراني (٦/ ٣٧٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، المنسوب للزجاج (٤/ ٢٤٦)، عالم الكتب - بيروت، ت: عبد الجليل عبده شلبي.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٠).

(٤) مختار الصحاح، الرازي (٣٦).

بالنون كما قالوا: جبرين وإسماعين[١]. إيل: اسم من أسماء اللَّه تعالى عبراني أو سرياني وقولهم جبرائيل وميكائيل كقولهم عبد اللَّه وتيم اللَّه[٢].

قوله: (استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى): الحديث يُبين أن الفترة التي كان يعيشها هذا الملك هي ما بعد زمن موسى عليه السلام، أي من بعد موته وانقضاء مدته[٣]. وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

الحديث لم يُفصِّل الزمن أو العهد الذي كان فيه أو حتى اسم هذا الخليفة لكنه أجمل الأمر أنه زمن بعد موسى كما أن زمنه أي موسى لم يكن فيه تنصيب للملوك؛ ولأن المضمون هو هدف ومعاني هذه القصة وليس حيثياتها. وواضح من الحديث أن الخليفة الذي استخلفوه كان ذلك زمن دخلوا فيه بيت المقدس وانتصروا على الفلسطينيين، أي بعد دخول يوشع بن نون الأرض المقدسة، صحيح أن الزمن لم يتحدد بالدقة لكن المكان تحدد بكل دقة وهو المسجد الأقصى وتحديدًا فوق سطحه.

---

(١) مختار الصحاح، الرازي (٢٩٨).

(٢) المصدر السابق (٣٦).

(٣) انظر: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق الأندلسي (١/ ٣٢٣)، دار الكتب العلمية - لبنان، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد) وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٤/ ٤٣٥).

قوله: (فقام يصلي ليلة فوق بيت المقدس في القمر فَذَكَرَ أمورًا كان صنعها): أي إنه كان يُصلي متنفلًا في ليلة مقمرة، ويبدو أنه ذكر شيئًا من تقصيره في جنب اللَّه، فساءه ذلك وندم عليه.

قوله: (فخرج فَتَدَلَّى بِسَبَب فأصبحَ السَّببُ معلقًا في المسجد، وقد ذهب): السبب: أي الحبل، وقيل لايُسمَّى الحبل سببًا حتى يكون أحدُ طَرَفَيه معلّقًا بالسّقْف أو نحوه[١]. أي فخرج من مكانه على سطح المسجد الأقصى بحبل كان يتسلق عليه، وهذا فيه إشارة أنه كان منقطعًا تمام الانقطاع عن الناس ولا يمكن الوصول إليه إلا من خلال الحبل.

قوله: (قال: فانطلق حتى أتى قومًا على شط البحر، فوجدهم يضربون لَبِنًا أو يصنعون لبنًا): ما يعمل من الطين كالطوب والآجرّ. اللّبِنة: التي يُبنى بها والجمع (لَبِن) و(لَبَّن) الرجل (تلبينًا) اتخذ اللّبِن[٢]. فأتى قومًا نكرة لا قيمة لهم في نظر المجتمع يعملون بمهنة صناعة الطوب يتكسبون بها لمعاشهم.

قوله: (فسألهم: كيف تأخذون على هذا اللَّبِن؟ قال: فأخبروه فَلَبَّنَ معهم، فكان يأكل من عمل يده، فإذا كان حين الصلاة قام يصلي):

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤١٢).
(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٩١).

أي: سألهم عن الأجر المادي نظير هذا العمل الشاق.

قوله: (فرفع ذلك العمال إلى دِهْقانِهِم): دهقانهم: بكسر الدال وضمها، رئيس القرية، وهو مُعرَّب وهو من الدَّهْق أي الامْتِلاء[١].

قوله: (أن فينا رجلًا يفعل كذا وكذا، فأَرسَل إليهِ فأبى أَن يأتِيَهُ، ثلاث مرات): ويبدو أنهم لم يكونوا يعلمون أنه كان ملكًا، غير أنه لفت انتباههم بحسن عمله ومعاملته وحرصه على صلاته، فبلغ أمره إلى ملك المملكة التي هو فيها يعمل، فطلبه الملك، لكنه أبى وامتنع من إجابة طلب الملك أن يأتيه ليستخبر عن حاله، وخشي منه أن يعرفه.

قوله: (ثم إنه جاء يسير على دابته، فلما رآه فَرَّ فاتَّبعهُ فسَبَقَهُ): فَرَّ: هرب[٢] خشية أن يعرفه أحد.

قوله: (فقال: أَنْظِرني أُكلِّمك قال: فقام حتى كلمه، فأخبره خبَرهُ فلما أخبره أنه كان ملكًا وأنه فَرَّ من رهبة ربه، قال: إِني لأَظُنُّني لاحقٌ بِك): ولما أدركه وعلم خبره وما كان فيه من ملك تنازل عنه رهبة من اللَّه ورغبة إليه، تأثر ذلك الملك به لما فيه من خصال للخير عظيمة، فسلك مسلكه.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣١٧).

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٩٦).

قال: فاتبعه، فعبدا اللَّه، حتى ماتا بِرُمَيْلَة مِصْرَ): بعد أن أخذ قرار ترك المملكة والتفرغ للعبادة مع صديقه الملك الآخر، فدعا اللَّه أن يميتهما معًا، فاستجاب اللَّه دعوتهما فماتا برميلة، قال الشيخ أحمد شاكر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بضم الراء وفتح الميم، هي ميدان تحت قلعة الجبل، كانت ميدان أحمد بن طولون، وبها كانت قصوره وبساتينه، وهي المعروفة الآن باسم ميدان صلاح الدين، وباسم «المنشية» بالقاهرة[1]. اهـ.

قوله: (قال عبد اللَّه: لَو أَنِّي كُنتُ ثَمَّ لاهتديتُ إلى قبرهما بصفة رسول اللَّه التي وصف لنا): «لو أني كنت ثَمَّ» القائل عبد اللَّه راوي الحديث، وثم بفتح المثلثة أي لو أني كنت هناك، لعرفت مكان قبرهما كما وصفنيه رسول اللَّه ﷺ. ما أعظمها من قصة لو كنا بها والملوك نعتبر.

من فوائد الحديث:

١- القصة مما صح من أخبار بني إسرائيل التي رواها النبي ﷺ.

٢- فيه إثبات أن الأقصى مسجد، وكان اسمه المسجد الأقصى في عهد بني إسرائيل وليس هيكلًا كما يدِّعي يهود اليوم.

٣- ترك المُلك والرئاسة والتفرغ للعبادة مزية لا يقوى عليها إلا من

(١) انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن (٤/ ٤٩).

امتلأ قلبه بالإيمان وهي فضيلة جليلة تحلى بها هذا الملك الوقور وصاحبه.

٤- فيه دليل أن من كان قبلنا من مؤمني بني إسرائيل كانوا يقيمون الصلاة في المسجد الأقصى.

٥- وأن صلاة الليل كانت هدي وشريعة من كان قبلنا.

٦- وفيه إشارة من عبد اللَّه بن مسعود أن عنده علمًا تفصيليًا من خبر النبي ﷺ له بمكان قبرهما.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث الرابع عشر

مُوسَى يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَ روحَهُ قَرِيبًا مِنْ فِلَسْطِين

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُرسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي رواية: (جَاءَ مَلَك الموتِ إلى موسى فقال: أَجِبْ رَبَّكَ)[١]، فَلمَّا جاءَهُ صكَّهُ، ففَقأَ عينهُ، فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ فقال: أَرسلتَني إلى عَبدٍ لا يُريدُ الموتَ، قال: فَردَّ اللَّهُ إليهِ عَينهُ، وقالَ: ارجع إِليهِ، فَقُل لهُ: يَضَعْ يَدهُ على مَتنِ ثور، فَلَهُ بما غَطَّتْ يَدُهُ بِكلِّ شَعرةٍ سَنةٌ، قال: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟ قال: ثم الموتُ، قال: فالآن. فَسأل اللَّهَ - أَي موسى - أَن يُدنِيَهُ مِنَ الأَرضِ المقدسَةِ رَميةً بِحَجر، قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: فَلَوْ كُنتُ ثَمَّ، وفي رواية: (لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ)[٢]، لأَريتُكمْ قَبرهُ إلى جانِبِ الطريق تَحتَ، وفي رواية: (عِنْدَ)[٣]، الكَثيبِ الأَحمرِ»[٤].

---

(١) أخرجها أحمد، عن أبي هريرة (٨٦١٦).

(٢) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة (٢٣٢٧).

(٣) أخرجها مسلم، عن أبي هريرة (٢٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٩) (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢) بهذا اللفظ، والنسائي (٢٠٨٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٥٣٠).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

شرح الحديث:

بعد مضي ٤٣٠ سنة تقريبًا على وجود بني إسرائيل في مصر، أمر اللَّه تبارك وتعالى نبيه موسى أن يخرج من مصر ومعه بنو إسرائيل متوجهًا إلى الأرض المقدسة نحو الشرق، وبعد أن وصلوا صحراء سيناء[(١)]، تقلبوا بألوان من الكفر والعصيان حينًا، والعناد وعدم طاعة نبي اللَّه موسى حينًا آخر، فعاشوا بعدها في تيه لا يهتدون سبيلًا، ونبي اللَّه موسى ومن غير كلل ولا ملل يأمر بني إسرائيل رهبة، ويحثهم رغبة على دخول الأرض المقدسة، لكن من غير جدوى كما أخبر سبحانه وتعالى على لسان موسى، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

---

(١) سِينَاء: بكسر أوله ويفتح، اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال: طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم اللَّه تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٣٤١). وتذكر المصادر اليهودية أن عدد الذين خرجوا من بني إسرائيل قرابة ستمائة ألف مقاتل عدا النساء والذرية، غير أننا نرى أن ما روُوه من أخبار في توراتهم في مجملها متناقضة ولم تقم على أساس علمي إنما روايات شفوية جمعوها في فترات متباعدة وغير مسندة، لذا يجب الحذر من الاعتماد عليها في الرواية ونكتفي بما أمر به النبي ﷺ أن لا نصدقها ولا نكذبها ما دام أن ليس ثمة ما يعضدها من شرعنا.

فأجابوه وكعادتهم بلغة الجبناء المذعورين المرعوبين من العماليق الفلسطينيين الجبارين، ومن غير حياء أو احترام لنبي اللَّه موسى، الذي أقامه اللَّه بين ظهرانيهم، ويسَّر لهم سبل النصر على أعدائهم من تابوت يتقدمهم، يُنْصَرون بوجوده بينهم، فيه سكينة ورحمة، لكنهم ومن غير خوف أو خشية أو رهبة في قلوبهم من اللَّه، قالوا كما أخبر سبحانه وتعالى على لسانهم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، لقد اضطرهم الأمر ومن شدة خوفهم من الفلسطينيين الأولين الذين كانوا على الكفر وهم من كانوا يوصفون بالأمة المسلمة، وببني إسرائيل تشريفًا لهم، وكان بين أظهرهم نبيّا اللَّه موسى وأخوه هارون عليهما السلام يقودان مسيرتهم، غير أنهم استهزأوا باللَّه تبارك وتعالى ورسله، وبكل عناد مجددين رفضهم دخول الأرض المقدسة، كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَاۖ فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

لقد استحكم في قلوبهم الجُبْن والخور، ولم يشفع لهم ما ينبغي أن يكونوا عليه من شريعة صحيحة نزلت غضَّة طريَّة وبحضرتهم على نبيهم موسى عليه السلام، ومعجزات تأتيهم تترا تتراءى لهم بين أعينهم بين الحين والآخر، وفي كل مناسبة، لكن من غير جدوى.

إنها القلوب التي جُبلِت على الكفر وانطوت سجيتها على العناد، فلم يُفلِح معها معجزات، ولا ألواح فيها آيات بيّنات.

ثم كانت بعد ذلك المحاولات تلو المحاولات مع بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة حال وجودهم في التيه مع نبيّي اللَّه موسى وهارون عليهما السلام لكنه العناد مرة أخرى، فكان الجزاء من جنس العمل وعقوبة اللَّه لبني إسرائيل بحرمانهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة، بسبب تعنتهم، ورفضهم أوامر نبيهم، واضطرابهم على أنبيائهم، وتقلبهم المستمر بين الكفر والإيمان.

وحال اللَّه بينهم وبين الأرض المقدسة لما عصوْا أوامر نبيهم حتى قبض اللَّه روح موسى وأخيه هارون عليهما السلام في التيه قبل أن يدخلا الأرض المقدسة.

نعم موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة فلسطين، وتُوفِّي دونها. وإنما دخل بنو إسرائيل فلسطين بعد وفاته بقيادة يوشع ابن نون، فحبست له الشمس حتى دخل الأرض المقدسة فاتحًا بإذن اللَّه ومعه نفر قليل من بني إسرائيل، كما جاء ذلك في حديث البراء بن عازب: (كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ)[1]، ثم أكمل داود مسيرة يوشع بن

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٨).

نون عليهما السلام، فكانت هي البدايات الحقيقية لدخول نفر قليل مؤمن من بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة (فلسطين).

لكن حديثنا هذا يخبر عن فترة قريبة من وفاة هارون عليه السلام وتحديدًا وبنو إسرائيل لا يزالون في التيه[1] وبعد فترة وجيزة من وفاة هارون أخي موسى عليهما السلام أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام.

قوله: (أُرسِلَ مَلكُ الموتِ إلى موسى): تمثل ملك الموت لموسى على هيئة رجل يدخل عليه ومن غير استئذان أو أن يعلمه سبب قدومه، ونوع المهمة التي جاء من أجلها كما هي السنة الربانية عند قبض أرواح الأنبياء، ومن غير مقدمات أو علامات التنبيه لموسى بدنوّ أجله يتقدم إليه ليقبض روحه.

قوله: (فَلمَّا جاءَهُ صكَّهُ): وهي ردة فعل طبيعية من موسى تجاه رجل لا يعرفه يدنو منه يريد أن يعتدي عليه، فـ«صكّه»: أي ضربه ولطمه، ولا يمتنع أن يكون اللَّه أذن له بذلك امتحانًا للملطوم، أو أن موسى لم يعلم أنه ملك مرسل من اللَّه وظن أنه رجل قصد له

---

(١) التيه: الموضع الذي ضلت فيه بنو إسرائيل، وهي: أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام، ويقال: إنها أربعون فرسخًا في مثلها، والغالب على أرض التيه الرمال، وفيها مواضع صلبة، وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة يتصل حد من حدودها بالجفار، وحد بجبل طور سيناء، وحد بأرض بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين، وحد ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حد القلزم. معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٨١).

الشر، أو أنه إنما لطمه؛ لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيّره في المرة الثانية أذعن موسى عليه السلام[١].

قوله: (فَفَقَأَ عينهُ فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ فقال: أَرسلتني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ، قال: فَردَّ اللَّهُ إليه عَينهُ): فَفَقَأَ عينهُ: بالهمز[٢]، بخقها، أي عورها[٣]. أي ضربه بباطن كفه فقلع عينه وأعماها، واللطمة أثرت في العين الصورية لا في العين الملكية، فإنها غير متأثرة بها.

وذكر صاحب «الإفصاح» إنما وجه الحديث عندي أن موسى كان من الدنيا في دار عبادة وخدمة، فجاءه ملك الموت لينقله إلى دار راحة ونعمة، فكره أن يراه اللَّه تعالى مسرعًا إلى الخلاص من خدمة ربه، وحمل أعباء الأثقال من مرارة خلقه، طالبًا تعجيل الراحة بالتنعم في دار الخلد بالعطايا السنية فلطم ملك الموت[٤]. وقيل إن اللَّه تعالى لإكرامه إياه ولطفه به لم يأمر الملك بأخذ روحه قهرًا، بل أرسله في صورة بشر منذرًا بالموت، وأمره بالتعرض على سبيل الامتحان.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٥١٠).
(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٣).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٠٨).
(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح شرح للجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي، ابن هبيرة (٦/ ٣٢٩).

كيف لموسى عليه السلام أن يفقأ عين المَلَكْ؟!

قال النووي[١]: قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكروا تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟

قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن اللَّه تعالى له في هذه اللّطمة، ويكون ذلك امتحانًا للملطوم، واللَّه سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد. وإن كنت أرى أن الملك ليس محلا للاختبار وليس هو المقصود لذاته، بل هو مكلف بأمر من اللَّه تعالى.

والثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غالبه بالحجة، ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصًا، قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: «فرد اللَّه عينه» فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيدًا.

والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند اللَّه، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه، فدافعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء، وتؤيده رواية (صكه)، وهذا جواب الإمام

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٣-١٢٤).

أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض، قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيًا بأنه ملك الموت، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم بخلاف المرة الأولى. واللَّه أعلم.ا.هـ

قوله: (وقال: ارجع إليه فقل له يَضَعْ يَدهُ على مَتنِ ثور فَلَهُ بما غَطَّتْ يَدُهُ بِكلِّ شَعرةٍ سَنةٌ): الذي قال هو اللَّه تبارك وتعالى طالبًا من الملك الرجوع لموسى مرة أخرى أن يضع يده على متن ثور: بفتح الميم وإسكان التاء، مكتنف الصلب من العصب واللحم[(١)]، أي: ظهره[(٢)].

قوله: (قال: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟): ثم مه: هي هاء السكت، وهو استفهام، أي ثم ماذا يكون أحياة أم موت[(٣)]؟

قوله: (قال: ثم الموتُ[(٤)]، قال: فالآن): والآن ظرف زمان غير

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ٤٨٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) وقيل: «كانت وفاته عليه السلام، في التيه في سابع شهر آذار لمضي ألف وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان، وكان موته بعد أخيه هارون بإحدى عشرة سنة وقيل غير ذلك. وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، وعاش موسى مائة وعشرين سنة، ونزل عليه جبريل أربعمائة مرة.

وكان جملة مقام بني إسرائيل في مصر حين أخرجهم موسى مائتين وخمسة عشر =

متمكن، وهو اسم لزمان الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل. وفي رواية: أجب ربك: أي للموت ومعناه جئت لقبض روحك[١]، وهو من لطف اللَّه تعالى وإكرامه لموسى أن خيَّره وأمهله.

قوله: (فَسأل اللَّهَ «أَي موسى» أَن يُدنِيَهُ منَ الأَرضِ المقدسَةِ رَميةً بحجر): يدنيه، أي: يقربه، رمية حجر، أي: قدر ما يبلغه[٢]، أي: يكون بيني وبينها مقدار رمية حجر.

تعريف بمصطلح الأرض المقدسة:

والمقدسة المطهرة وسميت مقدسة؛ لأن فيها المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب[٣]. ولأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين[٤].

أو لأنها طهرت من الشرك وجُعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين[٥] وهي فلسطين[٦] يقال: بيت المقدس والبيت المقدَّس وبيت

= سنة، وبين وفاة موسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية ألفان وثلاثمائة وثمانية وأربعون سنة على اختيار المؤرخين... ومات موسى ولم يعرف أحد من بني إسرائيل أين قبره ولا أين توجه». الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الحنبلي (١/ ١٠١).

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٣-١٢٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٦/ ٣٨٩).

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (٣/ ٢٣)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٥) انظر فضائل بيت المقدس، ابن الجوزي (٤٦)، ت: عمرو عبد العظيم.

(٦) معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٤/ ٥٧٥).

القدس: بضم الدال وسكونها[١].

عن مَعمر، عن قَتَادَةَ في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ قال: هي الشَّامُ[٢]. قيل: هي الشام وفِلَسطين[٣]. وعلى لسان موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

وبغض النظر عن التفاوت في تحديد حدود الأرض المقدسة، إلا أن موسى عليه السلام عرف حدها وقدسيتها وشرف المدفونين فيها فكانت هي علة طلب الدنو منها.

حدود الأرض المقدسة:

اختلف أهل التفسير في تعيين حدود الأرض المقدسة، قال مجاهد: هي جبل الطور وما حوله. قال الضحاك: إيلياء وبيت المقدس. قال عكرمة والسدي: أريحا. وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن. وقال قتادة: هي الشام كلها[٤]. ومع ما اختلفوا فيه نجد

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤/ ٤٢).

(٢) عزاه الشيخ أحمد سليمان في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية الصادرة عن مركز بيت للدراسات التوثيقية ، إلى: «تفسير عبد الرزاق» (١/ ١٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥)، وعبد بن حميد (٣/ ٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ١٥١). وقال رجاله ثقات.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٧٣٦).

(٤) المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، أحمد بن عيسى بن كنان =

أن فلسطين في جميع الأقوال مشمولة بحدود الأرض المقدسة.

لماذا سأل موسى ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة؟

لقد تعددت أسباب سؤال موسى عليه السلام ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة غير أن كل ذلك كان يصب في مسارعته لرضى الرب سبحانه وتعالى، وقد أجاب النووي على هذال السؤال فقال: «أما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة؛ فلشرفها، وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم، وقال بعض العلماء: إنما سأل الإدناء من الأرض المقدسة مسارعة لامتثال أمر اللَّه تعالى في قتال الجبارين الذين كانوا ببيت المقدس»[(١)].

وقال ابن بطال: «في معنى سؤال موسى أن يدنيه من الأرض المقدسة- واللَّه أعلم- لفضل من دُفن في الأرض المقدسة من الأنبياء والصالحين؛ فاستحب مجاورتهم في الممات كما يستحب جيرتهم في المحيا؛ ولأن الفضلاء يقصدون المواضع الفاضلة، ويزورون قبورها ويدعون لأهلها. قال المهلب: إنما سأل الدنو من الأرض المقدسة؛ ليسهل على نفسه، وتسقط عنه المشقة التي تكون

= الصالحي الدمشقي، القسم الثاني (٣٦٢) (٣) منشورات وزارة الثقافة السورية، ت: حكمت اسماعيل.

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي (٣/ ٣٠١).

على من هو بعيد منها من المشي، وصعوبته عند البعث والحشر»[١].

كما نجد أن هناك من فضلاء الصحابة كانوا حريصين كل الحرص على أن يُوارى جثمانهم في الأرض المقدسة فهذا أبو عبيدَة بن الجرَّاح أحد السابقين الأولين، وأمين هذه الأمة، وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة. «انطلقَ يُريدُ الصَّلاة ببيت المقدس، فَأَدركَه أجلُه بِفِحل فَتوفّي بها...» وقال: ادفُنوني من غربي نهر الأردنّ إِلى الأرض المقدَّسة، ثم قَالَ: ادفُنوني حيث قَضيت؛ فإني أَتَخوَّف أن تَكون سُنّة[٢].

ومع تقديسها لا يمنع أن يقع فيها ومن أهلها شيء من المعاصي، قال ابن بطال: «أجمع أهل الشرائع على أن اللَّه قدسها وقد شاهدوا فيها المعاصي والكفر والذنوب ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي»[٣].

لماذا سأل موسى ربه الإدناء من الأرض المقدسة ولم يسأل الدفن فيها؟

وهنا لفتة مهمة يجب أن نشير إليها، فموسى عليه السلام، سأل اللَّه أن

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٣/ ٣٢٥).
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٢٥/ ٤٨٦).
(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٩/ ٤٢٤).

يموت ويدفن قريبًا منها وليس فيها، وعلة ذلك واللَّه أعلم كما جاء في شرح النووي «أنه خاف أن يكون قبره مشهورًا عندهم فيفتتن به الناس، وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة، والمواطن المباركة، والقرب من مدافن الصالحين»[(١)]. اهـ.

كما أنه خشي إن وصى بني إسرائيل أن يحملوه قريبًا منها، أن لا يفعلوا أو ينسوه كما نسوا جثمان يوسف لما خرجوا من مصر.

على كل حال لا غضاضة في كونه قريبًا من الأرض المقدسة وليس فيها، لأنه وكما يقال: من قارب الشيء أعطي حكمه[(٢)].

قوله: (قال رسول اللَّه ﷺ: فَلو كُنتُ ثَمَّ): وفي رواية: (لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ)، فلو كنت ثمَّ: بفتح المثلثة ظرف مكان، أي لو كنت هناك، وقد صرح أبو هريرة في هذا الجزء من الحديث برفعه إلى النبي ﷺ مع أنه لم يصرح بذلك في بدايته.

قوله: (لأَرَيتُكمْ قَبرَه[(٣)] إلى جانبِ الطريق تَحتَ الكثيبِ الأحمرِ):

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٢٨).

(٢) فتح الباري، للعسقلاني (٣/ ٢٠٧).

(٣) وزعم ابن حبان أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس، وتعقبه الضياء بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من بيت المقدس، قال وقد اشتهر عن قبر بأريحاء عنده كثيب أحمر أنه قبر موسى، وأريحاء من الأرض المقدسة، ومعلوم أنه مات دونها.

وقد ظن بعض المتأخرين أن مقام النبي موسى الذي يبعد ثلاثين كيلاً شرقي =

والكثيب بالمثلثة وآخره موحدة وزن عظيم: الرمل المجتمع. وهو الرمل المستطيل المحدودِب[(١)]. أو التل من الرمل. وقيل: السهل.

= القدس، هو قبر للنبي موسى عليه السلام.. وليس ذلك صحيحًا، فهذا المقام إنما بني في عهد المماليك، على مكان موسم النبي موسى الذي طرأ أيام صلاح الدين الأيوبي، وكان الهدف من إحداث هذا الموسم تجميع الناس، واستغلال هذا التجمع للتحريض على مقاومة الصليبيين.. وبقي هذا الموسم إلى وقت قريب. اهـ. انظر: بيت المقدس والمسجد الأقصى، محمد شراب (٢٩٤).

أما يهود فقد بان وانكشف عوارهم واتضح زيف ادعائهم، حتى بعث اللَّه إليهم من يفضحهم ممن كان على ملتهم فها هو الحبر الذي سمَّى نفسه باسم: عبد السلام المحمدي المهتدي، بعد إسلامه يرد على غلط فاحش متعلق بوفاة سيدنا موسى عليه السلام دسوه في توراتهم، فيقول: إنَّا وجدنا في التوراة الموجودة عندهم: (وَيَا عَرْمُوسى الهَرنَيُو وَيَامُتْ شَيْم وَبَقَيراتُو وَيَنكُوُ بنيِ إسرائيلاث موسى ثُلوشيم يُومْ). ومعناه بلغة العرب: وصعد موسى على جبل «نبودماتم» وقُبر فيه وبكوا بني إسرائيل ثلاثين يومًا؛ فمفهومات هذه القضايا التي أُديت بصيغ الماضي تدل على وقوع هذه الأمور في الزمان الماضي بعد موسى، ومعلوم أنّ التوراة إنما أُنزلت على موسى في زمان صحته وحيويته لا بعد موته حتى يقال: مات ودفن وبكوا عليه، فهذا يدل على تغييرهم التوراة الموجودة الآن.

ويقول المحمدي: وجدنا في التوراة: (ولو يدع ايش قبورًا ثوعذ هيوم هزه). ومعناه بلغة العرب: لم يعلم رجل قبره؛ أي قبر موسى عليه السلام حتى اليوم، ويظهر في معناه تغييرهم، لأن قوله «حتى اليوم»، يدل ممات موسى قبل هذا الكلام بزمان، فهذا يدل على كونه غير منزل على موسى عليه السلام وهذا أوضح. اهـ.

لذا فإن توراة يهود اليوم ليست مصدرًا موثوقًا يأخذ منه، لا في العقائد والشرائع ولا في القضايا التاريخية ولا من نسبوهم أنهم خاصة أنبيائهم، إنه كتاب وبقدر اللَّه عبث فيه العابثون. الرسالة الهادية في الرد على اليهود، للحبر عبد السلام المحمدي المهتدي، مخطوط يقوم الأخ الفاضل د. نايف منير فارس، على خدمته، يسر اللَّه طبعه.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٧٩٣)، وشرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٣-١٢٤).

وقال صاحب الغريب: إذا كانت الرملة مجتمعة، فهي: العَوْكَلَة، فإذا انبسطت وطالت، فهي الكثيب، فإذا انتقل الكثيب من موضع إلى آخر بالرياح، وبقى منه شيء رقيق فهو اللَّبب، فإذا نقص، فهو: العداب[(١)].

على كل حال فالرسول شاهد عيان على مكان القبر ووصفه لدرجة اليقين حتى أنه لو تمكن من الوصول إلى المكان لاستطاع تحديد مكانه بالدقة ذاتها التي حددت فيها عجوز بني اسرائيل مكان قبر يوسف عليهم السلام جميعًا.

من فوائد الحديث:

١- الحرص على الموت في الأرض المقدسة أو قريبًا منها لا يقل شأنًا عن الموت فيها وهو كان مسعى موسى ومن كان قبله ومن جاء بعده من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم وغيرهم من الصالحين.

٢- ليس في قبور الأنبياء ما هو محقق معروف مكانه، إلا قبر نبينا محمد ﷺ وأما غيره من قبور الأنبياء فمظنون.

٣- فيه فضل الدفن في الأرض المقدسة[(٢)]. وبه بوَّب البخاري هذا

---

(١) السفر الأول، (ص٧٣-٧٤) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل اللَّه العمري ٧٤٩هـ، ط٢-١٩٩٦م.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٣٧-٥٣٨).

الحديث في كتابه، فقال: (بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا) وفي موضع آخر قال: باب وفاة موسى.

٤- وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء في ذلك عدة أحاديث صحيحة صريحة[١].

٥- وفيه من فضل اللَّه سبحانه أنه أَرى رسوله محمد ﷺ موسى عليه السلام يصلى في قبره؛ ليعرف ﷺ أنه ليس في دفنه هو في الأرض غضاضة ولا نزول عن مرتبة موسى؛ ولتكون قبورهم أمانًا لأهل الأرض[٢].

٦- على أهل الأرض المقدسة أن يثبتوا عليها حتى يلقوا اللَّه تعالى وهم كذلك لينالوا شرف الموت فيها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٤٣).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٥/ ٣٧٤).

الحديث الخامس عشر

حَبْسُ الشَّمْسِ عَنْ يُوشَع بِن نُون عليه السلام حَتَّى يُدْرِكَ دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا حُبِسَتِ الشَّمْسُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، وفي رواية: (إن الشمس لم تحبس)[(١)]، إِلا عَلَى يُوشَعَ ابْنِ نُونَ، لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وفي رواية: (فَغَزَا فَدَنَا مِنْ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِم)[(٢)]»[(٣)].

---

(١) أخرجها أحمد، عن أبي هريرة (٨٣١٥)، أبو عوانة (٦٦٠٤)، والقطيعي في جزء الألف دينار (٢٣٩).

(٢) أخرجها البخاري، عن أبي هريرة (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) أخرجه أحمد (٨٢٩)، والخطيب: (٩/ ٩٩) وابن عساكر: (٢١/ ٢٢٩) قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٢٢١) «صحيح إسناده»، قال المناوي في التيسير (٢/ ٦٧٤): «رواه أحمد بإسناد صحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٢ و٢٢٢٦)، وصحيح الجامع (٥٦١٢)، قال شعيب الأرناؤوط في التعليق على مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) (٨٢٩٨) «إسناده صحيح على شرط البخاري»، وأخرجه البخاري مطولًا: (٢٩٥٦) دون ذكر يوشع بن نون وبيت المقدس، كذا مسلم: (٤٦٥٣) وقد وضَّح ابن حجر في الفتح أن المقصود برواية البخاري بيت المقدس وذكر رواية أحمد، انظر الفتح (١/ ٢٩٣) و(٦/ ٢٢١).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

شرح الحديث:

أوصى موسى من بعده لفتاه يوشع بن نون بخلافة بني إسرائيل لما كانوا في التيه، وهو ما جاء بحقه في قوله تباركَ وَتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]. فكانت قيادته لهم بمثابة عصر وعهد جديد لبني إسرائيل، فخرج بهم من سيناء متوجهًا إلى الأرض المقدسة، فكانت فيها الانتصارات والفتوحات على يديه، حتى أكرمه اللَّه بأن حبس له الشمس لما أوشكت على الغروب، وقد كان بينه وبين الفتح ساعات قليلة، فأمرها يوشع أن لا تغرُب حتى يفتح المدينة وبقدر اللَّه كان له ما طلب فكانت معجزة أجراها اللَّه لنبيه يوشع بن نون عليه السلام تكرمة له.

قوله: (مَا حُبِست الشمسُ عَلَى بَشَرٍ قط): قيل في هذا الحبس: إنها رجعت على أدراجها.

وقيل: وقفت فلم ترد.

وقيل: هو بطء حركتها.

«والمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع، على هذا الوجه، على ما مضى من الأنبياء قبل نبينا»[(١)].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٥٥) (٢٥٦).

غير أن القاضي عياض أجمل الأقوال في كيفية حبس الشمس فقال: «اختلف في حبس الشمس هنا، فقيل: ردت على أدراجها، وقيل وقفت، وقيل: بَطُأت حركتها، وكل ذلك محتمل، والثالث أرجح عند ابن بطال وغيره»[(١)].

الحكمة من حبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام:

وسبب حبسها أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم فدعا اللَّه فرد له الشمس.

للقرطبي توجيه لطيف في الحكمة من حبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام، حيث قال: «قال علماؤنا: والحكمة في حبس الشمس على يوشع عند قتاله أهل أريحاء وإشرافه على فتحها عشي يوم الجمعة، وإشفاقه من أن تغرب الشمس قبل الفتح: أنه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال لأجل السبت؛ ويعلم به عدوهم فيعمل فيهم السيف ويجتاحهم، فكان ذلك آية له خُصَّ بها، بعد أن كانت نبوته ثابتة بخبر موسى على ما يقال»[(٢)].

قال الألباني: «وأيهما كان الأرجح، فالمتبادر من الحبس أن الغرض منه أن يتمكن النبي يوشع وقومه من صلاة العصر قبل غروب الشمس،

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٢٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٦/ ١٣٠) (المائدة: ٢٠).

وليس هذا هو المراد، بل الغرض أن يتمكن من الفتح قبل اللَّيل؛ لأن الفتح كان يوم الجمعة، فإذا دخل اللَّيل، دخل يوم السبت الذي حرّم اللَّه عليه العمل فيه، وهذا إذا صح ما ذكره ابن كثير عن أهل الكتاب: «وذكروا أنه انتهى من محاصرته لها يوم الجمعة بعد العصر، فلما غَرَبت الشمس أو كادت تغرب ويدخل عليهم يوم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان... واللَّه أعلم»[(١)].

هل حبست الشمس لغير يوشع بن نون عليه السلام:

أجاب عن هذا السؤال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله بعد أن أجمل الأقوال وحررها، فقال[(٢)]:

أ- ما ذكره ابن إسحق في «المبتدأ» من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه أن الشمس حبست لموسى لما حمل تابوت يوسف.

وقال -أي الألباني -: هذا موقوف، والظاهر أنه من الإسرائيليات، وقصة نقل موسى لعظام يوسف عليه السلام من قبره في مصر في «المستدرك» (٢/ ٥٧١-٥٧٢) بسند صحيح عنه ﷺ، وليس فيها ذكر لحبس الشمس.

ب - أنها حبست لداود عليه السلام.

---

(١) نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد: (٢/ ٤٤٢).

(٢) انظر مشكورًا كتاب نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد: (٢/ ٤٤١-٤٤٦).

أخرجه الخطيب في «ذم النجوم» له من طريق أبي حذيفة وابن إسحق في «المبتدأ» بإسناد له عن عليّ موقوفًا مطولًا. قال الحافظ: «وإسناده ضعيف جدًا، وحديث أبي هريرة المشار إليه عند أحمد أولى، فإن رجال إسناده محتج بهم في الصحيح، فالمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع».

ج - أنها حبست لسليمان بن داود عليهما السلام، في قصة عرض الخيل، وقوله الذي حكاه اللَّه عنه في القرآن: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٣]، رواه الثعلبي ثم البغوي عن ابن عباس.

قال الحافظ: «وهذا لا يثبت عن ابن عباس ولا عن غيره، والثابت عن جمهور أهل العلم بالتفسير من الصحابة ومن بعدهم أن الضمير المؤنث في قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ للخيل. واللَّه أعلم.

د- ما حكاه عياض أن الشمس ردت للنبي ﷺ يوم الخندق لما شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها اللَّه عليه حتى صلى العصر.

قال الحافظ: «كذا قال! وعزاه للطحاوي، والذي رأيته في «مشكل الآثار» للطحاوي ما قدمت ذكره من حديث أسماء، وقصة انشغاله ﷺ عن صلاة العصر في «الصحيحين» وغيرهما، وليس فيها ذكر لرد الشمس عليه ﷺ»[1].

---

(١) انظر: «نصب الراية» (٢/ ١٦٤).

هـ - ومن هذا القبيل ما ذكره يونس بن بكير في زياداته في «مغازي ابن إسحق» أن النبي ﷺ لما أخبر قريشًا صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم وأنها تقدم مع شروق الشمس فدعا اللَّه، فحبست الشمس حتى دخلت العير.

قال الألباني: وقفت والحمد للَّه - على إسناد الحديث، فتبين أنه ليس بحسن، بل هو ضعيف أو موضوع، ولذلك أودعته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» رقم: (٩٧٢).

و - ما رواه الطحاوي وغيره من حديث أسماء بنت عميس أن الشمس ردت بعد غروبها لعليّ رضي الله عنه حتى صلى صلاة العصر، وكان قد فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على فخذه.

قال الألباني: وهذه القصة لا تثبت، وهي عند الطحاوي من طريقين عن أسماء، فيهما ضعف وجهالة... كما بينته في السلسلة المشار إليها رقم: (٩٧٦).

قوله: (إِلَّا على يُوشَعَ بن نون): هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب، وتوفي وعمره مئة وعشرون سنة[(١)]. فتى موسى عليهما السلام، خلفه في بني إسرائيل، وفتح بيت المقدس بعد أن هزم العماليق. وقيل: إنه مات قتلًا، كما جاء في الأثر أنه لمَّا قُتِل

(١) المنتظم، ابن الجوزي (١/ ٣٧٧) نقلاً عن تاريخ مختصر الدول (ص ٢٤ و٢٥).

عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام الحسن بن عليّ خَطيبًا، فقال: «قَد قَتَلتُم واللَّهِ اللَّيلةَ رجُلًا في اللَّيلةِ الَّتي أُنزِلَ فِيها القُرآن، وفيها رُفع عيسى ابن مَريَم، وفِيها قُتِلَ يوشَعُ بن نُونٍ فَتى مُوسى»[(١)].

قوله: (لَيالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ): قال ابن حزم الأندلسي: «دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ مدبِّر أمرهم إثر موت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومع يوشع العازار بن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، صاحب السرادق بما فيه، وعنده التوراة لا عند أحد غيره بإقرارهم، فدبر يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرهم في استقامة وألزمهم للدين إحدى وثلاثين سنة مذ مات موسى إلى أن مات يوشع عليهما السلام»[(٢)].

من فوائد الحديث:

١- في الحديث أن الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٣)] وهي معجزة خُصَّت به دون غيره من الأنبياء.

٢- وفيه دليل على أن الذي فتح بيت المقدس بعد سِنِيِّ التِّيه في سيناء، هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣٤٠).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الاندلسي (١/ ١٨٥).

(٣) نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد (٢/ ٤٤٢).

٣- كما أن الشمس حبست ليوشع بن نون عليه السلام تكرمة له ولجنده، فهي كذلك حبست لبيت المقدس تكرمة لها.

٤- وفي الحديث إشارة لتكرمة اللَّه لجند يوشع على صدق إيمانهم وحسن متابعتهم لنبي اللَّه يوشع عليه السلام.

* * * * *

الحديث السادس عشر
سليمَانُ يُجَدِّدُ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول اللَّه ﷺ: (أَنَّ سُلَيْمَانَ بِنَ دَاوُدَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ بُنْيَانِ، وفي رواية: (لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ)[١]، مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ، وفي رواية: (خلالًا ثلاثة)[٢]، حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ، وفي رواية: (لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ)[٣]، مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ)[٤].

---

(١) أخرجها النسائي عن عبد اللَّه بن عمرو (٦٩٣)، وقال عنها الألباني: «صحيح».

(٢) أخرجها النسائي، عن عبد اللَّه بن عمرو (٦٩٣)، وقال عنها الألباني: «صحيح».

(٣) أخرجها النسائي، عن عبد اللَّه بن عمرو (٦٩٣)، وقال عنها الألباني: «صحيح».

(٤) أخرجه أحمد (٦٦٤٤)، والنسائي (٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن حبان (٦٤٢٠)، والحاكم (٨٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٧٥) وأشار المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٢٠٦) أن «إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما»، قال ابن همَّات الدمشقي في التنكيت والإفادة (٥٤) «من أجود أحاديث الباب». قال ابن حجر في الفتح (٦/٤٠٨) «رواه النسائي بإسناد صحيح»، وابن خزيمة (١٣٣٤)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٠٩٠)، وصحيح ابن ماجه =

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن. ويقال: كان اسمه العاص، فلما أسلم غيَّره النبي ﷺ إلى عبدِ اللَّهِ.

وأمه: هي رائِطَة بنت الحجاج بن منبه السَّهمية، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة، أو نحوها.

وقد أسلم قبل أبيه، وهو الإمام، الحبر، العابد، صاحب رسول اللَّهِ ﷺ وابن صاحبه، لهُ مناقبُ، وفضائلُ، ومقامٌ راسخٌ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علمًا جمًا، وخلقًا رفيعًا.

قال أحمد بن حنبل: مات عبد اللَّهِ ليالي الحرة، سنة ثلاث وستين، وقال يحيى بن بُكير: توفي عبد اللَّهِ بن عمرو بمصر، ودفن بداره الصغيرة سنة خمس وستين للهجرة.

وقال ابن البرقي أبو بكر: فأما ولدهُ، فيقولون: مات بالشام[(١)]. أما عبد اللَّه بن بكير، قال: توفّي عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بأرضه بالسبع من فلسطين. ويقال: بل مات بمكّة، واللَّه أعلم[(٢)].

= (١١٦٤) وصحيح ابن خزيمة (١٣٣٤) وقال شعيب الأرناؤوط في التعليق على مسند أحمد: (٢/ ١٧٦) (٦٦٤٤): «إسناده صحيح رجاله ثقات».

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٧٩-٨٤).

(٢) فتوح مصر والمغرب، أبوالقاسم المصري (١٢١).

عدد أحاديثه: سبع مائة حديث، اتّفقا له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاريُّ بثمانية، ومسلم بعشرين.

أما أبوه عمرو بن العاص السهمي، نظرًا لبروز دوره وفتوحاته الكثيرة للمناطق الفلسطينية، فإننا نشير إلى بعض من سيرته ودوره الفاعل فيها بخاصة.

قَدِم عمرو بن العاص إلى بيت المقدس في شبابه في تجارة لنفر من قريش في الجاهلية(١)، وفي عهد أبي بكر عقد له لواءً وجهته فلسطين. وفي عهد عمر بن الخطاب ولاه فلسطين وما والاها(٢).

يقول ابن حزم: إن عمرو بن العاص: افتتح فلسطين كلها، حاشا بيت المقدس، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شَخَص إليها من المدينة فصالحوه. ويروي البلاذري بإسناده أن أوَّل وقعة واقعها المسلمون الرّوم في خلافة أبي بكر الصديق في أرض فلسطين، وعلى النّاس عمرو بن العاص، وفتح غزة(٣)، وبيت جبرين التى تقع إلى الشّمال الغربي من مدينة الخليل على بعد ٢١ كيلًا(٤) في خلافة أبي بكر الصّديق. و«بعد الانتهاء من غزة توجّه عمرو بن العاص إلى

(١) فتوح مصر وأخبارها (٥٣).
(٢) الطبقات الكبرى (٧/ ٤٩٣).
(٣) فتوح البلدان، البلاذري (١٨٨). الكامل (٢/ ٤٩٩).
(٤) فتوح البلدان، البلاذري (١٨٨).

«رَفَح»، وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم[١]. وفتحت «نابلس عام ١٣هـ على يد عمرو بن العاص بعد معركة أجنادين وفتح أيضًا (سَبَسْطيَة) من أعمال نابلس»[٢] وعقد معهم صلحًا أمّنهم فيه على أموالهم وأنفسهم ومنازلهم مقابل الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم[٣]. و«أول من حاصر قيسارية هو عمرو بن العاص، نزل عليها في جمادى الأولى عام ١٣هـ»[٤]. وقيل: إن عمرو بن العاص فتح اللِّد في خلافة أبي بكر بعد معركة أجنادين عام ١٣هـ وعقب فتح نابلس[٥]. ويبدو أن طبرية نقضت صلحها الأول مع شرحبيل فقدم إليها عمرو بن العاص فأعاد فتحها بغير قتال، ففتح بيسان وأفيق وجَرَشَ وبيتَ رأس وقَدَس والجولان وعكّا وصور وصفورية، وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها[٦]. وفتح يافا في خلافة الصّدّيق بعد أجنادين، وقيل إن فاتحها هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. واتخذ من منطقة (العربات) معسكرًا لجيشه قبل أن يصل خالد بن الوليد بجيشه إلى أجنادين رضي الله عنهم[٧].

---

(١) فتوح البلدان، البلاذري (١٨٨).
(٢) فتوح البلدان، البلاذري (١٨٨) الكامل (٢/ ٤٩٩).
(٣) فتوح البلدان، البلاذري (١٨٨).
(٤) فتوح البلدان، البلاذري (١٩١).
(٥) فتوح البلدان، البلاذري (١٨٨). الكامل (٢/ ٤٩٩).
(٦) فتوح البلدان (١٦٠)، معجم البلدان (١/ ١٤٨).
(٧) انظر: تاريخ الطّبري (٢/ ٦٠٩) الثقات لابن حبان (٢/ ١٨٨) غزوات ابن حبيش (١/ ٢٠٠) وورد الموضع فيه مصحّفاً (القريات).

وورد أن عمرو بن العاص اعتكف في منطقة بئر السّبع لما اختصم مع الخليفة عثمان بن عفان أثناء حصره الأول، فاعتزله، وأقام في أرض له يقال لها العجلان[١]؛ ولايزال القصر المشهور بـ«عجلان» معروفًا إلى اليوم في بئر السّبع، وهو منسوب لعمرو بن العاص، ويقول الحموي: إن منطقة «السّبع» هذه كان يملكها عمرو بن العاص. وفي بيت المقدس بايع عمرٌو معاوية على الطلب بدم عثمان كتابًا كان نصه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، هذا ما تعاهد عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد مقتل عثمان بن عفان، وحمل كل واحد منهما صاحبه الأمانة: إن بيننا عهدَ اللَّه على التناصر والتخالص والتناصح في أمر اللَّه والإسلام...»[٢].

شرح الحديث:

إن حديث الباب حديث مفصلي ومهم، فهمه يعين على إدراك الوجه الصحيح لجانب خطر من دعوى اليهود المبتورة بأحقيتهم في المسجد الأقصى، فقصة البداية اليهودية مع المسجد الأقصى تبدأ من بناء وتجديد سليمان عليه السلام للمسجد متغافلين عن كل ما سبق من تاريخ للمسجد الأقصى.

---

(١) تاريخ الطّبري (٣/ ٣٩٢).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ٢٥٤)، تاريخ دمشق (٥٥/ ٢٧).

قوله: (أنَّ سليمان بن داود): نبي اللَّه ابن نبي اللَّه، كما أخبر تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩] بُعث نبيًّا في بني إسرائيل، غير أنهم يعدونه ملكًا لا نبيًّا.

كما شهد له اللَّه بالإيمان والاستقامة قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وليس كما ادعت اليهود عليه ما ليس فيه ومن ذلك أنه وأباه ملكان وليسا نبيين، وقد جمعت التوراة في داود وسليمان عليهما السلام فساد الاعتقاد والأخلاق، ففيها أن سليمان ابن زنا من (بتشبع) التي تتهم التوراة أباه داود أنه زنى بها حين كانت زوجة لأوريا الحيثي الجندي الذي أرسله داود للمعركة ليتخلص منه[(١)]! ويقولون: إنه عابد للأوثان «آلهة النار»! يطيع بذلك زوجاته الوثنيات! فعاقبه اللَّه بتمزيق مملكته بسبب ذلك[(٢)]، كما وينغمس في الجنس!وألف امرأة وثنية في عصمته[(٣)]! وعذارى

(١) سفر صموئيل الثاني (١٢/ ١٩-٢٥).
(٢) سفر الملوك (١١/ ١١-١٣).
(٣) سفر الملوك الأول (١١/ ١ - ٥).

بنات مملكته مشاعات له! أما سفر نشيد الإنشاد فإنه يحكي قصة غرام بين سليمان وعشيقته التي انسلّ إليها ليلًا إلى بيتها ليتغزل بها، ثم يضاجعها بوصف تهتز له الأبدان[١]! والعياذ باللَّه من كذبهم وافترائهم على نبي اللَّه.

كل ذلك قدمنا به ليعلم القارئ أنهم يبحثون عن هيكل مزعوم لنبي كذبوا عليه وقذعوه بأحط الأخلاق والأوصاف والعياذ باللَّه.

فبعد أن فرغ نبي اللَّه سليمان عليه السلام من تجديد بناء المسجد الأقصى طلب من اللَّه في دعائه أمورًا ثلاثة.

قوله: (لما فَرغَ من بنيان مسجد بيت المقدس): أي فَرَغَ من الشغل[٢] وانتهى من أعمال تشييد بناء المسجد الأقصى. لا يستساغ عقلًا وشرعًا أن يفهم من هذا الحديث أن نبي اللَّه سليمان عليه السلام هو أول من بدأ بناء المسجد الأقصى، وتحديدًا بعد أن تعرضنا بشرح مفصل لهذه المسألة في شرحنا للحديث الثاني في هذا الكتاب، وما قام به هنا سليمان عليه السلام تحديدًا هو بناء التجديد والترميم، ولا غضاضة لغة في استعمال

---

(١) ويقول ابن العبري في تاريخ مختصر الدول، (ص ٣٤): «ولسليمان كتاب في الغزل ومراودة النساء يسمى «شيرث شيرين» أي: مدحة المدائح، ظاهره ينبئ أنه يغازل فيه ابنة فرعون السمراء وتغازله.!! وأقول: عجبًا لقول هؤلاء في وقاحتم على أنبياء اللَّه عليهم السلام».

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٠).

كلمة بنيان ويقصد بها التجديد وبه قال أبو شهبة: «واستعمال البناء في التجديد مستساغ وورارد في اللغة العربية»[١].

وما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: (أَلَم تَرَي أَنَّ قَومكِ حِين بَنوا الْكعبة اقتصَروا عن قَواعِدِ إِبراهِيم، قالت: فقلت: يا رسول اللَّهِ، أَفَلَا تَرُدُّهَا على قَوَاعِدِ إِبراهِيمَ؟...)[٢]، ونلحظ هنا أن لفظة «بَنَوا الْكعبَةَ» جاءت منسوبة إلى قريش، ومعلوم بداهة أن قريش كذلك لم تكن أول من بنى الكعبة، بل هي عملية تجديد وترميم ما تهدم منها.

قوله: (سأل اللَّه): أي دعا اللَّه وطلب منه وفي رواية «خلالًا ثلاثة» خلالًا: جمع خلة - بالفتح -: الخصلة[٣].

قوله: (حكمًا يصادف حكمه): وهو الدعاء الأول من نبي اللَّه سليمان إلى اللَّه تبارك وتعالى والمراد منه كما قال السندي: هو التوفيق للصواب في الاجتهاد، وفصل الخصومات بين الناس[٤]. وأن يحكم بين عباد اللَّه بما يُصادف حكم اللَّه تعالى، لأن سرائر العباد من علم الغيب لا يطلع عليها إلا اللَّه تعالى والحاكم بين

---

(١) السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، أبو شهبة (١/ ١٣٤).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٣٣).
(٣) مختار الصحاح (١٨٧).
(٤) حاشية السندي على سنن النسائي (٢/ ٣٧).

العباد من البشر يعمل بما يظهر له منهم فقد يكون بعضهم ألحن من بعض أو يأتي بعضهم بشاهد زور أو يمين غموس فينصرف حكم الحاكم وبعد اجتهاد، عن الصواب وموافقة حكم اللَّه.

قوله: (وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده): وهذا الدعاء الثاني، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] أي ملكًا لا يكون لأحد من بعد سليمان عليه السلام.

وهذا مما اختص اللَّه به نبيه سليمان دون غيره من أنبياء ورسل وعامة البشر، أما إذا أردنا أن نعرف ما آتاه اللَّه من قوة تُمكِّنه من ملك لا ينبغي لأحد من بعده يخصه بها كمعجزة عظيمة لا تقع لأحد من بعده، فلك أن تتأمل آيات اللَّه وما آتاه اللَّه من أسباب القوة التي لم تعط لأحد من بعد سليمان عليه السلام، فكان مما سخّر له من جند وبأمر اللَّه، ريح تجري بأمره وجن وإنس وطير يعمل بأمره: قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وقال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

وجاء في الأثر عن مجاهد: «ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود بن كنعان، لم يملكها غيرهم[(١)]. لكنهم ومع هذا ومن غير نبي اللَّه سليمان لم يمكنوا مما مكن منه سليمان، من تسخير الجن والإنس والطير والريح.

قوله: (ولا يأتي هذا المسجد أحدٌ لا يريدُ إلَّا الصلاةَ فيه إلَّا خرج من خطيئَتِهِ كَيومَ ولدتهُ أُمُّهُ): ولا يأتي هذا المسجد: أي لا يدخل المسجد الأقصى، وفي رواية «لاينهزه»: أي لا يحركه[(٢)]، قال السندي: في رواية النسائي، قوله ﷺ: (أن يخرجه): من الإخراج أو الخروج، والظاهر أن في الكلام اختصارًا، والتقدير أن لا يأتيه أحد لا يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، وهو بدل من تمام

(١) انظر تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر (٥/ ٤٣٣) (٥٨٧٤) وتفسير ابن كثير (١/ ٣١٣) وتفسير القرطبي (١١/ ٤٨)، وتفسير البغوي (١/ ٣١٥)، وتفسير مجاهد (١/ ٣٨٠) وغيرهم، ونُقل نفس المعنى عن ابن عباس في زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٦٤) والدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٣٣).

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (٢/ ٣٧).

الكلام على الاستثناء، إلا أنه حذف الاستثناء لدلالة البدل عليه»[(١)].

ومن قصد الأجر بخروجه للمسجد الأقصى كتب اللَّه له ذلك، وبنحوه بوب له ابن خزيمة في صحيحه باب فضل الصلاة في مسجد بيت المقدس، وتكفير الذنوب والخطايا بها[(٢)].

وبمثله قال ابن العبري في تاريخه: «ولما شيد بيت الرب شكر اللَّه ودعا لبني إسرائيل بالبركة... إذا كان في الأرض جوع أو جراد أو موت أو مرض فاستغاثوا إليك فاستجب لهم. وإذا أتى أحد الأمم الغريبة إلى هذا البيت ودعاك فاستجب له لتعلم شعوب الأرض أنك أنت اللَّه وحدك فيخافوك»[(٣)]. وكأن نبي اللَّه سليمان أراد بدعائه المترتب له هذا الفضل العظيم لمن صلى فيه بتمام الإخلاص.

قوله: (فقال رسول اللَّه: «أما اثنتانِ فقد أُعطيهما»): أي الحُكم والمُلك.

قوله: (وأَنا أرجو أَن يَكونَ قد أُعطيَ الثَّالثَةَ): وهي طلب المغفرة لمن أتى مسجده، أي المسجد الأقصى فأجر اللَّه عظيم، واللَّه تبارك وتعالى لا يخيب رجاء وطلب نبيه سليمان الذي دعى ربه بعد أن بنى

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي (٢/ ٣٧).

(٢) مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ تحقيق د. ماهر الفحل (٢/ ٤٧٣)

(٣) تاريخ مختصر الدول، ابن العبري (٣٣).

المسجد ومحمد ﷺ الذي أحسن الظن بربه تأدبًا منه بقبول دعوة سليمان عليه السلام.

ما علاقة المسجد الأقصى بما يسمى بـ هيكل[١] سليمان الأول؟

تبدأ قصة ما يُسمى بـ «هيكل سليمان» الأول في عهد نبي اللَّه سليمان ابن داود عليهما السلام، فقد نسب اليهود ما قام به سليمان من بناء التجديد والتطوير للمسجد على أنه هو هيكل يهودي وسمَّوه «بهيكل سليمان الأول» وتغافل هؤلاء البُهت عن نصوص القرآن والسنة النبوية ودواوين التاريخ وسياقها ومعالم الآثار.

إنّ ما ينسبه اليهود إلى سليمان من بناء، إنَّه - وبلا شك - هو

---

(١) أما الهيكل كمصطلح فهي كلمة يقابلها في العبرية (بيت همقداش) أي (بيت المقدس) أو (هيخال)، وهي كلمة تعني البيت الكبير في كثير من اللغات السامية (الأكادوية والكنعانية وغيرها) أخذت عن السورية، والبيت الكبير أو العظيم هي الكلمة التي كان يشار بها إلى مسكن الإله.
لسان العرب: (١١/ ٧٠). وهو البناء المشرف أو بيت الأصنام، وكذلك جاء في لسان العرب (١١/ ٧٠) الهيكل هو الضخم من كل شيء، وجاء في الهيكل: هو بيت للنصارى وهو بيت الأصنام. وكلمة الهيكل مأخوذة من الأديان المصرية القديمة انظر مختار الصحاح (٣٢٧).
ومن أهم أسماء الهيكل عند اليهود هو (بيت يهوه) لأنه - في الأصل - عندهم هو مسكن للإله فقط، وليس مكاناً للعبادة - على عكس الكعبة عند المسلمين مثلًا.
ونخلص من مجموع هذه التعريفات أن مصطلح (هيكل) هو مصطلح عام لهياكل ومعابد أخرى لم يختص باسمه هيكل اليهود فقط، كما هو الشأن بالنسبة للكعبة والحجر الأسود مثلًا فهما مسميان مختصّان بالمسلمين.

المسجد الأقصى، وليس هيكلًا يهوديًا، وأن ما قام به سليمان هو تجديد للمسجد الأقصى على أصل سابق له لا ابتداء في البناء من عدم.

ومعلوم أَنَّ إبراهيم هو الذي رفع قواعد الكعبة، فقد يكون كذلك قد رفع قواعد المسجد الأقصى؛ لأن الفترة بين بناء المسجدين كما جاء في الحديث هي أربعون عامًا، ولا مانع أن تكون في زمن إبراهيم أو ولده من بعده.

وهذا يعني أنّ أول من رفع قواعد الكعبة هو إبراهيم، وأن أول من رفع قواعد المسجد الأقصى هو إبراهيم، ومما يدلل على اعتناء إبراهيم عليه السلام في المسجدين والموطنين معًا مكة وبيت المقدس، أنه قد اتخذ زوجًا وولدًا له في بيت المقدس سارة وولدها إسحق، وهاجر وولدها إسماعيل عليه السلام في مكة المكرمة، وكان دائم التنقل بينهما على البراق كما ورد في بعض الآثار.

وعند السيوطي: «ورد أن واضع المسجدين آدم وبه يندفع الإشكال بأن إبراهيم بنى المسجد الحرام وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من أربعين عامًا بلا ريب فإنما هما مجددان»[(١)].

وقيل في بناء التأسيس هو من عمل الملائكة أو آدم، وقيل كذلك هو

---

(١) شرح السيوطي على مسلم (٢/ ١٩٩).

من بناء يعقوب أو إبراهيم عليهم السلام جميعًا، وعلى كل حالٍ لم يثبت بالسند الصحيح الباني الحقيقي للمسجد الأقصى، واللَّه أعلم.

وبهذا يتضح القول أنّ المسجد الأقصى هو موضع وضعه اللَّه ابتداءً لعباده المؤمنين، وقبل دخول بني إسرائيل وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام أرض فلسطين، وإنّ سليمان لم يبتدئ وضع المسجد أو ما يعبرون عنه بالهيكل، بل عمل على تجديد البناء السابق.

وهذا يدلل على اعتناء أنبياء اللَّه بالمسجد الأقصى، فكلما جاء نبي أسهم في رعاية المسجد من ترميم ودعوة وما لزمه من أمر، فنبينا محمد ﷺ لما جاء إليه في حادثة الإسراء والمعراج لم ينشغل في عمارته وترميمه لكنه جاء به اللَّه ليؤكد علاقته به مع أنه حينها كان محتلًا من قبل الروم، وترك ذلك لمن بعده من الصحابة.

إنّ ما جرى على أقلام بعض المؤرخين من أنّ نبي اللَّه سليمان عليه السلام، بنى معبدًا فهذا لا ينفي أن يكون هذا المعبد هو نفسه المسجد الأقصى، بدلالة الحديث السابق، وإلا فكيف لهم التقول على سليمان عليه السلام الذي سخر اللَّه له من القوة ما لم يسخر لأحد من قبله ولا من بعده كما طلب هو من المولى جل في علاه: إِنّ سليمان بن داود عليهما السلام، «لما فرغ من بناء مسجد بيت المقدس، سأل اللَّه عز وجل خلالًا ثلاثةً: وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه».

لقد مكن اللَّه تعالى نبيه سليمان من أسباب القدرة الخارقة التي لم تمكن لأحد من قبله ولا من بعده.

فتجديد سليمان للمسجد الأقصى ـ هذا البناء العظيم ـ الذي جاء وصفه في كتب التاريخ والعهدين القديم والجديد، وصفًا لحاله أثناء اعتداء بختنصر البابلي وسرقة ما فيه من ذهب وممتلكات مهمة وثمينة، ولا أظن أن ما جاء في وصف تخريب بختنصر من هدم وحرق وسرقة للموجودات التي وصفت بالعظمة، مبالغ فيه؛ لأنه في حقيقة الأمر هو من نتاج ما سُخِّرَ لنبي اللَّه سليمان الذي أُعطِي من قوة تمكنه من تجديد بناء المسجد الأقصى بطريقة لا يمكن لأحد أن ينافسه فيها.

إنّ الأمم والدول والإمبراطوريات التي تعاقبت على مدينة بيت المقدس جميعها وبلا استثناء، قد توارثت تقديس بقعة المسجد الأقصى، وأصبح هذا المكان شكلًا من أشكال الولاء العقدي لهذه البقعة، كما يظهر من هياكل وأصنام ومعبودات هذه الأمم التي اتخذت من ساحات المسجد الأقصى قبلة لهم أو محلًا لأوثانهم وهياكلهم.

فهل يُعْقَل من نبي اللَّه سليمان عليه السلام أن يبني معبدًا كما ينقل اليهود بأوصاف تفوق الخيال لمعبد غير المسجد الأقصى، وفي

مكان آخر[١] !؟ إن كان كذلك فأين هو وأين آثاره التي يبحثون عنها مذ زمن بعيد، لكنهم يؤكدون للمراقب لنتاجهم وخلاصة تنقيباتهم يومًا بعد يوم، أنهم يبحثون عن سراب!

ولم نر في جميع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فضلًا عن التاريخ وسياقه المنطقي ما يشير إلى بناء غير المسجد، وفي سياق متصل يحكي لنا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ما يؤكد الأسبقية التاريخية لمسجديْ مكة وبيت المقدس الضاربة جذورهما عبر تاريخ البشرية كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي ذر ﷺ قال: (قلت يا رسول اللَّه أيّ مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه)[٢].

إِنَّ دعوى اليهود بناء سليمان معبدًا خارج أسوار المسجد الأقصى هي دعوى باطلة ولا ترقى لمستوى الأفهام السليمة، ومستبعدة جدًا ولم تقم على شرع ولا على دليل من التاريخ أو العقل السليم، إلا

---

(١) سليمان وداود عليهما السلام نبيَّان كريمان، إلا أنّ أهل الكتاب يقولون إنهما مَلِكان وليسا نبيين ا.هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (١٠٩٧)، وعبد الرزاق (١٥٧٨)، والحميدي (١٣٤) وابن أبي شيبة (٧٧٥١) وغيرهم.

إذا كان هذا المعبد في أكناف بيته - أي بمثابة محراب أو مصلى خاص به - ومع هذا لم نجد ما يدعم هذا الرأي، ومنطلقنا أنه ليس من نبي اللَّه سليمان، ولا يعقل أن يتجاوز قدسية بقعة المسجد الأقصى التي توارثها الأنبياء وحرصوا عليها جيلًا بعد جيل ليبحث عن مكان ليس له مكانة شرعية.

كما أنه لم يأت في شرعنا ما يدلل على أن سليمان بنى معبدًا سوى المسجد الأقصى، بل جاءت آيات كتاب اللَّه القرآن الكريم على غيرما يشتهي اليهود في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾[1] [سبأ: ١٣]. أي المساجد والأبنية المرتفعة وكان مما عملوا له بيت المقدس، فلما توفاه اللَّه استخلف ابنه سليمان عليهما السلام كما أخبر عن ذلك سبحانه وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] فقام على إتمام بناء بيت المقدس، فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال، ولا خلاف في أنّ سليمان عليه السلام بنى مسجدًا في بيت المقدس.

وأكد سبحانه وتعالى حقيقة المسجد الأقصى اسمًا ومسمى، في مطلع سورة الإسراء حيث قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وقد أرسل اللَّه رسوله

(١) تفسير البغوي (١٤/ ٣٨٨- ٣٩٠).

بروحه وجسده بمعجزة حارت بها عقول البشر؛ ليؤكد صحة الخبر وليشاهده عيانًا أنه هو ذلك المسجد الذي بنته الأنبياء وعمرته بعبادة التوحيد جيلًا بعد جيل، بل جاء الأمر أشد تأكيدًا لما جمع له ﷺ كل أنبياء اللَّه عبر التاريخ ليكون ذلك بمثابة الرد القاصم على دعوى اليهود أن سليمان بنى هيكلًا ومعبدًا غير المسجد الأقصى.

ونقول لليهود: إن البينة على من ادعى، فهم مطالبون أن يثبتوا لنا صحة دعواهم بالسند الصحيح المتصل، أو شواهد التاريخ المعتبرة!

وأما ما جاء دليله في سنة نبينا محمد ﷺ من روايات هي أوضح من الشمس في رابعة النهار لتؤكد أنّ ما قام به سيدنا سليمان عليه السلام من بناء هو مسجد لا غير، كما جاءت ألفاظ الحديث بذلك وليس غير ذلك، فقد أخرج النسائي عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، وفي رواية: (من بناء المسجد) سأل اللَّه ثلاثا...»[(١)].

وإن رغبوا عن دليلنا من سنة النبي ﷺ فليستمعوا إن كانوا منصفين إلى ما قاله ابن العبري[(٢)]: «مؤكد أن ما قام به سليمان هو بناء المسجد، في السنة الرابعة من ملكه - أي سليمان عليه السلام - شرع في بناء بيت المقدس وهو المعروف بالمسجد الأقصى في جبل

(١) سبق تخريجه.

(٢) في كتابه «تاريخ مختصر الدول» وهو غريغوريوس أبو الفرج رئيس الكهنة السريان في المشرق المتوفى عام ١٢٨٦م.

الأموريين في أندران اليبوسي. . . وتممه في سبع سنين»[(١)].

نعم إن ما قام به نبي اللَّه سليمان عليه السلام هو بناء التجديد والتطوير والتوسعة لا بناء التأسيس، وقد بقي بناء سليمان أي المسجد الأقصى بفخامته وروعته عامرًا مدة (٥٠٠) عام تقريبًا إلى أن خرّبَه «نبوخذ نصر» البابلي سنة (٥٨٦) ق.م.

هل ثبت اسم أو مصطلح «الهيكل» في شريعة الإسلام؟

نعم وبكل تأكيد لم يثبت هذا المصطلح لا في الكتاب ولا في سنة النبي ﷺ.

ونؤكد ذلك من خلال ما ثبت في الوحيين من أسماء للمسجد الأقصى، ومنها:

١- ما سماه اللَّه سبحانه وتعالى تسمية صريحة باسمه ووصفه «المسجد الأقصى»، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وسماه النبي ﷺ كذلك فقال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى».

٢- كما سماه بيت المقدس، فعن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: إن

(١) تاريخ مختصر الدول (٣٣).

رسول اللَّه ﷺ قال: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا اللَّه لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[(١)].

وأنه كان مسجدًا حتى في عهد بني إسرائيل كما جاء عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّه أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهنَّ فأوحى اللَّه إلى عيسى: إما أن يبلغهن أو تبلغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهنَّ، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فإما أن تبلغهن وإما أن أُبَلِّغُهنَّ، فقال له: يا روح اللَّه إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي، فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرفات... إلخ»[(٢)].

٣- وسماه حكاية مسجد إيلياء كما جاء عن أبي هريرة يخبر أن الرسول اللَّه ﷺ قال: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي ومسجد إيلياء»[(٣)]. جاء في شرح النووي على

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٧٦)، والترمذي (٣١٣٣)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٠٩) والترمذي (٢٨٦٣) وقال حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى (٨٨١٥) وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٦٣) وصحيح الجامع (١٧٢٤)، وفي التعليق على المشكاة (٣٦٩٤)، وصحيح الترغيب (٥٥٢)، وصححه الأرناؤط في التعليق على مسند أحمد (٤/ ١٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٩٧).

مسلم: «وأما إيلياء فهو بيت المقدس».

وكل ذلك من نصوص كثيرة لم يذكر فيها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا أحد من العلماء المعتبرين والأئمة المهديين اسمًا للهيكل.

هيكل سليمان في نظر اليهود:

يرى اليهود أن المسجد الأقصى[١] هو المكان الحقيقي والكامل الذي كان عليه وفيه هيكل سليمان الأول، الذي هدمه «نبوخذنصر» عام (٥٨٦) ق.م تقريبًا، وهو ذاته مكان الهيكل الثاني الذي هدمه «تيطس» عام ٧٠م، ويرى طائفة من اليهود وجوبًا دينيًا بناء الهيكل

---

(١) من الناحية الجغرافية فإنه يقع على «جبل موريا» وهي المنطقة الواقعة جنوب شرقي القدس وهي المنطقة التي حرّم اليهود على أنفسهم دخولها إلّا بعد التطهّر بِرماد البقرة الحمراء.

وعبرت الأدبيات اليهودية عن المنطقة الواقع عليها المسجد الأقصى بـ (جبل المعبَدTemple Mount) وبالعبرية (هرهبايت) أي (جبل البيت أو بيت الإله).

ويرى اليهود أن هذا الهيكل يقع في منطقة ما يسمونه بـ «الحوض المقدّس» لفرض واقع جغرافي ديني يهودي مطاط (لضم) الجديد من الأماكن ونواحي مدينة بيت المقدس التي يرغب اليهود بالسيطرة عليها وطرد المسلمين منها !!.

والحوض المقدس يستوعب عدة أماكن مقدسة بنظر اليهود وهي كل المسجد الأقصى - ويسمونه جبل الهيكل - وحائط البراق وما جاوره ويسمونه بحائط المبكى - البلدة القديمة بأكملها، ويسمونها بمدينة داود «والغوفيل» وهي المنطقة الواقعة جنوبي البلدة القديمة «ووادي قدرون» «وجبل الزيتون» شرقي المسجد الأقصى، وأما من حيث مصدر المصطلح فهو غير معلوم، بَيْدَ أن المراقب يجد أن المستخدمين للمصطلح هم اليهود الذين تناولوا قضية هذا المكان من جميع جوانبها الجغرافية والدينية والسياسية.

الثالث مكان المسجد الأقصى بعد هدمه !

تبدأ قصة اليهود مع الهيكل من عهد سليمان عليه السلام لما انتهى من بناء وترميم المسجد الأقصى أو كما يسميه اليهود «الهيكل»؛ فهو ذاته هيكلهم الأول المزعوم الذي نسبوه إلى نبي اللَّه سليمان عليه السلام، باسم (هيكل سليمان الأول) ويعتبرونه منحة السماء للملك داود، على حد تعبيرهم وأن سليمان عليه السلام هو المؤسس والباني الأول لهيكلهم المزعوم[١].

أول دمار تاريخي قَوَّضَ بناء المسجد الأقصى:

تروي الآثار التاريخية أن الدمار الأول لبيت المقدس ومسجدها كان على يد نبوخذ نصر[٢] سنة (٥٨٦) ق.م تقريبًا، إلى أن ظهر عليهم

(١) وقد جاء في (أخبار الأيام الأول - ٢٢): (قال داود لسليمان: يا بني، كان في خاطري أن أبني بيتًا لاسم الرب إلاهي، وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: قد سفكت دماء كثيراً وقمت بحروب كبيرة، فلن تبني بيتاً لاسمي، لأنك سفكت دماء كثيرة، أمامي على الأرض وها هو ابن يولد لك، يكون رجلاً مسلمًا، أسلمه من جميع أعدائه الذين من حوله، إذ سيكون اسمه سليمان، وسأعطي سلاماً وهدوءًا لبني إسرائيل في أيامه وهو يبني لاسمي بيتاً).
وتبرر التوراة سبب حرمان الرب لداود من بناء الهيكل لوقوعه في خطأ قتل «أوريا الحيثي»، وتشير مصادرهم أن البناء أنجز في فترة (٩٦٠ - ٩٥٣ ق.م) أي أن مدة البناء استغرقت سبع سنوات. وقد اعتمد اليهود في وصف الهيكل على العهد القديم وبالتحديد من كتاب الملوك الأول (٦/ ٨) والأخبار الثاني (٢/ ٤)، كما أن مصادر اليهود الأخرى متناقضة فيما بينها في وصفها للهيكل ومحتوياته ومكانه !!

(٢) وهو من الأمة الكلدانية وملكهم في بابل تملك على بابل قبل تدميره أورشليم بتسع =

الفرس وغلبوهم وطمسوا ذكرهم.

وفي سنة (٨٠٦) ق.م استولى فرعون مصر على مملكة يهوذا ثم زحف إلى مملكة إسرائيل في الشمال وانتزعها لنفسه من سيطرة الآشوريين.

ولما آل أمر آشور إلى الحاكم الجديد «بختنصر» زحف ليرد ما اغتصبه الآشوريُّونَ من مملكتي يهوذا والسامرة فاجتاح أورشليم - بيت المقدس - وأتى على مسجدها وهدم ما فيه وأحرق التوراة وسبى أكثر أهلها وقتل بعضهم وفر الآخرون إلى مصر والمغرب والحجاز واليمن، وأنهى بختنصر بذلك حكم اليهود على مملكتي يهوذا والسامرة.

أسباب الدمار الأول للمسجد الأقصى:

بعد وفاة سليمان[1] عليه السلام سنة (١٠٠٤) ق.م، تقريبًا، تولى ابنه

= عشرة سنة وبقي ملكه بعد دماره لأورشليم أربعًا وعِشرين سنة فكان جملة ما حكم ثلاث وأربعون سنة.

(١) وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت مملكته إلى شمالية وجنوبية (٩٢٨ ق.م) تقريبًا وانقسم معها قدسية المعبد: فبني (يربعام) معبدين أو هيكلين أحدهما في «دان» بالشمال والآخر في «بيت إيل»، وجعل فيهما أصنامًا ذهبية على شكل عجول متخذها مزارًا ملكيًا مقدسًا ليحول دون ذهاب مواطني مملكته إلى مسجد القدس.
أما الكاهن اليهودي الأعظم (أونياس الثالث) وبعد فراره من فلسطين إلى مصر (في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد)، شيّد معبدًا ليهود مصر في (لينتوبولس) على موقع أحد المعابد المصرية القديمة.

«رحبعام» الملك على بني إسرائيل ثم تمرد عليه بنو إسرائيل، ولم يبق معه سوى سبط (يربعام بن ناباط)، فانقسم بنو إسرائيل إلى مملكتين مملكة يهوذا وعَاصمتها أورشليم في -بيت المقدس- ومملكة إسرائيل - السامرة - وعاصمتها شكيم في نابلس.

فكان الكفر وعصيان الأنبياء ثم قتلهم، سببًا في حرمان بني إسرائيل الأرض والمسجد، وكان سببًا في اجتياح واعتداء الأعداء عليهم، وهو عين ما نقله ابن خلدون في تاريخه(٢/ ١٣٤) قال: «ولما توغلوا في الكفر والعصيان أنذرهم بالهلاك على يد بختنصر».

ومن ذلك تعقبهم الأنبياء بالقتل والتنكيل، كما جاء في تاريخ الطبري (١/ ٥٥٨): «ابتدأ بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكريا، وعدا أهل الرس على نبيهم فقتلوه، وعدا أهل حضور على نبيهم فقتلوه، فلما اجترؤوا على أنبياء اللَّه، أذن اللَّه في فناء ذلك القرن، من أنبيائهم، فبعث اللَّه بختنصر على بني إسرائيل، فلما فرغ من إخراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نسفًا...» فكانت هذه من جملة الأسباب التي سلبت بني إسرائيل ملكهم وتسلط الشعوب عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٤ - ٥].

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ واصفًا حال كفرهم: «الذي نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في طلبهم وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتقطيعها وتعظيم رسومها في العبادة، وبنوا لها البِيَع والهياكل وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصارًا متصلة»[(١)].

و جاء في إنجيل متَّى (٢٣/ ٣٨ -٣٩) ما يُعضّد ويؤكد ما سبق: (يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها، ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابًا).

كما أنَّ الفساد استشرى في بني إسرائيل، وكان بينهم نبي يقال له «أشِعْيَاء» وعظهم وذكَّرَهم فلم يستجيبوا له، وتمادوا بالغيّ والضلال حتى قتلوا نبيهم «أشِعياء» ونشروه بالمنشار، فخلفه نبي يقال له «أرميا» فحذرهم فساد طريقتهم، وأن اللَّه مبتليهم بعبد يجوس ديارهم ولا يرقب فيهم إلًّا ولا ذمة، فكذبوه وقيدوه ثم سجنوه.

وعلى صعيد الوضع السياسي فكلما حاول بختنصر تسوية حساباته مع دولة الفراعنة في مصر، كان له اليهود في فلسطين بالمرصاد، كعقبة

(١) هداية الحيارى (٢٥٨).

تحول بينه وبين تنفيذ طموحاته في مصر.

حينها قرر بختنصر كسر شوكة اليهود في فلسطين، فكان اجتياحه لبيت المقدس بمثابة الكارثة الكبرى التي حلت بالمسجد الأقصى والمدينة المقدسة، والتي أشار إليها اليهود على أن ما اجتاحه بختنصر هو هيكل سليمان الأول وليس المسجد الأقصى!

تناقضات يهودية حول أسطورة بناء الهيكل:

وإليك عزيزي القارئ جملة من تناقضات اليهود في بناء الهيكل الأول لتتهاوى عندها هذه الدعوى الكاذبة، منها:

١- إنّ توراة اليهود وكتبهم المقدسة لم تحدد بعد المكان الحقيقي للهيكل، وأَنّ ما جاء عن الهيكل في التوراة وصف لبنائه ومحتوياته، ومع الاختلاف في الوصف! لم يأت ذكر لمكان هذا البناء، سوى هرطقات حاخامية يُرَوَّجُ لها على أساس أنها مسلمات دينية يهودية.

٢- ومن غريب أوصاف الهيكل التي وردت إلينا في كتاب اليهود المحرف التوراة، أنه تقريبًا (بطول ٣٢م - وعرض ١١م - وارتفاع ١٦٧م)، فإنّ هذا الحجم يُعَدُّ صغيرًا بالنسبة لما ذكره اليهود من عدد الذين استعملوا لهذا المشروع:

(٣٠,٠٠٠) عامل لقطع الأخشاب، (٨٠,٠٠٠) حجار، (٣,٣٠٠) رؤساء تشغيل، (٧٠,٠٠٠) حمال، (٥٥٠) بناؤون من صور، وهل

يعقل أن حجم هذا البناء يستحق هذا العدد الكبير من العمال؟!

٣- ولا بد أن أشير إلى ملاحظة مهمة لاتجاه هيكلهم الذي أخذ أبعاد واتجاه بنائه من جهة الغرب إلى الشرق نحو الشمس وهو غالب اتجاهات المعابد الوثنية القديمة في بابل ومصر وغيرها !

٤- ومن أعاجيب تناقضاتهم في بناء الهيكل ماجاء في «سفر التثنِيَة»، واصفًا مكان الهيكل الذي يتغنى به اليهود مؤكدين أن معبدًا كان هناك وأن المعبد تتوفر فيه الشروط التالية: (أن يقع غرب «نهر الأردن» في أرض الكنعانيين الساكنين في العربة مقابل الجلجال بجانب بلوطة مورة).

وللرد على هذه الترهات لا بد أن يعلم أن القدس لم تكن للكنعانيينَ بل كانت لليبوسيين، وأنّ الأماكن الموصوفة لم تكن في القدس بل هي قريب بما يعرف اليوم بمدينة «نابلس».

٥- وعلى رواية بعض اليهود وكما جاء في التلمود أنّ داود عليه السلام قد عرف مكان الهيكل في صباه، وأن الهيكل سيبنى على جبل موريا.

وفي موضع آخر يتحدث اليهود أنّ داود عليه السلام ذهب إلى عين حطام التي كانت تقع جنوب بيت لحم وهناك حفر داود أساسات البناء، فخرجت المياه من هذه العين، حينها فهم داود أن هذا المكان ليس هو مكان الهيكل!! وهل هم بهذا يؤكدون فقدان التوراة وأنها لم تكن بين يدي داود، وهل هم في العصر الحديث علموا مالم يعلمه

داود عليه السلام أم هو مزيد في اتهام هذا النبي الكريم المفترى عليه عندهم!

٦- يقولون إِنَّ المذبح أساس في الهيكل، والهيكل في القدس وقد جاء في التوراة: (حينئذ بنى يشوع مذبحًا للرب إِله إسرائيل في جبل «عيبال» كما موسى عبد الرب، بني إسرائيل...).

أقول: إِنْ كان البناء الأول للمذبح وهو أساس أعمال الكهنة كما يقولون وهو أهم محتويات الهيكل، كان على جبل عيبال وهو أحد أبرز جبال مدينة نابلس، وليس في القدس وكذلك لم يكن في يوم من الأيام مكان في القدس يدعى بهذا الاسم.!

أمّا الخلاف الجذري بين عموم اليهود والطائفة السامرية كما نقل د. محمود مصالحة في كتابه عند لقائه الكاهن السامري عبد المعين صدقة من يهود السامرة في نابلس.

يقول عبد المعين: (في ديننا لا يوجد هيكل، وإنما توجد خيمة الاجتماع أو (المشكان) التي كانت مكونة من الخشب والجلود والذهب، بناها سيدنا موسى عندما كان اليهود في الصحراء، وخيمة الاجتماع بنيت لكي يكلم اللَّه من داخلها سيدنا موسى عليه السلام، وعندما عبر بنو إسرائيل نهر الأردن توجهوا إلى (شكيم) نابلس إلى جبل جرزيم حيث وضعت خيمة الاجتماع هنا على جبل جرزيم وليس في القدس، وهذا دليل قاطع على أن القدس ليست مقدسة

عندنا) انتهى من كلام صدقة.

وفي موضع آخر من المقابلة في نفس الكتاب قال: (أكرر وأقول: نحن لا نؤمن بالقدس، لا يوجد قدس في التوراة، لم يرد للقدس ذكر في الخمسة أسفار، وهي: (التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، تثنية الاشتراع).

أقول: ردًّا على ما قاله الكاهن عبد المعين صدقة - هداه اللَّه -، لا بد من الإشارة إلى قضية مهمة وهي قد درجت عليها في هذا الكتاب وأؤكدّها هنا، أن ما ذكره عبد المعين مجانب للصواب ولا يفرحنا كثيرًا لعدة أسباب:

❊ لأنه وكما هو معلوم، أن بقعة المسجد الأقصى هي بقعة مقدسة قبل دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة (فلسطين).

❊ ولا يعني هذا أن بني إسرائيل لم يدخلوا المسجد الأقصى بل إن الأحاديث النبوية والروايات التاريخية إضافة إلى التوراة مع ما فيها من تحريف، كل هذه المصادر أثبتت دخول الفئة المؤمنة من بني إسرائيل المسجد الأقصى، وتعاقب عليهم ثلة من الأنبياء وعظوهم فيه، جاء ذكر بعضهم في أحاديث هذا الكتاب.

❊ وإنْ صَحَّ مجازًا أنهم حطوا رحلهم ونصبوا خيمة الاجتماع على جبل جرزيم في نابلس، فإن ذلك يعني أنهم حطوها ونصبوها في

أماكن كثيرة مرورًا بطريقهم إلى الأرض المقدسة وفي صحراء سيناء حال التيه وخلال أربعين سنة نصبوها مرات ومرات وهذا لا يعني أَنَّهُ كلما نصبوها في مكان، نزلت عليها القدسية المخصصة لهذا المكان كما هو اعتقاد يهود السامرة، وهل كلما نصبوها أو وضعوها في مكان حلّت القدسية عليه وأصبح مكانًا مقدسًا أو له خصوصية دينية يهودية، وماذا لو ادّعت كل طائفة من طوائف اليهود المتنوعة والكثيرة بمكان ثالث وطائفة أخرى بمكان رابع وهكذا فلا يبقى مكان سهل أو جبل في فلسطين أو سيناء إلا وادعوا أنهم أصحاب الحق الشرعي به وفي النهاية وبهذه الطريقة سيصلون إلى تهويد فلسطين وغيرها من أماكن مروا عليها !.

ما بين الدمارين للمسجد الأقصى: -

ظل بنو إسرائيل في الأسر، وبيت المقدس في خراب تام، من خراب نبوخذ نصر عام (٥٨٦) ق.م، إلى بداية شروع هيرودوس في بناء البزيليكا أو ما يسميه اليهود بهيكل سليمان الثاني، أي ما يزيد عن ٦٠٠ سنة تقريبًا.

وأما ما يسمى بالهيكل الثاني حسب تعبير اليهود فهو من تاريخ ٥١٦ق.م، أي بعد عودة اليهود من سبي بابل وينتهي بتدمير «تيتوس» لمدينة القدس وخراب مسجدها عام ٧٠م.

اليهود في الأَسْرِ البابلي ودعوى أن الرب يأمر ببناء الهيكل[١]، ثم رجوع اليهود من سبي بابل عام (٥١٥ ق.م) وبعد سبعين عامًا تقريبًا من خراب بيت المقدس ومسجدها وسبي اليهود وإجلائهم إلى بابل على مراحل، استولى كورش الأخميني الفارسي على خرسان وأرمينية والشام وفلسطين وغزا بلاد الهند وقتل ملكها، وعلى بابل في العراق، وأزال مملكة الكلدانيين، وأذن لليهود بالرجوع إلى بيت المقدس وعمارة مسجدها، وأطلق لهم المال لعمارته شكرًا لجهود اليهود لمعاونته في الظفر على الكلدانيين.

وكان من عادة كورش كل عام أن يرسل لهم الميرة من الحنطة والزيت والبقر والغنم والخمر وما يحتاجونه لهم ولخدمة البيت، وجرى على ذلك النهج من بعده بعض ملوك الفرس.

---

(١) ومصدر ذلك عندهم ما جاء في (مدراش تنحوما، المقطع ص و، ي د) عندما أطلع اللَّه تعالى حزقيَال على شكل الهيكل، فقال له: (أخبر بني إسرائيل عن الهيكل وليهيئوا مساكنهم وليضعوا مقايسًا للمشروع).
فقال حزقيَال للَّه تعالى: «إننا حتى الآن رهن المنفى في بلاد من يكرهوننا، وأنت تقول لي أن أذهب وأخبر بني إسرائيل عن شكل الهيكل؟ ماذا بمقدورهم أن يفعلوا؟ هلا سهلت عليهم الهجرة من المنفى!؟، وبعد ذلك سأذهب وأقول لهم».
فقال اللَّه لحزقيَال: «ألأجْلِ كون أبنائي رهن المنفى قد تعطل بناء الهيكل»؟
وقال له اللَّه تعالى: «إن القراءة بالتوراة شيء عظيم، فمن يقرأ عن الهيكل كأنه يعمل على بنائه، اذهب وقل لهم بأن ينشغلوا بالقراءة عن شكل الهيكل في التوراة وبفضل القراءة التي سينشغلون بها، فإنني سأعتبرهم كمن ينشغل ببناء الهيكل».

وقيل إنَّ سبب هذا التعاطف والإحسان لهم كان بسبب زواجه من أخت «زروبابل» ابن شلاثيل، التي دخلت قلبه ومال إليها، فطلبت منه إعادة بني إسرائيل إلى أورشليم، وقيل كذلك لأنه تربى في كنف «استير»[١] اليهودية التي كانت في حوزة أبيه.

فجمعهم «كورش» وخيَّرهم بين البقاء أو الرحيل إلى أورشليم، فاختار خمسون ألفًا من الرجال غير النساء والأولاد الرحيل إلى «أورشليم»، وكان من بينهم ملكهم «زروبابل» وكاهنهم «يشوع».

فمضى بنو إسرائيل راجعين إلى بيت المقدس كأمة وليس كدولة، ومضى معهم كاهنهم الأكبر «عزرا»، ويسميه العرب «عزير»، وبعد سنتين من رجوعهم جدد لهم «عزرا» التوراة، فكانت أول عملية عبث يهودية طالت التوراة استلهموا نصوصها من ذكرياتهم! ثم بنوا مذبحًا للرب وذلك قبل تأسيس الهيكل، جاء في سفر عزرا الثاني: (ولما كان الشهر السابع -بعد العودة- اجتمع الشعب كرجل واحد، وبنوا مذبحًا للرب.. وذلك قبل تأسيس هيكل الرب). وكما تقول المصادر اليهودية أن الرب بعد ذلك أمر «عزرا» في بناء الهيكل[٢].

---

(١) ولك أن تعرف عظم مكانتها عند اليهود فقد أنشأوا لها سفرًا كاملاً باسمها في التوراة.

(٢) (عزرا ٦/ ١٤) بل وكما جاء في العهد القديم أن البناء جاء بأمر من أباطرة الفرس، «دارا» الأول و«كورش» «وارتعشتا» (عزرا ٦/ ١٤)، وتكرمة لهؤلاء كانت تقدم القرابين اليومية في الهيكل، وقيل كانت خريطة (سوسة) عاصمة الإمبراطورية الفارسية مرسومَة على بوابة هيكل «زروبابل». =

= **مواصفات هيكل زرو بابل**: المنقول عن اليهود في وصف هذا الهيكل تشير على أنه لم يملك المواصفات الفنية الراقية التي اتصف بها هيكل سليمان الأول أو الثاني على حد تعبيرهم ووصفهم.

بل لا يوجد عند اليهود من الوصف الكثير لشكله أو تقسيماته الداخلية، سوى أنهم يميلون إلى أَنَّه لا يختلف بمجمله عن الشكل الأول، ويوعزون عدم الاختلاف عن الأول؛ لأن (نبوخذ نصر) نهب ما في الهيكل الأول وأحرق ما يمكن حرقه من أثاث وأخشاب ونحوه، أما أصل البناء الحجري فبقيت آثاره ومعالمه، فبنى (زرو بابل) هيكله على بقايا وأطلال الهيكل الأول كما يزعمون.

أما محتويات هيكل «زروبابل»: أَقر اليهود في كتبهم أن (قدس الأقداس)، كان فارغاً من تابوت العهد، وقد تقوّلوا في اختفائه أقاويل كثيرة. . .!؟ وقالوا إِنّه لم يبق فيه سوى صخرة عالية يضع الكاهن الأعظم عليها المبخرة. وقيل إِنه كان يضم بعض الأدوات الأخرى كالشمعدانات الذهبية ومذبح البخور ومائدة القربان.

الأحداث التي تعرض لها هيكل «زرو بابل» كما تدعي الرواية اليهودية: أنه تعرض في القرن الثاني قبل الميلاد لنهب «أنطيوخوس الرابع» وبنى فيه مذبحاً «لزيوس» كما أنه تعرض هذا الهيكل لاجتياح «بومبي»، ونهب «كراسوس».

وقد نقل عن «عزرا» تنبأه بذلك، كما تنبأ عزرا بمجيء محمد ﷺ وانتشار دعوته، وقيل عن عزرا إِنه أَحَد أنبياء بني إسرائيل المسبيين إلى بابل وهو أحد وجهائهم ومحبيهم بل كان له رأي مطاع حتى لقبه اليهود بموسى الثاني بعد أن جمع لهم التوراة وأحياها في نفوسهم وأنه قاد رجوعهم من السبي إلى فلسطين بعد أن سمح لهم قورش الفارسي بذلك وقد جاء عن عزرا ما يدل على فساد بني إسرائيل ونسخ شريعة اليهود وزوالها برسالة محمد ﷺ ورسالته وقد جاء ما يدل على ذلك:

جاء في كتاب بشارات عزرا: معلقًا عن الرب كما يقول في أحد كتبه قال له الرب: أيها الأب عزرا: أعلن بأن مدينة القدس لن تكون بعد اليوم لبني إسرائيل ، سأهبها لشعبي الجديد، وسأحرم بني إسرائيل من الإشراقات القدسية، وسأهدي نور النبوة لشعبي الجديد، سأعطيهم المسجد الأبدي الخالد الذي كنت قد أعددته لبني إسرائيل، وستملأ شجرة الحياة الروحية الأرض من حولهم، وعبق عبيرها ينتشر بين الأمم).

أسطورة هيكل سليمان الثاني كما يسميه اليهود:

يشار بهذا الاسم إلى البناء الذي قام به «هيرودوس»[(١)]. عوضًا عن الهيكل الذي هدمه «نبوخذنصر» لذلك لما قرر «هيرودوس» بناء- البزليكا - وقيل إنه هيكل لليهود كان بمثابة مجاملة لهم، يستجلب به رضاهم، ويكف أذاهم، لذا هدم الهيكل القديم، وشرع في بناء البزليكا في رونق يتناسب مع حجم شغفهم في عمارة المباني.

فأخذ هذا البناء بلب عقول اليهود الذي اعتادوا الفقر واللجوء، وكان ذلك عام (٢٠-١٩ ق.م)، لكن الموت عاجل «هيرودوس»، واستمر البناء حتى عهد «أجريبا الثاني» (٦٤م) إلى أن هدمه «تيطس» سنة (٧٠)م، ومع هذا يرى اليهود أن ما بناه «هيرودوس» يعود الفضل في بنائه إلى جمهور اليهود العائدين من بابل!

لماذا بنى هيرودوس هيكلًا لليهود؟!

المتفق عليه ومن غير جدال أن «هيرودوس» ليس يهوديًا بل هو

---

(١) وإن كان من المنطقي أن يعبر عنه ويشار إليه بهيكل سليمان الثالث، فلم يثبت اليهود إلى يومنا هذا، أي مبرر في تجاوزهم بترقيم هيكل «زروبابل»بالهيكل الثاني وهيكل «هيرودوس» بالهيكل الثالث والهيكل الذي ينادون به الآن - لا قدر اللَّه - الهيكل الرابع.
ويبدو أن هيكل «زروبابل» كما جاء في أساطيرهم والذي كان من المفترض أن يشار إليه بالهيكل بالثاني، لم يكن بالمقام الذي يُشرّفهم الافتخار والإشادة به!! مع أنه استغرق فترة من الزمن في بنائه وأخرى في بقائه بين ظهرانيهم.

أدومي النسب، عسقلاني المولد وأمه من أنباط[١] العرب، عينه «أغسطس» قيصر الرومان على القدس وما فيها من يهود، وهي النصف الجنوبي من فلسطين، ولم يعرف عنه أنه دان باليهودية، ويبقى السؤال مطروحًا، لماذا بنى «هيرودوس» هيكلًا لليهود؟! فإليكم الجواب في نقاط:

١- الرومان أُمَّةٌ وثنية، شُغفت بهوس نحت الأصنام وتقديسها، وتشييد المباني الصخرية الضخمة والمدرجات في الساحات العامة، حتى ملؤوا بها البلاد التي حكموها، وها هي آثارهم شاهدة على ذلك في كثير من بلادنا الإسلامية التي حكموها فضلًا على كثير من البلاد، وإلى حد كبير كان مراد «هيرودوس»من بناء البزليكا على الطراز الروماني بمساحة أكبر وشكل مهيب، ليضفي على مملكته روعة الأبنية ذات المؤسسات المتنوعة الراقية، من غير الالتفات إلى ما تحمله اليهودية من مضامين عقدية.

٢- وبالاستقراء نرى أن من أسباب بناء الهيكل، محاولة استرضاء اليهود، ودفع بلائهم وشرورهم، ومكائدهم المستمرة على الإمبراطورية الرومانية، عله بهذا يكسب ودهم ويدفع شرهم.

٣- وهي محاولة لتثبيت حكم وسيطرة الإمبراطورية الرومانية الوثنية

(١) الأنباط أو النبط - قوم من العرب سكنوا الشام.

على أورشليم، من خلال إقناع اليهود بأن الإمبراطورية الرومانية من أنفع الإمبراطوريات التي يمكن لليهود أن يعيشوا تحت ظلها بسلام، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأمم الوثنية قديمًا وحديثًا لا يعنيها عبادة الأمم الأخرى، ولا تحرص أو تتبنى دعوة الآخرين إلى وثنيتها.

الهَدْمُ الثاني للمسجد الأقصى:

في ٩ ديسمبر عام ٧٠م بحسب المصادر اليهودية، أي بعد رفع عيسى عليه السلام بأربعين عامًا تقريبًا، وبعد إقامة المسجد من بناء سليمان عليه السلام بخمسة قرون تقريبًا، اجتاح القائد الروماني «تِيطُس» بقرار من الإمبراطور «فسبزيان» مدينة أورشليم، وقتل زهاء ستين ألف نفس، وأضرم النار في المعبد بعد أن سلب ما فيه، ثم طفق يتتبع اليهود مصممًا على إفنائهم، وإجلائهم عن أورشليم وهو ما عرف (بالسبي الثاني)، وبقي اليهود من غير كيان خاص بهم حتى أعلنوا عن تأسيس دولتهم المزعومة بقيادة «حاييم وايزمان» على أرض فلسطين المسلمة عام ١٩٤٨م.

لماذا هدم المسجد الأقصى مرة ثانية؟

ضاق الرومان ذرعًا بتمرد اليهود وكيدهم ومكرهم ودسائسهم، كعادة اليهود في كل زمان ومكان، فجاء تِيطُس عام (٧٠م) بجيشٍ ضخمٍ لخراب بيت المقدس، حتى لم يبق لليهود أثر في بيت المقدس.

جاء في الأخبار الإسرائيلية ما ينذر بخطر زوال نعمة بقاء المسجد الأقصى بين ظهرانيهم، فكان من علامات ذلك أن ساءت أحوال بني إسرائيل، وفسدت عقائدهم، ورذلت أخلاقهم، وجشعت نفوسهم بحب المال، حتى اتخذوا المسجد، سوقًا للصيارفة والمرابين ومن ذلك ما جاء في العهد الجديد[١]: (ودخل يسوع إلى هيكل اللَّه وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد وكراسي باعة الحمام)، حتى استجمعوا بذلك أسباب الحرمان.

فكان من أهم أسباب استحقاق عقوبة اللَّه تعالى أنه لما بعث لهم عيسى متممًا شريعة موسى عليهما السلام، ومع هذا فقد خالف اليهود عيسى عليه السلام وحاربوه وما جاء به، حتى أرادوا قتله فعصمه اللَّه منهم برفعه إليه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

لكن المصادر النصرانية تشير إلى أن عيسى لما دخل المسجد ووجدهم قد حولوه إلى سوقٍ للصيارفة والمرابين قال لهم: (مكتوب أن بيتي بيت للصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص)[٢].

---

(١) إنجيل متَّى: (٢١/ ١٢).

(٢) إنجيل متَّى: (٢١/ ١٣).

ولما رأى منهم الكفر أنذرهم أن المسجد سيهدم كما جاء في إنجيل متى (٢٤/ ١): (ثم خرج يسوع، ومضى من الهيكل، فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، ولما استيأس منهم حذرهم عقوبة الرب لهم بحرمانهم هذا المسجد بقوله: ماذا تنظرون؟ الحق أقول لكم: إنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض).

دمار المسجد كاملًا عام (١٣٥) م:

أعلن اليهود تمردهم مرة أخرى عام (١٣٠م - ١٣٦م) بقيادة أحد زعمائهم يدعى «بركوكبا» على الإمبراطورية الرومانية، فاجتاحهم الإمبراطور «هدريان» فأزال معالم المدينة وما بقي من مسجدها.

وحرث الأرض تدميرًا ولاحق اليهود لاجتثاثهم من أورشليم، ثم أقام في ساحات المسجد الأقصى هيكلًا وثنيًا رومانيًا للمشتري - رب الآلهة عند الرومان- باسم «جوبيتار».

بعدها لم يبق لليهود أثر في الأرض المقدسة ومسجدها، فهاموا على وجوههم في البلاد، فغير الرومان كل شيء في المدينة المقدسة حتى اسمها الذي أصبح (إيليا كابوتلينيا) إلى أن جاء النصارى في عهد الإمبراطور قسطنطين فدمروا هيكل الرومان - جوبيتار-.

المسجد الأقصى في العهد الروماني بعد اجتياح «تيتوس»:

دانت الدولة الرومانية بالنصرانية المحرفة بعد المجمع الأول في نيقية عام ٣١٣م، في عهد الإمبراطور «قسطنطين»، حينها قامت أمه «هيلانة» المتعصبة لنصرانيتها بزيارة أورشليم -القدس- وقد أشربت بغض اليهود بما تعتقده- خطأ - من قتلهم للمسيح، فبنت كنيسة القمامة، ثم سميت بعد ذلك بالقيامة، ونكاية باليهود أمرت أن تحول ما بقي من أطلال للمسجد محطًّا لقاذورات المدينة حيث موضع معبد اليهود.

وبقيت ساحات المسجد خالية من أي بناء طوال حكم الرومان النصارى على القدس، غير ما بقي من أسوار للمسجد تحيطه وتحفظ عليه معالمه، وبقي هذا الحال إلى عهد الحاكم الروماني عام(١٢٦م).

وتقول بعض المصادر اليهودية إن اليهود حاولوا إعادة بناء المسجد لكن من غير جدوى[(١)].

---

(١) ارتد الإمبراطور «يوليانوس»، (٣٦١ - ٣٦٣ م) عن النصرانية، ونكاية بالنصارى، رأى أن يغيظهم ويجدد بناء هيكل اليهود، متحدياً بذلك النبوءات النصرانية التي تنفي إعادة بناء الهيكل مرة أخرى.
ولما اتصل «يوليانوس»، باليهود وأخبرهم عن نيته بالشروع في بناء الهيكل، تسارعوا مبتهجين، وكلما انتهوا من إعداد الأخشاب ومستلزمات البناء، كانت الحرائق تلتهم كل ما أعد من أدوات للهيكل، وكانوا كلما عادوا للإعداد عادت النيران مرة أخرى. =

وكل ما سبق من هدم اعتبره اليهود هدمًا للهيكل الأول ثم الثاني.

أما عن الرب وموقفه من هدم الهيكل[١]!! فقد افتأت اليهود عليه

= ولم يفلح «يوليانوس» واليهود معاً في الشروع في هذا المشروع وانقلبوا على أعقابهم خاسئين خاسرين.

بل واعتبر النصارى أن ما حصل معجزة سماوية حالت دون نجاح اليهود الذين كانوا وقتها على الكفر لهزيمة الحق الذين كان النصارى عليه وقتها.

(١) ليدعموا بهذا الكفر - الذي لا كفر بعده - عظم وأهمية هذا الهيكل فقد جاء في كتبهم المقدسة أن الرب بعد تدمير الهيكل أصبح يعيش في حالة هوس وندم واضطراب نفسي - تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً - كما بينوا في كتبهم وعلى رأسها تلمودهم كقولهم: (يجب الانتباه إلى أن لعب اللَّه مع اللافياتن - ملك الأسماك - قد مضى بعد تدمير هيكل أورشليم). [Babab.f,74/1 ets]

وقالوا: (من ذلك الوقت، -أي بعد هدم الهيكل-لم يعد للَّه جَلَدٌ على اللعب والرقص كما كان يصنع في الأزمان السالفة، وأول رقصة رقصها الرب كانت مع حواء بعد أن برّجها وزيّنها وسرّح شعرها بنفسه) [Berch, f,61].

كما قالوا كذلك: (من بعد تدمير الهيكل إلى الآن فإن اللَّه لم ينقطع من البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة) [Tr.chagiga, f, 5].

وقالوا: (ومن ذلك الحين فإن الرب الذي كان موجودًا في كل مكان وزمان لم يعد شاغلاً إلا مساحة جزئية من العالم يقطعها الإنسان بأربع سنوات) [ibif,11/1]

وقالوا: (وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير اللَّه حتى أنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشًا على ذاته مالئًا الدنيا زئيرًا كالأسد الصريع، ثم يصرخ: الويل لي لأني تركت بيتي ينهب، وهيكلي يحرق، وأولادي يشتتون) (1) Tr.berach, f,3.

حتى في حال تمجيدهم للرب، يطعنون به سبحانه وتعالى فيحنون رؤوسهم قائلين: (سعيد هو الملك الذي يسبح في بيته، ولكن أي تمجيد يستحق ذاك الأب الذي يترك أولاده يتمرغون في الشقاء).!! [Tr.Ber,1 /12].

ولا يظن القارئ أننا نحمّل كلام اليهود ما لا يحتمل، بل إن ما ننقله هنا هو =

مقالات جالت بالكفر وأنواعه، يندى الجبين بذكرها، تعالى اللَّه ربي عما يقولون علوًا كبيرًا.

كما عمل اليهود على غرس عقيدة الهيكل في الوجدان اليهودي(١)

= كلامهم في تلمودهم الذي يعدونه المصدر الثاني للتشريع بعد التوراة بل هو شارح للتوراة، بل وكما يقول أحد حاخاماتهم هو «ميناشين»، تعظيماً لشأن التلمود الذي كتبوه بأيديهم وتحقيراً للرب خالقهم ! : (إن اللَّه في الليل يدرس التلمود) !![Sur le pentant, f,97/,3p,17]، تعالى اللَّه عما يقولون علوًا كبيرًا، وصدق فيهم قول ربي: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥].

(١) يعتقد اليهود بأن هيكلهم يتمتع بخصوصية لا يتمتع بها أي موجود فِي الأرض لأنه:
- أثمن من السماوات والأرض التي خلقها اللَّه بيد واحدة، بينما خلق الهيكل بكلتا يديه - (تعالى اللَّه عن هذا الكذب والافتراء).
- بل إنَّ اللَّه - باعتقادهم - قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون، وهو بمثابة ابن الآله في اللاهوت المسيحي (اللوجس أو الكلمة المقدسة).
- وأنه كنز الإله، كما يعتقدون في أنفسهم أنهم هم كذلك يقولون عن أنفسهم، كنز الإله!!.
- الهيكل بمنزلة سرة العالم، لتصورهم أَنه يقع في مركز العالم في القدس وفي وسط الهيكل (قدس الأقداس)، وأمامه النقطة التي خلق الإله العالم عندها.
- وفي الهيكل تطهر خطاياهم ويجعلها الرب بيضاء كاللبن - كما يزعمون -.
- أَمَّا صوفية اليهود (القبالاه) فيرون في (قدس الأقداس) أَنَّهُ المخدع الذي يضاجع فيه الرب عروسه «ماترونيت» وهو التعبير الذي يعبرون به عن الإله الأنثى - سبحانك ربي هذا بهتان عظيم -.
- وأن سكينة الرب لاتفارق هذا المكان البتة، كما أنها لا تفارق الحائط الغربي - الذي يسمونه بحائط المبكى - حائط البراق.
- يزعمون أن هناك عشرة معجزات حدثت في الهيكل، منها أنه لم تشاهد أي ذبابة في مطبخ الهيكل، ولم تطفئ الأمطار النار التي تصاعدت من حطب المنظومة =

لتظل شاخصة أمام أعينهم راسخة في ضمائرهم.

ومن بعد عام ٧٠م، لم تقم لليهود قائمة ولم تنشأ لهم دولة ولا معبد، حتى عام ١٩٤٨م حينما أعلن «حاييم وايزمن» وبمباركة الأمم المتحدة تأسيس دولة إسرائيل لهم في فلسطين!

وأما قبل ذلك فكانوا ألعوبة بين الأمم والإمبراطوريات، ولم تكن لهم دولة ينعمون بالاستقرار فيها، مما اضطرهم إلى مزيد من التلون والمجاملة وعلى حساب معتقداتهم للأمم التي حكمتهم حتى ضاعت هويتهم العقدية والتاريخية وعاداتهم وتقاليدهم.

عقائد فاسدة تجتاح ساحات المسجد الأقصى:

حَاوَلْت تتبع عقائد الأمم التي حكمت المدينة المقدسة خلال هذه الحقب التاريخية الطويلة، وما تركته من آثار عقائدية مختلفة شملت هياكل ومعابد وأوثانًا في ساحات المسجد الأقصى، فاليهود لما كانوا يومًا ما فيها نصبوا معابدهم في المسجد الأقصى، كما كان الأمر كذلك بالنسبة للعرب الكنعانيين قبلهم، والرومان واليونان

= الموجودة على ظهر المذبح، ولم تحن الريح عمود الدخان الخارج من المبخرة !!

- ويمثل الهيكل باعتقادهم المغزى الكامل والمرحلة الأساسية والحاسمة للخلاص.

- الهيكل هو مكان تقديم القرابين التي تقدم للتكفير عن الخطايا، ومن منح من اليهود مكرمة ربانية، يتوجب عليه أن يقدم قربان الشكر فيه، بالإضافة للقرابين التي تقدم يوميًا، وقرابين يوم السبت والأعياد الدينية الموسمية، وباختصار فالهيكل في عقيدتهم، هو أقدس موجود في الوجود.

الوثنيين والصابئة والنصارى في العهد الصليبي وغيرهم ممن سيطر على بيت المقدس ومسجدها، نصبوا أوثانهم وهياكلهم وعبدوها في باحات وساحات المسجد الأقصى وهذا الحالُ قريب من حال الكعبة المشرفة لما كانت في عهد العرب وقريش الوثنية وقد جاء النبي محمد ﷺ وقد كان فيها قرابة ثلاثمائة وستين صنمًا يُعبد من دون اللَّه، حتى طهَّرها نبي اللَّه محمد ﷺ من الأوثان يوم الفتح.

وإليكُم في الملحق طائفة لبعض هذه الملل والأمم التي مارست طقوسها في ساحات وجنبات المسجد الأقصى بأزمنة مختلفة وبألوان متباينة ومتناقضة من الطقوس والعبادات والعقائد!!

من فوائد الحديث:

١- فضل الصلاة في المسجد الأقصى، وأن من أتاه لا يريد إلا الصلاة فيه كان ذلك سببًا في غفران ذنوبه.

٢- فيه إشارة إلى فضل المسجد الأقصى، واهتمام أنبياء اللَّه صلوات اللَّه عليهم أجمعين بإعماره بناءً وعبادة.

٣- الحث على قصد زيارة المسجد الأقصى وعظيم أجر الصلاة فيه.

٤- الحديث دليل جلي على أن البناء الذي حاول اليهود وصفه في توراتهم وأخذ بلب عقولهم، هو بلا شك المسجد الأقصى.

٥- ليس في الكتاب ولا السنة شيء اسمه هيكل.

جدول الإمبراطوريات التي حكمت بيت المقدس خلال فترة ما بين دمار «بختنصر» ودمار «تيطس» للمدينة المقدسة ومسجدها

م	الإمبراطورية الحاكمة	الفترة الزمنية
١	الحكم البابلي بقيادة بختنصر	٥٨٨ ق.م
٢	الحكم الفارسي بقيادة كورش	٥٤٦ ق.م
٣	الحكم اليوناني بقيادة الإسكندر	٣٣٢ ق.م
٤	الحكم اليوناني بقيادة أنطوخوس السلوقي ملك سورية	٢٠٣ ق.م
٥	حكم البطالمة بقيادة سكوباس المصري	١٩٩ ق.م
٦	الحكم اليوناني بقيادة أنطوخوس السلوقي ملك سورية	١٧٠ ق.م
٧	الحكم اليوناني بقيادة ابولونيوس قائد أنطيوخوس ملك سورية	١٦٨ ق.م
٨	الحكم اليوناني بقيادة أنطيوخوس السابع	١٤٣ ق.م
٩	الحكم الروماني بقيادة بومبي	٦٦ ق.م
١٠	الحكم الروماني بقيادة (لوقيانوس) حاكم سورية	٦٥ ق.م
١١	الحكم الروماني بقيادة (هيرودوس) الأدومي	٣٧ ق.م
١٢	الحكم الروماني بقيادة (تيتوس)	٧٠ م

بعض ما ذكر عبر التاريخ من معابد وأوثان وهياكل في ساحات المسجد الأقصى

م	المعبد	العهد	الملك	الفترة الزمنية
١	هيكل الزهرة (وكانو يقربون إليه الزيت ويصبونه على الصخرة)	الصابئة		منذ الآف السنين[١]
٢	معبد وثني (أصنام منها بعل)	العرب اليبوسيين		٣٠٠٠ ق.م[٢]
٣	صنم من أربعة وجوه فى المسجد الأقصى	بني إسرائيل	منشا بن حزقيا ابن أحاز ملك أورشليم وقد توثن[٣]	
٤	الهيكل الذي بناه (زروبابل)	الفارسي	كورش	٥٣٨ ق.م بعد عودتهم من السبي البابلي على يد كورش ملك الفرس[٤]

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ١٩٨).
(٢) المفصل لعارف المعارف (ص١)، تاريخ القدس (ص٤٠).
(٣) تاريخ ابن العبري (ص ٣٩).
(٤) المفصل (ص ٢٨).

م	المعبد	العهد	الملك	الفترة الزمنيةالمصدر
٥	تمثال لأنطيوخوس مسرحًا للتمثيل	اليوناني	أبولونيوس	١٨٦ ق.م[١]
٦	وثن يعبد وقربت الخنازير على المذبح		أنطاكيوس وقيل أنتنيين وهو الملك الذي بنى أنطاكية	١٧٠ ق.م[٢]
٧	تمثال أنطيوخوس وتمثال نجم المشتري	السلوقي اليوناني	الحاكم السوري أنطيوخوس الرابع	١٦٨ ق.م[٣]
٨	معبد	الروماني	بومبي	٦٣ ق.م[٤]
٩	ما عبر عنه اليهود بهيكل سليمان الثاني أو البزليكا	الروماني	هيرودوس	١٨ ق.م وهو المعبد الذي هدمه طيطس الروماني في ٧٠ ق.م
١٠	معبد اليونان نحت عليه صورة النسر اليوناني	الروماني	هيرودوس الكبير	خلال فترة ولادة عيسى عليه السلام[٥].
١١	سوقًا للصيارفة وباعة الحمام	أثناء دعوة عيسى عليه السلام		أثناء فترة ما يسمى الهيكل الثاني

(١) القدس مدينة اللَّه د. حسن ظاظا.
(٢) الفِصل، لابن حزم الأندلسي (١/ ١٩٢).
(٣) اليهود في عصر المسيح لسليمان بن عاشور والمفصل (ص ٣٦).
(٤) المفصل (ص٤٠).
(٥) اليهود في عصر المسيح (ص ٢٥).

م	المعبد	العهد	الملك	الفترة الزمنية
١٢	تمثال للقيصر كليوديوس	أثناء العهد الروماني دعوة عيسى عليه السلام	أجريبا الأول	حتى عام ٤٥م[١] .
١٣	هدم ما يسمى الهيكل وبناء معبد لآلهة الرومان		بدرين الروماني	٧٠ م[٢] .
١٤	معبد (كابيتولينا) هو نفسه الإله الروماني جوبيتار؛ لأن المعبد عدة تماثيل وقيل هيكل للمشتري.	الرومان	أيلبوس هدريان رفيل وقيل فسبسيان	بعد هدم تيطس لبيت المقدس عام ٧٠م حتى عام ٤٠٠م تقريبًا[٣] .
١٥	معبد (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان	الروماني	أدريانوس	من ١٣٥ م إلى مجيئ قسطنطين إمبراطور النصارى[٤] .
١٧	صنمين بالقرب من الصخرة		ادريانوس[٥]	

(١) القدس مدينة اللَّه: حسن ظاظا، التاريخ اليهودي: صابر طعيمة.
(٢) الفِصل، ابن حزم الأندلسي (١/ ١٩٢).
(٣) العقيدة اليهودية د. سعد صالح (ص٧٧)، والمفصل ص ٦٦ وتاريخ القدس (ص٤٧).
(٤) بذل المجهود (ص١٤١).
(٥) تاريخ القدس / شفيق (ص ١١٩)، لعارف العارف، تاريخ الصخرة (ص ١٢١).

م	المعبد	العهد	الملك	الفترة الزمنية
١٨	كنيسة للنصارى ومذبحًا وتماثيل وكان فوق قبة الصخرة صليب كبير مُذَهَّب وكان المسجد مليئًا بالصّور وكان النصارى يعظمون الصخرة، ويقطعون منها لكنائسهم في الأمصار للتبرك بها.	الصليبي	على يد ريمونيا وآخرهم في عهد القائد صلاح الدين القائد الصليبي باليان ابن بيرزان	عام ٤٩٢هـ - ١٠٩٩م وحتى فتحها صلاح الدين الأيوبي في ٢٧/ رجب /٥٨٣هـ ٢/ ١٠/١١٨٧م[١].

* * * * *

(١) الكَامِل لابن الأثير (٩/ ١٨٣)، الأنس الجليل (ص ٤٨٤).

الحديث السابع عشر

الْوَزَغُ تُلْهِبُ نِيرَانَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمَّا أُحْرِقَتْ وَالْوَطْوَاطُ تُطْفِئُهَا

عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَتِ الأَوْزَاغُ يَوْمَ أُحْرِقَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ جَعَلَتْ تَنْفُخُ النَّارَ بِأَفْوَاهِهَا، وَالْوَطْوَاطُ تُطْفِئُهَا بِأَجْنِحَتِهَا، وفي رواية: (لا تَقْتُلُوا الْخُفَّاشَ، فَإِنَّهُ لَمَّا خُرِّبَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ قَالَ: يَا رَبِّ سَلِّطْنِي عَلَى الْبَحْرِ حَتَّى أُغْرِقَهُمْ)»[(١)][(٢)].

ترجمة الصحابية راوية الحديث:

سبقت الترجمة لها.

---

(١) أخرجها البيهقي، معرفة السنن والآثار (١٩٢١٥)، وقال: إسناده صحيح، عن عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص موقوفًا عليه، وذكره الجاحظ صاحب كتاب الحيوان غير أنه عن زرارة بن أوفى عن عبد اللّه بن عمر، باب النهي عن قتل الضفادع والخفافيش (٣ / ٥٨٣). غير أن الدينوري صاحب كتاب تأويل مختلف الحديث قال عن الجاحظ: «أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل» (ص: ٤٢).

(٢) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٢٩١)، والبيهقي في الصغرى (٣٠٦٠) وقال في «السنن الكبرى» (١٩٣٨١): بهذا اللفظ، وقال: موقوف وإسناده صحيح، والسنن الصغرى عن عائشة (٤/ ٥٩) (٣٠٦١) وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٥٤) (٢٠٠١): وحكمه الرفع؛ لأنه لا يقال بغير توقيف وما كانت عائشة ممن يأخذ عن أهل الكتاب. اهـ. ونحوه موقوفًا عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وقال عنه البيهقي إسناده صحيح، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي (١٠٩٥).

شرح الحديث:

هذا الحديث اختزل في طياته أحداثًا كثيرة وعظيمة تعرضت لها مدينة بيت المقدس ومسجدها المبارك، استعرضنا وبشيء من التفصيل شيئًا منها عند شرحنا للحديث السادس عشر، فكان هو السبب الرئيس من وراء اختيار الحديث ضمن متن «الأحاديث الأربعون الفلسطينية»، لاسيما أنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لم تنشغل أو تُفْرِط بتفاصيل الاعتداءات التي حصلت في المسجد الأقصى عبر الأزمنة الغابرة من اجتياح نبوخذنصر أو طميطس أو من كان قبلهم أو جاء بعدهم، إذ تكمن أهمية هذا الحديث في أن أحداثًا مؤلمة فاجعة أصابت المسجد الأقصى فيما مضى، لم يتطرق لها أيٌّ من أحاديث هذه الأربعين الفلسطينية.

لقد تفاوتت بعض مخلوقات اللَّه من جن وإنس في طاعة اللَّه أو عصيانه، لكن حديث الباب يكشف لنا صنفًا جديدًا تفاوت هو الآخر، لكن من نوع غريب وتفاوت خاص، لا نستطيع أن نحمله على إيمان وكفر لغياب الدليل على ذلك، فهذا الخفاش ينافح عن المسجد الأقصى بإطفاء النيران المشتعلة فيه، وأما الوزغ فينفخ فيها ليزيدها اشتعالًا وحرقًا له!

قولها: (كانت الأوزاغ): جمع وزغة ـ بالتحريك ـ أو أوزاغ

ووزغان[(١)]. والأنثى منه وزغة[(٢)] وهي التي يقال لها: سامّ أبرص[(٣)]، والحديث جاء بلفظة الجمع يعني ذلك أن جملة من الأوزاغ متواطئة كانت تنفخ في النار لتزيدها اشتعالًا.

قولها: (يوم أُحرق بيت المقدس): حينما غزا بختنصر البابلي بني إسرائيل لما أتاهم ببيت المقدس، أحرق مسجدها، وسبى أهلها، وكان ذلك بعد عهد نبي اللَّه سليمان عليه السلام، وسبق التفصيل في ذلك في الحديث السابق، ويبدو واللَّه أعلم أنه أول حرق مشهور وأعظمه وقع للمسجد الأقصى.

قولها: (جعلت تنفخ النار بأفواهها): تجد هذا النوع من الحيوانات وكأنه بينه وبين الدين خصومة وعداوة، وعند تتبع سلوك هذا المخلوق في سنة المصطفى تجد أن له عداوة مع أنبياء اللَّه فقد جاء عن أم شريك رضي الله عنها: «أن رسول اللَّه أمر بقتل الوزغ، قال: وكان ينفخ على إبراهيم»[(٤)]. وجاء عنه ﷺ قال: (إن إبراهيم حين

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد بن سلام (٤/ ٤٧٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٩٧١).

(٣) وسامّ أبرص: بتشديد الميم قال أهل اللغة: وهو من كبار الوزغ وهو معرفة إلا أنه تعريف جنس وهما اسمان جُعلا واحدًا، وفي الجمع هؤلاء سوام أبرص، وإن شئت قلت: هؤلاء السوام ولا تذكر أبرص. وإن شئت قلت: هؤلاء البرصة والأبارص. حياة الحيوان الكبرى، الدميري (٢/ ١٦)، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٩٥).

أُلقِي في النار، لم تكن دابة إلا تطفي النار عنه غير الوزغ، فإنه كان ينفخ عليه)[١] أي لما ألقي إبراهيم في النار كانت الوزغ تنفخ على النار لتزيد في إشعالها لتحرق إبراهيم عليه السلام.

الأمر بقتل الوزغ:

حض الشارع الكريم بالتخلص من هذا النوع من الزواحف، كما جاء عن ابن عمر: إنه كان يأمر بقتل الوزغ ويقول: هو شيطان[٢]. عرفت حقيقته وسبب أفعاله المشينة، لهذا سمَّاه الشارع الكريم فويسقًا، كما صح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول اللَّه ﷺ قال للوزغ: «الفويسق»[٣]. أي فسق وهو خروج مكروه، ولأنها تخرج من جحرها للإفساد[٤].

ولما كان هذا الفويسق قد أعلن الحرب على بيوت اللَّه وأنبيائه قابلناه بحرب أعلنها وحرض عليها بل وأمر بها رسول اللَّه ﷺ عليه

---

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٨١).

(٢) شرح السنة، للبغوي: (٢/ ١٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٩). والفِسْق: التَّرك لأمر اللّهِ تعالى والعصيان والخُروج عن طريق الحق أو الفجور. وإنه لفسق: خُروج عن الحق. وفَسَقَ: جارَ عن أمرِ ربّه: خَرَجَ والرّطبة عن قشرها: خرجت كانفسقت قيل: ومنه: الفاسق: لانسلاخه عن الخير. والفويسقة: الفأرة لخروجها من جُحرِها على الناس. انظر القاموس المحيط، فصل الفاء.

(٤) انظر: الفروق اللغوية، أبوهلال العسكري (١/ ٢٣٠).

بعد أن رَغَّبَ ورتَّب على قتلها أجرًا عظيمًا، كما يروي ذلك أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل وزغًا في أول ضربة كتبت له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك»[(١)]. وجاء في الحديث الحث على سرعة المبادرة وترتيب الجزاء الجزيل على قتله في أول ضربة لما في ذلك من ضرر لم يعلم حجمه لو فوَّت المسلم على نفسه قتل هذا الفويسق.

وهذا المخلوق هو أحد أنواع وصفها النبي ﷺ بالفواسق الخمس[(٢)] التي أجاز قتلها في الحل والحرم لما خرجت وشذَّت عن غيرها من حيوانات وحشرات وزواحف ونحوها بزيادة ضرر، فاقت به غيرها.

هل يجوز أن يحمل الوزغ على الفسق والضلال؟

هذه المخلوقات سوى الجن والإنس ليست مكلفة، ولاتحمل على الفسق الشرعي والذي هو خروج عن الطاعة، إنما على الفسق اللغوي أو الفطري الذي هو من أصل طبعها وفطرتها.

يرى الدينوري[(٣)] أنه لا يمكن أن تحمل هذه المخلوقات على طاعة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٠).

(٢) جاء ذكر أنواع هذه الفواسق في حديث عَائِشَةَ - رضى اللَّه عنها - عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «خَمسٌ فَواسقُ يُقتلنَ فى الحلِّ والحرَمِ الحيَّةُ والغُرَابُ الأبقَعُ والفارَةُ والكلبُ العَقُورُ والحدَيَّا». أخرجه مسلم (٢٩١٩)، الأبقع: الذى فى ظهره أو بطنه بياض.

(٣) انظر مأجورًا، كتاب تأويل مختلف الحديث (٩٥).

ومعصية: «فأما أن تقتل لأنها فواسق فهذا لا يجوز لأن الفسق والهدى لا يجوز على شيء من هذه الأشياء والهوام والسباع والطير غير الشياطين وغير الجن والإنس الذين يكون منهم الفسق والهداية، والمعتقد أن الهوام والسباع والطير لا يجوز عليها عصيان ولا طاعة، مخالف لكتاب اللَّه جل وعز وأنبيائه ورسله وكتب اللَّه المتقدمة».

تباين الفضل في الأجر المترتب على قتل الوزغ:

ولما كانت هذه الفويسقة مفسدة لحياة الناس ومعاشهم، حضّنا الشارع الكريم على التخلص منها بأسرع وقت ممكن ومن خلال ضربة واحدة قاضية، فقد نوّه صاحب «الإفصاح» على شيء من هذا فقال: «وإنما أزاد الأجر على قدر قوة القلب في قتل الوزغ، فإذا أضعف القلب تردد الضارب بين جبن وخور فاحتاج إلى ضربة ثانية وثالثة، وذلك أن الوزغ من ذوات السموم، وقد عدَّهُ الأطباء فيما يؤذي أو يقتل نهْشَتُه»[(١)].

أما تباين أحاديث النبي ﷺ في الفضل المترتب على قتلها فقد أجاب النووي في شرحه على مسلم، فقال: وأما تقييد الحسنات في الضربة الأولى بمائة، وفي رواية بسبعين، فجوابه من أوجه سبقت في صلاة الجماعة تزيد بخمس وعشرين درجة وفي روايات بسبع وعشرين -

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح شرح للجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي، ابن هبيرة (٨/ ١١١).

أحدها أن هذا مفهوم للعدد ولا يعمل به عند الأصوليين وغيرهم فذكر سبعين لا يمنع المائة، لا معارضة بينهما. الثاني لعله أخبرنا بسبعين، ثم تصدق اللَّه تعالى بالزيادة، فأعلم بها النبي ﷺ حين أوحى إليه بعد ذلك. والثالث أنه يختلف باختلاف قاتلي الوزغ بحسب نياتهم وإخلاصهم وكمال أحوالهم ونقصها، فتكون المائة للكامل منهم، والسبعين لغيره. واللَّه أعلم[١].

حكم أكل الوزغ:

أما حكم أكل الوزغ، فقد نقل البيهقي في السنن الصغرى حرمة أكل لحم الوزغ، قال أصحابنا - أي الشافعية: فالذي أمر بقتله في الحل والحرم يحرم أكله، والذي نهى عن قتله يحرم أكله، والذي يحل أكله لا يقتل لغير مأكلة، ولا يحرم ذبحه لمأكله واللَّه أعلم»[٢].

ونحوه قاله الدميري[٣]: «تحريم الأكل لاستقذاره وللأمر بقتله، وعدم جواز بيعه كسائر الحيوانات التي لا منفعة لها واللَّه أعلم».

قولها: (والوطواط[٤] تطفئها بأجنحتها): الوطواط: الخطاف[٥]،

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ٢١٩-٢٢٠).

(٢) ذكره البيهقي في السنن الصغرى عند شرحه للحديث (٤/ ٥٩).

(٣) حياة الحيوان الكبرى، الدميري (٢/ ١٦).

(٤) «الوطواط سُمّي لِصِغَر عَينيه وضعف بصره» انظر القاموس المحيط.

(٥) ويقال له الخَطَّاف لأنّه يخطف البعوض، وهو طعامُهُ كما قَال الجاحِظُ فِي كِتَابِ البَيَانِ. انظر غمز عيون البصائر (١/ ٢٤٩).

وقيل الخفاش[١].

ومن صفاته الخَلْقية أنه من ذوات الأربع، ومن الثدييّات الوحيدة التي تستطيع الطيران بسرعة من غير ريش، ومع هذا ليس هو من الطير في شيء، وله أذنان، وأسنان، وخصيتان، ومنقار، ويحيض ويطهر، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويبول، شديد الطيران سريع التقلب، يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه.

وليس في الحيوان ما يحمل ولدهُ غيرهُ والقرد والإنسان. ويحملهُ تحت جناحهِ، وربما قبض عليهِ بفيهِ، وذلك من حنوهِ وإشفاقهِ عليهِ. وربما أرضعت الأنثى ولدها وهي طائرة. ولها كلها أنياب وأسنان.

والخفاش شديد الطيران ولكنهُ بطيءُ المسير وعندما يمشي تنطبق عليه الأجنحة وتصير أرجلًا أمامية. ويطير في الهواءِ بكل سهولة ويطلب الاستراحة في مكان مختفٍ مظلم. وحاسة اللمس في الخفافيش قوية جدًا، وأنواعها ما يقرب من ١٠٠٠ نوع من الخفافيش وهو من الحيوانات ذوات الدم الحار، معروف بطول

(١) الخُفَّاش: بضم الخاء وتشديد الفاء واحد الخفافيش التي تطير في الليل، وهو غريب الشكل والوصف والخفش صغر العين وضيق البصر. حياة الحيوان، باب الخاء المعجمة. وسمي خفاشًا لأنه لا يبصر نهارًا وبه سمي الرجل أخفش والعامة تسميه الوطواط وقيل الخفاش الصغير والوطواط الكبير ويقال إن الوطواط هو الخطاف لا الخفاش. صبح الأعشى (٢/ ٩٤).

العمر من ١٠ إلى ٢٠ سنة على حسب أنواعها»[(١)] والأنثى من الخفافيش تَحْبَل وتَلِد وتُرضع والخفاش الصَّغير والوَطْوَاط العظيم ورأسه مثل رأس الفارة وأُذُناه أطول من أُذُني الفأرة وبين جناحيه في ظهره مِثْل الكيس يحمل فيه من التَّمر شيئًا كثيرًا[(٢)].

وعند النظر في طبيعة جسم الوطواط، نجدها مناسبة لتقوم بمهمة إطفاء النيران، ومنها أنَّ خلقته تساعده على هذه المهمة، للأسباب التالية:

١- أولًا أنه لم يأت أي نوع من أنواع الذم لهذا الطائر في الشريعة أو الأمر بقتله.

٢- ليس على الوطواط لا ريش ولا زغب ولا شكير لأنها لو كانت عليه لكان ذلك سببًا سهلًا في طمع النار به.

٣- كما أن جسمه الصغير وسرعته الفائقة بسرعة ١٠٠ كم/ ساعة (٦٠ ميلًا في الساعة)، ويحلق بارتفاع ٣ كم (٢ ميل). خلافًا لمعظم الطيور، مع قدرته البارعة على الطيران بسرعات منخفضة نسبيًّا مع فن المناورة والتكيف في الارتفاع والانخفاض والانحناء المفاجئ مع ما يحدثه من تقلب وتكيف في الهواء ليكون ذلك سببًا في منع التقات النيران لجسده.

٤- يطلق ما يشبه الرنين المغناطيسي، وهي نبضات قصيرة من

(١) دائرة المعارف للبستاني بتصرف واختصار يسير ٧/ ٤٢٠-٤٢٢، والموسوعة الإنجليزية: (ENCARTA ENCYCLOPDIA).

(٢) المخصص، لابن سيده.

الأصوات أعلى من درجات السمع البشري وهي بمثابة مجسات صوتية ترتد إليه بطريقة صدى الصوت تساعده وتنبؤه على معرفة الأبعاد التي تحيط به وما سيكون أمامه ليتجنبه بسرعة كلمح البصر.

حكم أكل لحم الوطواط:

تطرق الفقهاء إلى بعض الأحكام المتعلقة بالوطواط، منها حكم أكل لحم الوطواط: فقال صاحب السنن الصغرى، قال أصحابنا: «فالذي أمر بقتله في الحل والحرم يحرم أكله، والذي نهى عن قتله يحرم أكله، والذي يحل أكله لا يقتل لغير مأكله، ولا يحرم ذبحه لمأكله» واللَّه أعلم[١].

قال الدميري[٢]: «يحرم أكله، ونقل عن الإمام أحمد فقال: ومن يأكله؟ قال النخعي: كل الطير حلال إلا الخفاش. قال الروياني: وقد حكينا في الحج خلاف هذا فيحتمل قولين، وعبارة الشرح والروضة يحرم الخفاش قطعًا. وقد يجري فيه الخلاف مع أنهما قد جزما في كتاب الحج بوجوب الجزاء فيه، إذا قتله المحرم، وإن الواجب فيه القيمة مع تصريحهما بأن ما لا يؤكل لا يفدى.

حكم بول الوطواط «الخفاش»:

أما حكم نجاسة بوله: جاء في مصنف ابن أبي شيبة قال: عن

---

(١) ذكره البيهقي، في السنن الصغرى عند شرحه للحديث (٤/ ٥٩).

(٢) حياة الحيوان الكبرى، الدميري (١/ ٤١٥).

الحسن؛ أَنَّهُ كان يُرخِّصُ في أبوال الخفافيش[١].

وسئل الشعبي عن بول الخفاش في المسجد فلم ير به بأسًا[٢]. وعن إسرائيل بن موسى قال: «كنت مع ابن سيرين فسقط عليه بول الخفاش فنضحه وقال: ما كنت أرى النضح شيئًا، حتى بلغني عن ستة من أصحاب محمد ﷺ»[٣].

من فوائد الحديث:

١- دليل آخر على اعتناء أصحاب وزوجات النبي ﷺ بذكر المسجد الأقصى، والتعرف على أحواله.

٢- فيه إشارة واضحة على تفاوت الحيوانات بأنواعها، فمنها ما أمرنا بقتله وآخر نُهينا عن إيذائه أو قتله بناء على مدى نفعه أو ضرره.

٣- لا يمكن حمل الحيوانات بأنواعها على كفر أو إيمان إلا بدليل، سواء ما أبيح أكله أو حرِّم أو ما عرف بنجاسته ونجاسة ما يخرج منه، أو ما هو غير ذلك، أو ما أمرنا بقتله أو نهينا عن قتله وإيذائه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ١١٦).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١/ ٣٧٦).
(٣) المصدر السابق.

الحديث الثاني عشر
جَسَدُ يُوسُف يُحْمَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْمُبَارَكَة

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيًّا فَأَكْرَمَهُ، وفي رواية: (نزل بأعرابي فأكرمه)[١] فقَالَ لَهُ: «ائْتِنَا»، فَأَتَاهُ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْ حَاجَتَكَ»، قَالَ: نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»؟ وفي رواية: (أعجزت أن تكون)[٢] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فقَالَ: مَا هَذَا؟، فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، وفي رواية: (حتى ننقل تابوته معنا)[٣] قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟، قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ

---

(١) أخرجها الحاكم، في المستدرك، عن أبي موسى الأشعري (٣٤٥٨ و٤٠٢٦) وأبي يعلى الموصلي في مسنده (٧٢٥٤).

(٢) أخرجها الحاكم، في المستدرك، عن أبي موسى الأشعري (٣٤٥٨ و٤٠٢٦) وأبي يعلى الموصلي في مسنده (٧٢٥٤).

(٣) ذكرها ابن كثير في تفسيره ٣/ ٨٤٣، عن ابن أبي حاتم بسنده عن أبي موسى، وقال عنه: هذا حديث غريب جدًا والأقرب أنه موقوف، والله أعلم.

بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فقَالَ: دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكِ؟، قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَأَنْضَبُوهُ، فَقَالَتْ: احْتَفِرُوا، فَاحْتَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ)[1].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

أبو موسى الأشعريُّ عبد اللَّه بن قيس بن سليم بن حضَّار بن حرب. الإمام الكبير، أمه: ظَبيةُ بنت وهبٍ، كانت أسلمت، وماتت بالمدينة.

وكانَ أبو موسى أَثَطَّ، قَصيرًا، خفيفَ اللَّحم[2]. سكن الرملة[3] في فلسطين، وقد استعملهُ النبي ﷺ ومعاذًا على زَبِيد، وعدن. وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وقدِم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي ﷺ وحمل عنه علمًا كثيرًا.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٧٢٣) بهذا اللفظ ، والطبراني في الأوسط (٧٧٦٧) وأبو يعلى (٧٢٥٤)، والحاكم (٣٥٢٣) وصححه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٣): «رجاله رجال الصحيح»، وقال ابن حجر في المطالب العالية: (٣٥٣٠) (٢/ ٣٦٤): «إسناده حسن» وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٣٨٠-٣٩٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٤/ ١٨١).

وهو معدودٌ فيمن قرأ على النبي ﷺ، أقرأَ أهل البصرة، وأفقههم في الدين. وكما لأبي موسى فضل فقد ذكر اللَّه فضل قومه كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال ﷺ: «هم قوم هذا» يعني أبا موسى الأشعري[(١)]. ومنها ما أخبر عنه النبي ﷺ: «اللَّهم اغفر لعبد اللَّه بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا»[(٢)].

وفيهم قال النبي ﷺ: «إن الأشعريين[(٣)] إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[(٤)].

وقال ابن سعد: حدثنا الهيثم بن عديّ، قال: أسلم أبو موسى بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وأولُ مشاهده خيبر، ومات سنة اثنتين وأربعين[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٧١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٢٣).

(٣) الأشعريون فيهم كثير من الصحابة وهم من قبائل اليمن التي سكنت الساحل ومن أوائل من وفد إلى النبي ﷺ من القبائل اليمنية، ولهم الفضل بعد اللَّه في نشر الإسلام في اليمن.

(٤) أخرجه مسلم (٥٢٠٠).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٣٨٢).

شرح الحديث:

إن الحديث عن نبي اللَّه يوسف عليه السلام، فهو كما أخبر نبينا محمد ﷺ «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن»[(١)]. ولعظيم شأنه أن سورة في القرآن كانت باسمه، جاءت آياتها كاملة تحكي حياته متسلسلة مشوقة مليئة بالعبر، لنقف أمام نبي شريف في نسبه وأفعاله وأقواله.

أما توراة[(٢)] يهود فإنها جاءت على نقيض ما جاء به القرآن الكريم لتصف يوسف بأنه: «المستغل والمحتكر لشعب فلسطين ومصر»، وغيرها من أخلاق لا تليق به عليه السلام فهو أمر ليس بمستغرب على توراتهم المحرفة التي ما فتئت ولا ملت وبكل وقاحة عن الطعن بأنبياء اللَّه بكل مناسبة وغير مناسبة، وقد زعم اليهود أن لنبي اللَّه يوسف مقامًا في نابلس يزورونه[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٣ و٣٤٩٠ و٤٦٨٩).

(٢) سفر التكوين (٤٧/ ١٣- ٢١).

(٣) وقيل إن أم يوسف عليه السلام «راحيل» مدفونة عند مدخل مدينة بيت لحم الفلسطينية في قبة سيطر عليها اليهود ونسبوها لهم وفي أصلها مسجد صغير يسمى مسجد بلال، على أسوار مقبرة إسلامية حوّلها اليهود إلى ما يعرف اليوم بـ «قبة راحيل» غير أن مصطفى اللقيمي المتوفى ١١٧٨هـ، ذكر أنه لما زار القدس مر على ضريح راحيل قريبًا من «بيت جالية» وهي المعروفة اليوم «بيت جالا» من أعمال مدينة «بيت لحم» انظر موانح الأنس. ومما قد أجمع عليه العلماء أنه لا يُعلم على سبيل الجزم والتحديد قبرٌ معين بذاته من قبور سائر الأنبياء سوى قبر النبي محمد ﷺ.

قوله: (أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فأكرمه، فقال: «ائتنا»، فأتاه فقال: «سل حاجتك»): أعرابي: واحد الأعراب وهم سكان البادية عربًا كانوا أو عجمًا[(١)] وهو اسم جنس[(٢)]. والنبي من فراسته عرف بداهة حاجة الأعرابي فبادره بسؤاله عن حاجته وهذا من جميل خلقه وكرمه وشفقته على أصحابه ﷺ.

قوله: (فقال: ناقة نركبها وأعنزًا يحلبها أهلي، فقال: «أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟» فقال أصحابه: يا رسول اللَّه وما عجوز بني إسرائيل؟): العجوز: من العجز والضعف[(٣)]. المرأة الكبيرة، وجمعها عجائز وعُجُزُ، ولا يقال عجوزة[(٤)]. وقيل إن اسمها «مريم بنت ذاموسى»[(٥)].

أعجزتم: هي القدوة التي أراد النبيُّ ﷺ أن يلفت انتباه الصحابة إليها لما أتى أعرابيًّا فأكرمه، فقال له: ائتنا، فأتاه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «سَلْ حاجتك، فقال: ناقة برحلها وأعنزًا يحلبها أهلي»، فكان ما سأله ذلك الأعرابي من حطام الدنيا بل وأقلها فأراد أن يُعلِّم أصحابه

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١/ ٣٢٣).
(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٢٢).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (١٢٢).
(٤) انظر القاموس المحيط (١/ ٥١٦).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧/ ٣٩٥).

علو الهمة والترفع عن سفاسف الأمور، فذكر لهم خبر تلكم العجوز من بني إسرائيل مع موسى لما احتاج إليها، فانتهزت الفرصة بطلب غاية عظيمة ما بعدها من غاية من نبي اللَّه موسى عليه السلام، وهي أن تكون معه في الجنة، حتى كان طلبًا ثقيلًا عليه فكره أن يعطيها ذلك لأنه أمر مختص بالرب سبحانه وتعالى.

فكانت هذه العجوز هي القدوة التي أراد النبي ﷺ أن يلفت انتباه أصحابه إلى رفيع طلبها، وهو من كان دائمًا يُعَلِّم أصحابه ذلك، ومما كان يقوله رسول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»[(١)]، وقال: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[(٢)].

وبهذه المعاني بوَّب ابن حبان هذا الحديث فقال: «ذكر الخبر الدال على أن لا يعتاض عن أسباب الآخرة بشيء من حطام الدنيا الفانية» أي إنه طالما كان أمامك نبي فاسألهُ شيئًا من الآخرة، أو ما كان نحوه.

قوله: (قال: إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر؛ ضَلُّوا الطريق): خرج موسى ببني إسرائيل من مصر بعد زمن وفاة يوسف عليه السلام في مصر لما كان رسولًا يدعو إلى اللَّه فيها ووزيرًا لها، قال

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨٩٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩٥٨)، وقال الألباني في السلسلة (١٨١١): «صحيح».

ابن كثير[١] قد بعث فيهم - أي أهل مصر - رسولًا من قبل موسى، هو يوسف وكان عزيز أهل مصر وكان رسولًا يدعو إلى اللَّه، ويدعو ويحث أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي.

قوله: (فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: نحن نحدثك: إنّ يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من اللَّه ألّا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا): ويوسف عليه السلام يبدو أنه علم لا محالة من خروج بني إسرائيل من مصر بعد زمن من وفاته، فأخذ منهم المواثيق أن يحملوا جثمانه معهم حينما يأذن لهم اللَّه بالخروج من مصر.

أما توراة يهود فقد ذكرت طرفًا من هذه القصة ينقلها لنا الشيخ عمر الأشقر[٢] رحمه الله: «أنه لم ترد قصة عجوز بني إسرائيل في التوراة ومما جاء ذكره فيه كما جاء في سفر التكوين: (الإصحاح: ٥٠، فقرة: ٢٥): أخذ يوسف على بني إسرائيل العهد بإخراج عظامه معهم عندما يخرجون من أرض مصر، وفيه: «استحلف بني إسرائيل قائلًا: اللَّه سيفتقدكم، فتصعدون بعظامي من هنا». وجاء في التوراة أن بني إسرائيل تاهوا أثناء خروجهم من مصر دون أن تذكر أن ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٨٦).

(٢) في كتابه الماتع «صحيح القصص النبوي» (١٠٦)، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن.

بسبب عدم أخذ جثمان يوسف.

قوله: (قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: ما ندري أين قبر يوسف، إلا عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها، فأتته، فقال: دُلوني على قبر يوسف؟): عجزت جموع بني إسرئيل التي استوطنت مصر أن تعرف مكان قبره فيها غير عجوز واحدة منهم يبدو أنها كانت من الرعيل الأول الذي حفظ واعتنى بمكان قبره بشكل دقيق.

قالت: لا واللَّه لا أفعل حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أكونُ معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى اللَّه إليه أن أعطها حكمها): وجاء اليوم الذي نفعها معه معرفة مكان قبر يوسف لتنال بهذا الكنز الجنة فكانت ذكية تعرف مصلحتها الأبدية فساومت موسى عليه السلام أن تكون رفيقة له في الجنة مقابل أن تدلهم على قبر يوسف.

فنالت هذه العجوز خير ما يتمناه المرء المسلم، وما نالته إلا بيقين عظيم اللَّه أعلم به، وهي أن تفوز بدخول الجنة مع نبي اللَّه موسى، وما كان لها هذا إلا أنها كانت فيما يبدو دائمة الدعاء والطلب من اللَّه أن يرزقها الجنة فجاءها الرد عاجلًا في الدنيا.

قوله: (فانطلقت بهم إلى بحيرة؛ موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا الماء، فأنضبوا): أنضبوا: أي جففوا ماءها.

قوله: (قالت: احتفروا واستخرجوا عظام يوسف): والمقصود من عظام يوسف هو جسده الشريف، وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل[(١)] ويجوز العكس، وكما هو معلوم أن أجساد أنبياء اللَّه بعد مماتهم لا تبلى كما جاء في الحديث «إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[(٢)].

حكم إخراج الميت من قبره:

أما جواز إخراج الميت من قبره لحاجة، فقد أثر عن النبي ﷺ ذلك، كما جاء في حديث جابر بن عبد اللَّه قال: أتى رسول اللَّه ﷺ، عبد اللَّه بن أُبيَّ بعد ما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج فوضعه

---

(١) قال الألباني: كنت استشكلت قديماً قوله في هذا الحديث «عظام يوسف» لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح: «إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» سبق تخريجه، حتى وقفتُ على حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ لمَّا بدَّن، قال له تميم الداري: ألا أتَّخِذُ لك منبراً يا رسول اللَّه! يجمعُ أو يحمل عظامَكَ؟ قال: بلى. فاتَّخَذَ له منبراً مرقاتين». أخرجه أبو داود (١٠٨١) بإسناد جيد على شرط مسلم.
فعلمتُ منه أنهم كانوا يطلقون «العظام» ويريدون البدن كله، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، كقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الاسراء: ٨٧] أي: صلاة الفجر. فزال الإشكال والحمد للَّه، فكتبت هذا لبيانه. سلسلة الأحاديث الصحيحة - المجلد الأول - القسم الثاني ص ٦٢٣-٦٢٤). أو كتاب نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد: (٢/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٢) صححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٦٢) وسنن ابن ماجه (١٦٣٦).

على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه»[(١)]، وفي «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» للبوصيري، بوب هذا الحديث في كتابه المساجد بعنوان «باب في نقل عظام الميت».

وتعرض صاحب الفتح إلى مسألة جواز نقل الميت من بلد إلى بلد، فقال: «يكره لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته، وقيل: يستحب، والأولى تنزيل ذلك على حالتين: فالمنع حيث لم يكن هناك غرض راجح كالدفن في البقاع الفاضلة، وتختلف الكراهة في ذلك، فقد تبلغ التحريم، والاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل كما نص الشافعي على استحباب نقل الميت إلى الأرض الفاضلة كمكة وغيرها. واللَّه أعلم»[(٢)].

قوله: (فلما أَقلُّوها إلى الأرض؛ إذا الطريق مثل ضوء النهار):

وحمل جسد يوسف عليه السلام وكان مع بني إسرائيل لما خرجوا من مصر إلى الأرض المقدسة، فأنار جسده الشريف لهم الطريق وكان بوصلة إرشاد لهم تدلهم على الطريق الصحيح إلى الأرض المقدسة، فكانت هذه البركات من جملة بركات يوسف عليه السلام على بني إسرائيل حيًا وميتًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٦٤).

من فوائد الحديث[١]:

١- يظهر خلق النبي ﷺ في إيفاء وعده وإكرام ضيفه.

٢- حض النبي ﷺ أصحابه إلى سمو مطالبهم من اللَّه سبحانه وتعالى.

٣- الوفاء بالعهود من صفات الأنبياء، وموسى عليه السلام يفي بوعده مع العجوز، ومحمد ﷺ يفي بوعده مع الأعرابي.

٤- تواضع النبي ﷺ في قبول دعوة هذا الأعرابي الفقير الذي لم يكن يملك من شدة فقره أعنزًا لأهله يحلبها.

٥- الداعية ينتهز الفرص والمناسبات في توجيه المدعوين إلى خير أمورهم في الدنيا والآخرة.

٦- التفريط في أوامر الأنبياء سبب الغواية والضلال، وذلك لما ضل بنو إسرائيل الطريق كان ذلك بسبب أنهم لم يراعوا أمر يوسف ووصيته لهم قبل خروجهم من مصر.

٧- سؤال أهل الاختصاص؛ فعجوز بني إسرائيل امرأة مسنة ضعيفة لا علم لها ولا حيلة ولا يلتفت إليها إلا أنها صاحبة سر قبر يوسف الذي كان بسبب معرفتها به نجاة أمة بني إسرائيل وهدايتهم إلى الطريق السليم.

---

(١) استفدت كثيرًا، من كتاب «قصة عجوز بني إسرائيل» للمقطري.

٨- وفيه أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، فنبي اللَّه موسى يلجأ في أمر غاب عنه إلى عجوز تكشف له سر أمر خفي.

٩- جهل بني إسرائيل في معرفة مكان قبر يوسف، فيه دلالة واضحة أنهم لم يكونوا يعظمون قبور أنبيائهم في هذه الفترة الزمنية من حياتهم، كما هو حال يهود اليوم في فلسطين تحديدًا ما تركوا مكانًا إلا ونصبوا فيه ضريحًا وجعلوه مزارًا يحتشدون عنده، والقبر الذي نسبوه إلى يوسف في نابلس أكبر شاهد على ذلك.

١٠- إذا هبت رياحك فاغتنمها، فقد اغتنمت هذه العجوز الموفقة حاجة بني إسرائيل التي كانت سببًا لها في الفوز بمرافقة نبي اللَّه موسى في الجنة.

١١- عدم الالتزام بالعهود والمواثيق صفة متجذرة في اليهود فميثاقهم مع يوسف نكثونه أو تغافلوه وخرجوا من مصر من غير أن يفوا بوعدهم معه أو يتحملوا تبعات نقل جثمانه معهم.

١٢- وفيه أن شريعة من كان قبلنا على جواز نقل الميت من مكان إلى آخر بناء على مصلحة أو وصية، واللَّه أعلم.

* * * * *

الحديث التاسع عشر

الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى مِنْبَرُ الْأَنْبِيَاءُ

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، وفي رواية: (فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ)[1] فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي وفي رواية: (فَقَالَ: يَا رُوحَ اللَّهِ لَا تَفْعَلْ)[2]، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي». قَالَ: «فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ وفي رواية: (الشُّرُفَاتِ)[3]، فَحَمِدَ اللَّهَ...»[4].

---

(١) أخرجها ابن خزيمة (١٨٩٥)، والطيالسي (١٢٥٧) وكلاهما عن الحارث الأشعري.

(٢) أخرجها الطيالسي (١٢٥٧) عن الحارث الأشعري.

(٣) أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٣٠) عن الحارث الأشعري.

(٤) أخرجه أحمد (١٧١٧٠) بهذا اللفظ، والترمذي (٨٦٣) وقال: (حسن صحيح غريب)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٣٣)، وقال الدارقطني في الإلزامات والتتبع (١٠٠) من شرط مسلم، قال البغوي في شرح السنة (٥/ ٣٠٤): «حسن غريب»، قال ابن العربي في عارضة الأحوذي (٦/ ٨) «صحيح»، وأشار ابن الملقن في تحفة المحتاج (١/ ٣٦١): «أنه صحيح أو حسن» كما اشترط على نفسه في =

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

الحارث بن الحارث الأشعري الشامي، صحابي تفرد بالرواية عنه أبو سلام، قال الأزدي: والحارث هذا يكنى أبا مالك وقد خلطه غير واحد بأبي مالك الأشعري، فوهموا، فإن أبا مالك المشهور بكنيته المختلف في اسمه متقدم الوفاة على هذا، وهذا مشهور باسمه وتأخر حتى سمع منه أبو سلام[(١)]. كناه أبو نعيم وحده، له صحبة، عداده في أهل الشام[(٢)].

قال صاحب أسد الغابة: ذكر بعض العلماء أن هذا الحارث بن الحارث الأشعري ليس هو أبا مالك، وأكثر ما يرد هذا غير مكنى، وقال: قاله كثير من العلماء، منهم: أبو حاتم الرازي وابن معين وغيرهما، وأما أبو مالك الأشعري، فهو كعب بن عاصم، على اختلاف فيه، وقال روى أحمد بن حنبل في مسند الشاميين: الحارث الأشعري، وروى له هذا الحديث الواحد الذي ذكرناه، ولم يكنه، وذكر كعب ابن عاصم، وأورد له أحاديث لم يذكرها الحارث الأشعري، وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم وأبو عمر في كعب ابن عامر[(٣)].

= المقدمة، قال ابن كثير في التفسير (١/ ٨٧): «حسن»، قال العراقي في المستخرج على المستدرك (٨٩): صحيح، وأشار أحمد شاكر في مقدمة عمدة التفسير (١/ ٩٢) إلى صحته وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤)، وصحيح الترمذي (٢٨٦٣) وصحيح ابن خزيمة (٤٨٣) و(٩٣٠).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (١/ ٥٦٦).

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١/ ٢٠٢).

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١/ ٥٩٤). باختصار وتصرف شديد.

شرح الحديث:

حديث جليل تظهر فيه مكانة المسجد الأقصى بين مؤمني بني إسرائيل، وأنه محل اجتماعهم بأنبيائهم لبيان توحيد اللَّه وللوعظ والإرشاد والتوجيه، وأنه كان مليئًا بهم حتى قعدوا على شرفاته من كثرتهم، وأنهم ومن طيب عيشهم كان فيهم عيسى ابن مريم وابن خالته يحيى بن زكريا، وحتمًا كانت مريم قريبة عهد بهم إن لم تكن معهم، وكذا زكريا عليهم السلام، فتقلبوا بين أسباب الإيمان، فجمع اللَّه لهم ومعهم ثلة من الأنبياء والأرض المقدسة وما فيها من مسجد مبارك كل ذلك في زمن قل مثله في بني إسرائيل وغيرهم.

ولما كان الحديث طويلًا فسنكتفي بشرح أهم مواضعه التي تفي بغرض ومقصود الكتاب.

قوله: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يحيى بن زَكريّا): يحيى: هو نبي اللَّه ابن نبي اللَّه، بشرى اللَّه لزكريا: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] وتشرف بهذا الاسم؛ لأن اللَّه هو الذي سماه بيحيى.

زكريا[(١)]: هو زوج خالة عيسى عليهما السلام وهو- أي- زكريا من وقعت عليه القرعة في كفالة مريم بنت عمران ﴿وَكَفَّلَهَا

(١) قال ابن دريد في جمهرة اللغة (٢/ ٣٢٤): هو اسم أعجمي.

زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] لما نذرت أمها ما في بطنها لسدانة المسجد الأقصى.

قوله: (بِخمسِ كَلماتٍ أَن يَعمَلَ بهن وأن يأمُر بني إسرائيلَ أن يَعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن): هي كلمات وأوامر شرعية أمر اللَّه بها يحيى أن يأمر بها بني إسرائيل أتى ذكرها في الحديث.

إيل: اسم من أسماء اللَّه تعالى عبراني أو سرياني وقولهم: جبرائيل وميكائيل كقولهم عبد اللَّه وتيم اللَّه[(١)].

بطأ: يقال بَطَّأ به وأبْطَأ به بمعنًى واحد[(٢)]، أي لم يكن زمن المبادرة في تنفيذ الأمر على الوجه المقصود.

قوله: (فأوحى اللَّه إلى عيسى): هو المسيح عيسى ابن مريم رسول اللَّه وكلمته عليه السلام. المبعوث حقًا بعد موسى عليه السلام، المبشر به في التوراة. وكانت له آيات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وطريقة وجوده وولادته، وأوحى اللَّه تعالى إليه إنطاقًا في المهد، وإبلاغًا عند الثلاثين. وقيل كانت مدة دعوته ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام.

قوله: (إما أن يبلغهنَّ أو تبلغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٨٠).

أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال له: يا روح اللَّه إِنِّي أَخشى إِن سَبقتني أَن أُعذب أَو يخسف بي): يا روح اللَّه: الذي يقدم حق اللَّه على حق الناس[(١)]. وجاء وصفه بروح اللَّه، عند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى «وإذا هم بعيسى، فيقال تقدم يا روح اللَّه، فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم». أما الخَسْفُ: سُؤُوخُ الأرض بما عليها من الأشياء، انْخَسَفَتْ به الأرض، وخسفها اللَّه به[(٢)]. وهي العقوبة التي سيتعرض لها حال تأخره عن تنفيذ أمر اللَّه تعالى.

قوله: (فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فَقُعِدَ على الشُّرُفات): قعد قعودًا، أي جلس. والقَعْدَةُ: المرَّة الواحدة[(٣)].

الشرفات: جمع «شُرْفة» وهي أعلى كل شيء، التي طُوّلت أبنيتها بالشّرَف، واحدتها شُرْفة[(٤)]. والمكان الذي جمعوا فيه هو المسجد الأقصى، فكان مسجدًا لمؤمني بني إسرائيل، ولم يكن هيكلًا كما يزعمون.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٥/ ٦).
(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (٤/ ٢٠١).
(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي (٢/ ٥٢٥)، دار العلم للملايين- بيروت، ت: أحمد عبد الغفار عطار.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤٧٥).

قوله: (فحمد اللَّه): أي استَفتح كَلَامَهُ بحمد اللَّه تعالى.

فكانت الأوامر الشرعية لبني إسرائيل في هذا الحديث على شقين منها ما كان مُبلَّغًا به من اللَّه، ومنها ما كان من نبيه يحيى عليه السلام، المشروعة في أصلها من اللَّه تعالى.

من فوائد الحديث:

١- فيه دليل واضح على أن الأقصى هو المسجد الذي كان يتعاقبه الأنبياء، وأنه ليس هيكلًا كما يزعم اليهود.

٢- وفيه أن الأنبياء والرسل تتعاقب في بني إسرائيل، وقد يكون أكثر من واحد في زمان ومكان واحد.

٣- تعطيل أمر اللَّه تعالى وعدم الإذعان والاستجابة لأمره، موجب لعقوبته وإن كان المُعَطِّلُ نَبِيًّا.

٤- من سُنّةِ الأنبياء في مستهل حديثهم وخطابهم، حمد اللَّه تعالى والثناء عليه.

٥- ومن منهج الأنبياء الدعوة إلى وحدة الصف ولزوم جماعة المسلمين.

* * * * *

الحديث العشرون

طاعون الشام شهادة لأمة النبي محمد ﷺ ورجس على الكافرين

عن أبي عَسيب رضي الله عنه مولى رسول اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: (أتاني جبريل بالحُمَّى والطَّاعُونِ، فأَمْسَكْتُ الحُمَّى بالمدينةِ، وأَرْسلْتُ الطاعونَ إلى الشام، فالطاعُونُ شَهَادَةٌ لأُمَّتي وَرَحْمَةٌ وفي رواية: (شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)[١]، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ)[٢].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

أبو عَسيبٍ مولى النبي ﷺ ممن نزل البصرة، وطال عمره. يقال: اسمه أحمر.

---

(١) أخرجها البخاري، عن أنس بن مالك (٢٨٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٧٦٧) بهذا اللفظ، والطبراني في الكبير (٩٧٤)، قال المنذري في الترغيب والترهيب: (٢/ ٢٢٠) والهيثمي في مجمع الزوائد: (٢/ ٣١٠) «رواة أحمد ثقات مشهورون» وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٦٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (١/ ٣٥٧) وقال: «له عندي طرق» وابن حبان في الثقات (٥٣٩٥)، وحسنه ابن حجر في بذل الماعون (٣٣)، قال الهيتمي المكي في الزواجر (٢/ ١٧٥): «رواته ثقات مشهورون» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٠١) والصحيحة (٧٦١)، وصحيح الجامع (٦٠)، قال الوادعي في الصحيح المسند: (١٢٥٤) «صحيح».

كان من الصلحاء العباد، خرّج له الإمام أحمد في (مسنده). وحدث عنه: خازم بن القاسم، وأبو نُصَيرة[١] مسلم بن عبيد، الذي حدث عنه حديث الباب، وميمونة بنت أبي عَسيبٍ، قالت: يواصل بين ثلاث فِي الصيام، ويصلي الضحى قائمًا، فعجز، فكان يصلي قاعدًا، ويصوم البيضَ. وقال خازِم بن القاسم: رأيت أبا عسيبٍ يُصفّر رأسه ولحيته[٢].

شرح الحديث:

يظهر هذا الحديث للقارئ للوهلة الأولى وكأنه نقمة وعذاب اللَّه في عباده مؤمنهم وكافرهم، لكنه في الحقيقة رحمة للمؤمن وعذاب للكافر.

قوله: (أتاني جبرائيلُ بالحُمَّى والطَّاعُونِ): أخبره تعالى أنه لا بد في هذه الأمة من الطاعون والحمَّى وأن يختار لبلديه الشام والمدينة ما يناسبها.

قوله: (فأَمْسَكْتُ الحُمَّى بالمدينةِ): الحمى حرارة غريزية، تشتعل في القلب، وينبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى

---

(١) قال الألباني: وهذا إسناد صحيح، أبو نصيرة هذا وثقه ابن حبان كما عرفت، وسئل أحمد عنه فقال: «ثقة» انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (٢/ ٣٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/ ٤٧٤).

جميع البدن فيشتعل منه اشتعالًا يضر بالأفعال الطبيعية[١].

أمسك واختار ﷺ الحمى على الطاعون؛ لأنَّ الحمى أخف ألمًا، والطاعون يعم وينتشر ويهلك في أسرع الوقت.

فكان اختيار النبي ﷺ الحمى للمدينة رحمة بأصحابه، وأنها خالية من الكفار، وأنها أي الحمى أخف عليهم وطأة، ويمكن الشفاء منها، وأنها ليست كالطاعون تقضي على الناس وتفنيهم وتستأصل شأفتهم، فأصحابه ﷺ هم من سينقلون رسالته في العالمين في حياته ومن بعده، فاختار لهم ﷺ في المدينة الأقل ضررًا عليهم وعلى الدعوة، كما أنها حظ المؤمن من نار الآخرة[٢].

فاختار للمدينة الأخف، وأرسل الآخر إلى الشام؛ لأنه لا تخلو عن كافر، فتكون عليه رجسًا، بخلاف أهل المدينة فإنهم مؤمنون لا يسكنها معهم كافر.

ذكر ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحكمة في إمساك الحمى بالمدينة وإرسال الطاعون إلى الشام، أنه ﷺ لمَّا دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددًا ومددًا، وكانت المدينة وَبِئَةً كما سبق من حديث عائشة، ثم خُيِّر النبي ﷺ في أمرين يحصل بكل منهما

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١/ ٢٧٠).
(٢) قاله مجاهد، انظر: شرح صحيح البخاري ابن بطال (٣/ ٢٤٨).

الأجر الجزيل، فاختار الحمَّى حينئذ لقلة الموت بها غالبًا، بخلاف الطاعون، ثم لمَّا احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة أن تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد، فدعا بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة، فعادت المدينة أصح بلاد اللَّه بعد أن كانت بخلاف ذلك، ثم كانوا من حينئذٍ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل اللَّه، ومن فاته ذلك حصلت له الحمَّى التي هي حظّ المؤمن من النار، ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزًا لها عن غيرها؛ لتحقق إجابة دعوته، وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره هذه المدة المتطاولة، واللَّه أعلم»[(١)].

قال الحافظ: «هذا يدلّ على أنّه اختارها على الطَّاعُون وأقرها بالمدينة ثمّ دعا اللَّهَ فَنقَلَها إِلى الجُحفة وبقيت منها بقايا، ولا يعارضه الدُّعاء برفع الوباء عنها لِنُدرة وُقُوعه فيها بخلاف الطَّاعون لم ينقل قَطُّ أنّه وقع بها»[(٢)].

وهو مصداق ما أخبر به أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمَسِيحُ وَلا الطَّاعُونُ»[(٣)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ١٩١).
(٢) شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٣٨١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٣١).

ونقل صاحب مصابيح الجامع عن كتاب «المعارف» لابن قتيبة: لم يقع في المدينة ولا بمكة طاعون قط، قال ابن الملقن: أما المدينة فنعم وأما مكة، فدخلها سنة تسع وأربعين وسبع مئة[١].

سبب تسميتها بالمدينة المنورة:

وهي المدينة النبوية، وقيل سميت بالمنورة، وذلك لما جاء عن أنس بن مالك قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ...»[٢] جاء ذكر المدينة في القرآن أربع عشرة مرة، وما أريد به مدينة الرسول ﷺ ورد في أربعة مواطن.

حدود المدينة النبوية:

أما عن حدّها: جاء مفسرًا في حديث عنه ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ[٣] إِلَى ثَوْرٍ...»[٤]، وهي الحدود الشمالية والجنوبية لها وهي، كالتالي:

---

(١) انظر: مصابيح الجامع، شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، الإمام القاضي بدر الدين الدماميني (٩/ ٢)، وزارة الأوقاف في قطر ودار النوادر - دمشق، ت: نور الدين طالب ونخبة من المحققين.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٨٣٠) والترمذي (٣٦١٨) وصححه.

(٣) وقيل العير: واد، قال صاحب العين: العير اسم واد كان مخصبًا فغيره الدهر فأقفر فكانت العرب تضرب به المثل في البلد الوحش. معجم البلدان (٤/ ١٧٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٩٣).

من جهة الجنوب عَيْر: وهو جبل مستقيم القمة على امتداد جنوب المدينة بينه وبين مركز المدينة ثمانية كيلومترات تقريبًا.

ومن جهة الشمال ثور): جبل صغير يقع خلف أحد، وجبل أحد يدخل ضمن حدود الحرم.

وبين ﷺ حدودها من الجهة الشرقية والغربية فقال: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ».

من جهة الشرق): حرة واقم، وتعرف حاليًا بالحرة الشرقية.

ومن جهة الغرب): حرة الوبرة وتعرف حاليًا بالحرة الغربية.

المدينة حرم:

وهي حرم حرمها النبي ﷺ كما أخبر عن نفسه، فقال: «إِنِّي حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ[(١)] الْمَدِينَةِ[(٢)] كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ»[(٣)]. وكما أخبر عاصم عن أنس رضي الله عنهما قال: قلت لأنس: أحرَّم رسول اللَّه المدينة؟ قال:

---

(١) لابتي المدينة: اللبتان تَثْنِيَة: لابة، واللابة، الحرَّة، ذكره الأَزْهَرِي عن الأَصْمَعِي وَجَمعها: لاب ولوب، وفِي (الجامع): اللابة الحرَّة السَّوداء، والجمع لابات. وفِي (المُحكم): اللابة واللوبة: الحرَّة. وقال الجوهري: اللابة أَرض ألبستها حجارة سود، والمَدينة بين حرتين يكتنفانها إِحداهما شرقية والأخرى غربية، وقيل: المُراد به أنه حرم المدينة ولابتيها جميعًا. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٣١).

(٢) تبعد عن مكة (٤٢٠) كيلومتر، وتقع في الحجاز في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية.

(٣) أخرجه مسلم (٣٤٠٦).

نعم، ما بين كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، من أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين[١]. وقال ﷺ: «مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ»[٢].

أَي لا يسفكُ بها دمٌ لبشر في حرب ولا لحيوان في صيد ولا يُعضَدُ بها شجرة ولا ينفّر صيدها.

قوله: (وأَرْسلْتُ الطاعونَ): «الطاعون» من الطعن، عدلوا به عن أصله ووضعوه دالًا على الموت العام كالوباء، قال أبو بكر بن العربي: الطاعون الوجع الغالب الذي يطفئ الروح كالذبحة سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله[٣]، قال صاحب النهاية، الطاعون: المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسدُ به الأمزجة والأبدان. ويتأولها صاحب النهاية أنه ﷺ أراد أنّ الغالب على فناء الأمّة بالفتن التي تُسفك فيها الدّماء، وبالوباء[٤].

قوله: (إلى الشامِ): اختار النبي ﷺ إرسال الطاعون إلى الشام، لاختلاطها بالمؤمنين فيكون شهادة لهم، والكفار فيكون عليهم رجسًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ١٨٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٥٦٤).

معنى كلمة الشام:

جاءت عند العرب بفتح الهمزة وسكونها[١]، وشآم بهمزة بعدها مدة، والشام يذكر ويؤنث، ورجل شامي أيضًا حكاه سيبويه، وفي تسميتها بذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها سميت بسام بن نوح، لأنه أول من نزلها فجعلت السين شينًا تغييرًا للفظ الأعجمي.

والثاني: أنها سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات[٢].

والثالث: أنها سميت بذلك لأن باب الكعبة مستقبل المطلع، فمن قابل طلوع الشمس كانت اليمن عن يمينه والشام عن يده الشؤمى[٣]. يدل على الجانب اليسار أي لأنها من مشأمة القبلة.

من ذلك المشأمة، وهي خلاف الميمنة[٤]، والشام الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب. والشام بالسريانية: الطيّب، فسميت بذلك لطيبها وخصبها[٥].

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٣٠٣).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المطلع على ألفاظ المقنع، شمس الدين البعلي الحنبلي (١/ ٤٦١).
(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥٤٦)، دار الفكر، ت: عبد السلام محمد هارون.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة - بيروت.

حدود بلاد- إقليم- الشام:

والشام إقليم يبدأ من تخوم مصر نحو الشمال إلى بلد الروم فيقع بين بحر الروم- بحر الأبيض المتوسط - وبادية العرب ويتصل البادية وبعض الشام بجزيرة العرب[١].

وبتعريف أكثر دقة[٢] «فمن الفرات[٣] إلى العريش[٤] المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جَبَلَي طَيِّئ[٥] من نحو القبلة إلى بحر الروم»[٦] وهو البحر المتوسط.

---

(١) راجع: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين المقدسي (٩٣)، ليدن- ابريل.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٣٥٤)، والمواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، القسم الأول (١٩٧).

(٣) الفرات: من أعظم أنهار آسيا ينبع من الأراضي التركية ويمر بالأراضي السورية ثم يدخل العراقية حتى يصب بعد التقائه بنهر دجلة عند كرمة في الخليج العربي يبلغ طوله ٢٣٣٠كم. (دائرة معارف القرن العشرين (٧/ ١٤٥)، الموسوعة العربية الميسرة ١٢٧٨).

(٤) العريش: آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وهي مركز محافظة سيناء اليوم بجمهورية مصر العربية.
معجم البلدان (٤/ ١١٣)، الموسوعة العربية الميسرة (١٢١٠).

(٥) جبلا طيئ: يقع هذا الجبل قرب مدينة الطائف، وينسب إلى أجأ بن عبد الحي من العماليق. وأحد جبلي طَيّء يسمى: أجأ، وهو غربي فيد.(معجم البلدان (١/ ٩٤).

(٦) هو البحر الأبيض المتوسط، وكان معروفًا سابقًا ببحر الروم أو البحر الشامي. معجم البلدان (١/ ٣٤٥) و(المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية القسم الأول / ١٩٧).

وبيَّن ابن حبان في صحيحه مكانها من جهة الفرات فقال: «أول الشام بَالِس[١] وآخره عريش مصر».

جاء عن كعب الأحبار ذكره[٢] لحدود الشام وما خص منها بالتقديس: إن اللَّه بارك في الشام من الفرات إلى العريش، وخَصَّ بالتَّقديس مِنْ فَحصِ الأردُن إلى رَفَح، وسئل ابن قتيبة عن معنى قوله هذا فأجاب: فَحْصُ الأردُن[٣] حيث بُسِط منها وذُلِّل منها ولُيِّنَ وكُشف، كأن اللَّه فعل ذلك بهذا المكان، ومنه يقال: فَحصتُ عن الأمر: أي كشفت عنه، وأُفحوصُ القطاةِ مجثمُها لأنها تفحص عنه[٤].

وجاء في كتاب البلدان لشمس الدين الذهبي[٥]، حدود الشام: إنه من الغرب: البحر الرومي، ومن الجنوب: رمل مصر والعريش، ثم

---

(١) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرّقة، هى مدينة على شطّ الفرات صغيرة، وهي أوّل مدن الشام من العراق والطريق إليها عامر وهي فرضة الفرات لأهل الشام. انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٣٢٨) والمسالك والممالك، للاصطخري (٦٢).

(٢) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة زمن دولة عمر بن الخطاب، سكن حمص ومات فيها سنة ٣٢هـ، (تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩) والأعلام (٥/ ٢٢٨).

(٣) النهر المعروف: تحت طبرية، وفحصه: ما بسط منه وكشف من نواحيه.

(٤) انظر: كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، ابن قتيبة (٣٠٨)، دار ابن كثير – دمشق، ت: مروان العطية ومحسن خرابة.

(٥) ذكره البقاعي في كتابه، الإعلام بسنِّ الهجرة إلى الشام (٨٣)، إبراهيم البقاعي، دار ابن حزم.

تيه بني إسرائيل وطور سيناء، ثم تبوك، ثم دومة الجندل، ومن الشرق: بريّة السماوة، - وهي كبيرة ممتدة إلى العراق ينزلها عرب الشام -. ومن الشمال: مما يلي الشرق: الفرات إلى بلاد الجزيرة - ويعني إلى البحر المالح. وأما حدوده كما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الأغبش، وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ، أنه سئل عما بورك من الشام أين مبلغ حده؟ فقال: أول حدوده عريش مصر، والحد الآخر طرف الثنية، والحد الآخر الفرات، والحد الآخر جعل فيه قبر هود النبي ﷺ، وليس المراد بها ما هو متعارف الناس اليوم أعني دمشق، نعم هي داخلة[1]. اهـ

ولما كان هذا الاسم حاضرًا في كثير من أحاديث هذا الكتاب أسهبنا في شرحه والتعريج على ما جاء له من أسماء أخرى دلت على شرفه وعلو مكانته.

قوله: (فالطاعُونُ[2] شَهَادَةٌ لأُمَّتي): وفي رواية أنس: شهادة لكل

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي (٩/ ٣٨).

(٢) وذكر صاحب «الفتح» ما جاء من تعريفات وتوصيفات للطاعون فقال: وقال عياض: أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض، فسميت طاعونًا لشبهها بها في الهلاك، وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونًا. قال: ويدل على ذلك أن وباء الشام الذي وقع في عمواس إنما كان طاعوناً، وما ورد في الحديث أن الطاعون وخز الجن. وقال ابن عبد البر: الطاعون غدة تخرج في المراق والآباط، وقد تخرج في الأيدي والأصابع وحيث شاء اللَّه. وقال النووي في «الروضة»: =

مسلم، أي المصاب به من أمة محمد ﷺ يكون له أجر شهيد إن مات به صابرًا محتسبًا.

قوله: (وَرَحْمَةٌ): لأنه يكون به - أي الطاعون - للمؤمن أجر الشهداء، أو لأنه يسرع بالمؤمنين إلى رحمة اللَّه ومغفرته.

فقد تميز بخصوصيته لأمة محمد ﷺ كونه رحمة لهم دون غيرهم،

= قيل: الطاعون انصباب الدم إلى عضو. وقال آخرون: هو هيجان الدم وانتفاخه. قال المتولي: وهو قريب من الجذام، من أصابه تآكلت أعضاؤه وتساقط لحمه. وقال الغزالي: هو انتفاخ جميع البدن من الدم مع الحمى أو انصباب الدم إلى بعض الأطراف، ينتفخ ويحمر، وقد يذهب ذلك العضو.

وقال النووي أيضًا في تهذيبه: هو بثر وورم مؤلم جدًا، يخرج مع لهب، ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة، ويحصل معه خفقان وقيء، ويخرج غالبًا في المراق والآباط، وقد يخرج في الأيدي والأصابع وسائر الجسد.

وقال جماعة من الأطباء منهم ابن سينا: الطاعون مادة سُمِّيَّةٌ تُحْدث ورمًا قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن، وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة. قال: وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد يستحيل إلى جوهر سُمِّي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان، وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، وأردؤه ما يقع في الأعضاء الرئيسة، والأسود منه قل من يسلم منه، وأسلمه الأحمر ثم الأصفر. والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس، وأما الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده.

لكن ابن حجر العسقلاني رجح بأن الطاعون «ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونًا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به أو كثرة الموت». فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٢٠ - ٢٢٤).

على أن يكون المبتلى به صابرًا كما جاء لفظه من حديث عائشة[١] أنها قالت: «سألت رسول اللَّه عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه اللَّه على من يشاء، وأن اللَّه جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا مثل أجر شهيد»، أي محتسبًا راضيًا بقضاء رب الأرباب اللَّه سبحانه وتعالى، ومن غير فرار منه وهو شرط لحصول أجر الشهادة الذي بشر به النبي ﷺ[٢]. وَظَاهره يَشْمَل الْفَاسِق[٣]، واللَّه أعلم.

فقد جاء[٤] عن عمرو بن العاص أنه قال: تفرقوا في هذا الرجز في الشعاب والأودية ورؤوس الجبال، فبلغ معاذًا فأنكره وقال: بل هو شهادة ورحمة ودعوة نبيكم[٥]، وبه قال صاحب الإفصاح: «من الفقه أن الموت بالطاعون شهادة لمن مات به»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٤).

(٢) انظر لمزيد فائدة، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٣٧ -٢٣٨).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢١٢)، زين المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٦٤٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢٢١٣٦).

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح شرح للجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي، ابن هبيرة، وجاء عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «الطاعون شهادة لكل مسلم» صحيح ابن خزيمة (٣١٤١).

أول طاعون في الإسلام:

وأول طاعون وقع في الإسلام كان في عمواس[(١)] وهي قرية بين الرملة وبيت المقدس[(٢)]، وكان ذلك سنة ثماني عشرة، ومات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة ﷺ ومن غيرهم وممن مات فيه من أبرز الصحابة رضوان اللَّه عليهم: أبو عبيدة بن الجراح وعمره ثمان وخمسون سنة وهو أمير الشام ولما بلغت وفاته عمر ﷺ ولى مكانه على الشام يزيد بن أبي سفيان، ومعاذ بن جبل والحارث ابن هشام، وسهيل بن عمر، والفضل بن العباس، وشرحبيل بن حسنة، وقيل مات فيه خمسة وعشرون ألفًا من المسلمين وفي هذه السنة كان عام الرمادة بالمدينة أيضًا.

مراتب الناس عند وقوع الطاعون:

- منهم: الصابر والمحتسب لما وعد اللَّه من أجر مترتب على ذلك على لسان نبيه ﷺ قال: «الفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ، كالفارِّ مِنَ الزَّحْفِ،

---

(١) عِمْوَاسُ وعَمَواس: ذكره الزمخشري بكسر أوله، وسكون الثاني، وذكره غيره بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة وهي قرية من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، قال البشاري: عمواس ذكروا أنها كانت القصبة في القديم وإنما تقدموا إلى السهل والبحر من أجل الآبار لأن هذه على حد الجبل. معجم البلدان (٤/ ١٥٧)، وقيل سمي عمواس لأنه عم وواسى. فتح الباري شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى (٢١/ ٣٨١).

وَالصَّابِرُ فِيهِ لَهُ أَجرُ شَهِيدٍ».

- ومنهم: الخائف الفار منه جزعًا كما جاء عن النبي محذرًا من ذلك: «الفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ، كالفارِّ مِنَ الزَّحْفِ»(١).

- ومنهم: من يأخذ طريقة المداواة والرقية أخذًا بقوله ﷺ حين قيل له: أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر اللَّه شيئًا؟، قال: «هي من قدر اللَّه»(٢).

- ومنهم: المبتهل إلى اللَّه بالدعاء اعتمادًا على أمر اللَّه تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠](٣).

ويكون شهادة لمن شاء اللَّه من المؤمنين، ورجزًا وعذابًا على الكافرين.

ويجب أن يعلم أن من مات على أي حال من هذه الأحوال فإنه يموت بقدر اللَّه بطاعون أو بغيره، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ

(١) أخرجه أحمد (١٤٨٧٥)، وقال الهيثمي في المجمع في إسناد أحمد، سند صحيح. وحسنه الحافظ في الفتح، وكذا حسنه الألباني كما في الصحيحة (١٢٩٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٢١٥٩) وابن ماجه (٣٤٣٧).
(٣) بتصرف واختصار من كتاب ذكر الوباء والطاعون، السرمري.

مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

كيف الأمر في بلد عمَّه الطاعون؟

عن عبد اللَّه بن عباس أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ[(١)] لقيه أمراء الأجناد- أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه[(٢)]، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام.

قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا فقال

---

(١) بسرغ: بفتح السين المهملة وإسكان الراء بعدها غين معجمة -، وحكى القاضي: أيضا فتح الراء: قرية بوادي تبوك قريبًا من الشام، يجوز صرفه، وعدم صرفه. مصابيح الجامع، الدماميني (٩/ ٢٢٧). وهي مدينة افتتحها أبو عبيدة، هي واليرموك والجابية متصلات وبينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة.
وقال ابن عبد البر: قيل: إنه واد بتبوك، وقيل: بقرب تبوك، وقال الحازمي: هي أول الحجاز، وهي من منازل حاج الشام، وقيل: بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٢٧ - ٢٢٨).
وجاء أن عمر استغفر اللَّه حينما رجع منها بسبب الوباء، عن عبد اللَّهِ بن عمرو قال: جِئتُ عمر حين قدم من الشام فسمعته يقول: اللَّهم اغفر لي رُجوعي من سَرْغَ - يعني حين رجع من أجل الوباء- الاستذكار (٢٥١).

(٢) و هم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص، وكان أبو بكر قد قسم البلاد بينهم وجعل أمر القتال إلى خالد، ثم رده عمر إلى أبي عبيدة، وكان عمر ﷺ عنه قسم الشام أجنادًا: الأردن جند، وحمص جند، ودمشق جند، وفلسطين جند، وقنسرين جند، وجعل على كل جند أميرًا.

بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول اللَّه ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني. ثم قال ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم.

فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي[1] من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر اللَّه؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه. أرأيت إن كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان: إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة! أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر اللَّه، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر اللَّه؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف - وكان متغيبًا في بعض حاجته -فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا

(١) فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين: اجمع لي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[(١)] قال: «فحمد اللَّه عمر ثم انصرف»[(٢)].

قال البغوي: «قال أبو سليمان الخطابي: قوله: فلا تقدموا عليه، إثبات الحذر، والنهي عن التعرض للتلف، وفي قوله: لا تخرجوا فرارًا منه، إثبات التوكل والتسليم لقضاء اللَّه، فأحد الأمرين تأديب وتعليم، والآخر تفويض وتسليم.

قال البغوي: وقيل: قوله: فلا تقدموا عليه، رخصة لمن أراد أن لا يدخلها وأحب أن ينصرف، وكذلك قوله ﷺ: «فِرَّ مِنَ المجذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ»[(٣)]، رخصة فلو دخلها كان أقرب إلى التوكل، بدليل أن الصحابة اختلفوا على عمر حين استشارهم في دخول الشام، وقد وقع بها الطاعون، وقال أبو عبيدة: «تفر من قدر اللَّه»[(٤)(٥)].

قال السرمري: فنهيه ﷺ عن الخروج من بلد به الطاعون لأنه لا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩). إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه: يريد: ليكون ذلك أسكن لأنفسكم وأقطع لوساوس الشيطان. فلا تخرجوا فرارًا منه: لئلا يكون معارضًا للقدر. مصابيح الجامع (٩/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٩).

(٣) أخرجه أحمد (٩٧٢٢).

(٤) أخرجه أحمد (٩٧٢٢).

(٥) شرح السنة، البغوي (٥/ ٢٥٤-٢٥٥).

عدوى، ونهيه عن الدخول إليه لئلا يتعجل الإنسان من الهم والحزن وضيق الصدر والقلق والانزعاج والجزع ما يجده في غيره من البلاد، ولما يعرض من سوء الاعتقاد لمن عنده ضعف في دينه، ووهن في يقينه[١].

ما هو الفرق بين الطاعون والوباء:

مما لا شك فيه أن الطاعون يغاير الوباء، ومنهم من أطلق على الوباء طاعونًا من باب المجاز، وقد فرّق ابن حجر بين الطاعون والوباء فقال: الوباء أعم من الطاعون، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونًا، لكن لما كان الوباء ينشأ عنه كثرة الموت، وكان الطاعون أيضًا كذلك أطلق عليه اسمه[٢].

أما الطاعون:

- لا يدخل المدينة، فدل ذلك على أن الطاعون غير الوباء.
- كل طاعون وباء ووجع من غير عكس.

---

(١) ذكر الوباء والطاعون، أبو المظهر يوسف السرمري، تحقيق شوكت رفقي شوكت.

(٢) بذل الماعون، ابن حجر (١٠٤). قيل إن أول من صنف في الطاعون، الإمام ابن أبي الدنيا في كتابه الذي أسماه «الطواعين» ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٣/ ٤٠٣)، وللسيوطي رسالة في الطاعون: «ما رواه الواعون في فضل الطاعون».

- والطاعون له سببان: وخز[١] الجن وهيجان الدم وانصبابه[٢].

وأما الوباء[٣]: عام خُصَّ منه الطاعون:

وكان في المدينة وباء كما جاء في حديث عائشة «قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ»، وكما جاء في حديث الْعُرَنِيِّينَ أنهم استوخموا المدينة، وفي لفظ أنهم قالوا إنها أرض وبئة، وبه يعلم أن الوباء

---

(١) وخز: بفتح أوله وسكون المعجمة بعدها زاي. قال أهل اللغة: هو الطعن إذا كان غير نافذ، ووصف طعن الجن بأنه وخز؛ لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر فيؤثر بالباطن أولاً ثم يؤثر في الظاهر وقد لا ينفذ، وهذا بخلاف طعن الإنس فإنه يقع من الظاهر إلى الباطن فيؤثر في الظاهر أولاً ثم يؤثر في الباطن، وقد لا ينفذ. انظر: فتح الباري - شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني- (١٠/ ٢١٩ - ٢٢٣).

(٢) قال ابن القيم في زاد المعاد: ٤/ ٣٧: «الطاعون - من حيث اللغة -: نوع من الوباء، قاله صاحب «الصحاح»، وهو عند أهل الطب: ورم رديء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدًا يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر، أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعًا. وفي الأكثر، يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفي اللحوم الرخوة.
وفي أثر عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون، قال: «غُدّةٌ كغدة البعير يخرجُ في المراق والإبط» قال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لزاد المعاد، أخرجه أحمد وسنده حسن. وقال: إن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام، والعلة الفاعلة للطاعون». انظر باستفاضة: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٠/ ٢٢٠ - ٢٢٤).

(٣) قال أهل اللغة: الوباء هو المرض العام، يقال أوبأت الأرض فهي موبئة، ووبئت بالفتح فهي وبئة، وبالضم فهي موبوءة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني- (١٠/ ٢٢٠ - ٢٢٤).

كان موجودًا بالمدينة.

وقوله: (ورجسٌ على الكافر): الرّجْس: بالسّين المهملة بدل الزّاي والمحفوظ بالزّاي[(١)]. القَذَر، وقد يُعبّر به عن الحرام والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر[(٢)]، وفي رواية: «رِجْزٌ» وهو العذاب المقلقل[(٣)].

وجاء في قوله تعالى بمعنى اللَّعنة في الدُّنيا والعذاب في الآخرة كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

قوله: (على الكافرين): لأنهم لا يؤجرون على ألم، ولأنه يسرع بهم إلى عذاب اللَّه[(٤)].

من فوائد الحديث:

١- دعا الرسول ﷺ بِنقل الحُمَّى من المدينة إلى الجُحفة؛ وقيل لأن اليهود كانوا فيها.

٢- فيه رحمة النبي ﷺ بأصحابه فاختار لهم ما به أقل الضرر عليهم.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني (٦/ ٥٢٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣٤٨)، لسان العرب، ابن منظور (٦/ ٩٤).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (١/ ٢٧٠).

٣- فيه استجابة اللَّه تعالى لدعاء نبيه ﷺ.

٤- فيه جواز الدعاء على الكفار بنقل ما يضرهم إليهم.

* * * * *

الحديث الحادي والعشرون

عَمُودُ الدِّينِ فِي الشَّامِ

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «**إِنِّي رَأَيتُ**[١] **عَمودَ الكِتابِ**، وفي رواية: (عمود الإسلام احتمل من تحت رأسي)[٢]، وفي رواية: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ)[٣][٤] **انتُزِعَ مِنْ تَحتِ وِسادَتي، فَنَظرتُ**، وفي رواية: (فأتبعته بصري)[٥]، **فَإِذا هُوَ نُورٌ ساطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلى الشَّامِ**، وفي رواية: (فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ)[٦] **أَلا إِنَّ الإيمانَ إِذا وَقَعَتِ**[٧] **الفتنُ بِالشَّامِ**»[٨].

---

(١) وفي المستدرك زيادة (كأن).

(٢) أخرجها السمعاني في فضائل الشام برقم (١٢)، من حديث أبي الدرداء.

(٣) أخرجها أحمد، عن أبي الدرداء (٢١٧٣٣)، وانظر اللؤلؤ والزبرجد في زوائد أحمد على الكتب الستة (٢٥٤) وصححها الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٣٠٩٤).

(٤) وفي المسند لفظة: (إذا رأيت).

(٥) أخرجها أحمد، عن أبي الدرداء (٢١٧٣٣) والسمعاني في فضائل الشام (١٢).

(٦) أخرجها أحمد، عن أبي الدرداء (٢١٧٣٣) صححها الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٩٤).

(٧) (إذا وقعت) في المستدرك.

(٨) أخرجه أحمد (١٧٨١٠) من حديث أبي الدرداء، والطبراني في مجمع الزوائد: (١٠/ ٨٥) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، وفي الشاميين (٦٠١)، والحاكم (٨٥٥٤)، قال البزار في البحر الزخار «لا نعلم له إسنادًا أحسن من هذا الإسناد» =

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث السادس عشر.

شرح الحديث:

قضى النبي ﷺ زمانه بين مكة والمدينة، لكنه كان يدرك وبوحي من اللَّه أن عمود الإسلام غرز بالشام لما فيه من بركة ولما له ولأهله من مكانة.

ولما كانت رؤيا الأنبياء حقًا لا مرية فيه كان ما رآه النبي ﷺ أن أمر الدين سيؤول إلى الشام وأهلها، وأنهم هم حملته ورواده، فإن نقص الدين والجهاد في غيرهم زاد فيهم وعندهم.

قوله: (إني رأيت عمودَ الكتاب): أي: رأى في منامه، ورؤيا الأنبياء حق، والعمود: عمود البيت وجمعه أعمدة وفي الكثرة عَمَدٌ[(١)]، قال ابن تيمية: وعمود الكتاب والإسلام ما يُعتمد عليه، وهم حملته القائمون به[(٢)].

= قال البيهقي في دلائل النبوة: (٦/ ٤٤٧) «إسناده صحيح وروي من وجه آخر»، قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٠٢): «حسن غريب»، وأشار المنذري في الترغيب والترهيب «إسناده صحيح أوحسن أو ما قاربهما» وفي: (٤/ ١٠٤) عن أبي الدرداء «رواته رواة الصحيح» قال ابن رجب في فضائل الشام (٣/ ٢٠٠): «له طرق»، قال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٢٠): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في «فضائل الشام ودمشق» للربعي (ص١٤) وصحيح الترغيب (٣٠٩٢) و(٣٠٩٤).

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٥٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٤٢).

قال الشيخ العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلجؤون إليه» وقال: «إن عمود الإسلام هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان وأي مدح أتم من ذلك»[(١)].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الكتاب إنما يقام به ملك يؤيده، ويقاتل به من خرج عنه، كما جمع اللَّه بين الأمرين في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥][(٢)]، وكأن الشام وأهله هم حملة الإسلام، كما تُحمل الخيمة بعامودها.

قوله: (انتُزِعَ من تَحتِ وسادَتي): أصل النّزْع: الجَذْب والقَلْع. ومنه نَزْعُ الميّتِ رُوحَه[(٣)]. والوسادة ما يتوسده الشخص في اتكائه أو يضع عليها رأسه في منامه.

قوله: (فنظرت فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمد به إلى الشام): يظهر جليًا في هذا الحديث نصيب الشام من إشراقة نور النبي ﷺ وما يحمله من

---

(١) ترغيب أهل الإسلام (٣٠ و٣٣)، إسعاد الأخصا: (١/ ٢٨).
(٢) فضائل الشام، ابن رجب الحنبلي (ص١٧١-١٧٢).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٩١٠).

رسالة سطع نورها حتى ارتكز عمودها في الشام، ليس هذا في حياته فحسب، بل رأت أم النبي ﷺ لما حملت به نورًا يخرج منها يضيء قصور الشام، كما أخبر عن ذلك النبي محمد ﷺ فقال: «ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»[(١)]. وقال ابن كثير في تعليقه على هذا الحديث: «تخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلًا للإسلام وأهله»[(٢)].

قوله: (ألا إنَّ الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام): الفتنة: الاختبار والامتحان تقول (فَتَنَ) الذهب يفتنه بالكسر إذا أدخله النار لينظر ما جودته، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠] أي حرقوهم، ويُسمى الصائغ (الفتان) وكذا الشيطان[(٣)]. أي إن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام ثابتين على الحق والإيمان.

من فوائد الحديث:

١- ما يراه الأنبياء في منامهم، حق وصدق ولا بد من وقوعه.

٢- هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ؛ لأنه يخبر عن أمر غيبي يقع لا محالة آخر الزمان.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤١٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ١٩٠).

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٩٠).

٣- يخبر النبي ﷺ أن ثبات أهل الشام على الدين والإيمان حال الفتن، وأنهم في معزل عنها، واللَّه أعلم.

٤- فيه إشارة إلى أن الشام هي مقر الفئة المؤمنة، وإليها المفر آخر الزمان.

٥- وفيه أن ما يكون اليوم في الشام من تسلط الباطل وأهله عليها وأهلها، ما هي إلا مرحلة استثنائية من الزمن، وأنه زائل لا محالة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث الثاني والعشرون
النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُو بِالْبَرَكَةِ لِلشَّامِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا في يَمَنِنَا،** وفي رواية: (اللَّهم بارك لنا في مكتنا، اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا)[١] **قالوا: يا رسول اللَّه، وفي نَجْدِنَا!** وفي رواية: (وفي عراقنا)[٢]، **قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا. قالوا: يا رسولَ اللَّه، وفي نَجْدِنَا! فأظنه قَالَ في الثالثة: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا،** وفي رواية: (منها)[٣]، **يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ،** وفي رواية: (حَيْثُ يَطْلُعُ جِذْلُ[٤] الشَّيْطَانِ)[٥]»[٦].

---

(١) صححها الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٦)، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) صححها الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٦)، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجها البزار، البحر الزخار (٥٨٨١) عن ابن عباس.

(٤) جذل: وهو عود ينصب للإبل الجربى، تحتك به من الجرب. شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٨/ ٤٦٤).

(٥) أخرجها الترمذي (٢٤٣٧)، من حديث سالم عن ابن عمر، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

(٦) أخرجه البخاري (٧٠٩٤) بهذا اللفظ ، ومسلم (٢٩٠٥)، والترمذي (٣٩٥٣)، وابن حبان (٧٣٠١)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٠٦)، من غير لفظة «قرن».

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

عبد اللَّهِ بن عمر بن الخطاب بن نُفَيْلٍ، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القُرشيُّ، العدويُّ، المَكيّ، ثم المدني. وأمه زينب بنت مظعون؛ أخت عثمان بن مظعون الجمحي.

أسلم صغيرًا، ثم هاجرَ مع أبيه قبل أن يحتلم، واستُصغر يوم أحد، فأوَّل غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة. عن البراء، قال: عرضت أنا وابن عمر يوم بدر، فاستصغرنا رسول اللَّه ﷺ. وقال ابن يونس: شهد ابن عمر فتح مصر، واختطَّ بها، وقال مجاهد: شهدَ ابن عمر الفتح، وله عشرون سنةً. وروى عنه أكثر من أربعين نفسًا من أهلها. شوهد ابن عمر مع عبد الرحمن بن محيريز وأبي أمامة وواثلة ببيت المقدس[(١)]. وجاء أنّه أهلّ بعمرة وأحرم من بيت المقدس[(٢)].

---

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٤١)، مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند.

(٢) انظر: الأم، الشافعي (٧/ ٢٥٣)، الموطأ، الإمام مالك (٢/ ٢١٤). مسند الإمام الشافعي (٧٨٣). النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١/ ٨٥). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، ابن عبد البر النمري القرطبي (١١/ ٨١) دار قتيبة - دمشق، دار الوعي - حلب، ت: عبد المعطي أمين قلعجي. الثقات، ابن حبان (٢/ ٣٩٧) دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية.

قال ابن تيمية: «وثبت أن عبد اللَّه بن عمر كان إذا أتى بيت المقدس دخل وصلى فيه ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها[(١)]. وعن عطاء الخراساني عن غير واحد أنه رأى عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب ببيت المقدس بعد صلاة الصبح، فجلس في المجلس حتى طلعت الشمس، فقام فصلى ركعات هو ومن معه، ثم قعدوا على رواحلهم ولم يأتوا الصخرة»[(٢)].

وقد روى: علمًا كثيرًا نافعًا عن: النبي ﷺ وعن: أبيه، وأبي بكر، وعثمان، وعليّ، وبلال، وصهيب، وزيد بن ثابت، وزيد عمه، وسعد، وابن مسعود، وحفصة أخته، وعائشة، وغيرهم.

وقال قتادة: سمعت ابن المسيّب يقول: كان ابن عمر يوم مات خير من بقيَ. قال مالك: كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت عبد اللَّه ابن عمر، مكث ستين سنة يُفتي الناس.

وعن سالم بن عبد اللَّه: مات أبي بمكة، ودفنَ بفخّ، سنة أربع وسبعين، وهو ابن أربع وثمانين، وأوصاني أن أدفنه خارج الحرم، فلم نقدر، فدفناهُ بفخ، في الحرمِ، فِي مقبرة المهاجرين[(٣)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (١/ ٤٣٤)، جمعية إحياء التراث - الكويت، ت: فؤاد بن علي حافظ.

(٢) فضائل بيت المقدس، ابن المرجى (٢٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٢٠٣-٢٣٩).

أخرج له في الصحيحين مائتان وثمانية أحاديث، المتفق عليه منها مائة وثمانية وستون حديثًا، وانفرد البخاري بواحد وثمانين، ومسلم بواحد وثلاثين[(١)].

شرح الحديث:

إن العلاقة بين الشام واليمن ضاربة بجذورها عمق التاريخ، قبل الإسلام وأثنائه، وبعده، وإلى قيام الساعة، وكانت أول رابطة عقدية وتحالفية بين الشام واليمن حينما أعلنت بلقيس ملكة سبأ عن التحالف الإسلامي بينها ومملكتها وبين نبي اللَّه سليمان وشريعته وما تضمنته من توحيد للَّه، كما أخبرنا تبارك وتعالى على لسانها، فقال اللَّه تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وذلك لما أتاها خطاب نبي اللَّه سليمان مع الهدهد موصيًا إياه كما أخبرنا اللَّه تعالى على لسان سليمان: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨] يحمله الهدهد محلقًا به من سماء فلسطين إلى اليمن ليحط بكتاب نبي اللَّه سليمان بين يَديِّ بلقيس حينها تأسست أول مملكة للإيمان بين الشام واليمن.

قوله: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا): فالمراد زيادة البركة أو البركة

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح شرح للجمع بين الصحيحين للحميدي الأندلسي، ابن هبيرة (٤/ ١١).

الحاصِلةُ لِأَهل المدينة وسائر المؤمنين على الخصوص[١] قال ابن عبد البر: دعاؤه للشام يعني لأهلها، كتوقيته لأهل الشام الجحفة، ولأهل اليمن يلملم، علمًا منه بأن الشام سينتقل إليها الإسلام، وكذلك وقَّت لأهل نجد قرنًا يعني علمًا منه بأن العراق ستكون كذلك، وهذا من أعلام نبوته[٢].

وما جاء ذكره في كتاب اللَّه عن بركة الشام:

١- قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

٢- وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

٣- وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

٤- وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

٥- وقال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (٩/ ٤٠٣٨).
(٢) التمهيد (١/ ٢٧٩).

البركة في الشام ومقصودها:

قال ابن جرير الطبري في تفسيره قوله تعالى: ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، التي جعلنا فيها الخير ثابتًا دائمًا لأهلها[(١)].

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكدًا أن البركة المعقودة في الشام بشقيها «والبركة: تتناول البركة في الدين، والبركة في الدنيا، وكلاهما معلوم في الشام لا ريب فيه»[(٢)].

قال صاحب: «فتح الرحمن»[(٣)] موضحًا مفهوم البركة وحجمها في قوله تعالى: ﴿بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، هو أعم من أن يقال: باركنا عليه، أو فيه؛ لإفادته شمول البركة، ولما أحاط بالمسجد من أرض الشام بالمنطوق، وللمسجد بمفهوم الأولى.

أما البروفيسور عبد الفتاح العويسي المقدسي فيحدد البركة بدوائر ثلاث تحيط بالمسجد الأقصى في نظرية سماها «دائرة البركة لبيت

---

(١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٣/ ٧٦).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (٢٧/ ٥٠٥).
(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري (٢٣٠).

المقدس» استنبطها من مفهوم نظرية الدوائر المستخدمة في العلوم السياسية مُركزًا على كلمة «حوله» التي جاءت في مطلع سورة الإسراء، بوصفها محورًا تدور حول الهدف وهو الدائرة الأولى وهو المسجد الأقصى وهو مركز البركة التي تحيطه البركة في دوائر ثلاث ثم دائرة البركة الثانية والتي تشمل بلاد الشام وجزءًا كبيرًا من مصر، أما الدائرة الثالثة المنطلقة من مفهوم «من» و«إلى» وهي الكلمات التي رسمت بداية ونهاية الرحلة الأرضية للرسول ليلة الإسراء التي لخصت علاقة التوأمة بين المسجدين، كما أنه يرى أن البركة تصل إلى جميع أنحاء العالم بنسب متفاوتة[١].

السبب في بركة الشام:

حشد الشراح جملة كبيرة من ثمرات البركة المتحصلة للشام وأهلها، فشملت الزمان والمكان والسكان ومما قيل في ذلك: لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح. أي: من يهاجر إلى مهاجره وهو الشام، لبقائها في ولاية المسلمين تحميها جنودهم منصورين على من يحاربهم ويتخطى خططهم، كما هو في هذا العصر، ولعل الحديث إشارة إليه[٢].

---

(١) تقديم بيت المقدس، عبد الفتاح العويسي (٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للبيضاوي (٣/ ٥٨١).

قال الرازي في تفسيره معللًا سبب البركة: «أما في الدين؛ فلأن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا منها، وانتشرت شرائعهم وآثارهم الدينية فيها، وأما في الدنيا؛ فلأن اللَّه تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر، والثمر والخصب، وطيب العيش»[(١)].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن بركة الشام، أن كثيرًا من الأنبياء كانوا فيها، وأن اللَّه اختارها، مُهاجَرًا لخليله وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدَّسة وهو بيت المقدس».

هل بركة الشام لازمة لكل أهلها ومن عصى منهم؟

بعض الناس قد يكون مقامه في غير الشام أفضل له وبعيدًا عنها أطوع منه فيها مع جليل فضلها، وبعض أهلها لما خرجوا منها إلى غيرها كانوا في غيرها أطوع للَّه ولرسوله، لذا أدرك الصحابة ومع جلالة قدر الأرض المقدسة، إلا أنها في النهاية لا تقدس أحدًا، فقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول له: «هلمَّ إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تُقدِّسُ أحدًا، وإنما يُقدِّس الرجلَ عملهُ». وهو كما قال سلمان الفارسي وهي التي عبر عنها شيخ الإسلام بأنها: «أوصاف عارضة، لا لازمة. فقد تنتقل من وصف إلى وصف، كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى

(١) تفسير الرازي المسمى «مفاتيح الغيب» (١١/ ١٩٠).

الإيمان والعلم، وكذلك بالعكس»[١].

وأما الفضيلة الدائمة، والمنقبة الحاضرة، هي ما أوجزها شيخ الإسلام بقوله: «وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان والعمل الصالح»[٢]. وهي الأساس وبها العبرة ، فلا ينبغي للرجل أن يلتفت إلى فضل البقعة على حساب ما عند أهلها من إيمان، بل يعطي كل ذي حق حقه، ولكن العبرة بفضل الإنسان في إيمانه وعمله الصالح والكلم الطيب[٣]. وهذا الذي فقهه سلمان الفارسي لما دعاه أبو الدرداء لسكنى الشام.

وقد يحصل في الأفضل معارض راجح يجعله مفضولًا؛ مثل من يجاور بمكة مع السؤال والاستشراف، والبطالة عن كثير من الأعمال الصالحة، وكذلك من يطلب الإقامة بالشام؛ لأجل حفظ ماله وحرمة نفسه، لا لأجل عمل صالح، فالأعمال بالنيات[٤].

وجملة الفضائل المتعلقة بالشام وأهلها كانت هي الدافع لشيخ الإسلام لتوثيب الناس في الشام لمدافعة التتار، وهو ما ذكره عن نفسه كما جاء في مقدمة كتابه «مناقب الشام وأهله»: ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدته

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٢٧/ ٤٤- ٤٥).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٢٧/ ٤٥).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٢٧/ ٤٦).
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٢٧/ ٤٧).

في تحريضي للمسلمين على غزو التتار، ولزوم دمشق، والنهي عن الفرار إلى مصر».

والشام مهما بلغ بها ما بلغ، فتبقى مقدمة على غيرها في الفضل والحرص على لزومها والسكنى فيها، فقد ثبت عن ابن شوذب[١] قال: تذاكرنا الشام، قال: فقلت: لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ قال: بلى، ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها»[٢].

وكما امتدح المصطفى الشام وأهلها فقد امتدح كذلك اليمن وأهلها.

قوله: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا): أي: بركةً ظاهريَّة ومعنويّة، ولهذا كثر الأَولياءُ فيهم، والظَّاهر في وجه تخصيص المكانين بالبركة لأنّ طعام أهل المدينة مجلوب منهما[٣]. قال الأشرف: إنّما دعا لهما

---

(١) هو: عبد اللَّه بن شوذب البلخيُّ ثم البصريُّ، الإمام، العالم، أبو عبد الرّحمن، نَزيل بَيت المقدس. حدّث عن: الحسن البصريّ، وابن سيرين، ومكحول، ومطر وجماعة. وعنه: ابن المبارك، وضَمرَة بن ربيعة، وعدَّة.
وثَّقهُ: أحمد بن حنبل وغيرُه. قال أبو عمير بن النّحّاس: حدَّثنا كثير بن الوليْدِ، قال: كنتُ إِذا رأيت ابن شَوذب، ذكرت الملائكة. وقال يحيى بن معين: كان ثقة، قال ابن عساكر: هو خراسانيٌّ، سكن البصرة، ثمّ انتقل إلى الشَّام، فسكن بيتَ المقدس، وكان يقول: مَولِدِي في سنة ستّ وثمانين، قال ضمرة: تُوفي ابن شَوذَب في سنة ستّ وخمسين ومائة، عاش سبعين سنة. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٩٣).

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (١/ ١٠٢).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٩/ ٤٠٣٨).

بالبركة لأنّ مولِده بمكّة، وهو من اليمن، ومسكنه ومدفنه بالمدينة، وهي من الشَّام، وناهيك من فضل النّاحيتين أنّ إحداهما مولده، والأخرى مدفنه، فإنّه أضافهما إلى نفسه، وأتى بضمير الجمع تعظيمًا وكرر الدُّعاء ثلاث مرَّات[١].

سبب التسمية اليمن:

اليمن، بالتحريك، قال الشرقي: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها قال ابن عباس: «تفرقت العرب، فمن تيامن منهم سميت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم، فالتأمت بنو يمن إلى اليمن، وهي أيمن الأرض، فسميت بذلك»[٢].

حدود اليمن وموقعها:

افتتحت اليمن في أيام النبي محمد ﷺ وأيام أبي بكر والشام بعدها والعراق بعدها[٣]. ا.هـ.

أما حدها كما عرفت قديمًا فمن وراء تثليث، وما سامتها إلى صنعاء، وما قاربها إلى حضرموت، والشحر وعُمان إلى عدن أبْيَن،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٩/ ٤٠٣٨).

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٤٤٧).

(٣) قاله صديق حسن خان في شرح البخاري: (٢/ ٩٧٧).

وما يلي ذلك من التهائم والنجود واليمن تجمع ذلك كله، والنسبة إليهم يمني[١]، حفظها اللَّه وأهلها من شر أعدائها.

وجاء في كتاب مسالك الأبصار: اليمن إقليم مُتَّسِع وله ذكر قديم.

ذكر البكري أن عرضه ست عشرة مرحلة وطوله عشرون مرحلة، المرحلة ست فراسخ[٢] وهي كرسي ملك التبابعة من حمير وبه كانت سبأ وفيه كانت بلقيس وعرشها المذكور في القرآن الكريم وحدوده من القبلة الموضوع المعروف بطلحة الملك[٣] ومن الشرق حاء وحكم[٤] ومن الغرب حضر موت ومن الجنوب عدن وهو يشتمل على عدة بلاد وقلاع وحصون حصينة ولكن مدنه يفصل البَرّ ما بين بعضها عن بعض وبلادها مختلفة. نجود، وتهائم فالنجود باردة الهواء، طيبة المسكن، والتهائم حارة شديدة الحر[٥].

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٥١٠).

(٢) الفرسخ: فارسي معرب، مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال أو خمسة أميال، والميل يعدل ١٦٠٠مترًا.

(٣) طلحةُ الملك: موضع في بلد وادعة من همدان، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل اللَّه العمري (٣١).

(٤) حاء وحكم: حيان باليمن. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل اللَّه العمري (٣١).

(٥) المصدر السابق.

وقد امتدح رسول اللَّه ﷺ أهل اليمن، بل خص بعض بطونها وقبائلها بالمدح والثناء، وفي مواطن كثيرة امتدحهم جملة، ومما قاله فيهم ﷺ: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبًا، الإيمان يمان، الفقه يمان، الحكمة يمانية»(١).

(قالوا: يا رسول اللَّه، وفي نَجْدِنَا! قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا): نَجْد: بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة. بفتح النون وسكون الجيم ثم دال مهملة، ونجد إقليم من جزيرة العرب، وهو أوسعها وأكثرها صحاري وفجاجًا ورمالًا، والعرب تطلق اسم نجد على كل ما علا من الأرض، ففي اليمن يسمى كل ما بين السراة والربع الخالي نجدًا، أما «نجد العلم» فهو قلب الجزيرة العربية، تتوسطه مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية الآن، ويشمل أقاليم كثيرة منها: القصيم، وسدير، والأفلاج، واليمامة، والوشم وغيرها، ويتصل بالحجاز غربًا، وباليمن جنوبًا، وبإقليم الأحساء شرقًا، وببادية العرب شمالًا، وليست هناك حدود تحدد أقاليم الجزيرة بعضها من بعض، وكل ما

---

(١) مسند أحمد (٧٧٢٣) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٧)، وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٢/ ٢٧٧) إسناده صحيح على شرط الشيخين، ومثله قال الألباني في الصحيحة (٣٣٦٩). ولمزيد فائدة في فضائل اليمن وأهلها، اقرأ مأجورًا، الكتاب الماتع: الجامع في فضائل أهل اليمن، لأبي حذيفة عبد اللَّه التعزي.

قاله الأقدمون يرحمهم اللَّه هو فرض وحدس[١].

وبين الشام والعراق فاضل ومفضول، وهو ما صرح به النبي ﷺ في هذا الحديث، وعمل صحابة النبي ﷺ وحرصهم على هذا؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي بكر الصديق: «كانت له عناية بفتح الشام أكثر من عنايته بفتح العراق حتى قال: لَكَفْرٌ من كُفور الشام أحب إليَّ من فتح مدينة بالعراق»[٢].

قال: (قالوا: يا رسولَ اللَّه، وفي نَجْدِنَا): (قالوا)، أي: بعض الصَّحابة (يا رسول اللَّه! وفي نجدنا)؟ عطف تلقين والتماس أي: قل: وفي نجدنا ليحصل البركة لنا من صوبه أيضًا»[٣].

قوله: (فأظنه قَالَ في الثالثة هُنَاكَ): «هُنَاكَ»، أي: غالبًا. في ناحيَة نَجدٍ وهو المعنى بقوله: نحو المشرقِ[٤]، أي: تأتي من جهته؛ لأن

---

(١) «المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية» (ص٣١٢- ٣١٣). قال النضر: النجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف، والجماعة النجاد، وكل ما ارتفع = = عن تهامة فهو نجد. قال السكري: حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة، وما وراء ذات عرق من الجبال إلى تهامة فهو حجاز كله. (معجم البلدان، ياقوت الحموي (٥/ ٢٦٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (٤/ ٤٤٨).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٩/ ٤٠٣٨).

(٤) المصدر السابق.

أهله يومئذ أهل كفر[١]. والمراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط الشيطان على أهل المشرق[٢]. قال المهلَّب: إنما ترك النبي ﷺ الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن[٣].

فضل أهل الشام على أهل العراق:

جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه «كان يفضلهم - أهل الشام- في مدة خلافته على أهل العراق، حتى قَدِم الشام غير مرة، وامتنع من الذهاب إلى العراق، واستشار فأشار عليه أن لا يذهب إليها، وكذلك حين وفاته لما طعن، أُدخِل عليه أهل المدينة أولًا، وكانوا إذ ذاك أفضل الأمة، ثم أدخل عليه أهل الشام، ثم أدخل عليه أهل العراق، وكانوا آخر من دخل عليه»[٤].

وكانت عائشة رضي الله عنها وأبيها، تقول لأهل العراق: «يا أهل العراق! أهل الشام خير منكم، خرج إليهم نفر من أصحاب رسول اللَّه كثير، فحدثونا بما نعرف، وخرج إليكم نفر من أصحاب رسول اللَّه قليل،

---

(١) حاشية السندى على صحيح البخارى، للسندي (٤/ ١٠٩).
(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٢/ ٣٩٥٨).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٥٠ - ٥١)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٢٤/ ٢٠٠).
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (٤/ ٢٤٨).

فحدثتمونا بما نعرف وما لا نعرف»[١].

وخلاصة القول: إن ما جاء ذكره فيما سبق من فضل وخيرية إنما ذلك بالإجمال، ولا يلزم منه تفضيل من ليس من أهل الفضل والصلاح، وقد يكون من أهل الشام أقل فضلًا وصلاحًا من بعض أهل العراق، وهذا ما جزم به سلمان الفارسي في توضيح هذا المفهوم بقوله: «إن الأرض المقدسة لا تقدس أحدًا، إنما يقدس الإنسان عمله»، لقد وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنصوص التي في كتاب اللَّه وسنة رسوله وأصحابه في فضل الشام، على نجد والعراق وسائر أهل المشرق أكثر من أن تذكر هنا، بل ورد عن النبي ﷺ من النصوص الصحيحة والكثيرة في ذم المشرق، وإخباره بأن الفتنة ورأس الكفر تطل منها على الأمة، وإنما كان فضل المشرق عليهم بوجود أمير المؤمنين علي، وذاك كان أمرًا عارضًا؛ ولهذا لما ذهب عَليّ ظهر منهم الفتن والنفاق والردة والبدع ما يعلم به أن أولئك كانوا أرجح.

وكذلك أيضًا لا أن في أعيانهم من العلماء والصالحين من هو أفضل من كثير من أهل الشام، كما كان عليّ وابن مسعود وعمار وحذيفة ونحوهم، أفضل من أكثر مَن بالشام من الصحابة، لكن

---

(١) تاريخ دمشق ، ابن عساكر(١/ ٣٢٧).

مقابلة الجملة وترجيحها لا يمنع اختصاص الطائفة الأخرى بأمر راجح»[١].

قوله: (الزَّلَازِلُ): أي: الحسِيّة أو المعنويّة وهي تزلزل القُلوب واضطراب أهلها[٢]، إنباء النبي ﷺ عن ظهور الزلازل فيها هو تحذير من دخولها، وأنها لا تحسن أن تكون أرض مقام واستقرار بها، وهي آيات يخوف اللَّه بها لَمَّا يظهر الفساد وتنتهك الحرمات، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

قوله: (وَالْفِتَنُ): أي: البليَّات والمحن الموجبة لِضعفِ الدّين وقلَّة الدّيانة، فلا يناسبه دعوة البركة له[٣] مع كونه مقرًا للفتن ومبعثًا لها، وهذا مشاهد عبر التاريخ أن جل ما خرج من فتن وفرق كان منشؤها في ذلك المكان، فقد تعددت أنواع الفتن التي خرجت منها بتعدد تفسير معاني كلمة فتنة، وهي مما كثرت استعاذَتُهُ ﷺ منها.

والفتن أنواع، ومنها فتنة الاختبار، وفتنة المحنة، وفتنة المال، وفتنة الأولاد، وفتنة الكفر، وفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢/ ٢٧٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٩/ ٤٠٣٨).

(٣) المصدر السابق.

بالنار[١] وفتنة القبر، وفتنة الدّجّال، وفتنة المحيا والممات، وغير ذلك من الفتن، أعاذنا اللّه وإياكم من جميع مضلات الفتن.

والفتن تبدو من المشرق، ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج والدجال، ومنها خرج الروافض والخوارج وجميع الفرق الباطلة كالجهمية والمعتزلة وغيرها، حتى قال بحقها كعب: بها الدّاء العضال وهو الهلاك في الدّين.

قوله: (وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ): «وَبِهَا» أي: بتلك البقعة ونواحيها، «يَطْلُعُ»: بِضمّ اللام أي: يَظهر «قَرنُ الشَّيْطَانِ». أي: حزبُه وأهل وقته وزمانه وأعوانُهُ[٢].

قال الخطابي: «القرن في الحيوان يضرب به المثل فيما لا يحمد من الأمور، كقوله ﷺ في الفتنة وطلوعها من ناحية المشرق: (ومنه يطلع قرن الشيطان) وقال في الشمس: «إنها تطلع بين قرني الشيطان»، والقرن: الأمة من الناس يُحدثون بعد فناء آخرين، كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبره ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذلك كانت الفتنة الكبرى التي كانت مفتاح فساد ذات البين وهي

(١) لسان العرب، ابن منظور (٧/ ١٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٩/ ٤٠٣٨)، دار الفكر، بيروت.

مقتل عثمان، وكانت سبب وقعة الجمل وصفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق، ومعلوم أن البدع إنما ابتدأت من المشرق، وإن كان الذين اقتتلوا بالجمل وصفين بينهم كثير من أهل الشام والحجاز فإن الفتنة وقعت في ناحية المشرق، وكان ذلك سببًا في افتراق كلمة المسلمين وفساد نيات كثير منهم إلى يوم القيامة، وكان رسول اللَّه ﷺ يحذر من ذلك ويعلمه قبل وقوعه، وذلك دليل على نبوّته»[(١)].

من فوائد الحديث:

١- هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ، حيث أخبر عن حال نجد وما سيقع بها من فتن ونحوها.

٢- يُفهم من دلالة ترتيب الأفضلية في الحديث أن الشام تسبق اليمن في الأفضلية.

٣- لما نسب الرسول ﷺ الشام واليمن إليه في قوله: «اللَّهم بارك لنا في شامنا، اللَّهم بارك لنا في يمننا» كان ذلك مزيد تشريف وفخر للبلدين.

٤- من شدة هول ما يخرج من نجد لم يذكر النبي ﷺ اسمها على

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطَّال (١٠/ ٤٣).

لسانه واكتفى بقوله: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان».

٥- لم يحدد النبي ﷺ زمن ما يكون من فتن ونحوه في نجد وما مضى من تاريخها يشهد أن ذلك يكون في غالب زمانها، واللَّه أعلم.

* * * * *

الحديث الثالث والعشرون
فَضْلُ الْهِجْرةِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «سَتَكُونُ، وفي رواية: (إنها)[١]، هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، وفي رواية عن ابن عمر: (سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة)[٢]، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمْ النَّارُ، وفي رواية: (تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ)[٣]، مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»[٤].

---

(١) أخرجها أبوداود (٦٢٧٥) عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجها البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٦٤) وابن عساكر (١/ ١٥١) عن ابن عمر.

(٣) أخرجها أحمد (٦٨٧١ وأبوداود (٦٢٧٥ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه أحمد (٦٨٧١) وأبو داود (٢٤٨٢) بهذا اللفظ، والطيالسي (٣٠٢٧٥) (٢٢٩٣) والحاكم (٨٤٩٧)، وأبونعيم في الحلية (٦/ ٥٣)، ونعيم بن حمَّاد في الفتن (١٣٠٨)، قال ابن حجر في فتح الباري(١١/ ٣٨٧): «إسناده لا بأس به» وفي هداية الرواة (٥/ ٤٩٧) أشار إلى أنه حسن كما في المقدمة، قال أحمد شاكر في مسند أحمد (١١/ ١٥٣): «إسناده صحيح». وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠٣) بعد أن تراجع عن تضعيفه انظر مراجعات العلامة الألباني (١/ ٤) (٢٨) وصحيح الترغيب والترهيب (٣٠٩١).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث السادس عشر.

سبب ورود الحديث:

عن عُلَيِّ بن رباح[١] قال: خرجت حاجًّا، فقال لي سليمان بن عنز قاضي مصر: أبلغ أبا هريرة مني السلام، وأعلمه أني قد استغفرت الغداة له ولأمه. فلقيته فأبلغته، قال: وأنا قد استغفرت له، ثم قال: كيف تركتم أمّ حَنوٍ؟ يعني - مصر- قال: فذكرت له من رفاهيتها وعيشها قال: أما إنها أول الأرض خرابًا، ثم أرمينية، قلت: سمعت ذلك من رسول اللَّه؟ قال: لا ولكن حدثني عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول اللَّه يقول: وذكر الحديث.

شرح الحديث:

الأرض المباركة فلسطين، إنها مهاجر إبراهيم، وقبلة الأنبياء، ومأوى الطائفة المنصورة على مر العصور. ولأجلها وأهلها دبج شيخ الإسلام ابن تيمية كلماته، فقال: «فيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها مسرى نبينا، ومنها معراجه وبها ملكه وعمود دينه، وكتابه وطائفة منصورة من أمته؛ وإليها المحشر والمعاد، كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم

---

(١) أخرجه الحاكم (٨٥٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٠٣).

القرى من تحتها دحيت الأرض، والشام إليها يحشر الناس»[(١)].

قوله: (سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ): وفي رواية: «إنها»: الضمير للقصة، أي بعد هجرة حقت ووجبت، وهي الهجرة الأولى من مكة إلى المدينة. قال ملا علي القاري في شرحه للحديث: «ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى المدينة، قال التوربشتي: وذلك حين تكثر الفتن، ويقل القائمون بأمر اللَّه في البلاد، ويستولي الكفرة الطغاة، على بلاد الإسلام، ويبقى الشام تسومها العساكر الإسلامية منصورة على من ناوأهم ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال، فالمهاجر إليها حينئذ فارٌ بدينه ملتجئ إليها لإصلاح آخرته، يُكثّر سواد عباد اللَّه الصالحين القائمين بأمر اللَّه تعالى»[(٢)]، قال الخطابي: «فالهجرة الثابتة هي الهجرة إلى الشام يرغب فيها خيار الناس»[(٣)].

وهي هجرة واجبة للوازمها، بعد الهجرة التي كانت من مكة إلى المدينة، لاستيلاء الكفار على بلاد الإسلام، واختلال أمر الدين فيها، بعد أن تكون هي الملاذ الآمن، واللَّه أعلم.

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧ / ٢٦٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، (٥/ ٦٥٠).

(٣) شرح السنة، البغوي (١٤/ ٢١٠) ومراده بالثابتة: المستمرة وعلى الدوام ومن غير انقطاع، واللَّه أعلم.

وقد فهم هذه المعاني الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه لما سأله النبي ﷺ فقال له: «كيف بك إذا أخرجوك من المدينة؟قال: آتي الأرض المقدسة، قال: فكيف بك إذا أخرجوك منها؟ قال: آخذ سيفي فأضرب به، قال: فلا، ولكن إسمع وأطع، وإن كان عبدًا أسود»[(١)].

قوله: (فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ): و«الفاء» في قوله: «فخيار الناس» تفصيل للمجمل، كأنه قيل: سيحدث للناس مفارقة من الأوطان، وكل إنسان يفارق وطنه إلى آخر ويهجره هجرة بعد هجرة، فخيارهم من يهاجر أو يرغب إلى مهاجر إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو الشام[(٢)]. فيه مضاف مقدر، أي: هجرة خيار الناس، أو المعنى: خيار الناس المهاجر.

قوله: (أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ): بِفَتح الجيم، وهو موضع المهاجرة، يريد به الشام؛ لأن إبراهيم عليه السلام لما هاجر من أرضه وبلده العراق مضى إلى الشام وأقام بها. فقال اللَّه تعالى بحقه وابن أخيه لوط: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] قال ابن جريج: أي إبراهيم وابن أخيه لوطًا، من أَرض العراق إِلى أَرض الشَّام[(٣)].

---

(١) مصنف الصنعاني، حديث (٣٧٨٤).

(٢) الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي (١٢/ ٣٩٦٠).

(٣) قال عنه الشيخ أحمد سليمان: (صحيح)، في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية، من إصدار مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، وعزاه إلى «تفسير الطبري» (١٦/ ٣١٤). وقال: ورجاله ثقات.

قال قتادة: «كانا بأرض العراق فأُنْجيا إِلى أرض الشَّام، وكان يقال للشّام: عمادُ دار الهِجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فَلَسطين، وكان يقال: هي أَرض المحشَر والمنشر، وبها مَجمَعُ النَّاس، وبها يَنزل عيسى ابن مَريم، وبها يُهلك اللَّهُ مسيح الضّلالة الكذَّاب الدَّجال»[(١)].

قال الطبري في تفسير الآية: هي أرض الشام، فارق صلوات اللَّه عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشام، ثم قال: وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك؛ لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنًا لنفسه ولا لوط، واللَّه إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنه أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

وبهذا نخلص أن مهاجر إبراهيم عليه السلام كان إلى الشام. وقيل: إن إبراهيم هاجر إلى الخليل[(٢)] في فلسطين. فكانت مهاجر أنبياء اللَّه

---

(١) قال عنه الشيخ أحمد سليمان: (صحيح)، في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية، من إصدار مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، وعزاه إلى «تفسير الطبري» (١٦/ ٣١٣)، وابن المرجا في «فضائل بيت المقدس» (ص ٢٩٨) (٣٢٨)، وذكره السيوطي المنهاجي في «إتحاف الأخصا» (ق ٢٢ب)، وقال إسناده صحيح.

(٢) الخَليلُ: اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما =

جميعًا حيهم وميتهم كما يوسف عليه السلام الذي طلب من بني إسرائيل أن يأخذوه معهم إلى الأرض المقدسة كما كان معنا في حديث عجوز بني إسرائيل وبه قال ضَمرةَ بن ربيعة، قال: سَمعتُ أَنَّه لم يُبعث نبيّ إِلّا من الشَّام، فإِن لم يكن منها أُسري به إِليها[1].

قوله: (وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ): أي في آخر الزمان، وينتقل من الأراضي التي يستولي عليها الكفرة خيار أهلها، ويبقى خِساس تخلفوا عن المهاجرين جُبْنًا عن القتال، وحرصًا وتهالكًا على ما كان لهم فيها من ضياع ومواشٍ ونحوهما من متاع الدنيا، فهم لخِسَّةِ نفوسهم وضعف دينهم كالشيء المسترذل المستقذر عنه،

= مسيرة يوم فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار، وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون وقيل حبرى. وحَبرُونُ: بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون، اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل ويقال لها أيضا حبرى. وروي عن كعب الحبر أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعًا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه وكان مسكنه ناحية حبرى فاشترى الموضع منه بخمسين درهمًا وكان الدرهم في ذلك العصر خمسة دراهم فدفن فيه سارة ثم دفن فيه إبراهيم إلى جنبها ثم توفيت ربقة زوجة إسحاق عليه السلام فدفنت فيه ثم توفي إسحاق فدفن فيه لزيقها ثم توفي يعقوب عليه السلام فدفن فيه ثم توفيت زوجته لعيا ويقال إيليا فدفنت فيه إلى أيام سليمان بن داود عليهما السلام. معجم البلدان، ياقوت الحموي: (٢ / ٢١٢) - (٢/ ٣٨٧).

(١) تاريخ دمشق (١/ ١٦٤). وقال عنه الشيخ أحمد سليمان في تخريجه أحاديث موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية: «وهذا الإسناد منقطع، ولم يبين ضمرة ممن سمعه، وإن كان القول له دلائله الصحيحة، والله أعلم».

وكأن الأرض تستنكف عنهم فتقذفهم، واللَّه سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظانّ رحمته ومحلِّ كرامته، إبعاد من يستقذر الشيء وينفر عنه طبعه، فلذلك منعهم من الخروج، وثبطهم قعودًا عند أعداء الدين[١].

قوله: (تَلْفِظُهُمْ): بكسر الفاء أي: تَقذِفُهم وتَرميهم. وقد لفظ الشيء يَلفِظه لفظًا: إذا رماه[٢]. لَفَظ الشيء من فمه رماه، وذلك الشيء المرمي «لُفاظة»[٣].

قوله: (أَرْضُوهُمْ): جمع أرض، أي تقذفهم (أرضوهم): وليس لهم فيها قرار من أرض إلى أرض لاستنكافها عنهم.

قوله: (تَقْذَرُهُمْ): بفتح الذال المعجمة أي تكرههم. القَذَر: ضد النظافة[٤]. وتَقْذَرُهم نَفْسُ اللَّه - عزوجل-: أي يكره خروجهم إلى الشام ومقامهم بها، فلايُوَفّقهم لذلك، كقوله تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]؛ وفي «النهاية»: يقال قذرت الشيئ أَقْذَرُه؛ إذا كرهته واجتنبته[٥].

قوله: (نَفْسُ اللَّهِ): بِسُكُون الفاء أي ذاته تعالى تكرههم. وقال عنها

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للبيضاوي (٣/ ٥٨١).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٨٣٩).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٦٠١).
(٤) مختار الصحاح ، محمد الرازي (٥٢٥).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٧٣) وقد استنكر الخطّابي كما نقل عنه البيهقيّ في «الأسماء والصفات» لفظة: «تقذرهم»!

الإمام أحمد بن حنبل أنها: «من الصفات التي يجب الإيمان بها دون تأول أو إنكار من غير تشبيه ولا تمثيل»[(١)].

قال الخطابي: تأويله أن اللَّه يكره خروجهم إليها ومقامهم بها فلا يوفقهم لذلك فصاروا بالرد وعدم القبول في معنى الشيء الذي تقذره نفس الإنسان.

غير أن البيضاوي يرى أنها من التمثيلات المركَّبة التي لا يطلب لمفرداته ممثَّلًا وممثَّلًا به، مثل: قامت الحرب على ساق»[(٢)].

قوله: («وَتَحْشُرُهُمْ النَّارُ، مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ): تحشرهم: حشر الناس جمعهم، ومنه (يوم الحشر)، وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] وحشرها موتها، و(المحشر) بكسر الشين موضع الحشر[(٣)]. تحشرهم النار: قيل إنها نار الفتنة أي ليست نارًا حقيقية التي هي نتيجة أفعالهم القبيحة.

أي تجمعهم وتسوقهم النار فيفرون هؤلاء، والشرار مخافة النار مع البهائم من القردة والخنازير والنار لا تفارقهم بحال. وليس هذا حشر يوم القيامة وإلا قيل: تحشر شرار أهلها إلى النار، ولا يقال تحشرهم النار، ولقوله في بعض الروايات تقيل معهم، فإنه يدل على أن النار

(١) مسند أحمد (١١/ ٨٩)، عند كلامه على حديث (٦٨٧١).
(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبغوي، البيضاوي (٣/ ٥٨١، ٥٨٢).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (١٣٧).

ليست حقيقة بل نار الفتنة، وهذه القيلولة والبيتوتة هي المرادة في قوله: «ستكون هجرة بعد هجرة» إلى قوله: «تحشرهم النار مع القردة تبيت معهم إذا باتوا». واللَّه أعلم[(١)].

قلت: إن الأصل في الكلام الحقيقة ولا داعي لصرف الكلام عن ظاهره، وما المانع أن تكون نارًا حقيقية تبيت معهم حيث باتوا وكل ذلك بأمر اللَّه وقدرته.

قوله: (مع القردة والخنازير): لتخلقهم بأخلاقها في استيلاء المكر عليهم والشهوات الحيوانية على نفوسهم.

وخلاصة ما جاء به هذا الحديث: تحذيرًا، وترغيبًا، وتبشيرًا.

صحابة هاجروا إلى الشام واستوطنوها:

ولحرص الصحابة على سكنى الشام والتعرض لنفحاتها وبركاتها والمسارعة في الاستجابة لوصية الرسول ﷺ، فقد رحل إليها جمع كبير جدًا من صحابة النبي ﷺ بلغ عددهم كما أخبر الوليد بن مسلم: (دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول اللَّه). توافدوا إلى الشام بعامة، وفلسطين بخاصة، ومسجدها المبارك معظمين له

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم أبادي، كتاب الجهاد (١٠٨٣-١٠٨٤). وانظر: الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي (١٢/ ٣٩٦٠)، ت: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الرياض. وشرح مصابيح السنة للبغوي، ابن الملك الرومي (٦/ ٥٢٥ - ٥٢٦).

مؤكدين فضله، وإليكم، ثلة ومنهم على سبيل الإجمال لا الحصر:

١- **أبو عبيدة عامر بن الجراح:** أمين هذه الأمة، القائد العام لجيوش فتح الشام وأحد العشرة الَّذِينَ شهد لهم رَسُول اللَّهِ ﷺ بالجنة، وكان من كبار الصحابة وفضلائهم، وأهل السابقة منهم رضوان اللَّه عليهم، توفي وَهُوَ ابْن ثمان وخمسين سنة فِي طاعون عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن من الشام وبها قبره، وصلى عَليه معاذ بن جبل، وعن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان- قال: مات في طاعون عمواس ستة وعشرون ألفًا. كان خالد بن الوليد رضي الله عنه أميرًا على جيوش المسلمين التي بعثها أبو بكر الصديق في بداية السنة الثالثة عشرة لقتال الروم وهي: جيش يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن، وأبي عبيدة ابن الجراح ووجهته حمص.

٢- **سعيد بن زيد بن نفيل:** المكنى أبا الأعور، صاحب رسول اللَّه ﷺ وأحد البدريين والعشرة المبشرين بالجنة، قدم من الشَّام بعدما قدم رسول اللَّهِ ﷺ وسلّم المدينة وهو أنبل أهل المدينة والمتوفى بها سنة ٥١ هـ.

٣- **بلال بن رباح:** يُكنى أبا عبد الكريم، وأمُّه حمامة، وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه اشتراه بخمس أواقٍ وأعتقه للَّه عز وجل وكان مؤذنًا لرسول اللَّه ﷺ، ذهب إلى الشام فكان به حتى مات، وهو أحد

سبعة أظهروا الإسلام في مكة، تُوفِّي بدمشق ودفن بباب الصغير سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة وقيل غير ذلك، وأذن لعمر بن الخطاب لما دخل الشام مرة واحدة، فلم يُر باكيًا أكثر من ذلك اليوم.

٤- مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: أعلم الأمة بالحلال والحرام، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد، إمام الفقهاء، وكبير العلماء بعثه النّبي ﷺ عاملًا على اليمن، مات بعمواس عام الطَّاعون بالشَّام في خلافة عمر بن الخطَّاب وهو ابن ثلاث أو أَربع وثلاثين سنة.

٥- معاوية بن أبي سفيان: أمير المؤمنين، وحكى الواقديّ أنه أسلم بعد الحديبيّة وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح، وأنه كان في عمرة القضاء مسلمًا، كان من الكتبة الحسبة الفصحاء، صحب النبي ﷺ، وكتب له، وولّاه عمر الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان، وأقره عثمان، ثم استمر فلم يبايع عليًّا، ثم حاربه، واستقلّ بالشام، ثم أضاف إليها مصر، ثم تسمّى بالخلافة بعد الحكمين، ثم استقلّ لما صالح الحسن، واجتمع عليه الناس، فسمّي ذلك العام عام الجماعة.

بقي معاوية أميرًا عشرين سنة، وخليفة عشرين سنة. وقال الوليد بن مسلم: كانت خلافته تسع عشرة سنة ونصفًا، وقيل: تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وعشرين يومًا. وولي دمشق أربع سنين من خلافة عمر، واثنتى عشرة من خلافة عثمان، مع ما أضاف إليه من باقي الشام،

وأربع سنين تقريبًا أيام خلافة علي، وستة أشهر خلافة الحسن، وسلم إليه الخلافة سنة إحدى وأربعين، توفي بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب، سنة ستين من الهجرة.

٦- **عَوفُ بن مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ**: سكن الشَّام، وقدم مصر، توفي سنة ثلاث وسبعين، حدّث عنه من الصَحابة: أبو أيوب الأنصاريّ، وأبو هريرة، وغيرهم.

٧- **وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ اللَّيثِيّ**: سكن بيت جِبرين من الشَّام، قَدِم قَبل مَخرَج النَّبي ﷺ إلى تَبُوك بليَال، فسكن الصُّفَّةَ، شهد المغازي بدمشق وحمص، ثم تحول إلى بيت المقدس، ومات بها. توفّي سنة خمس وثمانين وله ثمان وتسعون سنة، انظر ترجمته عند شرح الحديث السابع والعشرين.

٨- **عبادة بن الصامت**: وجهه عمر رضي الله عنه إلى الشام قاضيًا ومعلمًا، فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين. وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، قال ضمرة بن ربيعة عن عبد الحميد بن يزيد الجذامي: قال لي رجاء بن حيوة يا أبا عمرو: «هاهنا قبر أخيك عبادة بن الصامت إلى جانب الحائط الشرقي» يعني ببيت المقدس.

قال ابن عبد البر: «انتقل إلى فلسطين، ومات بها، ودفن بالبيت المقدس، وقبره معروف إلى اليوم».

قال الإمام ابن حبان: «سكن الشام ومات بالرملة، ودفن ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان على القضاء بها».

٩- **خالد بن الوليد**: سماه النبي ﷺ سيف اللَّه، هاجر بعد الحديبية هو وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، ومات بحمص سنة إحدى وعشرين، ومات على عهد عمر.

١٠- **أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ**: نزل دمشق، ومسجده وداره بها فى درب القتلى، وقبره بها.

١١- **خُرَيمُ بن فاتِكٍ الأَسَديُّ**: شهد بدرًا، نزل الرَّقَّة، وقيل: إِنَّه مات بها في عهد معاوية وإمارته، روى عنه أبو هريرة، وَابن عبّاس، وأنس بن مالِك، ووابصة بن معبد.

١٢- **عبد اللَّه بن حوالة الأزدي**: يكنى أبا حوالة. قال الهيثم بن عدي: هو من الأزد، كان يسكن الأردن. ومات سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. توفي في الشام وروى في فضل الشام أحاديث.

١٣- **سلمة بن نفيل السكوني**: هو من حضرموت، له صحبة، أصله من اليمن، وسكن حمص. حديثه عند أهل الشام.

١٤- **العرباضُ بن سَارِيَةَ السُّلَميُّ**: له صحبة، نزيل حمص

وللعرباض صحبة، سكن الشام وتوفي بالشام سنة خمس وسبعين، في خلافة عبد الملك بن مروان، وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام.

١٥- أبو أُمامة الباهِليُّ: صحب النَّبي ﷺ وسمع منه وروى عنه، وتحول إِلى الشام فنزلها، وتوفي بالشام سنة ست وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ابن إِحدى وستّين سنة.

١٦- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر: شهد فتح بيت المقدس وشد الرحال إليها وهو من رواة حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ومنها المسجد الأقصى». وانظر ترجمته عند شرح الحديث الرابع.

١٧- تميم الداري: انظر ترجمته عند شرح الحديث السادس والثلاثون.

١٨- عبد اللَّهِ بن بسر المازني: وهو ممن صلى القبلتين، روى عنه الشاميون، وقيل: مات بحمص، أيام سليمان بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين للهجرة، وعمره مائة سنة، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

من فوائد الحديث:

١- إن فسطاط المؤمنين آخر الزمان هو مهاجر إبراهيم في بلاد الشام.

٢- يشير الحديث إلى أن من أبى الهجرة آخر الزمان رغبة إلى بلاد الشام هو من شرار أهل الأرض.

٣- ومن سوء حال شرار أهل الأرض آخر الزمان أنهم يلزمون الهجرة، طردًا من الأرض التي هم فيها ورهبة من النار التي تدفعهم وتلاحقهم من مكان إلى مكان وبصحبة القردة والخنازير.

٤- وفي الحديث إشارة إلى فضل الشام والترغيب بسكناها والهجرة إليها.

* * * * *

الحديث الرابع والعشرون
عُقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ

عن سَلَمَةَ بن نُفَيلٍ الكندي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**عُقْرُ دَارِ المؤمنينَ**، وفي رواية: (الإِسْلَامِ)[١] **بِالشَّامِ**»[٢].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سلمة[٣] بن نفيل السكوني ثم التراغمي الحضرمي، له صحبة، حديثه في الشاميين، وأصله من اليمن، وسكن حمص. وكان قومه بعثوه وافدًا[٤] إلى رسول اللَّه.

رَوَى عَن: النبي ﷺ، وروى عنه: جبير بن نفير الحضرمي،

---

(١) أخرجها الطبراني في الكبير، عن سلمة بن نفيل (٦٣٥٩) وصححها الألباني في صحيح الجامع (٤٠١٤) وقال عنه: «حسن».

(٢) أخرجه أحمد (١٧٠٠٦)، والنسائي (٣٥٦١)، والدارمي (٥٥)، والطبراني (٦٣٥٦) (٦٣٥٧) (٦٣٥٨)، وابن حبان (٦٧٧٧)، والحاكم (٨٣٨٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٦): «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٣٥)، وصحيح النسائي (٣٥٦٣)، قال شعيب الأرناؤوط في صحيح ابن حبان (١٦/ ٢٩٦) «حديث صحيح».

(٣) سلمة: بفتح اللام. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٢/ ١٠٨).

(٤) انظر: مختصر تاريخ دمشق (١/ ١٠).

وضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي، وغيرهم، وروى له النَّسَائي حديثًا واحدًا.

سبب ورود الحديث:

وهو جزء من حديث طويل كما جاء نصه عن النَّوَّاس بن سَمعَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنت جالسًا عند رسول اللَّه ﷺ، فقال رجل: يا رسول اللَّه أذال[١] الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول اللَّه ﷺ بوجهه، وقال: كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ[٢] اللَّه لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد اللَّه، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحي إلي: أني مقبوض غير ملَبَّث، وأنتم تتبعوني أفنادًا[٣]، يضرب بعضكم رقاب بعض وعقر دار المؤمنين بالشام»[٤].

---

(١) أذال، أي: أهان، وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها. كما في «النهاية».

(٢) يزيغ، أي: يميل، في «النهاية» في حديث الدعاء: «لا تزغ قلبي»، أي: لا تمله عن الإيمان. يقال: زاغ عن الطريق يزيغ إذا عدل عنه.

(٣) أفنادًا: أي فرقًا بعد فرق وجماعات بعد جماعات مختلفين، ومن غير إمام. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٧٥).

(٤) أخرجه ابن حبان (١٦١٧)، وذيل تاريخ بغداد (٢/ ٦٢)، تهذيب الكمال (١١/ ٣٢٣) وصححه الألباني في السلسة الصحيحة، حديث رقم (١٩٣٥).

شرح الحديث:

هذا الحديث وحديث الباب السابق متمم ومبين كل منهما للآخر وفيهما تربعّت الشام وتجلت في قلوب المؤمنين، وسكنتها أفئدة الصالحين، ودرجت إليها جموع الأنبياء والمرسلين، فهي سيّدةُ البقاع بعد الحرمين، وإليها موئل الإيمان ومأرز الجهاد آخر الزمان، وفيها مهاجر جند الإيمان ومعسكرهم قبل نهاية الزمان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دلت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، وكما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسري بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فخيار أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو بالشام»[(١)].

قوله: (عُقْرُ دارِ المؤمنينَ): عقر الدار: وسطها، أي أصله ومَوْضعه، قال ابن منظور: عُقْرُ الدار أَصلُها في لغة الحجاز فأَما أَهل نجد فيقولون عَقْر ومنه قيل العَقَارُ وهو المنزل والأَرض والضِّيَاع. وقال أبو زيد: عقر دار القوم: وطنهم، وقال ثابت: عقر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٤٣-٤٤).

الدار: معظمها، وقال يعقوب: العقر: البناء المرتفع[١]. كأنه أشار به إلى وقت الفتَن؛ أي يكون الشام يومئذ آمِنًا منها، وأهل الإسلام به أسلم[٢].

قوله: (بالشام): وسبق التعريف بها وحدودها، وجاء عن عبد اللَّه بن عمرو قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام»[٣]. وهذا تأكيد على أنها هي مأوى أهل الإيمان آخر الزمان.

قال الشيخ العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ في فضل الشام: «وهذه شهادة من رسول اللَّه ﷺ باختيار الشام، وبفضلها وباصطفائه ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا ذلك بالمشاهدة، فإن من رأى صالحي أهل الشام ونسبتهم إلى غيرهم رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم»[٤].

من فوائد الحديث:

١- استفاضة أحاديث النبي ﷺ الصحيحة والصريحة في فضائل

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي (٧/ ١٣٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٣٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٤١٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٤) إتحاف الأنام في فضائل المسجد الأقصى والشام ، هشام العارف (٥٥)، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

الشام، وهذا دليل على عظيم فضلها وعلو مكانتها.

٢- تعدد رواة أحاديث فضائل الشام ووفرتهم دليل على تعدد مناسبات وأزمان وأماكن ذكر فضل الشام وأهلها.

٣- إن الشام وعاء صفوة العباد وزبدة الخلق، وهي حاضنة أهل الإيمان آخر الزمان، ولم يأت ذكر فضل مثله لغيرها.

٤- الشام لا تكون ملاذًا آمنًا لأهل الإيمان إلّا وقد هيأها اللَّه دارًا تتناسب مع من خصهم اللَّه بجميل عطائه.

٥- والحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ فقد أخبر فيه عن أمر سيقع آخر الزمان لا محالة.

* * * * *

الحديث الخامس والعشرون

الشَّامُ مَلَاذ الْمُؤْمِنِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

عن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ستَخْرُجُ نارٌ قَبلَ يَوم القيامَةِ مِن بَحرِ حَضْرَمَوتَ، وفي رواية: (أو من بحر حضر موت)[(١)]، تَحشُرُ النَّاسَ. قالوا: فماذا تأمرنا، يا رَسولَ اللهِ؟ قال: عَليكُمْ بالشَّامِ)[(٢)].

---

(١) أخرجها أحمد (٥٣٧٦) عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر، قال عنه شعيب الأرناؤوط: إسنادها صحيح على شرط الشيخين، والترمذي (٢٣١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦٠٠٢) بهذا اللفظ، والترمذي (٢٢١٧) وقال: حسن صحيح، وابن حبان (٧٣٠٥) قال صاحب اللؤلؤ والزبرجد إسناده صحيح، وهو من زوائد الإمام أحمد على الكتب الستة كما جاء في الزبرجد، قال أحمد شاكر في مسند أحمد (٧/ ١٣٣) و(٧/ ٢٠٠) «إسناده صحيح»، وصححه أيضاً الألباني في تخريج أحاديث «فضائل الشام ودمشق» (ص٢٣)، وصحيح الجامع الصغير للألباني(٣٦٠٣) والصحيحة (٢٧٦٨) المجلد السادس القسم الأول (ص ٦٣٦). عزاه الألباني إلى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٧٨) قال: حدثنا أبو عامر العقدي عن علي بن المبارك عن يحيى قال: حدثني أبو قلابة قال: حدثني سالم بن عبد اللَّه قال: حدثني عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: فذكره.
قال الألباني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه أحمد (٢/ ٩٩): ثنا يحيى بن إسحاق ثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير به، ببعض اختصار. وهذا إسناد صحيح أيضًا على شرط مسلم. ومشكاة المصابيح (٦٢٢٧) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (٧٤٢).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الثاني والعشرين.

شرح الحديث:

حديث الباب هو آخر آيات وأشراط قيام الساعة، وهي من مقدمات قيام الساعة أن يحشر الناس في الشام، كما أخبر النبي ﷺ.

قوله: (ستَخْرُجُ نارٌ قبل يوم القيامة): والنار الخارجة عنه إما حقيقة النار، أو فتنة عبر عنها بها، وأقول: الصحيح أنها على الحقيقة ولا يجوز صرف الغيب عن حقيقته إلا بقرينة، وهذه النار من علامات الساعة الكبرى المؤذنة بقيام الساعة ونهاية الدنيا.

فعن أنس رضي الله عنه أن عبد اللَّه بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث: ما أول أشراط الساعة؟ فقال الرسول ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشراطِ السَّاعةِ فَنَارٌ تَحشُرُهُم منَ المشرِقِ إِلى المغرِبِ...»[(١)]، وعن النبي ﷺ قال: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)[(٢)]، ولا أظن أن بين الأحاديث تعارضًا فاختلاف جهات حشر الناس إلى محشرهم يدل على أن هناك عدة نيران تكون في أماكن مختلفة أو

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

كما قال ابن مانع[١]: فلعل إحدى النارين في أول الآيات والأخرى في آخرها، وهو حشر قبل يوم القيامة وبه قال القرطبي والقاضي عياض، واللَّه أعلم.

قال الشيخ محمود عطية[٢] معلقًا على حديث الباب: «الناس عادة لا يستجيبون لمن يأمرهم باللين، إلا من رحم اللَّه، فاقتضت حكمة الخالق جل وعلا، أن يستجيبوا قسرًا، فيقيض اللَّه عز وجل لهم من يطردهم ويفرون من أمامه فزعين، يرسل النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت حيث باتوا حتى المحشر».

قوله: (من بَحرِ حَضْرَمَوتَ): حضرموت: بلد وقبيلة، جنوب اليمن. حَضْرَمَوْت قيل: سمي بحضر موت بن قحطان؛ لأنهُ أول من نزلهُ وكان اسم هذا الرجل عامرًا. فكان إذا حضر حربًا أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضورهِ: حضر موت، ثم جرى ذلك عليهِ لقبًا، وسكَّنوا الضاد للتخفيف، وجعلوا الاسم مركبًا مزجيًا على الأشهر، ثم صاروا يقولون للأرض التي كانت بها قبيلتهُ: هذه أرض حضر موت، ثم أطلق على البلاد نفسها، وقيل في تسميتها غير ذلك[٣].

---

(١) في شرحه (ص٣٠٦).

(٢) انظر مشكورًا كتابه الماتع وقد جاء أشراطها (٤٦٢).

(٣) دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، البستاني (٧/ ١٠٠) بتصرف واختصار يسير، دار المعرفة - بيروت.

وكانت تسمى قبل الإسلام بـ«الأحقاف»، وهي اسم سورة في القرآن وهي ماجاء ذكرها كذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١] ومما جاء في فضلها وأهلها ما أخبر به رسول اللَّه ﷺ: «حَضْرَمَوْتَ خَيْرٌ مِن بَنِي الحارِثِ»[(١)].

وفي التوراة اسم حضر موت: حاضر ميت. وكانت موطن عاد[(٢)] وأقيال التبابعة[(٣)] وملوك حمير[(٤)] وكندة، أجلوا من البحرين إلى حضر

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٣٩).

(٢) عاد: هم بنو عاد بن عوص بن آدم بن سام، وكان أبوهم أول من ملك العرب، وطال عمره وكثر ولده.

(٣) الأقيال: كانت حضر موت منذ العصور الواغلة تنقسم إلى إمارات أو أقيال (جمع قيل) وهو الأمير يسكن حصنًا أو قلعة أو ومن حوله من الحاشية. (راجع: كتاب تاريخ حضر موت، صلاح البكري، مكتبة الصنعاني).

(٤) حمير: حكمت دولة حمير من سنة ١١٥ق.م إلى ٥٢٥ ب.م وكانوا يقيمون في ريدان (ظفار) ولما ضعفت دولة السبائيين تغلب عليها الحميريون فاستولوا عليها ثم استولوا على حضر موت، بلغ الحميريون مبلغًا ليس له في عهدهم مثل فبنوا القصور الشاهقة وعمروا المدن الواسعة ونصبوا الهياكل والتماثيل، واحتفروا الترع والسواقي وأنشؤوا السدود الضخمة وعبدوا الشوارع واغترسوا الحدائق والبساتين كانوا في ترف ونعيم، لباسهم من أفخر الأنسجة، ودرياتهم من الحرير وآنيتهم وأثاثهم مزين بالذهب والفضة والجواهر. راجع تاريخ حضرموت.

موت وكانوا نيفًا وثلاثين ألفًا، أسلموا في السنة العاشرة للهجرة، وشهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص، فكان وقتها كثير من القضاة منهم، واستعمله رسول اللَّه ﷺ على الأقيال من حضر موت.

كما ولى عليهم رسول اللَّه ﷺ زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، فأقام في «تريم»[(١)]، وكان المثل الأعلى في الخلق الحسن.

دخل الحضرميون في الإسلام دون أن يظهروا أي مقاومة، ليس لهم في الجزيرة العربية مثيل وهي من المفاخر التي يحفظها لهم التاريخ إلى الأبد[(٢)].

قوله: (تَحشُرُ النَّاسَ): سبق شرحها في الحديث الثالث والعشرين.

أنواع الحشر:

قال القرطبي: «الحشر»: الجمع، وهو على أربعة أضرب: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة[(٣)].

وهذا الحشر سيكون آخر أيام الدنيا ومقدم الآخرة، قال القرطبي وابن حجر وغيرهم من أئمة العلم: إن هذا الحشر يكون في آخر

---

(١) تريم: مدينة يمنية تقع في الجزء الشرقي من محافظة حضرموت، يرجع تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت عاصمة حضرموت القديمة.

(٢) كتاب تاريخ حضر موت، صلاح البكري ، مكتبة الصنعاني.

(٣) تفسير اللباب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

عمر الدنيا، حين تخرج النار من قعر عدن، وتحشر الناس إلى بلاد الشام[١].

قال ابن كثير: «فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر، هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر، وهي أرض الشام.

وهذا كله يدل على أن ذلك في آخر أيام الدنيا، حيث الأكل والشرب، والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار.

ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري، ولا أكل ولا شرب، ولا لبس في العرصات. وقال ابن كثير: العجب كل العجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي بعد روايته لأكثر هذه الأحاديث، حمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة، وصحح ذلك، وضعف ما قلناه واستدل على ذلك، بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]. وكيف يصحح ما ادّعاه في تفسير الآية بالحديث، وفيه: (إن منهم اثنين على بعير، وعشرة على بعير) وقد جاء التصريح فيه بقلة الظهر؟

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٢٠٠)، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ت: الصادق بن محمد بن إبراهيم. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١١/ ٣٨٠).

هذا لا يلتئم مع هذا. تلك نجائب من الجنة يركبها المؤمنون من العرصات إلى الجنات، على غير هذه الصفة، كما سيأتي تقرير ذلك في موضعه[١].ا.هـ.

وقال صاحب التحفة: «لعله لم يُرد بذلك أولَ الأشراط مطلقًا، بل الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على أنها تقوم عما قريب، فإن من الأشراط بعثة النبي ﷺ، ولم تتقدمها تلك النار، أو أراد بالنار نار الحرب والفتن كفتنة الترك، فإنها سارت من المشرق والمغرب»[٢].

قال الخطابي: والمذكور هنا في الحشر إنما يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما المحشر الذي بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصورة، من ركوب الإبل، والمعاقبة عليها، إنما هو البعث دون الحشر، فليس بين الحديثين تضاد، قال: قوله: عشرة على بعير، يعني أنهم يتعقبون البعير الواحد يركب بعضهم، ويمشي الباقون عقبًا بينهم.

ومجمل هذه النيران كلها تدفع بالناس إلى مقر حشرهم ومنتهاه في الدنيا على أرض الشام، وهي البقعة التي يجمع الناس فيها إلى الحساب، ويشمل أصناف الناس رجالًا ونساء، راكبين وراجلين، ومنهم من يجر جرًا إلى محشرهم في الشام، فعن بَهْز عن أبيه عن

(١) البداية النهاية، ابن كثير (١/ ٢٥٩).
(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبغوي، البيضاوي (٣/ ٣٥١).

جدّه، قال: قُلت: يا رسول اللَّهِ، أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «هَاهُنَا». وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّام، قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ»[(١)].

كيف يكون الحشر؟

أفرد الإمام البخاري بابًا: بعنوان: «باب الحشر» وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»[(٢)].

قال القاضي البيضاوي في تعليقه على هذا الحديث: «أراد بذلك حشرًا يكون للناس في حياتهم الدنيا إلى الشام»[(٣)].

قال الداودي: يحملون على قدر أعمالهم، والاثنان على البعير أفضل من الثلاثة، والثلاثة أفضل من أكثر منهم. وقوله: تقيل معهم حيث قالوا. إلى آخره يدل أنهم يقيمون كذلك أيامًا. قال البيهقي:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٣١)، والترمذي (٢١٩٢ (٢٤٢٤)، وصححه العلامة الألباني في تخريج «فضائل الشام» للربعي ص(١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٢).

(٣) انظر تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ٣٩٣).

الراغبون يحتمل أن تكون إشارة إلى الأبرار. والراهبون: المخلطون الذين هم بين الخوف والرجاء، والذين تحشرهم النار هم الكفار، ويحتمل أن يكون هذا وقت الحشر إلى موقف الحساب[١].

وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيثما قالوا: ويبدوا أن هذا قبل قيام الساعة ، وهو من آخر أشراطها - واللَّه تعالى أعلم - كما ذكره مسلم عن أبي سَريحة عن النبي ﷺ قال: «..وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تُرَحِّلُ الناس..»[٢].

قال الشيخ محمود عطية[٣]: «إن هذا الحشر يكون بعدة طرق، وبعدة حالات:

- راغبين وراهبين، وينطلقون رغبة ورهبة، هربًا من الفتن.
- من ينطلقون عندما تشتد الفتن وتتوالى الآيات.
- من تحشرهم النار، لأنهم استمروا حيث هم، وضاقت سبل انتقالهم إلى المحشر».ا.هـ

وقيل: إنما ذلك في القيامة، وما ذكره القاضي أظهر ، لما في نفس الحديث من ذكر القائلة والمبيت والصباح، وليس ذلك في الآخرة[٤].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٣٠/ ٣٥).
(٢) برقم (٢٩٠١).
(٣) فقد جاء أشراطها، محمود عطية (٤٦٥).
(٤) مصابيح الجامع، الدماميني (٩/ ٤٥٠)، دار النوادر - سوريا، ت: نور الدين طالب.

وقال ابن الملك الرومي[١]: قيل هذا الحشر إنما يكون قبل قيام الساعة أحياء إلى الشام بقرينة قيلولتهم وبيتوتهم؛ لأن هذه الأحوال إنما تكون في الدنيا.

قوله: (قالوا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟): أي في ذاك الزمان ماذا تأمرنا أن نفعل.

قوله: (قال: عَليكُمْ بالشَّام): وهذا يدل على أن ذلك يكون قبل قيام الساعة[٢]. فكانت وصيته ﷺ لهم: خذوا طريقها، والزموا فريقها، فإنها سالمة من وصول النار الحسية، أو الحكمية إليها حينئذ لحفظ ملائكة الرحمة إياها»[٣]، أي الزموا سكنى أرض الشام. وقيل: مطلقًا لكونها أرض المحشر والمنشر، وقيل: المراد آخر الزمان؛ لأن جيوش المسلمين تنزوي إليها عند اختلال أمر الدين، وغلبة الفساد»[٤].

من فوائد الحديث:

١- هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بخروج نار من حضر موت آخر الزمان.

---

(١) انظر: شرح مصابيح السنة للبغوي، لابن الملك الرومي، (٦/ ٢٧).
(٢) شرح مصابيح السنة للبغوي، ابن الملك الرومي (٦/ ٥٢٤).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (٩ / ٤٠٤٠).
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، (٤/ ٤٤٣).

٢- النبي ﷺ يوصِي أهل الإيمان بما ينبغي أن يقوموا به حال خروج النار، باللجوء إلى الشام والاحتماء بها.

٣- توافر أحاديث المصطفى ﷺ المبينة بضرورة اللجوء إلى الشام فيه دلالة على أهميتها وخطورة ما سيكون عليها آخر الزمان.

٤- حضر موت واحدة من عدة جهات ستخرج منها نار تحشر الناس إلى الشام.

٥- الحشر المذكور في هذا الحديث هو حشر الدنيا.

٦- لم يترك النبي ﷺ أمته يتخبطون أمورهم، من غير نصح أو توجيه بل دلهم على ما فيه صلاح أمورهم ونجاتهم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث السادس والعشرون
الشَّامُ مَأْوَى الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ** وفي رواية: (لَا تَزَالُ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّتِي)[١]، وفي رواية: (لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي)[٢]، وفي رواية: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي)[٣] **ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ**، (لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ)[٤]، **حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**، وفي رواية: (لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ)[٥]»[٦].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سعد بن أبي وقاص، واسمُ أبيه وقاص: مالك بن أهيبِ بن عبدِ مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعب.

أمه: حَمنَة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأحد

---

(١) أخرجها أحمد (١٦٩١٢) من حديث معاوية بن أبي سفيان.
(٢) أخرجها الدارمي (٢٤٧٧) من حديث عمر بن الخطاب.
(٣) أخرجها مسلم (١٥٦) من حديث جابر بن عبد اللَّه.
(٤) أخرجها مسلم (١٩٢٠) عن ثوبان.
(٥) أخرجها أحمد (١٦٩١٢ من حديث معاوية بن أبي سفيان.
(٦) أخرجه مسلم (١٩٢٥)، وأبو يعلى (٧٨٣).

السابقين الأولين، وممن شهدَ بدرًا، والحديبية، وأحد أهل الشورى الستة.

قال ابن مندةَ: أسلم سعد ابن سبع عشرة سنة، وكانَ قصيرًا، دحداحًا[١]، وأولُ المسلمينَ رمَى المشركين بِسَهم افتتح جَلُولاء سنة تسع عشرة. لما استُخلِف عثمان عزل عن الكوفة المغيرة، وأمَّر عليها سعدًا. وكان قد اعتزل في آخر عمره، في قصر بناه بطرف حمراء الأسد[٢].

شهد المشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ وكان قائد فتوح العراق[٣]. أحرمَ بعمرةٍ من بيتِ المقدسِ في عام الحكَمَين، مات بمكة[٤]. ومن مناقبه أن النبي ﷺ جمع له أبويه يوم أحد، قال سعد رضي الله عنه: (جَمع لي النَّبيّ ﷺ، أَبَوَيه يَومَ أُحُدٍ)[٥]. قال عامر بن سعد: كان سعد آخر المهاجرين وفاة، توفي سنة خمس وخمسين. وقيل غير ذلك[٦].

عدد أحاديثه: له في الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثًا، المتفق عليه منها خمسة عشر، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بثمانية عشر[٧].

---

(١) الدَّحْدَاحُ: القَصيرُ السَّمِينُ. النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٠٣).
(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.
(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٢/ ٤٥٣).
(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٤٥/ ٣٧).
(٥) أخرجه البخاري (٤٠٥٦)
(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١/ ٩٢).
(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٢/ ٣٨٧).

شرح الحديث:

هذا الحديث من جملة أحاديث كثيرة تبين فضل أهل الشام وما هم عليه من خير إلى قيام الساعة. ومنها ما أخبر به النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة) وأومأ بيده إلى الشام[١].

قوله: (لا يزالُ أهلُ الغربِ): «قال علي بن المديني: المراد بأهل الغرب: العرب، والمراد بالغرب الدلو الكبير، لاختصاصهم بها غالبًا، وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض، وقال معاذ: هم بالشام، وجاء في حديث: آخرهم ببيت المقدس.

ويرى ابن بطال في شرحه أن الطائفة التي على الحق مقيمة إلى قيام الساعة أنها بيت المقدس دون سائر البقاع[٢].

وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك، قال القاضي: وقيل: المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حده»[٣]. وقال ابن حجر: «فالظاهر أن المراد بالغرب: البلد؛ لأن الشام غربي

---

(١) أخرجه السمعاني في فضائل الشام (٧)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١/ ٢٤٩).

(٢) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٠/ ٦٠)، وقد جاء في ذلك عن أبي أمامة الباهلي فيما أخبر به عن النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوّهم قاهرين، حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم كذلك. قيل: يا رسول اللَّه، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس». والأكناف جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية.

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ٦٥-٦٦).

الحجاز»[١]. وكان مُطَرِّفٌ[٢] يقول: هم أهل الشَّام[٣]. أو قال: فنظرت في هذه العصابة فإذا هم أهل الشام[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمهم اللَّه: «أهل الغرب هم أهل الشام»[٥] وذلك أن النبي ﷺ كان مقيمًا بالمدينة فما يغرب عنها فهو غربه، وما يشرق عنها فهو شرقه، وكان يسمي أهل نجد وما يشرق عنها أهل المشرق، وكان أهل المدينة يسمون أهل الشام أهل المغرب، ويقولون عن الأوزاعي: إنه إمام أهل المغرب، ويقولون عن سفيان الثوري ونحوه: إنه مشرقي إمام أهل المشرق[٦]؛ لأن التغريب والتشريق من الأمور النسبية، فكل مكان له غرب وشرق؛ فالنبي ﷺ تكلم بذلك في المدينة النبوية، فما تغرب عنها فهو غربه، وما تشرق عنها فهو شرقه[٧].

قوله: (ظاهرين على الحق): ظاهرين: ظهر، على فلان غلبه،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٣٥٨).

(٢) مُطَرِّفُ بن عبد اللَّه بن الشخير: الإمام، القدوة، الحُجّة، أَبو عبد اللَّه الحرشيّ، العامريّ، البصريّ، وقيل كان مولده عام بَدر، أو عام أُحُد وأما وفاته في سنة خمس وتسعين. سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ١٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٧)، وأبو داود (٢٤٧٦)، وصححه، والألباني في «الصحيحة» (١٩٥٩).

(٤) أخرجه أبو عوانة في «صحيحه» (٧٥١٣).

(٥) المغني مع الشرح الكبير، ابن قدامة: (١٠/ ٣٧٧).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٤/ ٤٦٦).

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٤١-٤٢).

و(أظهره) اللَّه على عدوه و(أظهر) الشيء بينه[١]، أي: «غالبين على أهل الباطل ولو بالحجة»[٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي ﷺ مَيَّز أهل الشام بالقيام بأمر اللَّه دائمًا إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام؛ فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها العلم والإيمان، والنصر والجهاد. . . . وأما الشام، فلم يزل فيها العلم والإيمان ومن يقاتل عليه منصورًا مؤيدًا في كل وقت»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يقتضي أن لا يكون فيهم مَنْ فيه بغي، ومَنْ غيره أولى بالحق منهم بل فيهم هذا وهذا، وأما كون بعضهم باغيًا في بعض الأوقات مع كون بغيه خطأ في بعض الأوقات، مع كون بغيه خطأ مغفورًا أو ذنبًا مغفورًا، فهذا لا يمنع ما شهدت به النصوص، وذلك أن النبي ﷺ أخبر عن جملة أهل الشام وعظمتهم، ولا ريب أن جملتهم كانوا أرجح في عموم الأحوال»[٤].

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٠٦).
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، الشهير العظيم آبادي (٧/ ٣١٩).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٤/ ٤٤٩).
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٤/ ٤٤٨).

قوله: (حتى تقومَ الساعةُ): أي ساعة موت المؤمنين بمجيء الريح التي تقبض روح كل مؤمن وهي الساعة في حق المؤمنين، وإلا فالساعة لا تقوم إلا على شرار خلق اللَّه[(١)].

من فوائد الحديث:

١- إن أهل الشام وبيت المقدس مستمرون على الحق من غير انقطاع فيهم، إلى قيام الساعة.

٢- أهل الشام هم عنوان الحق وبوصلته إلى قيام الساعة.

٣- جاء فضل الشام وأهلها بعهد مبكر من رسالة النبي ﷺ وقبل فتح أمصار الشام كلها.

٤- كثرة الأحاديث ووفرتها في فضل الشام وأهلها هي شحذ لهمم الصحابة تجاهها لفتحها والرغبة في الهجرة إليها وتكثير سواد المسلمين فيها.

٥- فيه بقاء الحق فيهم وعدم زواله، ولا تستأصل شأفتهم إلى قيام الساعة.

٦- فيه إخبار عن الغيب وأنه من دلائل نبوة محمد ﷺ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) شرح سنن ابن ماجه (١/ ١٣) الإمام أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي، دار المعرفة - بيروت، ت: خليل مأمون شيحا.

الحديث السابع والعشرون
تَكَفَّلَ اللَّهُ بِالشَّامِ وَأَهْلِهَا

عن واثلَةَ بن الأسقعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عَليكم بالشَّام فإنَّها صفوةُ بلادِ اللَّه، يُسكِنُها خيرتَهُ من خلقِهِ، وفي رواية: (يجتبي إليها خيرته من عباده)[١]، فمن أَبى فليلحق بيَمنِهِ، وفي رواية: (إن أبيتم فعليكم بيمنكم)[٢]، وَلْيُسقَ مِن غُدُرِه، وفي رواية: (واسقوا من غُدركِم)[٣]؛ فإن اللَّه عز وجل تَكفَّلَ، وفي رواية: (تَوكّلَ)[٤]، لِيَ بالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[٥].

---

(١) أخرجها أحمد برقم: (١٧٠٠) وأبو داود (٢٤٨٣)، من حديث ابن حوالة، وقال الوادعي: إسنادها حسن في «دلائل النبوة» (٢٢٤) وقال الألباني في فضائل الشام: إسنادها حسن.

(٢) أخرجها أبو داود (٢٤٨٣)، من حديث ابن حوالة.

(٣) أخرجها أبو داود (٢٤٨٣)، من حديث ابن حوالة.

(٤) أخرجها أبو داود (٢٤٨٣)، من حديث ابن حوالة.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٧)، وفي مسند الشاميين (٣٣٨٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٧٨) وقال: «صحيح»، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٠٢): «رواته ثقات»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٢): «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٠٧٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٠٩٠).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

واثلة بن الأسقَع بن كعب بن عامر اللّيثيّ، وقيل: واثلة بن الأسقع ابن عبد العُزَّى بن عبدياليل بن ناشب الليثي، وفي كُنيته أقوال: أبو الخطاب، وأبو الأسقع. وقيل غير ذلك، من أصحاب الصُّفَّة. أسلم سنة تسع، والنبي ﷺ قد تجهز إلى غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين رضي الله عنه، طال عمره.

أتى الشام وسكن «البلاط» خارجًا من دمشق، ثم تحول ونزل البيت المُقدَّس ومات بها[(١)]. وقيل: بدمشق، وكان قد عمي[(٢)]، وكان منزله في بيت جبرين[(٣)].

توفي سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وخمس سنين، وقال أبو مُسهر: مات سنة خمس وثمانين، وله ثمانٌ وتسعون سنة. قال قتادة: هو آخر من مات من الصحابة بدمَشق[(٤)]. روى عنه المحدثون ستة وسبعين حديثًا[(٥)].

---

(١) تاريخ دمشق (٦٢/ ٣٤٩)، أسد الغابة (٥/ ٣٩٩)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٢١٨)، الطبقات الكبرى (٧/ ٤٠٧)، والبلاط موضع قرب دمشق.

(٢) أسد الغابة (٥/ ٣٩٩).

(٣) الآحاد والمثاني (٢/ ١٢٦)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٧١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٣/ ٣٨٦).

(٥) الأعلام، الزركلي (٨/ ١٠٨).

شرح الحديث:

يذكر هذا الحديث وبكل وضوح فضل الشام وأهلها، وكان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث التفت إلى ابن عامر، فقال: ومن تكفل اللَّه به، فلا ضيعة عليه[١].

فها هي أحاديث النبي ﷺ تأتينا تترى مرة بعد المرة بالوصية بالهجرة إلى الشام، لا الهجرة منها كما هو الحال هذه الأيام.

قوله: (عَليكم بالشَّام): فقد استقر في الضمير من غير مرية ولا جدال عظيم شأنها، كما مر معنا في كثير من أبواب هذ الكتاب، أي عليكم بالهجرة إليها والالتحاق بأهلها، وليعلم أن الهجرة إلى الشام هجرتان:

الأولى: الهجرة إليها رغبة بما جاء في فضلها وفضل الهجرة إليها.

الثانية: هو الهجرة إليها دفعًا آخر الزمان.

لذا لما سئل الإمام أحمد، أين ترى الرجل إذا كره المكان الذي هو فيه أن ينتقل؟ قال: إلى المدينة. قيل: فغير المدينة؟ قال: مكة. قيل: فغير هذا؟ قال: الشام، والشام أرض المحشر[٢].

قوله: (فإنَّها صفوةُ بلادِ اللَّه): فإنها: أي إن بلاد الشام مما اصطفاه اللَّه واختاره من عموم البلاد.

---

(١) بغية الطالب في تاريخ حلب (١/ ٣٣٦)، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام.

(٢) فضائل الشام، ابن رجب الحنبلي (١٦٥).

قوله: (يُسكِنُها خيرتَهُ من خلقِهِ): وفي رواية: «يجتبي إليها خيرته من عباده» أي مصطفاه من سائر بلاده يجمع اللَّه تعالى إليها من اختارهم من خاصة عباده.

وقد قيل إن عامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام، وبها جمع اللَّه لنبيه محمد ﷺ سائر الأنبياء ليصلي بهم إمامًا.

قوله: (فمن أَبى فليلحق بيَمنِهِ): وفي رواية: «إن أبيتم فعليكم بيمنكم»، فمن أبى: كلام معترض رخص لهم في النزول بأرض اليمن؛ أي من امتنع منكم أو منع عن قصد الشام والهجرة إليها. (فليلحق بيمنه) أضاف اليمن إليهم ونسبهم إليها؛ لأنه خاطب به العرب ولأن اليمن من أرضهم وكأنها منهم وهم منها، وهي كذلك حرسها اللَّه.

وهي إشارة من النبي ﷺ واضحة لإزالة الفوارق القبلية بينهم وأنه لا فرق بين مكي أو مدني ويمني، وأنه ﷺ رخص لهم نزول اليمن كمفضول على فاضل اضطرارًا، فالفضل الأول للشام واليمن دونها في الفضل وتأتي بعد الشام.

ومع أن اليمن دون الشام في الفضل إلا أن لها فضلًا أظهره قول النبي ﷺ: «فعليكم بيمنكم»، أي: الزموا يمنكم، وفيه تأكيد على فضلها ولزوم الهجرة إليها إن تعذرت الهجرة إلى الشام[1].

---

(١) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، الشهير العظيم آبادي (٧/ ١١٦)، و(شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٢/ ٣٩١٦)، وحاشية المسند للسندي (٢٨/ ٢١٧).

قوله: (وَلْيُسقَ مِن غُدُرِه): غُدُرِه: بضم المعجمة مفردها غدير، القطعة من الماء يغادرها السيل[١]. وهو الحوض أو الحياض، ومعنى ذلك يُسقى كل من غديره الخاص به، والمقصود ملازمة الرعي والسقي، ويبدو أن أهل الشام كان من عادتهم أن كل رفقة منهم ومجموعة يتخذون غديرًا ومرعى يخصُّهم فأوصاهم النبي ﷺ بأن يلزم كل منهم حقه وما يخصه، ولا يزاحم غيره في حقه؛ لئلا يكون ذلك سببًا للاختلاف ووقوع الفتن[٢].

قوله: (فإن اللَّه عز وجل تَكفَّلَ لي بالشام وأهلِه): تَكفَّلَ: (الكفيل) الضامن، و(الكافل) الذي يكفل إنسانًا يَعُوله ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[٣]، أي أن الشام وأهلها بضمان اللَّه وكفالته ورعايته سبحانه وتعالى.

وفي رواية: «تَوكّل» فلا تعارض بينها وبين تكفل فكلاهما يأتي بمعنى واحد، فإن من توكل في شيء تكفل القيام به[٤]. أي إن اللَّه تكفل وضمن لنبيه محمد ﷺ أن يحفظ الشام وأهلها وكانت كفالة اللَّه تعالى «بالشام»: ويكون ذلك بحفظ الشام وأن لا تخرب بالفتنة.

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٦٩).
(٢) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبغوي، البيضاوي، (٣/ ٥٨٢).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٧٥).
(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبغوي، البيضاوي، (٣/ ٥٨٢).

«وأهلِهِ»: وتكفل للنبي ﷺ بأمان أهلها من شر الجنود، وضمن حفظهم، وفوَّض أمرهم إلى نفسه، لا تصيبهم الفتنة ولا يهلك اللَّه بالفتنة من أقام بها[(١)].

وهو ضمان من الرب لأتباع النبي محمد ﷺ لم يضمن اللَّه قومًا لنبي قبله، ولا أمة أو أرضًا غير الشام وأهلها، وكان الحوالي يقول: من تكفل اللَّه به فلا ضيعة عليه[(٢)].

لقد كانت الشام عظيمة القدر عبر السنين في قلوب علماء المسلمين[(٣)] فضلًا عن عامتهم، يتشوفون لها، ويتشرفون بالنسبة إليها، وترنو قلوبهم وأبصارهم نحوها، حتى وصفها الأتراك في ظل الدولة العثمانية بـ«شام شريف»، لقد أدرك الغرب مدى أهمية وقدسية هذا الإقليم في قلوب المسلمين عربهم وعجمهم، فتسلط

---

(١) انظر: (شرح مصابيح السنة للبغوي، ابن الملك الرومي (٦/ ٥٢٦ -٥٢٧)، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٤-٣٤٢) وعون المعبود شرح سنن أبي داود كتاب الجهاد ، الشهير العظيم آبادي (١٠٨٣-١٠٨٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٤١).

(٣) ومنهم الإمام البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ أحد العلماء الذين هاجروا إلى الشام بعد أن ضاق بهم الحال في أوطان أنكروا ما بها من أحوال، قال في كتابه «الإعلام بسنِّ الهجرة إلى الشام»: «فهذا كتاب كتبته لما أردت النقلة من مصر لأمور أنكرتها، وفتن أبصرتها» الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم البقاعي، المولود ٨٠٩هـ المتوفى بدمشق سنة ٨٨٥هـ، له مؤلفات تقارب النيف والخمسين مصنفًا في علوم شتى وانظر كتابه النفيس في بابه «الإعلام بسن الهجرة إلى الشام» (ص ٨١).

على رقاب أهل بلاد الشام أكثر الشعوب كرهًا وحقدًا، يحملون عقيدة الصليب في قلوبهم؛ فكانت الشام وما احتضنت من بلاد سنية عربية أصيلة حظها التقسيم والتفتيت والتفريق بين أهلها وروابطهم العقدية والتاريخية والحضارية، فأصبحت دولًا لها أعلام خاصة بوطنية ضيقة الأفق، تحدها حدود سياسية مصطنعة، بجهود بريطانية وفرنسية تمخض عنها ما يسمى باتفاقية: (سايكس- بيكو) سنة ١٩١٦م، كل ذلك كان ثمرة مكر الليل والنهار من أتباع الصليب ومن عاونهم.

وقام الغرب الكافر وبكل خبث ودهاء وبمعاونة أتباعهم وأزلامهم من أبناء جلدتنا ومن يتكلمون بألسنتنا ويتصنعون الحرص الكاذب بحب الأوطان، حتى نمت وترعرعت في «شام شريف» أشد الفرق حقدًا على عقيدة الإسلام والمنتسبة إلى الإسلام وهو منها براء، ليس هذا فحسب بل أصبحت تتحكم في رقاب البلاد والعباد وتعيث في الأرض الفساد، فأصبحت وأضحت وأمست بلاد الشام بعامة على ما نراه اليوم من أسوء حال لها عبر تاريخها الطويل بعد أن استحر فيها القتل بشكل مفجع يشيب له الولدان، وغدا مأوى جملة كبيرة من الفرق الضالة فيها، ومقرًّا لدولة اليهود وناحية من نواحي أتباع الصليب، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

من فوائد الحديث:

١- بلاد الشام مختارة اللَّه من بلاد الدنيا للسكنى فيها.

٢- بلاد الشام خيار اللَّه عند وقوع الفتن.

٣- اليمن تأتي في المرتبة الثانية بعد بلاد الشام في خيار الهجرة إليها حال الفتن.

٤- كفالة اللَّه تعالى للشام بخاصة دون غيرها من البلاد.

٥- اللَّه جل جلاله يصطفي خير البشر لسكنى الشام.

* * * * *

الحديث الثامن والعشرون
مَلَائِكَةُ اللَّه بَاسِطَة أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ

عن زيدِ بن ثابت رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يا طُوبى لِلشَّامِ**، وفي رواية: (طوبى للشام، طوبى للشام)[١]، **قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وَبِمَ ذَلِكَ؟ قال: تِلكَ مَلائِكَةُ اللَّهِ**، وفي رواية: (ملائكة الرحمن)[٢]، **باسِطَةٌ**، وفي رواية: (الملائكة باسطو)[٣]، **أَجنِحَتِها عَلَى الشَّامِ**، وفي رواية: (عليها)[٤]»[٥].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الخزرجيّ بن لوذان بن عمرو بن

---

(١) أخرجها أحمد (٢١٦٠٦) من حديث زيد بن ثابت.
(٢) أخرجها الترمذي (٣٩٥٤). من حديث زيد بن ثابت.
(٣) أخرجها أحمد (٢١٦٠٦ من حديث زيد بن ثابت.
(٤) أخرجها الترمذي (٣٩٥٤). من حديث زيد بن ثابت.
(٥) أخرجه أحمد (٢١٦٤٦)، والترمذي (٣٩٥٤) وقال: «حسن غريب»، والطبراني (٤٩٣٣)، وابن حبان (٧٣٠٤) وصححه، والحاكم (٢٩٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣١١)، قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٢٨): «له متابعة»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٠): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام (١)، قال شعيب الأرناؤوط في مسند أحمد (٥/ ١٨٤): «حديث صحيح».

عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجّار بن ثعلبة.

الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفَرَضِيّين، مفتي المدينة، أبوعيد، وأبو خارجةَ، الأنصاريّ، كاتب الوحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حدث عن: النبِي ﷺ وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كلَّه، ومناقبُه جمَّة.

حدث عنه جمع من الصحابة: أبو هريرة، وابن عباس وابن عمر، وأبو سعيد الخدريّ، وأنس بن مالك، وغيرهم.

قُتل أبوه قبل الهجرة يوم بُعاث، فرُبّي زيد يتيمًا. وكان أحد الأذكياء، فلما هاجر النبي ﷺ أسلم زيد، وهو ابن إحدى عشرة سنة، فأمره النبي ﷺ أن يتعلَّم خطَّ اليهود؛ ليقرأ له كتبهم، قال: «فَإِنِّي لَا آمَنُهُمْ».

وعن سالم: كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت، فقلت: مات عالم الناس اليوم.

وعن سليمان بن يسار، قال: ما كان عمر، وعثمان يقدِّمان على زيد أحدًا في الفرائض، والفتوى، والقراءة، والقضاءِ.

قال خارجةُ بن زيد: كان عمر يستخلف أبي، فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل.

كان عمر بن الخطاب يستخلفه إذا حج على المدينة، وكان مع عمر

ابن الخطاب لما قدم الشام وخطب بالجابية عند خروجه لفتح بيت المقدس، وهو الذي تولى قسمة غنائم اليرموك[١].

ومن أخباره في بيت المقدس: عن مكحول: أن عبادة بن الصامت دعا نبيطًا يمسك له دابته عند بيت المقدس، فأبى، فضربه فشجه، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب، فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمرته أن يمسك دابتي فأبى، وأنا رجل في حدة، فضربته. فقال: اجلس للقصاص. فقال زيد بن ثابت: أتُقِيد عبدك من أخيك؟ فترك عمر القَوَد، وقضى عليه بالدية[٢]. مات سنة خمس وأربعين، عن ستّ وخمسين سنة[٣].

شرح الحديث:

لقد تنوعت أشكال وطرق رعاية اللَّه جل جلاله في حفظ ورعاية والثناء على الشام وأهلها، لكن هذا الحديث جاء بنوع جديد من الرعاية والحفظ فهم جند اللَّه من الملائكة تحوط وتظلل سماء الشام بكفالة ربانية ليست لغيرها من البلدان.

قوله: (يا طوبى للشام): طوبى: من الطيب، قلبوا الياء واوًا لضمة

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (١٩/ ٢٩٦).

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (١٩/ ٢٩٧)، المصنف لعبد الرزاق (١٠/ ١٠٠) رقم الحديث (١٨٥١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٤٢٦).

ما قبلها[١]. والمرادُ بها فُعلى من الطّيب[٢]. وأصله «طيبي» قلبت الياء واوًا لانضمام ما قبلها، ومعنى «طوبى لك» أَصبت خيرًا وطيّبا. وهي «راحة وطيب عيش حاصل للشام؛ لأن ملائكة البليغِ الرحمةِ التي وسعت رحمته كل شي تحفها وتحوطها بإنزال البركات، ودفع المهالك والمؤذيات»[٣].

والمقصود من الحديث: أن حالها طَيِّب لها ولأهلها، والتكرار الذي جاء في بعض الروايات الأخرى يدل على التأكيد.

قالوا: (يا رسول اللَّه وبم ذلك؟): أي لأيّ شيء، أو لأيّ سبب قُلتَ ذلك؟

قال: (تلك ملائكة اللَّه باسطة): وفي رواية «ملائكة الرحمن» وفي رواية زيد: «الملائكة باسطو» باسطة: بسط: الشيء بالسين والصاد نشره[٤]. والمراد في البسط هو الرعاية والحفظ والحراسة الربانية لها، وبسط الأجنحة عليها كما يبسط الطائر جناحيه على صغاره لهو دلالة على أن الملائكة تحفها وتحوطها بإنزال البركة ودفع المهالك عنها.

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٠٢) باختصار.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٥٦٩).
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٤/ ٣٥٧).
(٤) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٢).

قوله: (أجنحتها): أي إن الملائكة تحفها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات: فيه إيماء إلى أنّ المراد بهم ملائكة الرّحمة (بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا) أي: على بقعة الشام وأهلها بالمحافظة عن الكفر[1].

قوله: (على الشام): سبق التعريف بها ومكانها وفضلها.

من فوائد الحديث:

١- من محبة اللَّه للشام وأهلها أن خصَّها وعلى الدوام بحراسة ملائكته لسمائها دون غيرها من البلدان.

٢- عظيم الثناء على الشام وأهلها في الحديث وغيره من أحاديث كثيرة.

٣- تعددت ألوان فضائل الشام وأهلها، وما جاء في بسط الملائكة أجنحتها على الشام مزية أخرى تضاف إلى ما سبق من أحاديث فضائل بلاد الشام.

* * * * *

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي (٢/ ١١٧).

الحديث التاسع والعشرون
إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُم

عن قُرَّةَ بنِ إِياسٍ المُزَني رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**إذا فَسَدَ أَهلُ الشَّام فلا خَيْرَ فيكُم، لا تَزالُ طائِفةٌ مِنْ أُمَّتي منصورينَ** وفي رواية: (منصورة على الناس)[١]، وفي رواية: (ظَاهِرِينَ)[٢]، وفي رواية: (ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ)[٣]، وفي رواية: (قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ)[٤]، وفي رواية: (يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[٥]، **لا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُم**، وفي رواية: (لَا يَضُرُّهُمْ خِذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ)[٦]، وفي رواية: (لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا)[٧]، **حَتَّى تقومَ الساعةُ**، (حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)[٨]، وفي رواية: (حَتَّى

---

(١) أخرجها السمعاني، في فضائل الشام (٤)، عن معاوية بن قرة.
(٢) أخرجها البخاري (٧٣١١)، عن المغيرة.
(٣) أخرجها أبو داود (٢٤٨٤) عن عمران بن حُصين.
(٤) أخرجها ابن ماجه (٧) عن أبي هريرة.
(٥) أخرجها مسلم (٢٤٧)، من حديث جابر بن عبد اللَّه.
(٦) أخرجها ابن حبان (٦١) وصححها الألباني في السلسة الصحيحة (٢٧٠ و٤٠٣) عن قرّة بن إياس.
(٧) أخرجها ابن ماجه (٨)، عن أبي هريرة.
(٨) أخرجها البخاري (٣١١٦) عن معاوية.

يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ)[١][٢].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

قرة بن إياس بن هلال بن زياد بن سليم بن أوس بن مزينة وهو أبو معاوية بن قرة.

صحابي جليل، سكن البصرة، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، ولم يرو عنه غير ابنه معاوية بن قرة، قتل رضي الله عنه سنة أربع وستين[٣] يوم أن خرج زمن معاوية رضي الله عنه لمقاتلة الأزارقة[٤].

شرح الحديث:

أدرك الأعداء أن الشام ميزان الأمة وقلبها النابض ودرعها الحصين، وأن الفساد إذا عم الشام فشى وانتشر في سائر الأوطان، فعملوا ليلًا

---

(١) أخرجها أحمد (١٩٩٢٠)، وأبو داود (٢٤٨٤)، كلاهما عن عمران بن حُصين.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥٩٧) بهذا اللفظ، والطبراني (٥٥ (٥٦)، وابن حبان (٧٣٠٢٠)، وابن أبي شيبة (٣٢٤٦٠)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي (ص٩١)، والسلسلة الصحيحة (٤٠٣) وقال: هو على شرط الشيخين، وصحيح الترمذي (٢١٩٢)، وصحيح الجامع (٧٠٢) وصححه الوادعي في الصحيح المسند (١/ ٨٣)، وشعيب الأرناؤوط في مسند أحمد (٣/ ٤٣٦)، قال أبو نعيم في رواية (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم): مشهور من حديث إياس غريب من حديث مسعر، فضائل الشام (ص٤٧).

(٣) التقريب (ص ٤٥٥).

(٤) انظر: معجم الصحابة (٥/ ٨٥) والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٢٨٠).

ونهارًا سرًا وجهارًا على تمزيق هذا الجسد وتفكيك مفاصله، لكنهم غفلوا أن الطائفة المنصورة لهم بالمرصاد.

قوله: (إذا فَسَدَ أَهلُ الشَّام): الخطاب هنا لأهل ذلك الوقت، بمعنى كثرة الفتن بينهم حينئذٍ، ومن معاني الفساد هنا هو الخروج عن طاعة الإمام، وفيه إشارة إلى زمان علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويحتمل أن المراد: فسادهم بكثرة المعاصي والطغيان وترك الجهاد.

قوله: (فلا خَيْرَ فيكم): إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم أي للقعود فيها أو التوجه إليها[(١)].

وخطابه ﷺ للناس عمومًا، لا لأهل ذلك الوقت الذين كان بعضهم حاضرين عنده ﷺ[(٢)]، ومعنى ذلك نفي الخير عن أهل الإسلام عند وجود الفساد في أهل الشام.

أصل أهل الشام:

جاء في الأثر أن أصل أهل الشام من ولد سبأ، وذلك ما رواه ابن عباس[(٣)] قال: إنَّ رجلًا سأل رسول اللَّه ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (٦/ ٤٣٣).
(٢) حاشية السندي على مسند أحمد (٢٤/ ٣٦٣).
(٣) أخرجه أحمد (٢٨٩)، والحاكم (٣٦٣٨) وقال: صحيح الإسناد.

امرأة أم أرض؟ قال: «بل هو رجل ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير عربًا كلها، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان».

قوله: (لا تَزالُ طائِفة): والجملة تفيد الاستمرارية «لا تَزالُ طائِفة» أي: إن الجهاد ماض ومستمرٌ لا ينقطع أبدًا.

وهي بشارة بأن الحق لا يزول بالكلية فيما بينهم والأمة بعامة، كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة، ومع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم مع شرط التوحيد فيهم.

الطائفة الجماعة من النّاس والتنكير للتّقليل أو التعظيم لعظم قدرهم ووفور فضلهم ويحتمل التّكثير أيضًا فإنّهم وإن قلّوا فهم الكثيرون فإن الواحد لا يُساويه الألف بل هم النّاس كلّهم[(١)].

وطائفة الشيء بعضه من الناس أو المال. والطائفة في الأصل هي: القطعة من الشيء. يقال: طائفة من كذا؛ أي: قطعة منه. وهي من الناس: الجماعة. قال مجاهد: هم من الواحد إلى الألف. وكذلك قال النخعي. وقال عطاء: أقله رجلان فصاعدًا. وقال الزهري:

(١) كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، للسندي (١/ ٧).

ثلاثة فصاعدًا. والطائفة هي الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة، وكأنها الجماعة الحافة حول الشيء، أقلها ثلاثة أو أربعة[١].

قال البخاري: «هم أهل العلم» أي المجتهدون، فلا يخلو الزمان من مجتهد حتى تأتي أشراط الساعة الكبرى، والطائفة تطلق لُغَة على الواحد فصاعدًا[٢]. وقال علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: هم أصحاب الحديث[٣]. وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فما أدري من هم[٤]، قال عياض: وأراد أحمد بأهل الحديث أهلَ السنة والجماعة ومن يعتقد مذهبهم[٥]، قال مطرف: وكانوا يرون أنهم أهل الشام[٦].

وفيها خصوص بعض الناس دون بعض، قال النووي[٧] رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي (١٢/ ٦١).
(٢) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، الحويني (٤/ ٥١١). وانظر: المختصر النَّصيح فِي تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، المهلب (١/ ٢١٤).
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، النووي، (١٠٨٣-١٠٨٤).
(٤) رواه الخطيب البغدادي في: «شرف أصحاب الحديث» (٦١).
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي (٦/ ٣٥٠)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ت: الدكتور يحيى إسماعيل.
(٦) شرح صحيح البخارى، ابن بطال (١/ ١٥٦).
(٧) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٥).

مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدّثون ومنهم زُهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أَنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرّقين في أقطار الأرض وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد اللَّهِ تعالى من زمن النَّبي ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر اللَّه».

قوله: (مِنْ أُمَّتي): أي أمة الإجابة وهي أمة محمد ﷺ.

قوله: (منصورين): أي بالحجج والبراهين أو بالسيوف والأَسنَّةِ؛ فعلى الأول هم أهل العلم وعلى الثاني الغزاة[1]، فإنهم منصورون باللَّه لما فيهم من الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي رواية: (على الحق)، أي: على تحصيله وإظهاره، وفي رواية: (ظاهرين): غالبين منصورين، وفي رواية: (على من ناوأهم)، أي: على من عاداهم وفي «شرح مسلم»: هو بهمزة بعد الواو وهو مأخوذ من ناء إليهم ونأوا إليه أي نهضوا للقتال، وفي «النهاية»: النواء والمناواة المعاداة، أَي: غالبين على أعدائهم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجه / كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، السندي (١/ ٧).

قوله: (لا يَضُرُّهُم): الضَّر: ضد النفع[١]، أي فلا يضرهم عدم نصر الغير لهم، حتى لا تخلوا الأرض من قائم للَّه بالحجَّة. أي لم يُعاونهم ولم ينصرهم من الخلق.

قوله: (مَنْ خَذَلَهُم): خذله: ترك عونه ونصرته[٢] وإغاثته[٣] ويقال: تُرك وحده[٤]، وبسبب ثباتهم على دينهم وتحاملهم على أنفسهم خذلان الناس لهم.

قوله: (حَتَّى تقومَ الساعةُ): أَي: إِلى قُرب قيام السَّاعةِ، وفي رواية: (حتى يقاتل آخرهم)، أي: المهدي وعيسى عليه السلام وأتباعهما.

فدل هذا الخبر أن الساعة تقوم أيضًا على قوم فضلاء، وأنهم فى صبرهم على دينهم كالقابض على الجمر[٥]. نسأل اللَّه لنا ولهم الثبات حتى الممات.

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي، (٣٧٩).
(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (١٧١).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٢٥٧).
(٤) غريب الحديث، الحربي (٣/ ٩٧٤)، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ت: سليمان إبراهيم محمد العايد.
(٥) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (١٠/ ١٤).

من فوائد الحديث:

١- أهل الشام معيار الأمة بصلاحهم أو فسادهم.

٢- إن فلاح الأمة ونجاحها مرهون بصلاح أهل الشام واستقامتهم أولًا.

٣- الطائفة المنصورة ماضية في الحق الذي تدعو إليه وتدافع عنه، في ظل خذلان أبناء جلدتها، ومع خذلان الناس لهم إلا أن اللَّه ناصرهم لا محالة على عدوهم.

٤- فيه دليل لكون الإجماع حجة، وهو أصح ما يستدل به[(١)].

٥- في الحديث أن أمة محمد هي آخر الأمم وأن منها من يقوم بأمر اللَّه حتى قيام الساعة.

٦- وفيه ضَمِنَ نبينا محمد ﷺ بقاء شريعته وإن ضيَّعها بعضهم أو قل عدد ناصريها أحيانًا.

٧- في الحديث بشارة للمؤمنين، أن الحق لا يضيع، وأن ناصريه قائمون به إلى قيام الساعة.

٨- وفيه دلالة على العموم والشمول في قوله ﷺ: «من خذلهم» وأن من خذلهم كثير كما نراه اليوم.

---

(١) قاله النووي، راجع كتاب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، (ص١٠٨٣-١٠٨٤).

٩- وفي الحديث أيضًا بشارة وتخفيف على أهل الشام فكثرة المتخاذلين عنهم لاتضرهم.

* * * * *

الحديث الثلاثون

عَسْقَلَانُ أَفضلُ الرّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَوَّلُ هَذا الأَمرِ نُبُوَّةٌ وَرَحمَةٌ، ثُمَّ يَكونُ خلافةً ورحمةً، ثُمَّ يكونُ ملكًا ورحمةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتكادمُونَ عَليهِ تَكادُمَ الحُمُرِ، وفي رواية: (الحميرِ)[1]، فعليكم بالجهادِ وإِنَّ أَفضَلَ جِهادِكُم الرِّباطُ، وَإِنَّ أَفضَلَ رِباطِكُم عَسْقَلانُ»[2].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الثاني عشر.

شرح الحديث:

عسقلان تلكم المدينة الفلسطينية المرابطة تحت نير الاحتلال الصهيوني تقلبت أحوالها بين رباط وجهاد مذ زمن بعيد بل وكانت

---

(١) أخرجها الطبراني في الكبير (١١١٣٨)، وقال الهيثمي (٥/ ١٩٠)، رواها الطبراني، ورجالها ثقات وصححها الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١١٣٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٠): «رجاله ثقات» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٧٠) غير أني لم أجد هذا الجزء من الحديث في السلسلة «ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً»!

من خير الرباط عما سواها من مرابط وثغور.

قوله: (أولُ هذا الأمر): ما بعث به من إِصلاح الناس دينًا ودُنْيا وهو الإِسلام وما يتعلَّق به من الأحكام[١].

قوله: (نبوةٌ ورحمةٌ): أي: ذا نُبُوة ورحمة كاملة، من نبي الرحمة على الأمة المرحُومة[٢].

قوله: (ثُمَّ يكونُ خلافةً ورحمةً): خلافَةً، أي: نيابة عن حضرة النبوة (ورحمَةً) وشفقة على الأمة بطرق كمال الولاية على وجه التبعية[٣]. وهي الخلافة الكاملة، وهي منحصرة في الأربعة، فلا يُعَارَض الحديث: «لَا يزال هذا الدين قائمًا حتى يملك اثنا عشر خليفة»؛ لأن المراد به مطلق الخلافة واللَّه أعلم[٤].

قوله: (ثم يكونُ ملكًا ورحمةً): ثم يكون: أي: أمر الدين بعد انقضاء زمان خلافة النبوة يكون ملكًا؛ لأن اسم الخلافة إِنما هو لمن صدق عليه هذا الاسم بعمله للسنة، والمخالفون ملوك لا خُلفاء، وإِنما تسموا بالخلفاء لخُلفِهِم الماضِي[٥]. وكانت إمارة معاوية مُلكًا ورحمة.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (٨/ ٣٣٧٨).
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، الشهير العظيم آبادي (١٠/ ١٦٤).
(٥) المصدر السابق.

قوله: (ثم يتكادمونَ عليه تكادُمَ الحُمُرُ): يتكادمون: الكدْم: العض بأدنى الفم كما يكدم الحمار[١]. أي: يقبضون عليها ويَعَضّونها[٢]. كدم الحمار كدمًا أي عض بأدنى فمه[٣] كتكادم الفَرَسين يعضّ أحدهما صاحبه، وكأنهم يتقاتلون على الملك حتى لا يبقي أحدهم الآخر.

قوله: (فعليكم بالجهادِ): أي الجهاد في سبيل اللَّه بقصد إعلاء كلمة لا إله إلا اللَّه.

أيهما أفضل الجهاد أم الرباط؟

اختلف أهل العلم: هل الجهاد أفضل أو الرباط؟ مع أن الحديث يدل على أن الرباط أفضل؛ لأن به الغاية التي تنتهي إليها أعمال البر، كما أن الرباط يحقن دماء المسلمين والجهاد يسفك دماء المشركين.

قوله: (وإن أَفضلَ جهادكم الرِّباطُ): يشير هذا الحديث مفاضلة الرباط على الجهاد، ومثله ما روي في الأثر عن عِصْمَةَ بن راشد، قال: سَمعت رجالًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يُفَضِّلون الرباط على الجهاد، قلت لأبي: ولِمَ؟ قال: لأن في الجهاد شروطًا كثيرة، وليست في الرباط[٤].

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٦٥).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٧٩٤).
(٣) جامع الأحاديث، السيوطي (١٠/ ٣١٥).
(٤) أخرجه سعيد بن منصور (٢٤١٢).

قال ابن حبيب: الرباط شعبة من الجهاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر، وقال أبو عمرو: شرع الجهاد لسفك دماء المشركين وشرع الرباط لصون دماء المسلمين، وصون دمائهم أحب إلي من سفك دماء أولئك وهذا يدل على أنه مُفَضَّل على الجهاد[١].

غير أن طائفة أخرى من العلماء ترى أن الرباط في المرتبة الثانيةِ من الجهاد؛ لأنَّ الرِّباط لا يكون من واحدٍ، بل يكون من التناوبُ، فانحط منه منزلةً[٢].

قوله: (وإن أفضلَ رباطِكم): الرباط في الأصل، الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبّه به ماذكر من الأفعال الصالحة والعبادة. قال القُتيبي: أصل المرابطة أن يربِط الفريقان خيولهم في ثغر، كل منهما مُعِدّ لصاحبه فسمي المقام في الثغور رباطًا، ومنه قوله: «فذلكم الرباط»[٣].

وأصل الرباط ما تربط به الخيل، ثم قيل لكل أهل ثغر يدفع عمن خلفه. وهو ملازمة الثغر أو المكان الذي بيننا وبين العدو. وفي اللغة من الربط، وهو الحبس والمنع، ومنه سمي الرباط، وهو لزوم الثغور

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٦/ ١٣٧).

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري، الديوبندي (٤/ ١٨٧)، دار الكتب العلمية - بيروت، ت: محمد بدر عالم الميرتهي.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣٤١).

والإقامة بها لصد عدوان الكافرين.

وسمى ﷺ الإقامة في المساجد لانتظار الصلوات رباطًا لما فيها من حبس النفس على الطاعة، وكفها عن الانهماك في الدنيا.

أجر الرباط في سبيل اللَّه:

وقد جاءت أحاديث صحيحة كثيرة تبين فضل الرباط في سبيل اللَّه قال رسول اللَّهِ ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(١).

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الرِّباط بالثغور أفضل من مجاورة مكة والمدينة كما جاء في الصحيح، عن النبي ﷺ قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٢).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل الأفضل المجاورة بمكة، أو بمسجد النبي ﷺ؟ أو المسجد الأقصى؟ أو بثَغْر من الثغور لأجل الغزو؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣) باب فضل الرباط في سبيل اللَّه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٢).

فأجاب: الحمد للَّه رب العالمين، المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة، كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة، بل قد اختلفوا في المجاورة: فكرهها أبو حنيفة، واستحبها مالك وأحمد وغيرهما، ولكن المرابطة عندهم أفضل من المجاورة، وهذا متفق عليه بين السلف، حتى قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أرابط ليلة في سبيل اللَّه أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود[1]. وذلك أن الرباط من جنس الجهاد، وجنس الجهاد مقدم على جنس الحج، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قيل له: أي العمل أفضل؟ قال: «الإيمان باللَّه ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل اللَّه». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». وقد قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٩-٢٢][2].

قوله: (عَسْقَلانُ): بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون. وهو

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٢٤-٢٥).

(٢) أخرجه ابن حبان (٤٦٠٣)، وابن عساكر في «الأربعين في الجهاد» (١٨) وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٦٨).

اسم أعجمي فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه أنها في أعلى الشام، وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها: عروس الشام وكذلك يقال لدمشق أيضًا، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدَّثَ بها خلق كثير[(١)]. قال صاحب الإشارات[(٢)] مادحًا عسقلان: «ثغر قليل مثله في البلاد في حسنه وحصانته».

ولا يعني هذا الحديث أن لعسقلان فضيلة دائمة ومزية شرعية خاصة، بل كان لها هذا الفضل لما كانت ثغرًا من ثغور المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما السفر إلى [عسقلان][(٣)] في هذه الأوقات فليس مشروعًا ولا واجبًا، ولا مستحبًا؛ ولكن عسقلان كان لسكناها وقصدها فضيلة لما كانت ثغرًا للمسلمين يقيم بها المرابطون في سبيل اللَّه[(٤)].

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ١٢٢).

(٢) الإشارات إلى معرفة الزيارات، أبو الحسن الهروي (٣٦)، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ت: علي عمر.

(٣) يجب التنبه من ورود أحاديث كثيرة لا تصح في عسقلان منها: عن الشيباني: (أن سليمان بن داود لما رد اللَّه إليه ملكه، مشى على رجليه من عسقلان إلى بيت المقدس في خرق عليه، تواضعًا للَّه عز وجل)، انظر: فضائل البيت المقدس، الواسطي، إصدار مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ت: عمرو الحويني، وقال إسناده ضعيف.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ١٧).

فعامة ما يوجد في كلام المتقدمين من فضل عسقلان فهو لأجل كونها كانت ثغورًا، لا لأجل خاصية ذلك المكان. وكون البقعة ثغرًا للمسلمين أو غير ثغر هو من الصفات العارضة لها[١].

[أما اليهود اليوم، فقد اسبتاحوها وطردوا أهلها منها وغيَّروا كثيرًا من معالمها].

ينقل لنا الدَّبَّاغ في سفره الكبير «بلادنا فلسطين» سيرة ومسيرة حافلة للمراحل التاريخية التي مرت بها هذه المدينة الكنعانية العريقة التي غير اسمها اليهود بعد ان احتلوها إلى اسم «أشكلون».

يقول هيرودوتس، المؤرخ اليوناني، إن أول بناء أُقيم للإله «ديركتو -Derketo» كان في عسقلان. وهذه الآلهة لها وجه المرأة وجسم السمكة؛ وكان عبّادها يمتنعون عن تناول السمك إكرامًا لها؛ وكانوا، بقرب هياكلها، يغذون لإكرامها سمكًا يربونه في أحواض يشيدونها لهذا الغرض.

ويخبرنا التاريخ، أنه كان في عسقلان معبد وثني شركي للبعلة أو (الرَّبَّة الأم)؛ وإن الحمامة كانت طيرًا مقدسًا عندها. ويقول هيرودوتس إن الذين أسسوا معبدًا للربة الأم في قبرص كانوا جماعة من الكنعانيين من مدينة عسقلان[٢].

---

(١) المرجع نفسه (٢٧/ ٥٣).

(٢) مجلة الأبحاث ج٢/ ١٩٤٨ ص٦١ بيروت.

ولما نزل «الكريتيون» - الفلسطينيون- أرض فلسطين، كانت عسقلان المدينة الوحيدة من مدنهم الخمسة التى تقع مباشرة على ساحل البحر.

لما فتح العرب المسلمون بلاد الشام امتنعت عسقلان وحوصرت زمنًا طويلًا، وفي فتوحها قال البلاذري: «كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين، ففتح عسقلان صلحًا بعد كيد. ويقال: إن عمرو بن العاص كان فتحها ثم نقض أهلها، وأمدّهم الروم، ففتحها معاوية وأسكنها الروابط ووكَّل بها الحفظة»، وعلى كل فإنها كانت آخر مدينة استسلمت للعرب المسلمين في فلسطين، وانتهت بفتحها سنة (٢٣هـ - ٦٤٤م). الحرب في هذا القطر، ودخل في حوزة المسلمين.

في أيام عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه [١]، نزل الروم عسقلان وأخربوها وأجلوا أهلها عنها، ولما ولي «عبد الملك بن مروان ٢٦-٨٦هـ: ٦٤٦-٧٠٥م» الخلافة أعاد بناءها وحصنها.

وفي سنة ٢٣٧هـ حدثت في عسقلان حريقة عظيمة التهمت البيوت والبيادر وهرب الناس ودامت إلى ثلث الليل.

وفي عهد الدولة الفاطمية كانت السواحل السورية معرضة لغزو

(١) هو عبد اللَّه بن الزبير بن العوام؛ كان أول طفل ولد في المدينة المنورة في الإسلام.

البيزنطيين مما اضطر الفاطميين لأن يكونوا لهم أسطولًا قويًا، كانت عسقلان أحد مراكزهم للرسوّ والإقلاع، وفي عهدهم كانت عسقلان إحدى الدور[١] التى كانت تضرب فيها النقود، كما كانت هي وعكا من الموانئ التى تصنع فيها الأساطيل.

وفي سنة ٤٢٥هـ، حصلت زلزلة في فلسطين سقطت على إثرها منارة جامع عسقلان وجزر البحر نحو ثلاثة فراسخ[٢]، فخرج الناس يتتبعون السمك والصدف. فعاد الماء فأخذ قومًا منهم وغمرهم.

وزارها، في القرن الخامس الهجري، ناصر خسرو وذكرها بقوله: «ثم بلغنا مدينة تسمى عسقلان، بها سوق وجامع جميل، رأيت بها طاقًا جميلًا، قيل إنه كان مسجدًا، وهو طاق من الحجر الكبير، ولو أرادوا هدمه للزمهم إنفاق مال كثير»[٣].

سقوط عسقلان بيد الإفرنج عام: ٥٤٨هـ - ١١٥٣م:

رأى بَلْدَوين الثالث (بَقدَوين) ملك بيت المقدس وجوب الاستيلاء على عسقلان، المدينة التى وقفت خمسين سنة دون أن تفتح أبوابها للإفرنج الذين كانوا قد استولوا على فلسطين.

---

(١) وهذه الدور هي: القاهرة والإسكندرية وصور وقوص.

(٢) الفرسخ الواحد يعادل (٥٥٤٤) مترًا تقريبًا.

(٣) بلدانية فلسطين العربية (١٥٧). والطاق؛ ما عطف من الأبنية أي جعل كالقوس من قنطرة نافذة وما أشبه ذلك.

عاد الإفرنج وشدَّدوا حصارهم، ولكن المحصورين قاوموا مقاومة شديدة ودافعوا دفاعًا مجيدًا. ولكن الحصار طال وازداد هجوم الصليبيين عنفًا فلم تجد حامية عسقلان بدًا من طلب التسليم. اتفق الطرفان على منح العسقلانيين مدة ثلاثة أيام يخرجون فيها من المدينة بحرية وأمان، إلا أن الصليبيين لم يعملوا بهذه الشروط، فقد قتلوا الكثيرين من أعدائهم، ونهبت جنودهم الأموال والمتاع، شأنهم في ذلك شأن كل بلد يدخلونه.

وهكذا انتهى أمر هذه المدينة التي اضطرت للتسليم بعد مضي خمسة شهور على حصارها، وكان ذلك في ٢٧ جمادى الثانية ٥٤٨هـ: ١٩ أغسطس١١٥٣م، في أيام الخليفة الظافر أبي منصور ابن الحافظ العسقلاني ٥٤٤-٥٤٩هـ (١١٤٩-١١٥٤م. وقام الصليبيون، بعد دخولهم البلدة، بتحويل جامعها الكبير إلى كنيسة باسم «القديس بولس» وضمت هذه الكنيسة إلى أُسقفية بيت لحم.

وقد ذكر الإدريسي (المتوفى عام ٥٦٠هـ: ١١٦٥م). عسقلان أثناء احتلال الصليبيين لها بقوله: «وأما مدينة عسقلان فهي مدينة حسنة ذات سورين، وبها أسواق وليس لها من خارجها بساتين، وليس فيها شيء من الشجر، واستفتحها صاحب القدس بعساكر الروم من الفرنج وغيرهم، في سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م، وهي الآن بأيديهم، وعسقلان معزوزة في أرض فلسطين».

وفتحت المدينة أبوابها لصلاح الدين في يوم السبت الواقع في ٢٩ جمادى الثانية ٥٨٣هـ: ٤ أيلول ١١٨٧م. بعد حصار امتد أربعة عشر يومًا.

وقد فوَّض السلطان صلاح الدين القضاء والحكم والخطابة، وجميع الأمور الدينية بمدينة عسقلان وأعمالها إلى «جمال الدين أبي محمد بن عبد اللَّه بن عمر الدمشقي» المعروف بقاضي اليمن.

وفي الثالث من محرم عام ٥٨٨هـ، احتل الإفرنج عسقلان وناحيتها وتشاوروا في إعادة تحصينها وإعمارها.

بقيت هذه المدينة في يد الإفرنج إلى أن تمكن من استردادها الأمير فخر الدين بن الشيخ في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٦٤٥هـ: ١٥ تشرين الأول ١٢٤٧م. وفخر الدين هذا أحد قواد الملك الصالح الأيوبي الذي يعد من أعظم بني أيوب ملكًا وأحزمهم أمرًا.

بقيت أطلال عسقلان، مدة طويلة، تستعمل كمحجر تأخذ منها الحجارة للبناء في غزة وغيرها حتى لم يبق شيء من أطلالها فالجوامع التي بناها أحمد باشا الجزار في نحو ١٧٩٠م، جُلِبت أكثر حجارتها من بقايا مدينة عسقلان[١].

---

(١) بإختصار وتصرف يسير، من كتاب: بلادنا فلسطين، الدباغ، الجزء الأول، القسم الثاني (١٥٦إلى ١٨٥).

من فوائد الحديث:

١- تكرار الرحمة في الحديث هو أمر اختصت به أمة محمد ﷺ ودلالة على رحمة اللَّه بهذه الأمة مع ما يجري عليها من تغير في الأحوال.

٢- التكادم فيه إشارة إلى ما سيصل إليه المسلمون من تفرقة، وتنازع على السلطة كما هو حاصل في هذا الزمن!

٣- رَتَّب الشارع الكريم الأجر العظيم على الرباط؛ لما فيه من ترقب واستنفار وجاهزية عالية في وقت طويل.

٤- قد يترتب على بعض الأماكن فضل وأجر يزول بزوال السبب، كما هو في حديث فضل الرباط في عسقلان.

٥- مع أن هذا الحديث قد رتب أجر الرباط في عسقلان في زمن مضى إلا أنه لا يمنع أن يعود بترتيب أجر الرباط فيها مرة أخرى، واللَّه أعلم.

* * * * *

الحديث الحادي والثلاثون
نُزُولُ الْخِلافَةِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَة آخِرَ الزَّمَانِ

عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَوالَةَ الأَزدِيِّ رضي الله عنه ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْ النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»(١).

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

هو عبد اللَّه بن حَولي الأزدي، ويقال هو ابن حَوَالَةَ، صاحب رسول اللَّه ﷺ ، وحديثه مشهور في فضيلة الشام(٢). وحوالة اسم أبيه وكنيته بفتح الحاء المهملة وبعدها واو مفتوحة ولام مفتوحة وتاء تأنيث(٣). له صحبة كان مسكنه الأردن(٤)، وقيل: إنه سكن دمشق وقدم مصر مع مروان بن الحكم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٨٧) و (٢٢٥٤٠)، و أبو داود (٢٥٣٥)، والحاكم (٤/ ٤٧١) وقال: «صحيح الإسناد»، والبيهقي (١٨٣٣٣) والبخاري في التاريخ (٨/ ٤٣٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٧٨٣٨)، وصحيح أبي داود (٢٥٣٥).

(٢) الأنساب، للسمعاني (٢/ ٢٩٠).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، العظيم آبادي، (١٠٩٩-١١٠٠).

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور (١/ ٨).

سبب ورود الحديث:

عن ضمرة: أن ابن زُغب الإيَادي[١] حدثه قال: نزل علي عبد اللَّه ابن حوالة الأزدي فقال لي: بَعَثَنا رسول اللَّهِ ﷺ لِنَغنَم على أَقدَامنا، فرجعنا فلم نَغنَم شَيئًا، وَعَرَفَ الجَهدَ في وُجُوهنا فقام فينا فقال: «اللَّهُمَّ لا تَكِلهُم إِليَّ فَأَضْعُفَ عَنهُم، ولَا تَكِلهُم إِلى أَنفُسِهِم فَيَعجِزُوا عَنهَا، وَلَا تَكِلهُم إِلَى النَّاسِ فَيَستَأثِرُوا عَلَيهِم». ثم وضَع يَدَهُ على رأسي - أو قال: على هامَتي - ثم ذكر الحديث[٢].

شرح الحديث[٣]:

لازلنا نعيش مع الأرض المقدسة أحوالًا وألوانًا من الفضل والكرم الرباني لها من بداية التاريخ إلى نهايته، فهاهي الخلافة تعود إليها من جديد حتى تختم الدنيا بها وفيها.

قوله: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَغْنَمَ): أرسلنا رسول اللَّه ﷺ لنأخُذَ الغنيمة.

---

(١) قال المنذري: ابن زغب بضم الزاي وسكون الغين المعجمة وبعدها باء بواحدة. ذكر الأمير أبو نصر أن له صحبة، وحكى عن أبي زرعة الدمشقي أن اسمه عبد اللَّه. ذكره العلامة محمد آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد (ص١٠٩٩). وجاء في المستدرك على الصحيحين، للحاكم، حديث (٨٣٠٩) أن عبد الرحمن بن زُغب الإيادي معروف في تابعي أهل مصر.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٥).

(٣) شرح الحديث مقتبس من عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد (ص١٠٩٩-١١٠٠) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (٨/ ٣٤٣٤).

قوله: (عَلى أَقْدَامِنَا): ماشين على أقدامنا، وليس لنا مركب وهو حال من الضمير في بعثنا أي بَعَثنا لنأخذ الغنيمة رِجَالًا غير ركاب.

قوله: (فَرَجَعنَا فَلَمْ نَغنَم شَيئًا): فَرَجعنا سالمين مأمونين (فَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا) وصِرنا مغمومين محزونين لعدم حصولنا على الغنيمة.

قوله: (وَعَرَفَ الْجَهْدَ): بالفتح، والضَّم، قال ابن الملك: الجهد بالضَّمِّ الطَّاقَةُ وبالفتح المشقَّةُ، والمرادُ به هنا المشقَّةُ، أَي: وعَرَفَ منا مشقة أَلَم فقد الْغنيمة.

قوله: (فِي وُجُوهِنَا): فيما ظَهَر على وجوهنا من آثار الكَآبة والحُزن والخجالة والحياء.

قوله: (فَقَامَ فينا): أَي: قام خطيبًا لأجلنا أو فيما بيننا.

فَقَالَ: (اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِليَّ): دعا لهم رسول اللَّه ﷺ: لا تكلهم، من الوُكُول أي: لا تَترُك أُمُورَهُم، من وكل إليه الأمر وكلًا ووكولًا سلمه، «إِليَّ»: أي: إلى أمري وخاصة نفسي.

قوله: (فأضعف عنهم): أي عن مؤنتهم لأن الإنسان خلق ضعيفًا، وأنه كمخلوق من حيث هو عاجز عن نَفسه، فكيف به عن غيره، فهو كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس: ٤٩].

قوله: (وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا): ثم في تأخير أنفسهم

عن نفسه ﷺ إيماءٌ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦]، أي عن مؤنة أنفسهم.

قوله: (وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ): أَي: لا توكل أمورهم إلى الخلق، وإنما خصَّ الناس لقرب الاستئناس.

قوله: (فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ): عَدَل عن قَولِه «فَيَعْجِزُوا»، إلَى قَوله: «فَيَستَأْثِرُوا»، إشعارا منه ﷺ أنهم لا يكتفون بإظهار العجز فقط، بل يتبادرون إلى اختيار الجيد لأنفسهم والرديء لغيرهم، قال الطيبي: المعنى لا تفوض أمورهم إليَّ فأضعف عن كفاية مؤونتهم، ولا تفوضهم إلى أنفسهم فيعجزوا عن أنفسهم لكثرة شهواتها وشرورها، ولا تفوّضهم إلى الناس فيختاروا أنفسهم على هؤلاء فيضيعوا، بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد[(١)].

وهذا فيه تعليم من النبي ﷺ لأمته أن يكلوا أمورهم إلى اللَّه تعالى، ويعتمدوا في جميع حوائجهم عليه، فمن توكَّل على اللَّه كفاه أمور دينه ودنياه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله: (ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي أو على هامتي): شك من الراوي. الهامة رأس كل شيء. ووضع يده ﷺ لحكمة لفت الانتباه ولتشبيه قرب دنو الساعة كقرب يد النبي من راس ابن حواله، وفي وضع يد

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (٨/ ٣٤٣٥).

النبي حنوه وعطفه عليه ومع ما في يد النبي ﷺ من بركة وتشريف له أن نال بركة وضع يد النبي ﷺ على رأسه، ويَحتَمل أنه استمر في وضع يده الشريفة حتى فَرَغ من الكلام، ويحتمل أنه وضعها ثم رفعها.

قوله: (يا ابن حوالة): اعتادت العرب أن تنسب الشخص إلى أبيه من غير ذكر اسم المخاطب كقول النبي ﷺ: يا ابن حوالة، ولم يقل له يا عبد اللَّه بن حوالة.

قوله: (إذا رأيتَ الخلافَةَ): أي خلافة النبوة.

قوله: (قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ): أي أنها ستكون مقر الخلافة الراشدة آخر الزمان، ومكانها فلسطين كما جاء عن ابن الكلبي في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، هي أرض فلسطين، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧١]. قال هي فلسطين[(١)].

كما سبق التعريف بالأرض المقدسة وحدودها عند الحديث الرابع عشر.

قوله: (فقد دَنَتِ الزلازل والْبلابِل): أي: قربت واقتربت الزلازل هي الحركة، وهي في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، البلابل: جمع بلبال أو بَلبلَ، وهو هم القلب، وهو ما

(١) معجم البلدان، الحموي (٤/ ٢٧٤ - ٢٧٥). وجاء في (لسان العرب - فلسط).

يؤدي إليه من الشدائد[١]. وهي الهموم والأحزان. وبَلْبَلَة الصَّدر: وُسْواسه[٢].

قوله: (وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ): أَي: من أَشراطِ السَّاعة.

قوله: (وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ من رأسِكَ): أي: يدي الموضوعة على رأسك.

والحديث فيه دلالة أن الشام هي المقر الآمن لأهل الإيمان آخر الزمان وأنها خير مأوى لهم لكثرة ما يقع في غيرها من البلدان من فتن وأحداث، وقد أشار إلى ذالك صاحب كتاب المحاسن الشامية: يدل على كثرة الزلازل وكثرة الحوادث الأرضية من المهالك في أطراف الأرض، وكثرة الحتوف اللازم كثرته لخراب الأرض، وتكون الشام خالية من ذلك، فيكثر رحيل الناس إليها ليأمنوا، لأن الساعة يتقدمها أهوال.

وكفى بها من محاسن أن أوّل ما ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض يكون إلى دمشق[٣].

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي، (٣/ ٣٥٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير (٨٧).

(٣) المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي، القسم الثاني (٣٧٦)، منشورات وزارة الثقافة السورية، ت: حكمت إسماعيل.

من فوائد الحديث:

١- الرسول ﷺ يبشر المسلمين بنزول الخلافة الأرض المقدسة، مع أنها كانت في زمانه تحت سلطان الرومان الصليبيين.

٢- في الحديث بث الأمل واليقين في نفوس مسلمي اليوم بأن فلسطين التي يحتلها اليهود مذ عقود من الزمن، ستعود إلى حياض الإسلام والمسلمين بل ستكون مقرًا للخلافة في آخر الزمان.

٣- الرسول ﷺ عرف الجهد عليهم من غير شكوى منهم وهذا من نباهة النبي ﷺ وعظيم مشاعره الفياضة.

٤- القائد الفذ يبادر برفع المعنويات والتذكير بالمبشرات عند الحاجة لذلك.

٥- في الحديث بيان أن الأعمال إنما تحتسب بالنية الصالحة[١].

٦- فيه ذم الحرص على الدنيا[٢].

٧- الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ أن يخبر بنزول الخلافة الأرض المقدس فلسطين، وأنها من أمارات آخر الزمان وأشراط الساعة الكبرى.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (٥/ ٢٣١)، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) المصدر السابق.

الحديث الثاني والثلاثون
فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ

عن عَوفِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتيتُ النَّبيَّ ﷺ في غَزوَةِ تَبوكٍ وهُوَ في قُبَّةٍ مِن[1] أَدَمٍ، وفي رواية: (خباء)[2]، وفي رواية: (فجلست بفناء الخِباء، فقال رسول اللَّه ﷺ: ادخل عوف. فقلت: بكلِّي يا رسول اللَّه؟ قال: بكلك)[3]، فَقَالَ: اعْدُدْ، وفي رواية: (احفظ)[4]، سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ: مَوتي، ثُمَّ فَتحُ بَيتِ المقدِسِ، ثُمَّ مُوْتانٌ يأخُذُ فيكُم كَقُعاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ استفاضَةُ المالِ حَتىَّ يُعطَى الرَّجُلُ مائَةَ دينارٍ، فَيظَلُّ ساخِطًا، ثُمَّ فِتنَةٌ لا يَبقى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إلّا دَخَلتهُ، ثُمَّ هُدنةٌ تَكونُ بينكُم وَبَينَ بَني الأَصفَرِ فَيَغدِرونَ فَيَأتونَكُم تَحتَ ثَمانينَ غايةً تَحتَ كُلِّ غايةٍ اثنا عَشَرَ ألفًا)، وفي رواية: (فُسْطَاطُ المسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الغُوطَةُ، فِي مَدِينَةٍ

---

(١) أخرجها ابن ماجه، عن عوف بن مالك الأَشجَعيّ (٦٦٧٥) والبيهقي، في السنن الكبرى (٢١١٧٠)، وصححها الألباني، في صحيح النسائي (٤١٤).

(٢) وفي شرح السنة، للبغوي (١٥/ ٤٣)، لم أجد لفظة «من».

(٣) أخرجها ابن ماجه (٤٠٤٢)، عن عوف بن مالك الأَشجعيّ، وصححها الألباني في صحيح الجامع (٧٨٣٣).

(٤) أخرجها ابن ماجه (٤٠٤٢)، عن عوف بن مالك الأَشجعيّ وابن حبان (٦٦٤٠).

يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ)[١]»[٢].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، في كنيته أقوال منها: أبو عبد الرحمن، ممن شهد فتح مكة. من نبلاء وشجعان الصحابة.

حدث عنه جملة منهم: أبوهريرة، وأبو مسلم الخولاني، وجبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم.

شهد موت النبي ﷺ وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[٣]. نزل حمص وسكن دمشق.

دخل عوف بن مالك هو وذو الكلاع مسجد بيت المقدس، فقال له عوف: عندك ابن عمك، فقال ذو الكلاع: أما إنه من خير أو من أصلح الناس، فقال عوف: أشهد لسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف[٤]. وشهد غزوة مؤتة. توفي رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين[٥].

---

(١) أخرجها أحمد (٢٣٩٨٥)، عن عوف بن مالك الأَشجعيّ، والطبراني في «الكبير» (٧٢)، والبزار في «مسنده» (٢٧٤٢)، والحديث بتمامه قال عنه الألباني: «صحيح» في «فضائل الشام ودمشق» (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وابن ماجه (٤٠٤٢).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، القرطبي (١١٥٣).

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٩٧٢)

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٤٨٧).

عدد أحاديثه: ٦٧ حديثًا[١].

شرح الحديث:

في هذا الحديث مما أُوحِي للنبي ﷺ من أمور ستقع آخر الزمان فكانت من أعلام نبوة محمد ﷺ حيث أخبر عن أمور واضحة المعالم ستكون، كلها وقعت وبقي منها واحدة.

قوله: (أَتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوةِ تَبوكَ): يخبر الصحابي الجليل عوف عن نفسه أنه أتى النبي ﷺ وذلك في رجب سنة تِسعٍ لما كان في غزة تبوك، وقد خرج إليها رسول اللَّه ﷺ في حَرّ شديد، وسفر بعيد، ومعه عدد كثير قرابة الثلاثين ألفًا، فكشف للناس أمر الغزوة ووجهتها ليتأهبوا لها، وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم لملاقاة الروم.

قوله: (وهُوَ في قُبَّةٍمن[٢] أَدَم): «أَدَم» بفتحتين جمع أديم، وهو الجلد[٣]. أي: قُبة من جلد[٤]. وفي رواية: «خباء» بكسر الخاء، واحد الأخبية من وبرٍ أو صوفٍ، ولا يكون من شعر، وهو على عمودين، أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت[٥].

وفي رواية عن عوف: «فجلست بفناء الخباء».

---

(١) الأعلام، الزركلي (٣/ ١٣٠).
(٢) وفي شرح السنة، للبغوي ١٥/ ٤٣، لم أجد لفظة «من».
(٣) لسان العرب، ابن منظور (١/ ١٠٣).
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٧٧).
(٥) مختار الصحاح، محمد الرازي (١٦٩).

فقال رسول اللَّه ﷺ ادخل عوف. فقلت: بكلِّي يا رسول اللَّه؟ قال: بكلك): بِكُلِّي: أراد عوف منها أن الخباء أو القبة كان صغيرًا بحيث أن عوف تشكَّك من سعة المكان لكامل جسده وهذا من أدبه حتى لا يُضيق على النبي أو يحرجه.

قوله: (فقال: اعْدُدْ سِتًّا): وفي رواية: «احفظ»: أي احسب وعُد ست علامات لقيام الساعة، أو لظهور أشراطها المقتربة منها.

قوله: (بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ): أي: قدَّامَها، الساعة: جزء من أجزاء الليل والنهار[(١)] وتطلق بمعنيين: أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءًا من مجموع اليوم والليلة، والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال: جلست عندك ساعة من النهار، أي: وقتًا قليلًا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة[(٢)].

قوله: (مَوتي): أي: موت النبي ﷺ وكان أول أشراطها.

قوله: (ثُمَّ فَتحُ بَيتِ المقدِسِ): أي: فتحه بعد موته ﷺ، وقد فتحت سنة ستّ عشرة وفيها قدم عمر رضي الله عنه الجابية[(٣)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٤/ ٧٤٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ص٤٥٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٢/ ١٦٧-١٦٨)، من طريقين آخرين عن محمد بن عائذ. وقد ساق ابن عساكر جملة من الآثار في «تاريخه» بنحو هذا، فساق عن عبد اللَّه بن جعد، عن يعقوب بنحوه، وعن أبي معشر كذلك، وانظر «تاريخ دمشق» (٢/ ١٦٧-١٦٨).

قلت: ولا يمنع أن يكون هناك احتلال له ثم فتح، ولعدة مرات إلى قيام الساعة.

أكثر المؤرخين ذكروا أن فتح، بيت المقدس كان في سنة خمس عشرة من الهجرة، وذكر الطبري وقائع الفتح في أحداث هذه السنة، وتبعه كذلك ابن كثير[١] وغيره، قال ابن كثير في حوادث سنة خمس عشرة: فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب، ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر، وملخص ما ذكره هو وغيره: أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى اللَّه وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، فركب إليهم في جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس، وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك، فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم؛ ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم، وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم؛ ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال علي، ولم يهو ما قال عثمان.

وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة علي بن أبي

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦-٥٩).

طالب، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة، وترجل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبِّل يد عمر، فَهَمَّ عمرُ بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكف أبو عبيدة، فكف عمر.

ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء.

ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص، وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة، فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت اليهودية.

ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو العُمريّ اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما

كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك.

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بإيلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود، قال لهم: إنكم لخليق أن تُقْتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد. كما قُتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا، ثم أمروا بإزالتها، فشرعوا في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه «المستقصى في فضائل المسجد الأقصى».

قوله: (ثُمَّ مُوْتانٌ): بضم الميم، وسكون الواو، هو الموت. أو الموت الكثير الوقوع[(١)]، وهو في الأصل موت عام، يقع في المواشي[(٢)].

أما بفتح الميم والواو هو الأرض التي لم تحي[(٣)]. قال ابن

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٨٨٦).
(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٤١).
(٣) شرح السنة، البغوي (١٥/ ٤٤).

الجوزي: يغلط بعض المحدثين فيقول موتان بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحي بالزرع والإصلاح[١].

قوله: (يأخُذُ فيكُم كَقُعاصِ الغَنَمِ): القعاص: بالضم فإنه داء يأخذ الغنم لا يُلبثها أن تموت، منه أُخِذَ الإقعاص في القتل وهو القتل على المكان، يقال: رميت الصيد فأقعصته، إذا مات مكانه، ويقال: ضربه فأقعصه[٢].

والقعاص: داءٌ يأخذ في صدر الغنم، وهو داء يصيب الدواب، فيُسيل من أنوفها شيئًا فتموت فجأة. ويقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون «عمواس» وهي بلدة في فلسطين على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس[٣]. ووقع في سنة ثماني عشرة للهجرة على المشهور الذي عليه الجمهور، ثم انتشر في أرض الشام، فمات فيه خلق كثير من الصحابة عليهم السلام بلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرين ألفًا وقيل سبعون ألفًا من المسلمين في ثلاثة أيام[٤]. ومات فيه من المشهورين أبوعبيدة عامر بن الجراح

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي.

(٢) شرح السنة، البغوي، (١٥/ ٤٤). غريب الحديث، الهروي (٢/ ٨٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير (٧٦٣)، مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٤٥).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٣٢١).

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٤١).

أمين هذه الأمة[١]. وانظر الحديث التاسع عشر من هذا الكتاب.

قوله: (ثُمَّ استفاضَةُ المالِ): استفاضة المال: كثرته، وأصله التفرُّق والانتشار، يقال: استفاض الحديث: إذا انتشر[٢]، وظهر ذلك في خلافة عثمان بن عفان بسبب الفتوح العظيمة.

قوله: (حتى يُعطَى الرَّجُلُ مائَةَ دينارٍ، فَيظَّلّ ساخِطًا): ساخطًا: ضد الرضا وهو الكراهية للشيء وعدم الرضا به[٣]، أي: غاضبًا، غير راض[٤].

قوله: (ثم فتنةٌ): سبق شرحها في الحديث الثاني والعشرين.

جاء في الفتح: «أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر، والإثم، والتحريق، والفضيحة، والفجور، وغير ذلك»[٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي يحرقون بالنار.

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ١٥٧-١٥٨)، والبداية والنهاية، ابن كثير (٧/ ٩٤).
(٢) شرح السنة، البغوي (١٥/ ٤٤).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٤٢٢).
(٤) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٩٠).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٣/ ٥).

قوله: (لا يَبقى بيتٌ مِنَ العربِ إلّا دَخَلتهُ): والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان، واستمرت أنواع وألوان الفتن بعده إلى يومنا هذا مما يشيب لها الولدان. قيل: إنما خصّ العرب لشرفهم وقربِهم منه، ففيه نوع تغليب، أو إيماء إلى ما قيل: إن من أسلم فهو عربي[(١)].

قوله: (ثُمَّ هُدنةٌ): هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه[(٢)]. والهدنة هي السكون والصلح[(٣)]. والموادعة بين المسلمين والكفار، وبين كل متحاربين.

قوله: (تَكونُ بينكُم وبينَ بني الأصفرِ): وبنو الأصفر: هم الروم[(٤)]. كان المسلمون يسمون الدولة البيزنطية في جملتها: بلاد الروم، ولفظ الرومي أي الروماني في العصور الإسلامية الأولى كانت ترادف عندهم (نصراني) سواء كان من اليونان أم اللاتين. وكانوا يعرِّفون البحر المتوسط باسم «بحر الروم» أيضًا ثم اختصر اسم (بلاد الروم) إلى (الروم) فقط.

وصارت لفظة الروم بمرور الأيام اسمًا لأقرب الأقاليم النصرانية من بلاد الإسلام. ومن ثمَّ صار (الروم) اسمًا لآسية الصغرى عند العرب[(٥)].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري (٨/ ٣٤١١).
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٢٧٨).
(٣) غريب الحديث، الهروي (٢/ ٨٧).
(٤) شرح السنة، للبغوي (١٥/ ٤٤).
(٥) بلدان الخلافة الشرقية (ص١٥٩)، تأليف: كي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس غوار، الناشر مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

قوله: (فيغدِرونَ): هذه طبيعتهم وجهول من ظن فيهم غير ذلك. قال المُهَلَّب: في هذا الحديث علامات النبوة، وأن الغدر من أشراط الساعة[١].

قوله: (فيأتونَكُم تَحتَ ثَمانينَ غاية، تَحتَ كُلِّ غايةٍ اثنا عَشَرَ ألفًا): الغاية هي العلم ومن قال: غاية: فإنه يريد الراية[٢]، ويروى بالباء ومعناها: الأجمةُ شَبَّهَ كثرةَ رماح أهل العسكر بها[٣] ويقال للسحابة: غاية، وسميت الراية بذلك؛ لأنها تشبه السحاب لمسيرها بالجو، ولأنها تُظل الأجناد، فكأنهم؛ لكثرة راياتهم، واتصال ألويتهم كالسحاب الذي يظلل الإنسان[٤]. وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف.

وجملة العدد المشار إليه تسعمائة وستون ألفًا[٥]، وهذه الفتنة السادسة لم تجئ بعد.

---

(١) شرح صحيح البخارى، ابن بطال (٥/ ٣٥٧).

(٢) شرح السنة، البغوي (١٥/ ٤٤). ووقع في حديث ذي مخبر عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ «راية» بدل غاية. انظر شرح الحديث: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٣٣٣ - ٣٣٥).

(٣) شرح السنة، البغوي (١٥/ ٤٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٨٦).

(٥) انظر شرح الحديث: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٣٣٣ - ٣٣٥).

من فوائد الحديث:

١- أفاد الحديث أن الروم سيغدرون بالمسلمين، وما أكثر ما نراه اليوم من غدر الروم للمسلمين بخاصة حتى من أخلصوا في خدمتهم وكانوا سدنة لهم من بعض الذين أفنوا عمرهم خدمة لأمريكا وبريطانيا وسائر الغرب الكافر.

٢- أما استفاضة المال فهي سمة في زماننا وقد يأتي زمان تفوق فيه الاستفاضة عن زماننا واللَّه أعلم، أما السخط وعدم الرضا بما في أيدي الناس من مال فهي سمة بارزة في أهل زماننا بخاصة، ولعل سبب ذلك هو انتزاع البركة، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

٣- في الحديث دلالة على نبوة محمد ﷺ، وإرشاد منه بما سيقع بعد زمانه، فمنها ما وقع مثل: موته ﷺ وفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب، والطاعون فقد وقع في عهد عمر بن الخطاب كذلك، وهو ما عرف بطاعون عمواس.

٤- قال المُهَلَّب: فيه أن الغدر من أشراط الساعة. وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها[(١)].

٥- قال ابن المنير: أما قصة الروم فلم يجتمع إلى الآن ولا بلغنا

(١) انظر شرح الحديث: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٣٣٣ - ٣٣٥).

أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد[١].

٦- فيه بشارة ونذارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه[٢].

* * * * *

(١) انظر شرح الحديث: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٣٣٣ - ٣٣٥).

(٢) المصدر السابق.

الحديث الثالث والثلاثون

عمْرَانُ بَيْت الْمَقْدِسِ آخِر الزَّمَانِ

عن معاذِ بنِ جبل رضي الله عنه قالَ: قالَ رسول ﷺ: «عُمْرانُ بَيتِ المقدِسِ خَرابُ يَثرِبَ، وخَرابُ يَثرِبَ خُروجُ الملحَمةِ، وخروجُ الملحَمةِ فَتحُ قُسطنطينيَّةَ، وَفَتحُ القُسطَنطينيَّةِ خُروجِ الدَّجَّالِ»[(١)].

وذكر أبو داود تكملة للحديث: (ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ [منكبيه] ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ - يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ-)[(٢)].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري بن الخزرج، المدني، البدريُّ. نزل حمص، وكان طويلًا، حسنًا، جميلًا. كنيته

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (٢٢١٧٤)، وأبو داود (٤٢٩٤) بهذا اللفظ، وسكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكة: «كل ما سكت عنه فهو صحيح» وابن أبي شيبة (٣٧٤٧٧)، والطبراني (٢١٤)، وأشار ابن حجر في هداية الرواة (٥/ ١٠٧) إلى أنه حسن كما قال في المقدمة، والبغوي في شرح السنة (١٥/ ٤٧). وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٠٩٦)، وانظر صحيح أبي داود (٤٢٩٤)، ومشكاة المصابيح (٥٤٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٠٥) وأبو داود (٤٢٩٤)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه كتاب الملاحم وقال عنه حسن.

أبو عبد الرحمن ولم يولد له قط، وأما ابن سعد، فقال: له ابنان: عبد الرحمن، وآخر. أمه: هي هند بنت سهل.

قال عطاء: أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة، وأحد أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول اللَّه ﷺ.

توفي معاذ سنة سبع عشرة، وهو ابن ثمان وعشرين، بِقُصَيْر خالد من الأردن[١]. شهد العقبة شابًّا أمرد مع السبعين. وشهد بدرًا وله عشرون سنة، أو إحدى وعشرون.

وله عدة أحاديث، وروى عنه جمع من الصحابة منهم: ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس وغيرهم كثير، أعلم الأمة بالحلال والحرام[٢]. وكان معاذ فقيهًا فاضلًا صالحًا. أرسله رسول اللَّه ﷺ إلى اليمن يدعو إلى الإسلام وشرائعه. وهو أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول اللَّه ﷺ. وقد أرسله عمر بن الخطاب ليُعلّم أهل فلسطين القرآن[٣]. كان أحد أجناد الشام أيام فتح فلسطين[٤].

وممن شهد فتح بيت المقدس مع الخليفة عمر بن الخطاب وبكى

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١/ ٤٤٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١/ ٤٤٣).

(٣) راجع التاريخ الأوسط للبخاري (١/ ٦٦)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٣٥٧)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٧/ ١٣٧).

(٤) فتوح الشام، الواقدي (١٩٩).

لمّا سمع أذان بلال في بيت المقدس[١]. وبعد وفاة أبي عبيدة عامر بن الجراح أمير أجناد الشام تولى معاذ بن جبل قيادة الأجناد، لكنه لم يعش طويلًا إذ مات في طاعون عمواس[٢] سنة ثمانية عشر للهجرة. وحدد البلاذري محل وفاته بأنه الأقحوانة من أرض الأردن[٣]؛ والأقحوانة كما يقول ياقوت الحموي موضع بالأردن على شاطئ بحيرة طبرية[٤]. وعدد أحاديثه رضي الله عنه: (١٥٧) حديثًا.

شرح الحديث:

يستعرض هذا الحديث المبارك جملة من أشراط الساعة في آخر الزمان ويحدد فيها مراحل تتعاقب فيها أحداث يذكرها بشكل متسلسل.

قوله: (عُمْرانُ بَيتِ المقدِسِ): قيل: عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال، وقيل عمرانه باستيلاء الكفار، وقال الأردبيلي في الأزهار: قال بعض الشارحين: المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فإنه يخرب في آخر الزمان ثم يعمره الكفار والأصح أن المراد

---

(١) الاكتفاء في أخبار الخلفاء، التوزري (٣/ ٢٩٤). فضائل بيت المقدس، ابن المرجى (٦٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٥٨٩). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٦٥٢).

(٣) فتوح البلدان، الواقدي (١٩٠).

(٤) معجم البلدان، ياقوت الحموي ١/ ٢٣٤).

بالعمران الكمال في العمارة أي عمران بيت المقدس كاملًا مجاوزًا عن الحد وقت خراب يثرب، فإن بيت المقدس لا يخرب[١].

قوله: (خَرابُ يَثرِبَ): مدينة يثرب وهي المدينة المنورة مدينة رسول اللَّه، والنسب إليها يَثْرِبِيّ.

سبب تسميتها يَثْرِب:

سُميت قديمًا يثرب: باسم أول من سكنها، وهو يثربُ بن قانية، من ولد سام بن نوح[٢]. وهو الحفيد الرابع لنوح «يثرب بن عبيل» الذي بناها واستوطنها، وقيل: إنها وجدت قبل هجرة الرسول ﷺ إليها بـ (١٥٠٠) عام، وأقدم ذكر لها كان في عهد المعينيين في فترة (١٣٠٠ إلى ٦٣٠) ق. م، وفيها كانت حضارتهم، ودخلتها ملل كاليهودية والمسيحية والحنيفية، أما اليهود فدخلوها عام ٥٨٦ ق. م، لما هجَّرهم بختنصر البابلي من فلسطين، وقبيلة بنو قينقاع أشهر اليهود بها.

و كانت في الجاهلية تدعى غلبة. غلبت اليهود عليها العمالقة، وغلبت الأوس والخزرج عليها اليهود، وغلب المهاجرون عليها الأوس والخزرج، وغلبت الأعاجم عليها المهاجرين[٣].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي (١١/ ٢٧٠).
(٢) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد الحق البغدادي (٣/ ١٤٧٤).
(٣) المسالك والممالك للبكري (١/ ٤١٧).

النهي عن تسمية المدينة النبوية بيثرب:

جاء في الأثر ذم تسميتها بيثرب لأنها لفظة مشتقة من التثريب وهو العتاب، والتعيير واللوم، كقول اللَّهِ عَزَّ وجل على لسان يوسف عليه السلام لإخوانه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وقد ورد لفظ يثرب مرة واحدة في القرآن، حكاية عن قول المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣][(١)].

ويشير المسعودي إلى أن ما وقع في القرآن الكريم من تسميتها بهذا الاسم إنما هو حكاية عن قول المنافقين.

وهي ضمن الإصلاحات التي أجراها النبي ﷺ عليها بعد هجرته إليها أن غيَّر اسمها إلى المدينة وطابة، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ سَمَّى الْمَدِينَة يَثْرِب فَلْيَسْتَغْفِرْ اللَّه، هِيَ طَابَة هِيَ طَابَة»[(٢)].

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع: مدينة يثرب قبل الإسلام، ياسين غضبان (١٥-٢٢)، دار البشير - الأردن، ط ١، ١٤١٣ - هـ١٩٩٣م.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥١٩)، والروياني في مسنده (٣٤٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٨٨)، والصنعاني في مصنفه (١٧١٦٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٦٠٧)، وضعيف الجامع (٥٦٣٥).

ودعى لها ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ»[(١)]، كما أن مكة حرم وقد حرَّمها إبراهيم عليه السلام كما جاء في حديث عبد اللَّه بن زيد عن النبي ﷺ، قال: «إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مُدِّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة»[(٢)].

قوله: (وخَرابُ يَثرِبَ خُروجُ الملحَمةِ): الملحمة: الوقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال. وألحمت القوم: إذا قتلتهم حتى صاروا لحمًا. وألحم الرجل إلحامًا، واستلحم استلحامًا إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصًا»[(٣)]. هي: الحرب وموضع القتال، والجمع الملاحم، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم[(٤)].

قوله: (وخروجُ الملحَمةِ فَتحُ القُسطنطينيَّةَ): خروج الملحمة: أي ظهور الحرب العظيمة، قال القاري نقلًا عن الأشرف: لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه، وكثرة عمارتهم فيها أمارة مستعقبة بفتح قسطنطينية، وهو أمارة مستعقبة بخروج الدجال، جعل النبي ﷺ، كل واحد عين ما بعده.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٩).

(٣) لسان العرب، ابن منظور (٨/ ٥٢).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٨٣٠).

قوله: (وَفَتحُ القُسطَنطينيَّةِ خُروجِ الدَّجَّال): والقسطنطينية: هي دار ملك الروم، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عَمَّرَهَا ملك من ملوك الروم، يقال له «قسطنطين» فسميت باسمه[(١)] وهي اليوم تعرف باسطنبول من أهم مدن الجمهورية التركية حفظها اللَّه من كيد الأعداء.

وفي جانب سورها قبر أبي أيوب الأنصاري[(٢)]، صاحب رسول اللَّه ﷺ، واسمه خالد بن زيد، ولما قتل دفنه المسلمون وقالوا للروم: «هذا من كبار أصحاب نبينا محمد ﷺ، وواللَّه إن نُبِشَ لا دُقَّ بناقوس في أرض العرب أبدًا[(٣)].

«وسيكون بعد فتح قسطنطينية روما، لما سئل رسول اللَّه ﷺ: أيُّ المدينتين تفتح أولًا: أقسطنطينية أو رُومِيةُ؟ فقال رسول اللَّه: مدينة هرقل تفتح أولًا. يعني: قسطنطينية[(٤)]. وروميه: هي روما عاصمة إيطاليا اليوم»[(٥)].

وقد جزم الألباني بأن الفتح الأول للقسطنطينية قد كان على يد القائد

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٣٩٥- ٣٩٦).

(٢) وقبره اليوم في منطقة أيوب إحدى مناطق ولاية اسطنبول، وقد زرته في مايو ٢٠١٦م، لكن للأسف الشديد أصبح مزارًا يشد الجهلة إليه رحالهم يتمسحون به ويذبحون عنده.

(٣) الإشارات إلى معرفة الزيارات، الهروي (٥٣)، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ت: علي عمر.

(٤) أخرجه أحمد (٦٦٤٥)، وابن أبي شيبة (١٩٨١١)، والحاكم (٨٦١٥).

(٥) قاله الألباني في السلسلة الصحيحة في تعليقه على الحديث (٤).

محمد الفاتح فقال: «وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني، كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن اللَّه - تعالى- ولا بدّ، ولتعلمن نبأه بعد حين. ولا شك أيضًا أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة...»[(١)].

قال المناوي: «جعل المصطفى ﷺ، كلَّ واحد منهما عين ما بعده، وعبَّر به عنه»[(٢)]

وذكر أبو داود تكملة للحديث: (ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ) منكبيه) ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ - يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَل).

قوله: (إن هذا لحق): أي: تحقق الأخبار المذكورة في الحديث قطعي يقيني، كما أن جلوسك ههنا قطعي يقيني[(٣)].

ما جاء في الحديث هي من العلامات بين يدي الساعة، وقد تحقق بعضها وظهرت علامات تحقق البعض الآخر واللَّه أعلم.

---

(١) السلسلة الصحيحة، الألباني (٤)، وللفائدة انظر مأجورًا كتاب: نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد (٢/ ٥٢٩).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (١/ ٣٦٠).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي (٤٢٩٤).

من فوائد الحديث:

١- بشارة وإخبار النبي ﷺ بعمارة بيت المقدس آخر الزمان.

٢- هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ يخبر فيه عن أمور هي من أشراط الساعة تقع آخر الزمان.

٣- نؤمن أن ما أخبر به النبي ﷺ حق وسيقع كما أخبر وبالترتيب الذي أشار إليه النبي ﷺ.

٤- في الحديث إشارة بزوال ما يسمى زورًا «دولة إسرائيل» بعمارة بيت المقدس بالإيمان.

* * * * *

الحديث الرابع والثلاثون
الدَّجالُ لَا يَدْخل الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى

عن جُنادَةَ بن أبي أُميّة، عن رجل رضي الله عنهما من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «أَنذرتُكُم فِتنةَ الدَّجالِ، فَليسَ مِن نَبيٍّ إلا أَنذَرهُ قَومَهُ أو أُمتهُ، وإنَّهُ آدمُ، جَعدٌ أعورُ عَينِهِ اليُسرى، وَإِنَّهُ يُمطرُ ولا يُنبتُ الشجَرَةَ، وَإِنَّهُ يُسلَّطُ على نَفْسٍ فَيقُتُلها ثم يُحييها، ولا يُسلَّطَ على غيرها، وَإِنهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنارٌ، وَنَهَرٌ وَماءٌ، وَجَبلُ خُبْزٍ، وَإِنّ جَنَّته نارٌ، وَنارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فيكُم أَربَعينَ صَباحًا يَرِدُ فيها كُلَّ مَنهلٍ؛ إِلَّا أَرْبَعَ مَساجِدَ: مَسجِدَ الحَرام، وَمسجِدَ المَدينَةِ، وفي رواية: (وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً)[١] وَالطُّورِ وفي رواية: (وَمَسْجِدَ طُورِ سَيْنَاءَ)[٢]، وَمَسجِدَ الأَقْصَى، وَإِن شَكَلَ عَليكُمُ أَو شُبِّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيسَ بِأَعْوَرَ»[٣].

---

(١) أخرجها ابن ماجه (٤٠٧٧)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٢) أخرجها نعيم بن حماد في الفتن (١٥٧٨) عن جُنادة بن أبي أُميّة الدَّوْسِيِّ، أنه سمع رجُلًا.

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٤) بهذا اللفظ، وابن أبي شيبة (٣٧٥٠٦)، ونعيم بن حماد =

سبب ورود الحديث:

عن جُنادَةَ بن أبي أُميّة، أنّه قال: أتَيتُ رَجُلًا من أصحاب النَّبي ﷺ فَقُلتُ له: حَدِّثني حديثًا سَمعتَهُ من رسول اللَّه ﷺ في الدَّجال، ولا تُحَدّثني عن غيرك، وإن كان عِندَكَ مُصدَّقا، فقال: سَمعتُ رسول اللَّهِ ﷺ يقول: فذكر الحديث[(١)].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

عن رجل من أصحاب النبي ﷺ والذي روى عنه هو جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول اللَّه يذكر في الدجال ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقًا، قال: فذكر الحديث.

قال الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: إذا قال رجل من التابعين حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ، ولم يسمه فالحديث صحيح؟ قال نعم[(٢)].

= في الفتن (١٥٧٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٦): «رجاله رجال الصحيح» وقال الألباني في «قصة المسيح الدجال» (ص ١٧): إسناده صحيح. وصحح إسناده في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٣٤)، قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد (٥/ ٤٣٤) «إسناده صحيح» وفي اللؤلؤ والزبرجد في زوائد أحمد (٢٠٦) وقال محمد بن الحكمي صحيح.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٤).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي (١٠٤).

ويمكن معرفة المبهمات[١] من أسماء رواة الحديث من الرجال أو النساء، من خلال النظر والبحث في الروايات الأخرى لطرق الحديث أو قد يأتي في السند: عن فلان بن فلان أو عن أبيه أو جده بعد ذلك ينظر في أمره هل هو من الثقات أو غير ذلك[٢].

وذكر د. محمود الطحان في كتابه الماتع أهمية معرفة ما أبهم وما يتحصل بها من فوائد، فقال: «فإن كان الإبهام في السند: معرفة الراوي إن كان ثقة أو ضعيفًا للحكم على الحديث بالصحة أو الضعف.

وإن كان في المتن: أبرز فوائده معرفة صاحب القصة أو السائل حتى إذا كان في الحديث منقبة له عرفنا فضله، وإن كان عكس ذلك، فيحصل بمعرفته السلامة من الظن بغيره من أفاضل الصحابة.

ويعرف المبهم، بحالتين: بوروده مُسَمّى في بعض الروايات الأخرى، أو بتنصيص أهل السِّيَر على كثير منه»[٣].

---

(١) المبهمات لغة: جمع مبهم وهو اسم مفعول من الإبهام ضد الإيضاح. واصطلاحًا: هو من أُبهم اسمه في المتن أو الإسناد من الرواة أو ممن له علاقة بالرواية.

(٢) انظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير (٢٢١-٢٢٢)، مكتبة دار السلام - الرياض، ت: أحمد شاكر.

(٣) انظر: تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، (٢١٣-٢١٤).

شرح الحديث:

هذا الحديث هو من جملة الأحاديث التي حذر النبي ﷺ فيها من الدجال الذي سيخرج في أمته وفيه بيّن أوصافه، غير أن هذا الحديث بين المواضع الشريفة التي يحرم على الدجال دخولها.

قوله: (أَنذرتُكُم فِتنةَ الدجال): بتشديد الجيم بوزن فعال من أبنية المبالغة الكثير الكذب وهو من الدجل وهو الخلط والتلبيس والتمويه[(١)].

أمر الدجال آخر الزمان خبر يقيني جاء بأحاديث صحيحة صريحة غير أن خبره لم يذكر صراحة في كتاب اللَّه عز وجل سوى إشارة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قوله: (فَليسَ من نبيٍّ إلا أَنذَرهُ قَومَهُ أو أُمتهُ): وهو مبالغة في التحذير، وأن الأنبياء قبله حذروا أقوامهم من الدجال وفتنته.

قوله: (وإنَّهُ آدمُ): الأسمر[(٢)].

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (٥/ ٣٢٧).

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (١).

قوله: (جَعدٌ): قال الهروي الجعد في صفات الرجال يكون مدحًا ويكون ذمًا، فإذا كان ذمًا فله معنيان: أحدهما: القصير المتردد، والآخر البخيل يقال: رجل اليدين وجعد الأصابع أي بخيل، وإذا كان مدحًا فله أيضًا معنيان: أحدهما: أن يكون معناه شديد الخلق، والآخر يكون شعره جعدًا غير سبط، فيكون مدحًا لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم. وقال: الجعد في صفة الدجال ذم وفي صفة عيسى عليه السلام مدح[(١)].

قوله: (أعورُ عَينِه اليسرى): وفي رواية: «كأنها عنبة طافية» أي: بارزة، وهي التي خرجت عن نظائرها في العنقود، ومن همزها جعلها فاعلة من طفئت كما يُطفأ السراج، أي: ذهب نورها[(٢)]. وقد ورد فيه كلمات متنافرة، ورد: أنه أعور، وفي رواية: أنها طافية، وفي أخرى: أنه جاحظ العين كأنها كوكب، وفي أخرى: أنها ليست بباقية، وفي أخرى: أنه أعور عين اليمنى، وفي حديث حذيفة: أَنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة أن يقدر فيها أن إِحدى عينيه ذاهبة، والأخرى معيبة، فيصح أن يقال: لكل واحدة عوراء، إِذ الأصل في العور العيب[(٣)].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢٣).
(٢) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٧٤٥).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (١٥/ ٢١٨).

قوله: (وإنه يُمطرُ ولا يُنبتُ الشجَرَة): عدم مقدرته على إنبات الشجر، مع ما زعمه من إمطار فيما يراه الناس أنه مطر.

قوله: (وإنه يُسلَّطُ على نَفْسٍ فَيقُتُلها، ثم يُحييها، ولا يُسلَّطَ على غيرها): ولا يعود لها بعد ذلك مرة أخرى، ولا يصنع ذلك بنفس غيرها.

قوله: (وإنه معه جنة ونار، وماء ونهر وجبلُ خُبْزٍ، وإن جنَّته نارٌ، وناره جنة): أي مثال الجنة والنار فيما يرى ويظن الناس ويبدو ذلك للرائي من غير أهل الإيمان، وكل ما سبق من خوارق في نظر الناس ما هي إلا نظير أفعال سحرة فرعون[(١)].

قوله: (وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا): يلبث: من لبث: أي مكث[(٢)]. أي مدة مكثه في الأرض أربعون يومًا يسيحها في الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كسائر الأيام.

قوله: (يَرِدُ فيها كل مَنهلٍ): وفي رواية: «وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه» أي: ظهر عليه أو ورد عليه وحضره[(٣)].

---

(١) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، يوسف الحنفي (٢/ ٨١).
(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٥٨٩).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٧١٦).

والمنهل: المورد، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي، وتُسمَّى المنازل التي في المفاوز على طرق الأسفار مناهل؛ لأن فيها ماء[١] ينهل منها.

قوله: (إلّا أربعة مساجد: مسجد الحرام): هي أربعة مساجد جاء ذكرها على التحديد دون سواها من مساجد الدنيا، وهي فضيلة أخرى من فضائل هذه المساجد وأنها مصانة من دنس الدجال وأعوانه من يهود وسائر الكفار آخر الزمان. وقد سبق التعريف بالمسجد الحرام مكانًا ومكانة.

حرم مكة وحدّها:

مرّ معنا في مواطن كثيرة من هذا الكتاب حرمة مكة وأن إبراهيم عليه السلام قد حرمها كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «اللَّهم إن إبراهيم حَرَّمَ مكة، فجعلها حرمًا، وإني حرمت المدينة، حرامًا ما بين مأزميها أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، اللَّهم بارك لنا في صاعنا، اللَّهم بارك لنا في مُدِّنا، اللَّهم بارك لنا في صاعنا اللَّهم بارك لنا في مدنا، اللَّهم بارك لنا في

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٦٨٢).

مدينتنا، اللَّهم اجعل مع البركة بركتين »[(١)] الحديث.

وإن مكة صارت حرامًا شرعًا وقدرًا بتحريم اللَّه لها، وإبراهيم[(٢)] عليه السلام، لا يحرم ولا يحلل إلا بإذن اللَّه وتوجيهه، فإبراهيم حرمها لتحريم اللَّه لها، والنبي ﷺ حرم المدينة بأمر اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

أما حدها فهي من طريق المدينة، على ثلاثة أميال، ومن طريق العراق على سبعة أميال، ومن طريق الجعرانة، تسعة أميال، ومن طريق عرفة، سبعة أميال، ومن طريق جدة، عشرة أميال.

قوله: (ومسجد المدينة): وفي رواية: «ولا يأتي مكة والمدينة من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلتةً»، وهو المسجد النبوي المعروف ممنوع على الدجال دخوله.

قوله: (والطور): «وهو جبل ممتد ما بين مصر وأيلة، سُمِّي بطور إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهو طور سيناء، وطور

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٤).

(٢) وهي أرض محرمة يوم خلق اللَّه الأرض حين خلقها محرمة، وأما إسناد تحريم مكة إلى إبراهيم عليه السلام، فلعله لما رفع البيت المعمور إلى السماء وقت الطوفان، وانطمست المعرة التي بناها آدم عليه السلام، اندرست حرمتها، وصارت شريعة متروكة منسية إلى أن أحياها إبراهيم عليه السلام فرفع قواعد البيت، ودعا الناس إلى الحج وحد الحرم وبين حرمته. بتصرف، انظر لمزيد فائدة: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للبيضاوي (٢/ ١٩٢-١٩٣).

سينين، وهو الذي نودي منه موسى عليه السلام[١] قال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢].

قال صاحب التغليق: «الطور»: الجبل بالسُّرْيَانيَّة، وسينين: المبارك»[٢]، ومسجد الطور لا تشد الرحال إليه[٣].

وهناك مواضع من فلسطين متعددة باسم «الطور» وهي ليست التي جاء ذكرها في القرآن والسنة، أهمها:

في الناصرة: وهو جبل صغير المساحة (٦كم٢)، منعزل، يبعد ٨ كيلًا إلى الشرق من الناصرة[٤].

في القدس: جبل الطور أو جبل المشارف (نحو ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر) دُعِيَ بذلك؛ لأنه يشرف على القدس. يقع في شمالي بيت المقدس بانحراف قليل إلى الشرق، ويقال له أيضًا (جبل المشهد) و(جبل الصوانة). كثير من الفاتحين كانوا يقيمون معسكراتهم عليه، ويمتِّعون أنظارهم بمشاهدة المدينة المقدسة. فالناظر إليها من هذا الجبل يرى لها منظرًا جميلًا جدًا كما يشاهد الغور والبحر الميت وبلاد

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (٦/ ٢٧). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد اللَّه الأندلسي (٣/ ٨٩٧).

(٢) تغليق التعليق على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٤/ ٣٢٠ و٣٧٣)، المكتب الإسلامي- دار عمار، ت: سعيد القزقي.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٣٢).

(٤) الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية (٣/ ١٢٥).

الكرك وغيرها. ويطلق الغربيون عليه اسم (جبل سكوبس).

وقد أقام اليهود عليه جامعتهم العبرية. على أرض اشتروها من «جون غراي» الإنكليزي وبوشر التدريس فيها عام ١٩٢٥م.

جبل الزيتون: ويدعى أيضًا جبل الطور، يقع للشرق من القدس وللجنوب من المشارف ٨٢٦ مترًا: ٢٧١٠ أقدام عن سطح البحر. يكشف المدينة المقدسة قديمها وحديثها. اسمه مأخوذ من شجر الزيتون الذي كان موجودًا فيه بكثرة. ذكره المؤرخون العرب باسم (طور زيتا). والطور الجبل. ويفصل جبل الطور عن القدس (وادي ستنا مريم) المعروف أيضًا بـ (وادي جهنم) و(وادي النار) ووادي سلوان، ويذكره الغربيون باسم (وادي قِدْرون). وعلى هذا الجبل تقوم القرية[١] التي تحمل اسمه: الطور[٢].

---

(١) قرية الطور: قرية تقع في ظاهرة القدس الشرقي، أخذت اسمها من الجبل الذي تقوم عليه. تقوم قرية الطور على موقع بلدة (بيت فاجي) التي كانت تعرف بهذا الاسم في العهدين الروماني والإفرنجي. وهذا الاسم أرامي معناه (بيت التين) وفي الطور جامع يقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوم حضوره للقدس صلى فيه. وقد جُددت عمارته بعد الفتح الصلاحي. وممن ينسب إلى الطور: ١- محمد بن موسي بن أحمد الطوَّري أبو عبد اللَّه المقدسي، ولد سنة ٦٦٨هـ. واشتغل كثيرًا حتى صار أحد الفضلاء وصاحب كتاب تحفة السائل في أصول المسائل منظومة. ومات في شعبان سنة ٧٢١هـ. ٢- محمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن داود المقدسي صلاح الدين ابن الأمير فخر الدين الطوري، سمع الحديث وحدث، ذكر أنه حصل له صمم في سنة ٧٨٢هـ. لمزيد من الاستفادة راجع مشكورًا: بلادنا فلسطين، الدباغ، الجزء الثامن ، القسم الثاني (١٢٧- ١٢٩).

(٢) بلادنا فلسطين، الدباغ، الجزء الثامن، القسم الثاني (١٥ -١٦).

قوله: (ومسجد الأقصى): سبق التعريف به مكانًا ومكانة.

قوله: (وإن شَكَلَ عليكم أو شُبِّه، فإنَّ اللَّه ليس بِأَعورَ): شَكَلَ: أشكل الأمر والتبس[(١)] أي إن التبس عليكم أمره فاعلموا أن اللَّه تعالى - جل في علاه وسبحانه من النقص والشبه - ليس بأعور، وأن من ترونه هو الدجال بعينه فاجتنبوه.

من فوائد الحديث:

١- أن لا ينخدع الإنسان بظواهر الأمور، فالدجال جُلُّ ما عنده هي أمور ظاهرة لا حقيقة لها، ومع هذا ينخدع بها من لا إيمان له.

٢- أن من سنة أهل الباطل تزيين باطلهم؛ لِيحاولوا إخفاء الحقيقة الناصعة ويدلِّسُوها.

٣- ومن غريب غفلة أتباع الدجال وانخداعهم بقدراته وتسليمهم لها أنهم نسوا أن الدجال عجز رغم ما يملك من قدرة خارقة أن يشفي ما بعينه العوراء الطافية!

٤- على المؤمن أن ينأى بنفسه عن الفتن ومهما بلغ من علم وإيمان فقد حذر النبي ﷺ أمته من التصدر للفتن واستشرافها فقال ﷺ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَسْتَشْرِفُ مَن اسْتَشْرَفَ لَهَا»[(٢)]، وقال ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٤٤).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٣٢٢).

فَلْيَنْأَ عَنْهُ»[١] من سمع بالدجال وأمثاله ممن خرجوا قبل زمانه أن يتجنبوهم وما دعوا إليه.

٥- قصة الدجال فيها دلالة واضحة على أهمية العلم، وخاصة علم الحديث وما أخبر عنه المصطفى آخر الزمان كالدجال وصفاته وأتباعه ليحذره المؤمن.

٦- الإيمان بصيرة، فكلمة (كافر)على جبين الدجال لا يقرؤها إلا أهل الإيمان وإن جهلوا الكتابة والقراءة.

٧- ومن عظيم فتنته أنه يجول ويصول الأرض كلها بسرعة خارقة تفوق عقل البشر وما توصلوا إليه من صناعة مراكب سريعة.

٨- إن الأوصاف التفصيلية التي وصفها النبي ﷺ للدجال؛ هي من باب إقامة الحجة الكافية والتعريف الوافي به، لمزيد تحذير منه وللتأكيد على خطره.

٩- مشروعية التحذير من الدجال وأمثاله وجواز ذكر أوصافهم حتى لا يلتبس أمرهم على الناس.

١٠- امتاز حديث الباب عن سائر الأحاديث الأخرى التي ذَكرت الدجال بذكر مسجدي الطور والأقصى.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٣١٩)، وقال عنه الألباني: «صحيح».

١١- جاء هذا الحديث بذكر فضيلة جديدة امتاز بها دون غيره من الأحاديث التي أوضحت فضل مسجد الطور، وأنه سيكون معلوم المكان آخر الزمان.

١٢- خروج الدجال في أمة محمد فيه دلالة على نبوة محمد ﷺ، وأنه يخبر عن أمر غيبي آخر الزمان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث الخامس والثلاثون

يأجوج ومأجوج يَشْرَبُونَ مِيَاهَ بحَيْرَةِ طَبَرِيَّة فِي فِلَسْطِين

عن النواسِ بنِ سَمعانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «. . . و يَبعثُ اللَّهُ يأجوجَ ومأجوجَ، وهُم من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ، فَيمُرُّ أَوائِلُهُمْ على بُحيرَةِ طَبريَّةَ، فَيشربونَ ما فيها وفي رواية: (فَيَنشِفونَ الماء)[1]، ويمُرُّ آخِرُهُم فَيقُولونَ: لقد كانَ بهذِهِ مَرَّةً ماء، ثُمَّ يَسيرونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلى جَبَلِ الخَمَرِ، وهُو جَبَلُ بَيتِ المقدِسِ فَيقولونَ: لقد قَتلنا مَنْ في الأَرضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ في السَّماءِ، فَيرمُونَ بِنُشَّابِهِم إلى السَّماءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِم نُشَّابَهُم مَخضُوبَةً دَمًا، وفي رواية: (فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مُحْمَرًّا دَمًا)[2]»[3].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

النواس بن سمعان بن خالد بن عبد اللَّه بن أبي بكر بن كلاب بن

---

(١) أخرجها ابن ماجه (٤٠٨٠) عن أبي هريرة، وصححها الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٣٥).

(٢) أخرجها الترمذي (٢٢٤٠) عن النواس بن سمعان.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٢٤٠)، قال ابن حجر: دخل حديث أحدهما في حديث الآخر - حديث النواس بن سمعان بحديث، عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا، وزاد بعد قوله: «لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر. . .».

ربيعة الكلابي. معدود في الشاميين، وفد على النبي ﷺ فدعا له رسول اللَّه ﷺ وأعطاه نعليه فَقَبِلَهُما رسول اللَّه ﷺ وزوجه أخته. فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها وهي الكلابية، روى عن النواس بن سمعان جبير بن نفير ونفير بن عبد اللَّه وجماعة[١].

شرح الحديث:

هذا حديث طويل اقتصرنا على جزء منه للدلالة على ما يخدم فكرة متن الكتاب، وقد أجاز علماؤنا ذلك كما ذكر صاحب «التوضيح»: «اختصار الحديث والاقتصار على بعضه، الصحيح جوازه، إذا كان ما فصله غير مرتبط الدلالة بالباقي، بحيث لا تختلف الدلالة، مفصلة كالحديثين المستقلين، ومنعه إن لم يكن كذلك. وأما تقطيع المصنف الحديث وتفريقه في أبواب فهو إلى الجواز أقرب ومن المنع أبعد، وقد فعله مالك والبخاري وغير واحد من أئمة الحديث»[٢].

قال ابن الحاجب في مختصره مسألة حذف بعض الخبر جائز عند الأكثر، إلا في الغاية والاستثناء ونحوه[٣].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٤/ ١٥٣٤).

(٢) لمزيد من الفائدة راجع: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٢/ ١٠٢).

(٣) انظر: السير الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، الشيخ مقبل الوادعي (٢٦٧-٢٦٨).

حديثنا هذا يخبر عن فتنة أخرى من فتن آخر الزمان، قوم كثيرون في عددهم يعيشون في ناحية من نواحي الأرض، لكننا لا نراهم ولا نعرف مكانهم، لكنهم سيعيثون في الأرض الفساد، يهلكون الحرث والنسل عند خروجهم وانكشافهم على الناس.

قوله: (ويَبعثُ اللَّهُ يأجوجَ ومأجوجَ): أمتَّان من بني آدم، هما أكثر الأمم[(١)]. وقيل: إن يأجوج رجل، ومأجوج كذلك، ابنا يافث بن نوح، كما ذكره عياض مشتقان من تأجج النار، وهي حرارتهما، سموا بذلك؛ لكثرتهم وشدتهم، قيل: هما اسمان أعجميان غير مشتقان. وسيكون خروج يأجوج ومأجوج بعد خروج عيسى عليه السلام[(٢)]. ومجيئهم ثابت قطعي يجب الإيمان به.

ويكون بعثهم بعد مقتل الدجال، وفتنتهم شبيهة إلى حد ما بفتنة الدجال فكلاهما ادعى القدرة على ما لا يمكن إلا للَّه تعالى.

يأجوج ومأجوج في عقيدة اليهود:

يرى اليهود أن يأجوج ومأجوج هما ما يطلق على أعدائهم آخر الزمان، وخروجهم يسبق خروج مسيحهم، وأن الحرب معهم هي آخر أشراط الساعة بعد هجومهم على مملكة إسرائيل، ثم يقومون

---

(١) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٧٣٠).
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٣٤٨-٣٤٩).

بسلبها، وأنهم سيدخلون القدس لكن مسيحهم سيهزمهم مؤيدًا بنصر الرب لهم بعد أن يخرج لهم بنفسه فيرسل عليهم المطر وحجارة من سجيل حتى يتم القضاء عليهم[١].

قوله: (وهُم من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ): الحدب: النشز، وينسلون: يمشون مسرعين. يقال: نسل ينسل نسلانا[٢] وهو الإسراع في المشي[٣]. أي من كل مرتفع من الأرض يسرعون[٤]. وهو في قول اللَّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

قوله: (فَيمُرُّ أَوائِلُهُمْ على بُحيرَةِ طَبريَّةَ): ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء.

وصف بحيرة طبرية:

يبلغ طول بحيرة طبرية (٢٣) كيلًا، وأوسع عرض فيها (١٣) كيلًا، ولا يزيد عمقها على (٤٤) كيلًا وتنخفض عن مستوى سطح البحر بـ(٢١٠) م. وشكلها يشبه الإجاصة وسَمَكها كثير الأنواع، تطل

---

(١) انظر التلمود البابلي (١/ ١٨٩).
(٢) شرح السنة، البغوي (١٥/ ٥٨).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٩١٣).
(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٦٥).

البحيرة من الشرق على جبال الجولان السورية ومن الغرب على جبال الناصرة، وبين بحيرة طبرية وبيت المقدس نحو مائة ميل، وقد فتح الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة تلك المنطقة عام (١٣هـ - ٦٣٤م)، وأما وصفها القديم كما نقل الحموي، بقوله: فقد رأيتها مرارًا وهي كالبركة يحيط بها الجبال، ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة، تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر، وينفصل منها نهر عظيم فيسقي أرض الأردن الأصغر، وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة قرب أريحا، ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحيرة، ماؤها عذب شروب ليس بصادق الحلاوة ثقيل، وفي وسط هذه البحيرة حجر ناتئ يزعمون أنه قبر سليمان بن داود عليه السلام، وبين البحيرة والبيت المقدس نحو من خمسين ميلًا[(١)].

ومياه البحيرة ضاربة إلى الملوحة، بسبب الأملاح الذائبة في نهر الأردن والمجاري المائية الأخرى التي تصب فيها، وبسبب وجود بعض الينابيع المائية المالحة في قاعها الغربي. ويُسهم التبخّر في تركيز الملوحة في مياه البحيرة[(٢)].

تعد بحيرة طبرية مصدرًا طبيعيًّا مهمًّا بالنسبة إلى فلسطين. فهي خزان طبيعي للمياه المتجمّعة في حوض البحيرة، ممتد على مساحة

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (١ / ٣٥١-٣٥٢).
(٢) الموسوعة الفلسطينية (٣/ ١٠٤).

تربو على ١٦٥ كيلًا. والبحيرة مصدر مهم للثروة السمكية، وبيئة جاذبة للسياحة الداخلية والخارجية، وحدٌّ طبيعي بين سورية وفلسطين[١].

وفي ربيع عام ١٩٦٤م انتهى (الكيان الصهيوني) من تنفيذ مشروع نهر الأردن- النقب (المشروع المركزي) الذي تضخ المياه بموجبه من بحيرة طبرية في قنوات وأنابيب عبر الجليل والسهل الساحلي، إلى النقب. وبذلك أصبحت بحيرة طبرية منذ ذلك الوقت خزانًا طبيعيًا لتجمع المياه وتنظيم رفعها إلى خزان اصطناعي آخر[٢].
وتشتهر البحيرة منذ الأزمنة القديمة بكثرة أسماكها وتنوعها[٣].

وجاء في الأثر كما نقل الطبري في تفسيره: «وَبَلَغَنِي أَنَّ التَّابُوتَ وَعَصَا مُوسَى فِي بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، وَأَنَّهُمَا يَخْرُجَانِ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ»[٤].

مدينة طبرية:

أما مدينة طَبَرِيّةُ القائمة على شاطئها الغربي: تقع في الشمال الشرقي من فلسطين، وتبعد مدينة طبرية مسافة ١٦٠ كيلًا عن مدينة بيت

---

(١) الموسوعة الفلسطينية (٣/ ١٠٥).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) عزاه الشيخ أحمد سليمان في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية، الصادرة عن: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية إلى «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٩)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٥٠)، والشوكاني في «فتح القدير» (١/ ٤٠٣). وقال: إسناده صحيح ورجاله ثقات أئمة.

المقدس. فقد بنيت المدينة في عهد هيرودس أنتيباس عام ٢٢م، على موقع (رقّة) الكنعانية التي لم يتبق منها سوى مدافنها»

وقد سُمِّيت البحيرة بهذا الاسم بعد بناء مدينة طبرية على ساحلها الغربي. المدينة نسبة إلى اسم الإمبراطور الروماني تايبريوس[(١)].

وجاء في الموسوعة الفلسطينية أيضًا: أنها أسماء أعجمية، و«طبر» في العربية بمعنى قفز واختبأ، وفتحت طبرية على يد الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة في سنة ١٣هـ، وقيل: إنه حاصرها أيامًا ثم صالح أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم إلا ما جلوا عنه وخلوه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعًا، ثم نقضوا الصلح في خلافة عمر رضي الله عنه واجتمع إليهم قوم من شواذ الروم فسيَّر أبو عبيدة إليهم عمرو بن العاص في أربعة آلاف وفتحها على مثل صلح شرحبيل وفتح جميع مدن الأردن على مثل هذا الصلح بغير قتال، وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن في طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذلك بينها وبين بيت المقدس. قال أبو القاسم: كان أول من بناها ملك من ملوك الروم يقال له: طبارا وسميت باسمه وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت

(١) الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية (٣/ ١٠٣).

عليها حمامات فهي لا تحتاج إلى الوقود تجري ليلًا ونهارًا حارة.

والنسبة إليها «طبراني» على غير قياس فكأنه لما كثرت النسبة بالطبري إلى طبرستان أرادوا التفرقة بين النسبتين فقالوا: طبراني إلى طبرية.

وبعد أن أحرق تيطُس الروماني القدس عام ٧٠م، ومنع اليهود من سكناها سمح لهم بالإقامة في طبرية، فاستقرّ فيها أحبارهم، وأصبحت مركزًا دينيًا، زاد من أهمية مدينة طبرية أنها كانت تقع على طريق القوافل التجارية بين دمشق ومصر. وكان لطبرية شأن كبير في التاريخ العربي لوقوعها على تلك الطريق، فالدراهم الطبرانية العتيقة التى ضربت في المدينة كانت العملة النقدية التى تعامل بها عرب الجاهلية في تجارتهم مع الرومان. وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة، وبعد أن فتح المسلمون طبرية، ضرب خالد بن الوليد الدراهم الإسلامية لتحل محل الدراهم الطبرانية، وأرسل الخليفة عثمان بن عفان إلى طبرية في عام ٣٠ للهجرة مصحفًا منقولًا عن مصحف عثمان لكي يقرأ المسلمون فيه القرآن الكريم.

وفي عام ١١٨٧م استرجع صلاح الدين الأيوبي طبرية من الصليبيين، قبل أن يهزمهم في معركة حطين التي جرت في العام نفسه. لكن الصالح إسماعيل الأيوبي - صاحب دمشق - سلّم طبرية إلى الصليبيين عام ١٢٤٠م مع بيت المقدس وعسقلان. وفي

عام ١٢٤٧م استطاع الصالح أيوب صاحب مصر، وبقيادة الأمير فخر الدين ابن الشيخ، استرداد طبرية وقلعتها من الصليبيين.

وقد تمكن العثمانيون من بسط نفوذهم على طبرية في عام ١٥١٧م مع غيرها من بلاد الشام.

وفي عام ١٥٦٢م سمح السلطان سليمان القانوني لليهود بالإقامة في طبرية، ودراسة تعاليمهم الدينية.

وفي أوائل القرن الثامن عشر نزلتها قبيلة الزيادنة، واستثمر أفرادها جزءًا من أراضيها في الزراعة.

اندثرت أهمية طبرية مرة أخرى في القرن الثامن عشر، واستولى نابليون عليها عام ١٧٩٩م. وقد هاجر معظم السكان العرب من هذه المنطقة المعمورة نتيجة لاستيلاء الصهاينة عليها. أما الجانب الشرقي للبحيرة فأصبح بعد عام ١٩٤٨م منطقة منزوعة السلاح بين سورية ودولة الكيان الصهيوني[(١)].

قوله: (فَيشربونَ ما فيها، ويمُرُّ آخِرُهُم فَيقُولونَ: لقد كانَ بهذِهِ مَرَّةً ماءٌ ثُمَّ يَسيرونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلى جَبَلِ الخَمَرِ، وهُو جَبَلُ بَيتِ المقدِسِ):
جبل الخمَر: بخاء معجمة وميم مفتوحتين، والخمر، الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس[(٢)].

---

(١) الموسوعة الفلسطينية (٣/ ٩٦، و١٠٦)، تصدر عن هيئة الموسوعة الفلسطينية.
(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ٦٠-٦١)، شرح السنة للبغوي (١٥/ ٥٨).

والشجر المُلْتَف سُمِّي به جبل بيت المقدس لكثرة شجره[١].

قوله: (فَيقولونَ: لقد قَتلنا مَنْ في الأَرضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ في السَّماءِ، فَيرمُونَ بِنُشَّابِهِم إلى السَّماءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلْيهِم نُشَّابَهُم مَخضُوبَةً دَمًا): النشاب: جمع النشابة وهي السهام[٢]، أي ترجع إليهم سهامهم بعد أن قذفوها باتجاه السماء وقد تلطخت بالدماء، وفي ذلك مزيد فتنة للناس أنهم في ظنهم أصابوا من في السماء بسهامهم، نعوذ باللَّه من فتنتهم.

من فوائد الحديث:

١- تعاظم فتن وأشراط الساعة آخر الزمان وتتابعها في فلسطين.

٢- هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ.

٣- فيه دلالة واضحة أن بحيرة طبرية ستبقى إلى آخر الزمان ولن يقوى اليهود على تجفيف مياهها، كما فعلوا ذلك في بحيرة الحولة.

٤- في الحديث دلالة على كفر قوم يأجوج ومأجوج وظلمِهم.

٥- قول يأجوج ومأجوج «لقد قتلنا من في الأرض» فيه أنهم جابوا الأرض وجاسوا فيها كل موضع فأثخنوا في الناس قتلًا، وفي زمنهم تكون فتنتهم من أخطر أشراط الساعة الكبرى، واللَّه أعلم.

---

(١) شرح النووي على مسلم، (٨/ ١٩٨).

(٢) شرح النووي على مسلم، (٨/ ١٩٨).

الحديث السادس والثلاثون

الدَّجَّالُ يَسْأَلُ عَنْ نَخْل بيسان وَبُحَيْرَة طَبَرِيَّة فِي فِلَسْطِينِ

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ المِنْبَرَ فَضَحِكَ فَقَالَ: «إِنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ حَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ فَفَرِحْتُ بِهِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ رَكِبُوا سَفِينَةً فِي البَحْرِ وفي رواية: (ركبًا ركبوا بَحر الشام في نَفَر من لَخم وجذام)[1] فَجَالَتْ بِهِمْ حَتَّى قَذَفَتْهُمْ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ البَحْرِ، فَإِذَا هُمْ بِدَابَّةٍ لَبَّاسَةٍ نَاشِرَةٍ شَعْرَهَا، فَقَالُوا: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ، قَالُوا: فَأَخْبِرِينَا، قَالَتْ: لَا أُخْبِرُكُمْ وَلَا أَسْتَخْبِرُكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا أَقْصَى القَرْيَةِ فَإِنَّ ثَمَّ مَنْ يُخْبِرُكُمْ وَيَسْتَخْبِرُكُمْ، فَأَتَيْنَا أَقْصَى القَرْيَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُوثَقٌ بِسِلْسِلَةٍ، وفي رواية: (فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير)[2]، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ؟ قُلْنَا: مَلأَى تَدْفُقُ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنِ البُحَيْرَةِ؟ قُلْنَا: مَلأَى تَدْفُقُ، وفي رواية: (قال: أما إنَّ ماءها

---

(١) أخرجها مسلم (٢٩٤٢) والبغوي في شرح السنة (٤٢٦٨)، كلاهما من حديث فاطمة بنت قيس.

(٢) أخرجها مسلم (٢٩٤٢) والبغوي في شرح السنة (٤٢٦٨)، من حديث فاطمة بنت قيس.

يوشك أن يذهب)[١] قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ الَّذِي بَيْنَ الأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ هَلْ أَطْعَمَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، وفي رواية: (قال: أما إنها توشك ألا تثمر)[٢] قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنِ النَّبِيِّ هَلْ بُعِثَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَخْبِرُونِي كَيْفَ النَّاسُ إِلَيْهِ؟ قُلْنَا سِرَاعٌ، وفي رواية: (فما فعلت العرب أيش لباسهم؟ قلنا: صوف وقطن تغزله نساؤهم قال: فضرب بيديه على فخذه، ثم قال: هيهات)[٣] قَالَ: فَنَزَّى نَزْوَةً حَتَّى كَادَ، قُلْنَا: فَمَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الدَّجَّالُ، وَإِنَّهُ يَدْخُلُ الأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلَّا طَيْبَةَ، وَطَيْبَةُ المَدِينَةَ»[٤].

ترجمة الصحابية راوية الحديث:

فاطمة بنت قيس الفِهرية إحدى المهاجرات، كانت تحت أبي عمرو ابن المغيرة المخزومي، فطلقها، فخطبها معاوية بن أبي سفيان، وأبو جهم، فنصحها رسول اللَّه وأشار عليها بأسامة بن زيد، فتزوجت به.

---

(١) أخرجها مسلم (٢٩٤٢)، والبغوي في شرح السنة (٤٢٦٨)، من حديث فاطمة بنت قيس.

(٢) أخرجها البغوي في شرح السنة (٤٢٦٨)، من حديث فاطمة بنت قيس.

(٣) أخرجها مسلم (٢٩٤٢) والبغوي في شرح السنة (٤٢٦٨)، كلاهما من حديث فاطمة بنت قيس.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وأحمد (٢٧١٤٦) وأبو داود (٤٣٢٦) والترمذي (٢٢٥٣) بهذا اللفظ ، والنسائي في الكبرى (٤٢٥٨)، وابن حبان (٦٧٨٧) و(٦٧٨٩).

حدَّث عنها: الشعبي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبوبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وآخرون. وحديثها في الدواوين كلها.

أمها أميمة بنت ربيعة بن كنانة[١]. وهى أخت الضحاك بن قيس، وكانت أكبر منه بعشر سنين، وكانت من المهاجرات الأول ذات عقل وافر وكمال، وفى بيتها اجتمع أصحاب الشورى، توفيت في خلافة معاوية[٢].

عدد أحاديثها: عن رسول اللَّه ﷺ أربعة وثلاثون حديثًا، وروى عنها جماعة من كبار التابعين، رضي الله عنهم وعنهم أجمعين[٣].

سبب ورود الحديث:

عن فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ نادى الصلاة جامعة، بعد أن أخَّر صلاة العشاء بسبب، فخرج الناس إلى المسجد، فخرج علينا رسول اللَّه ﷺ، فصعد المنبر[٤]، فقال: أنذرتكم الدجال ثلاث

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨/ ٢٧٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٣١٩).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، حرف الفاء، النووي، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) ومن جميل المناسبة أن صانع هذا المنبر للنبي ﷺ فيما بعد هو من يحدث النبي ﷺ عنه قصة الدجال فعن ابن عمر أن النّبى ﷺ لَمَّا بَدُنَ قَالَ لَهُ تَمِيمٌ الدَّارِىُّ أَلَا أَتَّخِذُ لَكَ مِنْبَرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَجْمَعُ - أَوْ يَحْمِلُ - عِظَامَكَ قال: «بَلَى». فَاتَّخَذَ لَهُ مِنْبَرًا مِرْقَاتَيْنِ - أي: درجتين-. سنن أبي داود تحقيق الألباني (١٠٨٣).

مرات، ألا وإنه لم يكن فيما مضى، وهو كائن فيكم أيتها الأمة[١].

ومن غير عادة النبي ﷺ يصعد المنبر[٢] بعد صلاة العشاء بعد أن أخرها[٣] النبي ﷺ ؛ بسبب استماعه لحديث تميم الداري وهو يحدثه عن رحلة بحرية لقي فيها عجائب الأمور.

شرح الحديث:

هذا الحديث مما يرويه كبير القدر والسن أو ما عرف عند علماء الحديث برواية الأكابر عن الأصاغر، فقد روى البخاري عن أُناس يُعتبرون من طلبته[٤].

وقد يستنكف البعض أو يأنف من الرواية عمن هم دونهم في العلم أو السن وهي من موانع العلم، ومع أن الحديث فيه من غرائب القصص إلا أن النبي ﷺ حدّث به ووافق ما عنده ﷺ، فرواه عن تميم الداري رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وشرح السنة للبغوي (٤٢٦٩).

(٢) من حديث فاطمة بنت قيس قالت: «صلى رسول اللَّه ذات يوم وصعد المنبر، وكان لا يصعد عليه، قبل ذلك، إلا يوم الجمعة، فاشتد ذلك على الناس، فمن بين قائم وجالس، فأشار إليهم بيده أن اقعدوا». أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٤).

(٣) عن فاطمة بنت قيس أنّ رسول اللَّه ﷺ أَخَّرَ العشاء الآخرة ذات ليلة ثم خرج فقال: «إِنَّهُ حَبَسَنِي حَدِيثٌ كَانَ يُحَدِّثُنِيهِ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ...». سنن أبي داود تحقيق الألباني (٤٣٢٧).

(٤) السير الحثيث اختصار علوم الحديث (ص ٣٥٧).

قولها: (أن نبي اللَّه صعد المنبر فضحك): أي: فاطمة بنت قيس أنها رأت من النبي ﷺ وضحكه حال صعوده المنبر بعد صلاة العشاء والذي ما كان يصعده إلا يوم الجمعة.

ولعل سبب ضحك النبي ما يفسره قوله ﷺ: «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة»[(١)].

قوله ﷺ: (إنَّ تميمًا الداري حدثني بحديث): أبو رُقَيَّة[(٢)] تَميمٌ الدَّاريّ بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللَّخمي، الفلسطيني. والدَّار: بطن من لَخم، ولَخم[(٣)] فخذ من يَعرُب بن قحطان. والداري منسوب إلى جد له اسمه الدار.

لما وفد تميم الدَّاري إلى النبي ﷺ كان نصرانيًا، ثم أسلم سنة تسع

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، عن فاطمة بنت قيس.

(٢) أبو رقية: كنيته وهي ابنته وقيل أنه لم ينجب غيرها.

(٣) وهو مالك بن عدي، أخو جذام وعامله، وقد تفرقت بطون لخم، فلخم ذو شعوب وقبائل كثيرة، وكانت قبل الإسلام بزمن بعيد منتشرة في الشام والعراق وباديتها وفي مواقع متعددة من فلسطين. قال ابن حزم في الجمهرة: ودار لخم بالشام بين مصر والشام، وحوالي العريش. واللخميون حضروا فتح مصر، ونزلوا قرية المغار قرب الرملة في فلسطين. وكانت ديارهم في هذا الصقع ممتدة إلى الداروم «دير البلح» ثم الجفار - في سيناء - ثم نزل اللخميون مع من يخالطهم حول الرملة إلى نابلس، كما كانت لهم من تبوك إلى زغر - غور الصافي - ثم بحيرة لوط - البحر الميت - واستقروا في الخليل وجبالها، وفي صفورية شمال فلسطين. كتاب: تميم الداري، تأليف محمد محمد حسن شراب (ص ٣٦-٣٧).

للهجرة[١]. وكان عابدًا، تَلَّاءً لكتاب اللَّهِ. وروي أنّه «قرأَ القُرآن في ركعة[٢] وهو ممن جَمَع القرآن على عهد رسول اللَّه ﷺ، وأوَل من أَسرج في المساجد[٣]، وأول من قصَّ، واستأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فأذن له[٤]. وقد روى عنه النبي ﷺ قصة الجساسة، وهذه منقبة شريفة لتميم، سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان، وقيل أنه مات سنة أربعين[٥].

---

(١) كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/ ٤٢٨-٤٢٩) باختصار وتصرف يسير.

(٢) عن ابن سيرين في شعب الإيمان.

(٣) عن أبي سعيد الخدري، قال الألباني: ضعيف جدًا سنن ابن ماجه. قال ابن سيده: السراج: المصباح، والجمع سرج، والمسرجة التي فيها الفتيل، التي يجعل فيها النار. وأسرج السراج: أوقده. والّذي أسرج المسجد على عهد رسول اللَّه ﷺ سراج، قال: أبو عمر ابن عبد البر «سراج» مولى تميم الداريّ قدم على النبي ﷺ في خمس غلمان بتميم، وروى عنه في تحريم الخمر، وأنه أسرج في مسجد رسول اللَّه ﷺ بالقنديل، والزيت، وكانوا لا يسرجون قبل ذلك إلا بسعف النخل فقال رسول اللَّه ﷺ: من أسرج مسجدنا؟ فقال تميم: غلامي هذا، فقال: ما اسمه فقال: فتح، فقال النبي ﷺ: اسمه سراج، قال: فسماني رسول اللَّه ﷺ سراجًا. (إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٠/ ٤١٢). عن سراج أبو مجاهد اليمني، من أهل اليمن. روى عنه ابنه علي بن مجاهد بن سراج، أسد الغابة (١/ ٤٢٠).

(٤) عن السائب بن يزيد أنّه «لم يكُن يُقصُّ على عهد رسول اللَّهِ ﷺ، ولا على عهد أبي بكر، وكان أَول من قصّ تميم الدَّاري، فاستأذَن عُمر أَن يَقُصَّ عَلَى النَّاسِ قائِمًا، فأَذن له عمر رضي الله عنه» شعب الإيمان.

(٥) تقريب التهذيب (١٣٠). ويقال: وجد على بلاطة قبر تميم الداري: مات سنة أربعينَ. (سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/ ٤٤٣-٤٤٨).

وقبره ببيت جبرين[(١)] في فلسطين[(٢)]. وتولى إمارة بيت المقدس، كما روى ذلك روح بن زنباع: قال دخلت على تميم الداري وهو أمير على بيت المقدس وهو ينقي لفرسه شعيرًا...)[(٣)].

حدَّث عنه: ابن عباس، وابن موهب عبد اللَّهِ، وأنس بن مالك، وآخرون، عدد أحاديثه: يبلغ ثمانية عشر حديثًا، منها في صحيح مسلم حديث واحد[(٤)]. قال البخاريّ: هو أخو أبي هند الدَّاري. قال ابن سعد: كان وفد الدَّاريّين عشرة، فيهم تميم.

قوله: (حدثني): هذا معدود في مناقب تَميم؛ لأن النبي ﷺ روى عنه هذه القصة. وفيه رواية الفاضل عن المفضول، ورواية المتبوع عن تابعه، وفيه قبول خبر الواحد بيد أن الذي انفرد بنقل هذا الخبر إلى الرسول ﷺ هو تميم الدّاري رضي الله عنه.

---

(١) بيت جبرين: تقع في الشمال الغربي من مدينة الخليل على مسافة ستة وعشرين كيلاً، وتبعد عن القدس ثمانية وخمسين كيلاً، وهي بلدة قديمة تعود بتاريخها إلى جبابرة العمالقة؛ لأن معنى بيت جبرين «بيت الرجال الأقوياء» كانت عامرة حتى سنة ١٩٤٨م، وكان قبر تميم في شمال القرية وعليه مقام. (معجم بلدان فلسطين، محمد محمد حسن شراب).

(٢) الثقات لابن حبان (٣/ ٤٠)، رجال مسلم (١/ ١٠٧).

(٣) المعجم الكبير (٢/ ٥١)، المعجم الصغير (١/ ٣١)، إتحاف الأخصا (ق ٣٨ب).

(٤) وحديثه في مسلم (٩٥) هو: عن تميم الدَّاري أن النَّبي ﷺ، قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

قوله: (ففرحت فأحببت أن أحدثكم): أطل النبي ﷺ على أصحابه من منبره وهو يتبسم ضاحكًا على عادته الشريفة، ومن شدة فرحه بما سمعه من تميم عاجلهم بعد عشائهم صاعدًا منبره ومن غير عادته ليخبرهم بخبر تميم الداري.

قوله: (أنَّ ناسًا من أهل فلسطين): وهذا فيه إثبات أن تميمًا ومن كان معه في هذه الرحلة البحرية كانوا من أهل فلسطين، وكان ذهابهم أو إيابهم منها أو إليها، [وهذا فيه أن اسم فلسطين كان معروفاً زمن النبي ﷺ وصحابته الكرام، لذلك سميت هذه الأربعون نسبة إليها].

فلسطين حدها وسبب تسميتها:

وفِلَسْطِينُ: بالكسر ثم الفتح، وسكون السين وطاء مهملة وآخره نون، والنسبة إليه فَلَسْطي. وهي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها البيت المقدس.

وقيل في تحديدها: إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام أولها رفح من ناحية مصر وآخرها اللجون من ناحية الغور وعرضها من يافا إلى أريحا نحو ثلاثة أيام أيضًا وزغر ديار قوم لوط وجبال الشراة إلى أيلة كله مضموم إلى جند فلسطين وغير ذلك وأكثرها جبال والسهل فيها قليل، وقيل: إنها سُمِّيت بفلسطين ابن سام بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وقال الزجاجي: سميت

بفلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح، وقال هشام بن محمد نقلته من خط جخجخ: إنما سميت فلسطين بفليشين بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح ويقال: ابن صدقيا بن عيفا بن حام بن نوح ثم عربت فليشين.

وقف تميم الداري في فلسطين:

اختص رسول اللَّه ﷺ تميم بوقف أوقفه إيّاه من أرض فلسطين لِيُثبتَ مكانته ويُثبّته في مكانه، أملًا بفتحها ونشر الدين فيها، كما يروي ذلك سَماعَة، فقال: أن تَميما الدّاري سأل رسول اللَّه ﷺ أن يقطِعَه قَرْيات بالشأم: عَيْنُونَ[١] وفُلانَة، والموضع الّذي فيه قبرُ إبراهيم وإسحاق ويعقُوب صلوات اللَّه عليهِم، قال: وكان بِها رُكْحُهُ[٢] وَوَطَنُهُ، قال: فأعجب ذلك رسول اللَّه ﷺ، فقال: إذا صلَّيتُ فسلني ذلك.

فَفَعَل، فَأَقْطَعَهُ إِيَّاهُنَّ بما فِيهنّ، فلمَّا كان زَمن عمر، وفتح اللَّه تبارك

---

(١) عينون: بالفتح كلمة عبرانية جاءت بلفظ جمع سلامة العين ولا يجوز في العربية وهو بوزن هينون ولينون، إلا أن يريد به العين الوبيئة، فإنه حينئذ يجوز قياسًا ولم نسمعه، قيل هي من قرى بيت المقدس، وقيل قرية من وراء البثنية من دون القلزم في طرف الشام. معجم البلدان، للحموي، باب العين (٤/ ١٨٠).

(٢) قَال أبو عبيد: أهل المدينة إذا اشتروا الدَّار قالوا: بجميع أَركاحها، أي نواحيها. كتاب الأموال، لأبي عبيد بن سلّام (ص ٢٥٤)، رقم (٦٨٣).

وتعالى عليه الشّأم، أمضى له ذلك[١]. وقال عمر لتميم: ليس لك أَن تَبيع. قال: فهي في أيدي أهل بيتِه إِلى اليوم[٢].

وقد سجَّل هذا الوقف رسميًا عام ١٠٩٦م، وكان مصروفًا على منطقة الخليل. وأصبح يشمل أكثر من ٦٠٪ من منطقة الخليل، وكان دخله سنة ١٩٤٧م، يصل إلى ١٥ ألف جنيه. لكن استغل الصهاينة معظم أراضيه وعقاراته في الاستيلاء على ٥٠٠ دونم بموجب القرار العسكري رقم ٥٩، بحجة الأمن تارة، وبحجة أن أراضيه أميرية لأنها خارج مدينة الخليل.

وجدير بالذكر أن هناك ٣٤٠ قرية فلسطينية تعد وقفا كليًا وجزئيًا، وأن ما نسبته ما بين ٥-٧٪ من مساحة أرض فلسطين كانت وقفًا و١٥٪ من مساحة الريف كانت وقفًا، و٧ ٪ من المدن هي أوقاف، وما نسبته ٩٠٪ من العقار، وبتقدير لوستك أن ٧٥٪ من أراضي الأوقاف في عام ١٩٤٨م نقلت إلى مؤسسات يهودية.

---

(١) كتاب الأموال، أبي عبيد بن سلّام، (ص ٢٥٥) رقم (٦٨٣)، من سعيد بن عفير، عن ضمرة بن ربيعة.

(٢) كتاب الأموال، أبي عبيد بن سلّام (ص ٢٥٥) رقم (٦٨٤)، من حديث عبد اللَّهِ بن صالح، عن اللّيث بن سعد. وأوقفها تميم على ذريته وعلى خيرات حددها، ووصفها المقدسي ضيافة دائمة مع خباز وطباخ وخدم مرتبون يقدمون العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء، ويدفع إلى الأغنياء إذا أخذوا، ويظن أكثر الناس أنه من قرى إبراهيم، وإنما هو وقف تميم الداري ضي اللَّه عنه وغيره.

وتم نقل ما بين ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من أوقاف أراضي الـ٤٨ إلى المؤسسات الصهيونية، والتي جاءت متناسقة مع بداية موجات الهجرة اليهودية وازدياد عدد اليهود.

ومن ضمن الإجراءات التي سعى إليها الصهاينة للاستيلاء على الأوقاف وبحكم القوة والأمر الواقع، ثم العمل على استيعاب إداراتها والإشراف عليها، وتقسيمها إلى أوقاف دينية وأوقاف علمانية، وإسناد أمر الأوقاف الدينية إلى وزارة الأديان، والأوقاف العلمانية إلى سلطات الدولة المختصة[١].

قوله: (ركبوا سفينة في البحر): سفينة في البحر قال القاري: أي لا برية احترازًا عن الإبل فإنها تسمى سفينة البر وقيل أي مركبًا كبيرًا بحريًا لا زورقًا صغيرًا نهريًا.

قوله: (فَجالت بهم حتى قذفتهم في جزيرةٍ من جزائرِ البحرِ): فجالت: حوَّلتهم عن القصد والمسار. جال يَجُول جَوْلَة إذا دار[٢].

«قذفتهم»: أي رمت بهم إلى الجزيرة، والمراد أن السفينة بعد أن

---

(١) بتصرف واختصار من كتاب: الأوقاف الإسلامية في فلسطين ودورها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، د. سامي محمود الصلاحات.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (١٧٤).

تحطمت فركبوا لوحًا من ألواحها[١] فألقت بهم على شاطئ جزيرة. وقد أبهمت الجزيرة هنا لحكمة من اللَّه تعالى، فلا يدرى هذه الجزيرة من أي الجزر، وأين موقعها.

غير أن صاحب مصابيح السنة يرى في قول النبي ﷺ: «ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو»: لم ير النبي ﷺ أن يبين لهم موضعه فردد ولم يعين، ويحتمل أن يكون المراد بالبحرين ما يلي جانب الشام واليمن، من البحر الممتد على ساحل العرب، ثم أضمر عن القولين وقال: لا بل من قبل المشرق ما هو: أي من قبل المشرق هو، و(ما) صلة، ويجوز أن تكون بمعنى الذي، أي: من قبل المشرق ما هو فيه»[٢].

قال القرطبي: في (التذكرة) هو شك أو ظن منه ﷺ أو قصد الإبهام على السامع ثم نفى ذلك وأضرب عنه بالتحقيق، فقال: «لا بل من قبل المشرق» ثم أكّد ذلك بـ «ما» الزائدة والتكرار اللفظي، فما زائدة لا نافية.

وقال النووي في (شرح مسلم)، قال القاضي: لفظة «ما هو» زائدة صلة للكلام ليست بنافية، والمراد إثبات أنه في جهات المشرق[٣].

---

(١) من حديث فاطمة بنت قيس أن رسول اللَّهِ ﷺ قعد على المنبر فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ حَدَّثَنِي تَمِيمٌ الدَّارِيُّ أَنَّ أُنَاسًا مِن قَومِهِ كانُوا في البَحر في سَفينَة لَهُم فانكَسَرَت بِهِم فَرَكِبَ بعضُهُم على لَوحٍ مِن أَلْواح السَّفِينَة فَخَرجُوا إِلى جزِرَة في البَحر». أخرجه مسلم (٧٥٧٦).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ٣٧١-٣٧٣).

(٣) المادة المشروحة بتصرف واختصار من صحيح مسلم بشرح النووي (٩/ ٦٩-٧٠). وعون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الملاحم (ص١٨٧٣-١٨٧٤).

ولما قذفتهم وفي رواية: «ثم أرفؤوا إلى جزيرة»[١] أي قربوا السفينة للموضع الذي تشد إليه وتوقف عنده. وإرفاء السفينة تقريبها من الشط، والمرفأ: الموضع الذي تقرَّب إليه السفينة لتوقف عنده[٢].

قوله: (فإذا هم بِدابَةٍ لبَّاسةٍ ناشرة شعرها فقالوا: ما أَنتِ؟ قالت: أنا الجسَّاسَةُ): قال صاحب «التحفة»: «الظاهر أنها صيغَة مُبالغة من اللُّبسِ وأنّ المراد بقوله «لَبَّاسَة» كثيرة اللِّباس وكُنّي بكثرة لباسها عن كثرة شعرها وقوله: «ناشرة شَعرها» كالبيان له (نَاشِرَةٍ) بالجرّ صِفة ثانية لدابَّة أي جاعِلة شَعرها مُنتشرة»[٣].

وفي رواية[٤]: «دابة أهلب كثير الشعر» والدابة يطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، كذا قالوا: والأظهر أنه بتأويل الحيوان قاله القاري. وذكر صاحب «مصابيح السنة» والأهلب: من الهُلبة وهي ما غلُظ من شعرها[٥].

و«الجساسة» بفتح الجيم، وتشديد السين المهملة الأولى، قيل هي تجس الأخبار فتأتي بها الدجال، وقيل: هي الدابة التي تخرج آخر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).
(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٧١-٣٧٣).
(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٣٧)
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).
(٥) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٧١-٣٧٣).

الزمان، ولا دليل عليه[١].

قوله: (قالوا: فأخبرينا، قالت: لا أخبرُكم ولا أَستَخْبِرُكم، ولكن ائتوا أقصى القرية، فإن ثَمَّ مَنْ يُخبِرُكم ويَستخبِرُكم): وفي رواية: (فإنه إلى خبركم بالأشواق)[٢] أي: شديد الشغف بما عندكم من الخبر، وكأن له أشواقًا إليه يهيم بها[٣].

أي إن الرجل الذي في الدير وفي أقصى القرية شديد الأشواق إلى ما عندكم من أخبار وأحوال يريد أن يعرفها ومهتم بها جدًا، قال التوربشتي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي شديد نزاع النفس إلى ما عندكم من الخبر حتى كأن الأَشواق مُلصَقة به أو كأنّه مُهتم بها[٤].

قوله: (فَأتيْنا أقصى القريةَ): وفي رواية: (فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير): أي انطلقنا مسرعين إلى الدَّير: وهو خان النصارى، وفي التهذيب: ديرُ النصارى، والجمع أديار، وصاحبه الذي يسكنه ويعمره ديَّارٌ ودَيرانيٌّ[٥]، والمراد هنا القصر[٦] أو السكن أو

---

(١) شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن الحنفي (٤/ ٣٩٨-٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٧١-٣٧٣).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (٨/ ٣٤٧٢).

(٥) لسان العرب، ابن منظور (٤/ ٣٠٠).

(٦) كما هو في رواية، فاطمة بنت قيس، أَن رسول اللَّهِ ﷺ أَخَّر العشاء الآخرة ذات ليلة، ثم خرج، فقال: إنّه حَبسنِي حَديثٌ كان يُحَدِّثُنيه تميمٌ الدَّارِيُّ عن رجل كان في =

المحبس أو الذي عزل فيه بعيد عن أعين الناس.

قوله: (فإذا رجل موثَق بِسِلسلة): وفيه تأكيد على أنه ذكر وليس أنثى وأنه من سائر البشر وأنه مقيد وليس حر التصرف والحركة، وفي رواية: شديد الوثاق[١]، أي مقيد بالسلاسل والأغلال بإحكام، ولما رأوه وحاله الذي هو عليه خافوا منه وفزعوا كما جاء قولهم في إحدى الروايات: «فرقنا»[٢] أي خفنا.

لكنه رفض أن يخبرهم عن حاله إلا إذا أجابوه عما يسأل عنه كما جاء في قوله: «قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم»: أي تمكَّنتُم من خبري، لا أحبسه عنكم، فأحدِّث لكم عن حالي، فأخبروني عن حالكم وما أسأله عنكم أولًا[٣].

قوله: (فقال: أَخبِروني عَن عَيْنِ زُغَر، قلنا: مَلأى تَدْفِقُ): فكان أول سؤاله عن عين في الشام وهي: عين زُغَر: بزاي وغين

= جزيرة من جَزَائِر البَحر، فإذا أَنا بامرَأَة تَجُرّ شعرَهَا، قال: ما أَنت؟ قالت: أَنا الْجَسَّاسَةُ، اذهَب إِلى ذَلِك القَصر، فأَتيتُه، فَإِذا رجلٌ يَجُرُّ شعرَهُ، مُسَلسلٌ في الأغلالِ، ينزُو فيما بَيْنَ السَّماء والأرض، فَقُلت: من أنتَ؟ قال: أَنا الدَّجَّال، خرَج نَبي الأُمِّيين بعدُ؟ قلت: نعم، قال: أطاعُوه أم عَصوهُ؟ قُلتُ: بل أَطاعُوه، قال: ذاك خير لهم. أخرجه أبو داود (٤٣٢٥).

(١) شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن الحنفي (٤/ ٣٩٨-٣٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٧١-٣٧٣).

معجمتين وراء مهملة، بلدة معروفة بالشام، في الجانب القبلي من الشام[١] وهي عيْن بالشَّام من أرْض البلْقاء. قيل هو اسم لها، وقيل اسم امرأة نُسِبت إليها[٢].

وفي رواية مسلم: «هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها».

قوله: (قال: أخبروني عن البُحيرة): وفي رواية: «عن بحيرة طبرية»[٣] وفي رواية: «قال: أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهب»[٤] أي بحيرة طبرية والبحيرة: تصغير البحر. وفي رواية: قوله: «هيهات» كأنه يريد تغير أحوال هذه الأشياء[٥].

قوله: (قلنا: ملأى تدفق): أي مليئة بالماء.

قوله: (قال: أخبروني عن نَخل بَيْسان الذي بين الأردن وفلسطين هل أطعم؟ قلنا: نعم): في رواية قال: «أما إنها توشك ألا

---

(١) شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن الحنفي (٤/٣٩٨-٣٩٩). وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ وهي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام قليلة النبات، قيل عدم صرفه للتعريف والتأنيث؛ لأنه في الأصل اسم امرأة ثم نقل، يعني ليس تأنيثه باعتبار البلدة والبقعة فإنه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٣٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وشرح السنة للبغوي ٤٢٦٨).

(٥) شرح السنة، البغوي (٤٢٦٨) (١٥/٦٦).

تثمر»[(١)]. أي: هل أثمر؟ يقال: بأرض فلان من الشجر المطعم كذا، أي: يعطي[(٢)] أي: المثمر[(٣)].

بيسان مكانها وسبب تسميتها:

قوله: (بَيْسَانُ): بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون. مدينة بالأردن[(٤)] بالغور الشامي، وهي من أرض فلسطين التي احتلها اليهود وقد نشأت بيسان فوق موضعها الحديث نسبيًا في أوائل القرن التاسع عشر[(٥)].

يرجع شأن بيسان إلى عصور ما قبل التاريخ، أي إلى أكثر من ستة آلاف سنة قبل الميلاد. حملت في العهود الكنعانية اسم «بيت شان»،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) وشرح السنة للبغوي (٤٢٦٨).

(٢) شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن الحنفي (٤/ ٣٩٨-٣٩٩)، دار المعرفة - بيروت، ت: خليل مأمون شيحا.

(٣) شرح السنة، البغوي (١٥/ ٦٨).

(٤) الأرْدُن: بالضم ثم السكون وضم الدال المهملة وتشديد النون. يقول اللغويون: أن الأردن النعاس، والظاهر أن الأردن الشدة والغلبة، وأهل السير يقولون إن الأردن وفلسطين ابنا سام بن آرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي أحد أجناد الشام الخمسة وهي كورة واسعة الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك. وللأردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك مما ذكر في مواضعه، افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن عنوة. (معجم البلدان، ياقوت الحموي: (١/ ١٤٧-١٤٨).

(٥) المصدر السابق (١/ ٤٨٥).

وقد يعني هذا الاسم بيت الإله شان أو بيت السكون، وقد أخذ اليهود من الكنعانيين التسمية.

وهي بلدة وبئة حارة أهلها سمر الألوان، جعد الشعور لشدة الحر الذي عندهم[١] ولأنها تنخفض ١٣١ مترًا عن سطح البحر، وقيل بها جامع ينسب إلى عمر بن الخطاب[٢].

وبعد أن اغتصب اليهود (بيسان) في حرب فلسطين في ١٢ / ٥/ ١٩٤٨م هدموها وأقاموا عليها مغتصبة جديدة، في عام ١٩٤٩ دعوها باسم (بيت شعن -an eit Sh) كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٨٧٥) يهوديًا[٣].

وقد ارتبطت بيسان بشبكة مهمة من طرق المواصلات، وقد جذب موقعها الأنظار فكانت محطة تتجمع فيها القوافل التي تسير بين الشام ومصر، وبمرور الزمن استطاعت أن تغري كثيرًا من التجار والغزاة بالاستقرار فيها[٤]، وكانت معبرًا للغزوات الحربية بينهما أيضًا.

وتكمن أهميتها التجارية والعسكرية والزراعية لوقوعها على الطريق

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٥٢٧). بيسان: قرية من الأردن بغور الشام. (الجبال والأمكنة والمياه الزمخشري).

(٢) الإشارات إلى معرفة الزيارات، الهروي (٢٨).

(٣) بلادنا فلسطين، الدباغ، ج /الأول ، القسم الأول (١٨٧-١٨٨).

(٤) الموسوعة الفلسطينية (١/ ٤٨٤-٤٨٥).

العام الذي يصلها بشرق الأردن وحوران ودمشق، ولوجودها في غور خصب تتوفر فيه المياه، ويزرع فيه النخيل والقطن والحبوب وغيرها[١].

وتحدث عنها الإدريسي (المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) بقوله: (أما بيسان فمدينة صغيرة جدًا بها نخل كثير، وبنيت فيها السافان التي تعمل منه الحصر السافانية، ولا يوجد نباته إلّا بها وليس في سائر الشام شيء منه)[٢].

قوله: (قال: أخبروني عن النبي هل بعث؟ قلنا: نعم): يسأل عن بعثة النبي ﷺ لعلمه المسبق بذلك لكنه لا يعلم متى.

قال: (أخبروني كيف الناس إليه؟ قلنا: سِرَاعٌ): بكسر السين أي مسرعون ومفردها سريع، أي مبادرون يسابق بعضهم بعضًا إلى دعوته.

قال: (فَنَزَّى نَزْوَةً حتى كاد، قلنا: فما أنت؟ قال: أنا الدجال): نزا: وثب (نزوانًا) أيضًا بفتحتين[٣]. نَزَوْتُ على الشيء أي: وَثَبْتَ عليه[٤].

والدجال: أي الكذاب. وأصل الدجل الخلط يقال: دجَّل إذا لبَّس وموَّه[٥]، وفي رواية قال: «إني أنا المسيح» وسمي به؛ لأن عينه

---

(١) الموسوعة الفلسطينية (١/ ٤٨٦).
(٢) المصدر السابق (١/ ٤٨٧).
(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٦٥٦).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٩١١).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، باب دجل.

الواحدة ممسوحة وفي تسميته وجوه أخَر، والمسيح بالعبرانية: مَشيحا، فعرِّب كما قيل في موسى موشى[(١)].

والماشيَّح: كلمة عبرية تعني «المسيح المخلص»، وهي مشتقة من الكلمة العبرية «مشح» أي: «مسح» بالزيت المقدَّس، ويدّعي اليهود أنه ملك من نسل داود ينهي عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص، ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون، ويحطم أعداء اليهود، ويعيد بناء الهيكل، ويتخذ القدس عاصمة لهم، ويحكم بشريعة التوراة[(٢)].

والدَّجال، يطلق لغة على وجوه منها، كما جمعها ابن دحية: الكذاب، والدجل: وهو طلي البعير الأجرب بالقطران، ولضربه نواحي الأرض وقطعها، التغطية: قال ابن دريد: كل شيء دجلته فقد غطيته[(٣)].

وقال البغوي[(٤)]: بعض الناس يقولون الدجال مِسِّيحٌ بكسر الميم وتشديد السين على وزن فِعِّيلٌ، وليس بشيء، بل هما في اللفظ واحد، وسمي عيسى عليه السلام مسيحًا؛ لأنه كان يمسح الأرض أي:

---

(١) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري (٣/ ٣٦٦).

(٢) لمزيد فائدة راجع: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري (٢/ ١٠٤).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٦٠٦).

(٤) انظر: شرح السنة، البغوي (١٥/ ٦٤).

يقطعها، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا بَرِئ.

وأما الدجال فسمي مسيحًا، لأنه ممسوح إحدى العينين، والمسيح الأعور وبه سُمِّي الدجال.

وخروج الدجال هو أول العلامات الكبرى كما قال ابن حجر: فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم عليه السلام[1].

قوله: (وإنه يدخل الأمصار كلها إلا طيبةَ، وطيبة: المدينةُ): طيبة: هي اسم لمدينة رسول اللَّه ﷺ، يقال لها: طيبة وطابة من الطيب، وهي الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها، وقيل: لخلوها من الشرك وتطهيرها منه، وقيل: لطيبها لساكنيها، ولأمنهم ودعتهم فيها، وقيل: من طيب العيش بها[2]. أو لأنها طاهرة من الخبث والنفاق، كما قال ﷺ: «المدينة كالكير تنفي خبثها وينصّعُ طيِّبها»[3]. قوله ﷺ عام استثنى منه المدينة وفي مقام آخر استثنى المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد الطور من قول النبي ﷺ إن الدجال تطأ قدمه كل مكان في الأرض: «إلّا أربعة مساجد: مسجد الحرام،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١١/ ٣٥٣).
(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٦٠- ٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٧٢١٦).

ومسجد المدينة، والطور، ومسجد الأقصى. . .»[١] كما مرّ معنا عند شرح الحديث الرابع والثلاثين.

من فوائد الحديث:

١- الصحابي الجليل تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجيب الدجال بجواب العارف بهذه الأمكنة بل ويبدو أنه حديث عهد بها.

٢- فلسطين كانت مسكن تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه وقت ركوبهم البحر وما حدث لهم به.

٣- اختص نبينا ﷺ في توصيف الدجال وبما لم يُنَبَّأ أو يخبر به غيره من الأنبياء.

٤- قوله: ففرحت، فيه محبة النبي ﷺ لإسعاد أصحابه وإدخال السرور عليهم وإشاعته فيهم وكأنه أَنِس بهذا الخبر، فسارعهم بما يسرُّهم به.

٥- من تواضع النبي ﷺ أنه ينقل الخبر عمن دونه ويعلنه على ملأ من منبره وبكل انشراح صدر وابتسامة تعلو محيَّاهُ.

٦- في الحديث دليل أن الدجَّال حي يرزق وموجود على الكرة الأرضية، ويخرج آخر الزمان.

---

(١) انظر الحديث الخامس والثلاثين من هذا الكتاب.

٧- لم يثبت عن غير تميم الداري والنفر الذين كانوا معه أن أحدًا غيرهم رأى الدجال أو سَيَرَاه إلى آخر أيام الدنيا، واللَّه أعلم.

٨- الدّجال يعترف أنه دجّال وما تحمله الكلمة من معانٍ سلبية في حقّه.

٩- هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ وأنه يخبر عن أمر سيقع لا محالة آخر الزمان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الحديث السابع والثلاثون
عِيسَى عليه السلام يَقْتُلُ الدَجَّالَ فِي فِلَسْطِين

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِي: «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتُ الدَّجَّالَ فَبَكَيْتُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إِنْ يَخرجْ الدَّجالُ وأنا حيٌّ كَفيتُكُموهُ، وإِنْ يَخرجْ بعدي؛ فإنَّ ربكُم لَيس بِأَعورَ، إِنَّهُ يخرُجُ في يَهودِيَّةِ أَصبهانَ وفي رواية: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة)[١]، وفي رواية: (إنه خارجٌ خلَّةً بين الشام والعراق)[٢]، حتَّى يأتِيَ المدينةَ، فَينزلَ ناحِيَتها، ولها يَومئذٍ سَبعةُ أَبوابٍ، عَلى كُلِّ نقبٍ منها مَلَكانِ فَيخرُجَ إليهِ شرار أهلها، حَتَّى يَأتيَ فِلَسطينَ بابَ لُدٍّ، وفي رواية: (بفناء)[٣]، وفي رواية: (بَابِ لُدٍّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ)[٤]، وفي رواية: (فَيُهلِكَهُ اللَّهُ عِندَ عَقَبَةِ

---

(١) أخرجها مسلم (٢٩٤٤) عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجها مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان.

(٣) أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤٩٣) عن سالم عن أبيه عن عمر، قال الألباني: في قصة المسيح الدجال، من حديث عائشة إسناد صحيح (ص٦٠).

(٤) أخرجها، نعيم بن حماد (١٥٦٢) من حديث أبي أمامة الباهلي وصححها الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٨٧٥) والسلسلة (٢٤٥٧).

أَفِيقٍ)[١] **فَيَنزِلَ عيسى**، وفي رواية: (عند صلاة الفجر)[٢]، وفي رواية: (عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهرُودَتَينِ)[٣]، وفي رواية: (عليه ممصَّرتان)[٤][٥]، وفي رواية: (من السماء فيؤم الناس)[٦]، وفي رواية عن أبي هريرة: (فأمَّكم منكم)[٧]، وفي رواية: (فيقول أميرهم، وفي رواية بزيادة: (المهدي)[٨]، وفي رواية: (تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه هذه الأمة)[٩]، وفي رواية: (فيقاتل الناس على الإسلام،

---

(١) أخرجها أحمد (٢١٩٢٩)، وأبو داود الطيالسي (١٢٠٢) والروياني (٦٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٤٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤٧٩) وجميعهم عن سفينة مولى رسول اللَّه ﷺ.

(٢) أخرجها أحمد (١٧٩٠٠) من حديث عثمان بن أبي العاص، وصححها الألباني في كتابه الماتع: قصة المسيح الدجال، وقال عنه: رجاله ثقات رجال مسلم (ص ٩٦).

(٣) أخرجها مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان.

(٤) مجمع الزوائد (٨/ ٣٧٧) وقال الهيثمي رجاله ثقات، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص٥٨): وقال هذا إسناد صحيح. وصحيح الجامع الصغير (٨١٦٩)، عن أوس بن أوس الثقفي.

(٥) الممصرة من الثياب: هي التي فيه صفرة خفيفة. فضائل الشام ودمشق، تحقيق الألباني (٢٦).

(٦) صححها الألباني من حديث أبي هريرة في قصة المسيح الدجال، ص ٥٥، وقال: إسناده جيد.

(٧) أخرجها مسلم (٢٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٨) صححها الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٣٦).

(٩) أخرجها مسلم (٢٤٧) وفيه لفظة: أميرهم، من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه.

فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام)[١] **فَيَقتُلَهُ ثُمَّ يَمكُثَ عيسى في الأَرضِ أَربعينَ سَنَةً إِمامًا عَدلًا، وَحَكَمًا مُقسِطًا،** وفي رواية: (ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه)[٢]، وفي رواية: (وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم)[٣][٤].

ترجمة الصحابية راوية الحديث:

سبقت ترجمتها في الحديث الثامن.

---

(١) أخرجها أبو داود (٤٣٢٤)، من حديث أبي هريرة، وصححها الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢)، وفي كتاب قصة المسيح الدجال (ص١٠٠)، قال: إسناده صحيح.

(٢) أخرجها أبو داود (٤٣٢٤)، من حديث أبي هريرة، وصححها الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢).

(٣) أخرجها ابن ماجه ٤٠٧٧ من حديث أبي أمامة الباهلي، وصححها الألباني في صحيح الجامع (٧٧٥٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٤٦٧) بهذا اللفظ ، وابن حبان (٦٨٢٢)، وأشار ابن خزيمة في مقدمة التوحيد (١٠٣) أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح، قال ابن كثير في نهاية البداية والنهاية (١/ ١٣٥) «إسناده لابأس به وله شاهد»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٨) «رجاله رجال الصحيح غير الحضرمي هو ثقة» أشار ابن حجر في هداية الرواة (٥/ ١٣٩) أنه حسن كما بين في المقدمة وصحح إسناده الألباني في «قصة المسيح الدجال» ص٦٠.

سبب ورود الحديث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول اللَّه وأنا أبكي، فقال لي: ما يبكيك؟ قلت، يا رسول اللَّه ! ذكرت الدجال فَبكيتُ. فقال رسول اللَّه ﷺ: الحديث.

شرح الحديث:

الدجال مُدَّعِي الربوبية، صاحب أعظم فتنة تمر بالبشر عبر التاريخ، وخروجه من أشراط الساعة الكبرى، لا يخفى حاله عن المؤمن، يعرفه بكلمة «كافر» على جبين الدجال، يقرؤها كل مؤمن قارئ أو غير قارئ.

ومع هذا، غير أنك لا تجد التصريح بذكر الدجال في القرآن الكريم، إلا تلميحًا، في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقد علل البعض من عدم ذكره صراحة في القرآن احتقارًا له. واللَّه أعلم.

قوله: (إنْ يَخرجْ الدَّجالُ وأنا حيٌّ كَفيتُكُموهُ): سبق معنا في الحديث السابق شرح معنى كلمة الدجال، وقوله: «وأنا حيٌّ كَفيتُكُموهُ» أي أن النبي ﷺ سيتولى أمر الدجال والرد على أكاذيبه إن خرج في زمانه ﷺ.

قوله: (وإنْ يَخرجْ الدجالُ بعدي): وهي دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب.

قوله: (فإنَّ ربكُم ليس بأَعورَ): فيه وصف عين الدجال بالعور، غير أنه وقع خلاف بين بعض الروايات في عور عين الدجال، فمنها بأن عور العين في اليمنى وروايات جاءت عور العين اليسرى، وقد جمع القاضي عياض بين هذه الروايات فقال: «بأن كل واحد من عينه عوراء من وجه ما، إذ العور في كل شيء العيب، والكلمة العوراء: هي المعيبة، فالواحدة العوراء بالحقيقة وهي التي وصفت بالحديث بأنها ليست ناتئة وممسوحة ومطموسة وطافئة على رواية الهمز، والأخرى عوراء؛ لعيبها اللازم لها لكونها جاحظة، أو كأنها كوكب دري، أو كونها عنبة طافية بغير همز، فكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال بمعنى، أو بمعنى العور الأصلي».

وحاصله كما قال القرطبي أن كل واحدة من عيني الدجال عوراء إحداهما بما أصابها حتى ذهب إدراكها، والثانية عوراء بأصل خلقها معيبة[1].

قوله: (إنه يخرُجُ في يَهودِيَّة أَصبهانَ): وفي رواية عن أنس بن مالك: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة) ويقال: أَصبَهَانُ وإِصْبَهان: منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر، وكسرها آخرون. وتقال أيضًا بالفاء في موضع الباء، وأصلها

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٦٠٠).

بالفارسية سباهان، وسباه معناه عسكر، وهان الجمع، وكانت مجتمع العساكر. و«الطيالسة» جَمْعُ طَيْلَسَانٍ، وَهُوَ نَوْعٌ من الأردية، وهو من لباس اليهود قديمًا، وكان يلبسها يهود خيبر[١]، ولا يعني ذلك كراهة لبسها لكنه مما عرف به اليهود ولم تكن تعرفه العرب، مقور: أي مدور الشكل ينسج نسجًا.

وفي رواية عن أبي بكر الصديق ﷺ: «أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان»[٢] وفي أخرى: (إنه خارجٌ خلَّةً بين الشام والعراق)[٣] والخلة: أي في الطريق.

وهذا الاختلاف في موضع خروجه يحمل على أنه يخرج مرة بعد أخرى، وأما مرو وأصبهان وشبهها فشيء واحد، لأنه تارةً عبر بالإقليم ومرة بالبلد وتارة بالمكان، فلا اختلاف[٤]. وأن اليهود هم من يتبع الدجال ويطيعه، وهذا مما يلبسونه اليوم من طيالسة يعرفون به حينها.

حتما أنه يخرج من جهة المشرق، لكن التصريح بالخروج في خراسان وليس مثله من أصبهان سوى لفظة «يخرج في يهودية أصبهان» ورواية أخرى أخرجها مسلم من رواية أنس بن مالك «يَتْبَعُ

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٤٧٦)، وكان المحدث هشام بن عبد الملك الطيالسي، المتوفى ٢٢٠هـ يبيع الطيالسة ونسب لها.

(٢) أخرجها ابن ماجه (٤٠٧٢)، والترمذي (٢٢٣٧).

(٣) أخرجها مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٥٩٥).

الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ» وكلاهما يشير إلى أنهم يخرجون معه ويلحقون به ويطيعونه.

نشأة الوجود اليهودي في إيران:

ويعود الوجود اليهودي في إيران إلى تلك المدينة التي تعرف اليوم بأصبهان وكان بها سابقًا موضع أو مكان يعرف بـ «جي»، وذلك لما غزا «بخت نصر» بيت المقدس وسبى أهلها حمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان فبنوا لهم في طرف مدينة «جي» محلة ونزلوها، وسميت اليهودية نسبة لهم لما سكنوها، ومضت على ذلك الأيام والأعوام فخربت «جي» وما بقي منها إلا القليل، وعمرت اليهودية، فمدينة «أصبهان»، وفي عهد الملك قورش الفارسي الذي سمح لليهود بالعودة إلى القدس عام ٥٣٨هـ ق.م، بعد سبيهم على يد «نبوخذنصر» بعد تدميره لبيت المقدس ومسجدها، فرجع البعض، وبقي البعض في بلاد فارس، وهي من أهم المدن التي يتمركز بها يهود اليوم، وكذا شيراز، وهمدان، وكرمنشاه، وأما طهران فقد وصل عددهم فيها إلى ثلاثة آلاف مهاجر عام ١٩٧٠م، وكان يقدر إجمالي يهود إيران الأصليين عام ١٩٧٠م، نحو خمسين ألف نسمة. ويقدر عددهم في أصفهان بثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة في عبدان[١].

---

(١) لمزيد من الاطلاع انظر: (اليهود في إيران، مأمون كيوان، بيسان للنشر والتوزيع - لبنان، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠م).

وجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب رضي عنه قد فتحها عام (١٩) من الهجرة المباركة بعد فتح نهاوند[١].

قوله: (حتَّى يأتِيَ المدينةَ: قوله: فينزلَ ناحيتها ولها يومئذٍ سبعةُ أبوابٍ، على كُل نقبٍ منها مَلَكان فيخرُجَ إليه أشرار أهَلها): وجاء أن الدجال يطوف البلاد، ومن ذلك مروره بالمدينة المنورة، وبيت المقدس، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول اللَّه قال: «يأتي المسيحُ من قِبَلِ المشرِقِ، وهمَّتُهُ المدينةُ حتى ينزل دُبُرَ أُحدٍ، ثم تَصرفُ الملائكة وجههُ قِبَلَ الشام وهُنالك يَهلكُ[٢]، ثم يسوق من معه من يهودية أصبهان إلى بيت المقدس»[٣] حيث المعركة الكبرى إلى أن يصل إلى «لد» حيث مصرعه على يد عيسى عليه السلام.

«نقب»: وهو جَمْعُ قلّة للنّقب[٤] ومعنى ذلك أن ملائكة اللَّه تقف عند كل مدخل من مداخل المدينة المنورة لتمنع دخول الدجال إليها واستعدادًا لمدافعته عنها.

قوله: (حتى يأتي فلسطين باب لُدٍّ): وفي رواية: (بفناء)، وفي رواية:

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٨٠).

(٣) عن سمرة: (وأنه يسوق الناس إلى بيت المقدس فيحاصرون حصارًا شديدًا)، صحيح ابن حبان (٧/ ١٠٢).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٩٣٥).

(بَابِ لُدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ)، وفي رواية: (فَيُهلِكَهُ اللَّهُ عِندَ عَقَبَةِ أَفِيقٍ).

معنى كلمة «لد» وسبب تسميتها ومكانها وتاريخها:

«لُدّ»: مدينة بالشام، بضمّ أوله، وتشديد ثانيه[١]. وهو جمع ألد والألدّ الشديد الخصومة، ولها من اسمها نصيب مع الدجال، وهي بوابة غربية لمدينة القدس، وتوأم لمدينة الرملة. ترتفع نحو ٥٠م عن سطح البحر[٢].

لا يعرف بالضبط تاريخ تأسيسها، ومن المحتمل أن يكون الفلسطيّنيون هم اللذين أسسوها فوق أنقاض قرية أقدم عهدًا يعود تاريخها للعصر الحجري الحديث، كما بنوا مدينة صقلغ واستوطنوها إضافة إلى استيطانهم خمس مدن كنعانية كانت قائمة آنذاك. وربما كانت تسميتهم لها اللد، أو «لود»، تخليدًا لذكرى أقاربهم الليديين الذين استوطنوا سواحل آسيا الصغرى الإيجبية. وجاء ذكر «لود» أكثر من مرّة في العهد القديم. وقد جرت في منطقتها معارك شديدة بين أهل البلاد من الأيدوميين والفلسطينيين والكنعانيين وبين المحتلين الجدد من العبرانيين[٣].

فتحها القائد عمرو بن العاص في خلافة أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري.
(٢) الموسوعة الفلسطينية (٤ / ٣٧).
(٣) الموسوعة الفلسطينية (٤ / ٣٨).

وعلى إثر معركة حطين (في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م) رأى صلاح الدين الأيوبي تدمير حصونها حتى لا يستفيد منها الصليبيون بقيادة ريكاردوس قلب الأسد بعد انتصارهم في عكا و(أرسوف). وذكر أن مفاوضات الصلح بين ريكاردوس ملك الصليبيين والملك العادل نيابة عن أخيه صلاح الدين الأيوبي بدأت في اللد، ولكنها فشلت ولم يصل الطرفان إلى اتفاق وعادت اللد إلى سيطرة الصليبيين الذين احتفظوا بها إلى أن حرّرها الملك بيبرس[(١)].

وفي ١٥/ ١٠/ ١٩١٧م انتهى العهد العثماني وبدأ عهد الاحتلال البريطاني الذي استمر واحدًا وثلاثين عامًا. وقد أخذت اللد تتوسع في هذا العهد نتيجة مرور خط سكة حديد القنطرة- حيفا منها منذ عام ١٩١٩م، ونتيجة إنشاء مطار اللد عام ١٩٦٣م. وما حلّ عام ١٩٤٥م حتى أصبحت رقعة المدينة تشغل مساحة (٨٥٥ دونمًا).

والجدير بالذكر أن مدينة اللد كانت بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٤٧م خالية من الصهيونيين[(٢)].

لكن بعد الاحتلال الصهيوني لمدينة اللد في ١١/ ٧/ ١٩٤٨م طرد معظم السكان الفلسطينيين من مدينتهم وإجبارهم على الرحيل عنها. ولم يبق من الفلسطينيين إلا القليل بعد أن تغشاها الصهاينة وكانوا

(١) الموسوعة الفلسطينية (٤/ ٣٩).
(٢) الموسوعة الفلسطينية (٤/ ٤٠).

الغالبية فيها[١].

وليس بعيدًا عنها المطار الرئيس لدولة الصهاينة المعروف بمطار بن غوريون وهو أول رئيس وزراء لكيانهم اللقيط.

قلت: وجدير بالذكر أنني في زيارة قمت بها عام ١٩٩٧م، لمدينة اللد مررت ببوابة لها في مقدم المدينة، تعارف الناس عليها بأنها بوابة للمدينة، وزرت في مدينة اللد إحدى المؤسسات اليهودية الأصولية وقد اتخذت من مُقدَّم مدينة اللد وقريبًا جدًا من البوابة مقرًا تدَّعي أنه مهيأ لاستقبال مخلصهم، وسيكون من نسل داود، وسينزل آخر الزمان في هذا المكان تحديدًا !

قوله: (فينزل عيسى): وفي رواية: (عند صلاة الفجر)، وفي رواية أوس بن أوس الثقفي: (عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[٢] بين مَهرُودَتَينِ)[٣]، وفي رواية أوس بن أوس الثقفي: (عليه ممصَّرتان)

---

(١) الموسوعة الفلسطينية (٤/ ٤٠).

(٢) وقيل: إن عازر غلام إبراهيم الخليل عليه السلام بنى دمشق، قاله وهب، وكان خادمًا لنمرود فوهبه له. وفي عيون التاريخ بناها غلام الإسكندر. هو الإسكندر الكبير المكدوني (٣٥٦-٣٢٣ ق م) ملك مكدونيا وابن فيليب الثاني، تتلمذ على أرسطو وحرر البلاد اليونانية من سيطرة الفرس وهو في العشرين من عمره، اتسعت فتوحاته حتى أقصى الصين، وتوفي وعمره ثلاث وثلاثون سنة. معجم البلدان، ياقوت الحموي (١/ ١٨٢).

(٣) مَهْرُودَتَيْن: أي في ثوبين، الثَّوب المهْرُودَ الَّذي يصبغ بالورس ثمّ بالزّعفران فيجيءُ لونه مثل لون زهرة الحوذانة، فذلك الثَّوب المهرود.

ومعنى الممصرتين والمهرودتين واحد، وهي المصبوغة بالصفرة من الزعفران أو غيره.

«فينزل عيسى» عليه السلام فيه تأكيد على نزوله بعد صعود بأمر اختصه اللَّه به دون غيره من أنبياء اللَّه، بأنه رفعه إليه من غير أن تناله أيدي اليهود لما أرادوا به مكرًا، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، وولدته أمه ببيت لحم من أرض أوري شلِّم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، وأوحي إليه على رأس ثلاثين سنة، ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين، فكانت نبوته ثلاث سنين. قال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان، وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين[(١)].

(١) انظر: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الحافظ عز الدين الحنبلي (١/ ١٢٧)، دار ابن الجوزي - السعودية، ت: محمد بن صالح البراك.

ونزوله عليه السلام يكون في دمشق عند المنارة البيضاء تحديدًا، ودِمَشْق: بكسر أوله وفتح ثانيه. البلدة المشهورة قصبة الشام وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك؛ لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا[(١)].

المنارة البيضاء:

يقول ابن كثير عن المنارة البيضاء إنها بنيت في زمانه: وقد جدد بناء منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين أحرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض اللَّه بناء هذه المنارة من أموال النصارى لينزل عيسى ابن مريم، عليها فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقبل منهم جزية[(٢)].

قال السيوطي: هو من الدلائل بلا ريب فإن النبي ﷺ أوحي إليه بجميع ما يحدث بعده ما لم يكن في زمنه.

غير أن السيوطي يرى أن المنارة البيضاء ستكون في بيت المقدس وليس دمشق معللًا بأن بيت المقدس شرقي دمشق، حيث قال:

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/ ٤٦٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، حوادث سنة (٧٤٠ و٧٤١).

حديث نزول عيسى بيت المقدس راجح لا ينافيه سائر الروايات؛ لأن بيت المقدس وهو شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأردن اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل فيه فاتفقت الروايات، فإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة بيضاء فلا بد أن تحدث قبل نزوله[١].

وفي دمشق اليوم منارات عدة أشهرها المنارة المنصوبة على سور مدينة دمشق فوق الباب الشرقي، والمنارة الشرقية للمسجد الأموي والمعروفة بمنارة سيدنا عيسى عليه السلام.

عيسى عليه السلام يصلي خلف إمام المسلمين:

كما أن رسول اللَّه ﷺ بين أن وقت نزول عيسى عليه السلام يكون وقت اصطفاف المسلمين للصلاة، فيدعونه ليؤم الناس في قوله: «تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه هذه الأمة). وفي رواية عن أبي أمامة: (وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم)، قال الوليد بن مسلم فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي

(١) شرح سنن ابن ماجه، الإمام أبو الحسن الحنفي (٤/ ٤٠١-٤٠٢).

حدثنا عن الزهيري عن نافع عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم». قال ابن أبي ذئب: أتدري ما «أمكم منكم»؟ قلت: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم.

قوله: (وإمامكم منكم): يريد أن محمدًا خاتم النبيين وشريعته متصلة إلى يوم القيامة، حصل في كل قرن منهم طائفة من أهل العلم[(١)].

وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامُكم منكم؟» أي: رجل منكم، لا يتأمر عليكم ولا يؤمكم كما قد جاء في مسلم[(٢)]، أنه يقال له: «صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة» ويحتج به من يرى عدم خلو العصر من القائم للَّه بالحجة، وحكى الجوزقي عن بعضهم أن معناه يحكم بينكم بالقرآن لا بالإنجيل[(٣)].

وفيه تكرمة من اللَّه لأمة محمد ﷺ أن يصلي وراء واحد من أمته كما جاءت الرواية السابقة بـ«تكرمة اللَّه»: نصبٌ على المفعول لأجله، والعامل محذوف، والمعنى: شرع اللَّه أن يكون إمام المسلمين منهم، وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيمًا لشأنهم، أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله[(٤)].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (١٩/ ٤٨٦).
(٢) أخرجه مسلم (٣٩٣).
(٣) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٧٤٨).
(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/ ٣٨٤).

ومن رواية أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «منَّا الذي يصلِّي عيسى ابن مريم خَلفَهُ»[(١)]. وهو المهدي محمد بن عبد اللَّه عليه السلام من عترة الرسول ﷺ من ولد فاطمة بنت محمد ﷺ جاء عن المصطفى ﷺ بحقه أحاديث كثيرة صحيحة بلغت حد التواتر، ومع هذا أنكر بعض أهل العلم حقيقة خروجه، ولا يتسع المقام لتناول المسألة حتى لا نخرج عن صلب الموضوع.

قال العلامة الألباني رحمه الله[(٢)]: يعني في بيت المقدس، وأما في دمشق أول نزوله، فيأتم هو بالمهدي عليهما السلام.

وقال[(٣)]: من المعلوم أن عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يصلي خلف المهدي رضي الله عنه، وهذا يعني أن عيسى عليه السلام يكون مع المؤمنين في بيت المقدس حين يحاصره الدجال، ويكون معه سبعون ألفًا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة، وهذا يعني: أن لا يهود يومئذٍ في فلسطين، أو على الأقل في بيت المقدس، وهذا وذاك يعني: أن دولة اليهود يكون المسلمون قد قضوا عليها.

واستدل بذلك على ما نقله عن السيوطي[(٤)]: «قد تواترت الأخبار،

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٩٢٠)، والصحيحة (٢٢٩٣).
(٢) في كتاب قصة المسيح الدجال، بهامش (ص ٥٤).
(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٢/ ٣٨٣).
(٤) في «العرف الوردي» للسيوطي (ص٨١، ٨٣، ٨٤).

واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته... وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام، فيساعده على قتل الدجال... وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه...»[(١)].

وجاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «منّا الذي يُصلِّي عيسى ابن مريم خلفه»[(٢)].

يتضح من بعض الروايات الأخرى أن الذي صلى خلفه عيسى عليه السلام هو المهدي عليه السلام الذي سيكون ظهوره في زمن عيسى عليه السلام.

ومما سبق يتضح أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يتعبد بشريعة محمد بالأصول والفروع ويكون خليفة لمحمد بالعمل بشريعته مقيمًا لشعيرة الجهاد وحاكمًا من حكام ملته.

ومن أعمال عيسى عليه السلام بعد نزوله: «فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام[(٣)].

قال البغوي[(٤)]: يكسر الصليب: يريد إبطال النصرانية، والحكم

---

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني (٢٢٩٣). وانظر للفائدة كتاب: نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد (٢/ ٥٢٧).

(٢) السلسلة الصحيحة، للألباني (٢٢٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٨٢)، وفي كتاب قصة المسيح الدجال (ص ١٠٠)، قال: إسناده صحيح.

(٤) انظر: شرح السنة، البغوي (١٥/ ٨٠).

بشرع الإسلام. وعيسى عليه السلام يكسر الصليب كسرًا حقيقيًا ليؤكد للنصارى بطلان ما هم عليه من عقيدة الصليب. بحيث لا يبقى من جنس الصليب شيء حتى لا يعبد إلا اللَّه تعالى[١].

قوله: «ويقتل الخنزير»: قال البغوي[٢]: ومعنى قتل الخنزير تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، وفيه بيان أن أعيانها نجسة؛ لأن عيسى عليه السلام، إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه.

ويقتل الخنزير دون غيره من حيوانات مستقذرة تأكيدًا في تحريمه. أي يحرم أكله أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض ليأكله أحد والحاصل يبطل دين النصارى[٣].

قوله: «ويضع الجزية» معناه: أنه يضعها عن أهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام، وقيل، معنى يضع الجزية: أن المال يكثر حتى لا يوجد محتاج ممن يوضع فيهم الجزية[٤]. ا.هـ

ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام: وتأكيدًا منه أنه لا يقبل دينًا غير الإسلام، ولا يقبلها من أحد من الكفرة بل

---

(١) شرح سنن ابن ماجه، الإمام أبو الحسن السندي (٤/ ٤٠٧)، ت: خليل شيحا.
(٢) انظر: شرح السنة، البغوي (١٥/ ٨٠).
(٣) شرح سنن ابن ماجه، الإمام أبي الحسن السندي (٤/ ٤٠٧).
(٤) انظر شرح السنة، البغوي (١٥/ ٨٠).

يدعوهم إلى الإسلام[١].

قوله: (فيقتله): أي عيسى عليه السلام يقتل الدجال بحربته وبأمر اللَّه ومعونته، كما جاء في رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «وَلَكِنَّهُ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ بِحَرْبَتِهِ»[٢]، بعد نزوله عليه السلام من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه بباب لد من بيت المقدس حين حاصر المسلمين وفيهم المهدي ، وبعد قتله لا يكون الجهاد باقيًا. وبعد إهلاك اللَّه يأجوج ومأجوج لا يبقى على وجه الأرض كافرٌ ما دام عيسى عليه السلام حيًا في الأرض[٣].

وإن الطائفة المنصورة هي التي ستكون من جند عيسى عليه السلام في قتالها الدجال، قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[٤].

ويلحظ أن ما يقوم به عيسى عليه السلام من كسر للصليب وقتل للخنزير ووضع الجزية وقتل المسيح، لهو رفضٌ مطلق لما عليه النصارى من

---

(١) شرح سنن ابن ماجه، الإمام أبو الحسن السندي (٤/ ٤٠٧).
(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨١٣) وقال عنه شعيب الأرناؤوط، إسناده صحيح.
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، كتاب الجهاد، العظيم آبادي، (١٠٨٣-١٠٨٤).
(٤) عن عمران بن حصين، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٩٤) والصحيحة (١٩٥٩).

اعتقاد، سيكونون عليه إلى آخر الزمان حتى يبيد عيسى عليه السلام هذه العقيدة الفاسدة ولوازمها.

قوله: (ثُم يَمكثَ عيسى في الأرض أَربعينَ سنةً إمامًا عدلًا، وحَكَمًا مُقسِطًا): حكمًا: بالتحريك، أي: حاكمًا وإمامًا عادلًا، كلاهما منصوبان على حال[(١)].

وفي أثناء فترة حكم عيسى عليه السلام لن يبقى أحد من أهل الكتاب إلَّا أعلن إيمانه بعيسى عليه السلام، كما أخبر بذلك تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

قال ابن حجر[(٢)] رحمه الله: وقوله في الآية: (وإن)، بمعنى: (ما)، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب إذا نزل عيسى، إلا آمن به، والضمير في قوله: (إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ)، وكذلك: (قَبْلَ مَوْتِهِ)، يعود على عيسى عليه السلام، أي: إلا ليؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته، وبه جزم ابن عباس.

وبعد انقضاء فترة بقاء عيسى عليه السلام في الأرض يتوفاه اللَّه آخر الزمان لتكون دلالة يخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم على بشرية عيسى عليه السلام،

---

(١) شرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٩٢).

فعن أبي هريرة: «ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه». بعد أن ينهي على يديه دين النصارى، ورمز الكفر ورأسه المسيح الدجال ثم يقيم دين الإسلام مدة أربعين عامًا قائمة على العدل، بعدها يتوفى اللَّه عز وجل عيسى معلنًا وفاته وقبض روحه كسائر الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال الحافظ ابن حجر[١]: «إن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة».

وفي آخر زمن عيسى عليه السلام يكون ما أخبر عنه النبي ﷺ من نزول الخلافة الأرض المقدسة كما جاء في حديث أبي حوالة[٢] واللَّه أعلم.

من فوائد الحديث:

١- الأمير في هذه الرواية هو المهدي[٣].

٢- أن زمان خروج عيسى عليه السلام هو علامة على قرب الساعة وهو من آخر أيام الدنيا.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١١/ ٣٥٣).

(٢) راجع الحديث رقم (٣١) من الأربعين الفلسطينية.

(٣) السلسلة الصحيحة، للألباني (٢٢٣٦). وكتاب: نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد (٢/ ٥٢٦).

٣- فيه إشارة أنه لا أحد يسلط على الدجال إلا عيسى عليه السلام حتى يقتله.

٤- فيه بطلان دعوى النصارى أن اليهود قتلوا عيسى عليه السلام وصلبوه، والحقيقة القرآنية أن اللَّه تعالى رفعه إليه، ثم ينزله عليه السلام آخر الزمان في دمشق.

٥- صلاة عيسى خلف رجل من أمة محمد ﷺ حين نزوله يدل على صلاح هذا الرجل الذي أقر بفضل عيسى عليه السلام وعلوّ منزلته.

٦- صلاة عيسى خلف رجل من أمة محمد تدل على أنه متبع متعبد بشريعة محمد ﷺ ، مقر بنسخ شريعته.

٧- نزول عيسى في دمشق فيه دليل على فضلها وأهلها أن يتشرفوا باستقبال عيسى وأن ينزل فيهم وبينهم وأن يكونوا أول من يستقبله ويتشرف بلقائه.

٨- كما أن دمشق وأهلها يتشرفون ويتشرفون باستقبال عيسى عليه السلام ، كذا يكون ضده - أي الخزي والخذلان- في أصبهان وأهلها أن الدجال حينها يخرج منها ومن بين أهلها والعياذ باللَّه منهم جميعًا.

* * * * *

الحديث الثامن والثلاثون

عِيسَى عليه السلام يَؤُمُّ النَّاس فِي بَيْت الْمَقْدِسِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ أَعْوَرُ الدَّجَّالِ مَسِيحُ الضَّلَالَةِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ فِي زَمَنِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، وفي رواية: (يخرج الدجال في خفة من الدين، وإدبار من العلم)[١] فَيَبْلُغُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْأَرْضِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا[٢]، فَيَلْقَى الْمُؤْمِنُونَ شِدَّةً شَدِيدَةً. ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنَ السَّمَاءِ فَيَؤُمُّ وفي رواية: (فيقوم)[٣] النَّاسَ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رَكْعَتِهِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَتَلَ اللَّهُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ وَظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ وفي رواية: (وأظهر المؤمنين)[٤]»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٧-٣٦٨) عن جابر بن عبد اللَّه وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣١-٣٢) وانظر كتاب / قصة المسيح الدجال، للألباني (ص٧٥).

(٢) وعند ابن حبان: ٦٨١٢ قوله: «اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا» ذكرها مرتين.

(٣) أخرجها البزار في مسنده (٩٦٤٢) عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٤) أخرجها البزار في مسنده (٩٦٤٢) وابن حبان في صحيحه (٦٨١٢) وكلاهما عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البزار (٩٦٤٢)، ابن حبان (٦٨١٢)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٢٥٤٣): «رجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة» بهذا اللفظ، وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ١٠٨)، وقال الألباني في «قصة المسيح الدجال» =

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

شرح الحديث:

يخبر النبي ﷺ عن خروج الدجال آخر الزمان كما أخبر بذلك الأنبياء قبله، وأنه خارج لا محالة كما بيَّن في أحاديث كثيرة صرحت بذلك فأخبرنا بمكان خروجه وعلمنا صفاته وما يجيء به ومعه، ومدة مكثه، ونهاية حياته أين وكيف.

قوله: (يخرج أعور الدجال مسيحُ الضلالة قِبَلَ المشرق): بِفَتح المِيم وكسرِ السِّين المهملة وتخفِيفها وبِالحاء المُهملة سُمّي به؛ لِمَسحِ إحدى عَينيه فَيَكون بمعنى مفعُول وقيل: لِمَسحِه الأَرض فيكون بمعنى فاعل، وقيل سمي بذلك لأن الخير مسح منه.

وصف بالمسيح الدجال والضلالة وعيسى عليه السلام بمسيح الهدى والهداية؛ لأن الشر مُسِحَ عنه؛ ولأنه - أي عيسى عليه السلام - كان لا يمسح بيده ذا عاهة إِلَّا بَرِئَ، وقد سبق وصف مكان خروجه وأتباعه.

ولذا جاء في الأحاديث كما ترى أن كليهما مسيح، فمرة مقيدًا بالدجّال، وتارة مسيح الضلالة، وتارة بلفظ الهدى؛ ليحصل التمييز

= (ص٥٤-٥٥): «إسناده صحيح»، وصحيح موارد الظمآن (١٥٩٨)، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦٧٧٣).

والتفريق بينهما.

وقوله: «قبل المشرق» أي من جهة مشرق المدينة المنورة، فلطالما أشار النبي ﷺ إلى هذه الجهة وما تأتي به من فتن فبين في روايات كثيرة أنها مبعث الخوارج ورؤوس الكفر[(١)] ومنها حيث يطلع قرن الشيطان. فقد عين النبي المكان حيث قال: «أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»[(٢)]. وفي روايات أخرى إنه يخرج من أصبهان كما مر معنا في الحديث السابع والثلاثين.

قوله: (في زمن اختلاف النَّاس وفُرقة): وهو وصف لحال عموم الناس وما وقع بينهم من خلاف وتشرذم، وفي رواية: «يخرج الدجال في خفة من الدين، وإدبار من العلم، وقلة من العرب»[(٣)].

قوله: (فيبلغ ما شاءَ اللَّه أن يبلغ من الأرض في أَربعينَ يومًا اللَّه أَعلم ما مقدارها غير أنه لا يدخل المساجد الأربع: مسجد مكة

---

(١) وبه أخبر النبي فقال: (رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ...) أخرجه أحمد (٩٤١١)، وصحيح الجامع، للألباني (٣٤٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٢)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، والترمذي (٢٢٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٤٠٤).

(٣) وهو ما جاء عن أم شريك أنها قالت: يارسول اللَّه فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل. أخرجه مسلم (٨/ ٢٠٧).

والمدينة والمسجد الأقصى ومسجد الطور): وقد فصلنا ذلك في شرح الحديث الرابع والثلاثين.

قوله: (فيلقى المؤمنون شدة شديدة): وهي من أشد الفترات على أهل الإيمان وأكثرها تمحيصًا لهم وتكرار النبي ﷺ وصف شدة ما يلقاه المؤمن ذاك الزمن لهي دليل على صعوبة الموقف، واللَّه المستعان.

وقد علَّم النبي ﷺ أصحابه ما يقيهم فتنته، فقال: «مَن حَفِظَ عَشرَ آيَاتٍ مِن أَوَّلِ سُورةِ الكهفِ عُصِمَ مِن فِتنَةِ الدَّجَّالِ»[(١)].

قوله: (ثم ينزل عيسى ابن مريم من السماء): وقد سبق تفصيل نزوله عليه السلام في الحديث السابق.

قوله: (فيؤم الناس): في حديث الباب عيسى يؤم الناس في بيت المقدس، وأما حال نزوله في دمشق عند المنارة البيضاء فيؤمه نفر من أتباع النبي ﷺ كما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامُكم منكم؟»[(٢)]. قال الألباني[(٣)]: يصلي بهم إمامًا، وهذا وهو في بيت المقدس حيث يقتل عيسى عليه السلام الدجال بـ «لُد» وقال: فهو هناك

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٤٠)، وأبو داود (٤٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٨)، ومسلم (١٥٥، ٢٤٤).

(٣) انظر صحيح موارد الظمآن، للألباني (٢/ ٢٣٦-٢٣٧).

مأموم. أي في دمشق حيث ينزل. وفي بيت المقدس، وذلك يكون بعد وفاة المهدي وانتقال عيسى عليه السلام من دمشق إلى القدس.

قوله: (فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع اللَّه لمن حمده، قتل اللَّه المسيح الدجال وظهر المسلمون): (ظهر) على فلان غلبه، و(أظهره) اللَّه على عدوه و(أظهر) الشيء بيَّنه[1] أي ظهر دين الإسلام وعلى شأنه.

من فوائد الحديث:

١- زمن خروج الدجال يسبق زمن نزول عيسى عليه السلام.

٢- وهذا من أعلام نبوة محمد ﷺ أنه يخبر بالتفصيل عن مشاهد آخر الزمان وأشراطها.

٣- بعد مقتل الدجّال يسود أمر المسلمين بقيادة عيسى عليه السلام.

٤- «قتل اللَّه المسيح الدجال» نسب فضل القضاء على الدجال للَّه تعالى، وما حملت أيامه وما سبقها من سنوات عجاف مليئة بالفتن أعاذنا اللَّه جميعا منها.

٥- في ظاهر أمر قتل الدجال يكون عيسى عليه السلام في صلاة يقتله برمح معه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٤٠٦).

الحديث التاسع والثلاثون

الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ يَفْضَحُ الْيَهُودَ فِي فِلَسْطِين

عن أبي هُريرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّى يقاتِلَ المسلمونَ اليهودَ، وفي رواية: (تقاتلون)[١]، وفي رواية: (تُقاتِلُكُم اليهود فتسلطون عليهم)[٢]، فَيقتُلُهُمُ المسلمونَ، حتَّى يختبئَ اليَهُوديُّ مِن وَراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ، وفي رواية: (فلا يبقى شيءٌ مما خَلَقَ اللَّهُ يَتَوارَى بِهِ يَهودِيٌّ إلَّا أَنطَقَ اللَّهُ ذلكَ الشَّيءَ، لا حَجَرَ، ولا شَجَرَ، ولا حائِطَ، ولا دابَّةً)[٣]، فَيقولُ الحجَرُ أَو الشجر، وفي رواية: (المدر)[٤]، يا مُسلِمُ! يا عَبدَ اللهِ!، هَذا يَهودِيٌّ خَلفِي، فَتَعالَ فاقتُلْهُ وفي رواية: (تَعالَ)[٥]، وفي رواية: (ورائي)[٦]، وفي رواية: (تحت)[٧]، وفي رواية:

---

(١) أخرجها البخاري (٢٩٢٥)، عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجها البخاري (٣٥٩٣). عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجها ابن ماجه (٤٠٧٧)، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٤) من حديث حذيفة بن أَسِيدٍ، قال الألباني في كتابه القيم «قصة المسيح الدجال»، (ص ١٠٦): صحيح الإسناد.

(٥) أخرجها مسلم (٢٩٢٢).

(٦) أخرجها البخاري (٢٩٢٥)، ومسلم (٢٩٢٢).

(٧) قال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص ٨٨): إسناده حسن.

(عندي)[١]، إِلَّا الْغَرْقَدَ وفي رواية: (إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق)[٢]؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليهودِ»[٣].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع.

شرح الحديث:

الرسول ﷺ يصف المعركة الأخيرة والفاصلة بين الحق والباطل، بين المسلمين واليهود، وهي معركة الإبادة الحقيقية لليهود؛ والتي ستستأصل بها شأفتهم كليًا، وهي المعركة التي بها ستنادي كل موجودات الأرض بفضحهم وكشف مخبئهم، إلا شجر الغرقد.

إنه الغضب القدري والكوني الذي يلاحق يهود آخر الزمان من كل مكان واتجاه، ومن كل مخلوق حي أو جماد نقمة على اليهود وثأرا منهم، فلن يبقى لهم نصير، بل ينطق اللَّه كل شيء؛ ليكشف سرهم ويفضح أمرهم، حتى الغرقد من عرف حقيقته وما عليه من أغصان طويلة مليئة بالشوك المدبب والكثيف وبشكل مخيف، أيقن

---

(١) من حديث حذيفة بن أَسِيدٍ، قال الألباني في كتابه القيم قصة المسيح الدجال (ص ١٠٦): صحيح الإسناد.

(٢) أخرجها ابن ماجه (٤٠٧٧) عن أبي أمامة، قال الألباني: صحيح، في صحيح الجامع الصغير (٧٨٧٥) والسلسلة الصحيحة (٢٤٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢)، بهذا اللفظ ، وأحمد (٩٣٨٧).

أنه ليس المكان والقرار الآمن لهم بل هي حيلة من لم يجد حيلة غيرها، وأنهم يلجؤون إليه على مضض؛ لأنه سيمزق أجسادهم حين يضطروا أن يختبئوا فيه أو عنده وسيتحاملون على جراحاتهم ونزف دمائهم حتى يقضي اللَّه تعالى أمره فيهم.

قوله: (لا تَقومُ السَّاعةُ): وهو من أشراط الساعة الكبرى وفي آخر أيام الدنيا يكون ما سيخبر عنه الرسول ﷺ.

قوله: (حتَّى يقاتِلَ المسلمونَ اليهودَ): وفي رواية: عن ابن عمر: تقاتلون، وأخرى«تُقاتِلُكُم».

قوله: (ستقاتلون): الخطاب موجه للصحابة، غير أنه عام لإخوانهم المسلمين من بعدهم الذين سيكونون آخر الزمان. قال الحافظ[(١)]: وفي قوله ﷺ «تقاتلون اليهود» جواز مخاطبة الشخص، والمراد من هو منه بسبيل؛ لأن الخطاب كان للصحابة، والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل، لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان، ناسب أن يخاطبوا بذلك.

والمراد بقتالهم حال نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويكون اليهود مع الدجال[(٢)]. والمعنى لـ «يقاتلكم اليهود»: أن من هو منهم في

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦ / ٦١٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦ / ٦١٠). مصابيح الجامع، الدماميني (٦/ ٢٩٩)، وزارة الأوقاف في قطر ودار النوادر - دمشق، ت: نور الدين طالب ونخبة من المحققين.

الذمة فسينقضون الذمة ويقاتلون، فيباح حينئذ قتالهم[١].

وفي لفتة من الشيخ عبد اللَّه السعد حفظه اللَّه في تقديمه لكتاب «الفتن والملاحم» قال: في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يامسلم هذا يهودي فتعال فاقتله»، هذا الحديث فيه عدة علامات على نبوته ﷺ، فمنها:

ما أشار به إلى أن اليهود سوف يكون لهم كيان وسلطان، ودليل ذلك قوله ﷺ: «لتقاتلن» ولم يقل «تقتلون»، فالمقاتلة لاتكون إلا لمن كان له كيان وسلطان، بخلاف القتل فإنه يكون للمقدور عليه، فلايكون له قوة يقاتل بها ويدافع، وهذا ماحصل في هذا العصر لليهود بعد قيام دولتهم، وقد مرّ عليهم مئات من السنين كانوا ضعفاء فلم تكن دولة لهم ولا سلطان».

ويضيف السعد مرة أخرى: «أن هذا القتال - مع اليهود - لن ينتهي بصلح أواتفاق، وإنما تكون نهايته بقتل ذريع لليهود، والواقع الآن يشهد بذلك، فالمفاوضات بين العرب واليهود مرّ عليها عقود ولم تنته باتفاق، حتى إن بعض قادة العرب تنازلوا عن أشياء كثيرة، حتى قيل: ليس هناك شيء آخر بعد ذلك يتنازلون عنه»[٢]!

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٤/ ٥١).

(٢) بتصرف يسير، انظر «الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام» لبسام الصفدي، (ص ١٥و١٦) من إصدرا مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

قوله: (فَيقتُلُهُمُ المسلمونَ): «فيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام، إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال»[(١)].

قوله: (حتَّى): تكرر في روايات أخرى قوله «حتى»، «حتَّى يقاتِلَ المسلمونَ اليهودَ» و«حتَّى يختبئَ اليَهُوديُّ»، ومعلوم أن «حَتَّى» في اللغة للغاية[(٢)]، ويدل أن القتال يقع ويستمر قبل مجيء الدجال إلى أن يأتي زمانه، وفيه استمرار للنصر على اليهود مذ بُدئ بقتالهم.

قوله: (يختبئَ اليَهُوديُّ مِن وَراءِ الحَجَرِ والشَّجَرِ): وفي رواية: «فلا يبقى شيءٌ مما خَلَقَ اللَّهُ يَتوارَى بِهِ يَهودِيٌّ إلَّا أَنطَقَ اللَّهُ ذلكَ الشَّيءَ، لا حَجَرَ، ولا شَجَرَ، ولا حائِطَ، ولا دابَّةً» وعلى ما يبدو أن قائد اليهود في هذه المعركة سيكون الدجال، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ينزل الدجال في هذه السبخة، بِمَرّقاة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه، وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه، يسلِّط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ١٢٧).

(٢) القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، ابن اللحام (١٩٧)، المكتبة العصرية - لبنان، ت: عبد الكريم الفضلي.

يهودي تحتي فاقتله»[(١)].

قوله: (فَيقولُ الحجَرُ أَو الشجر): وفي رواية «المدر» فيقول الشجر والحجر: يا مسلم..: وهذا يكون في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام[(٢)]. حتى لا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء.

قوله: (يا مُسلِمُ! يا عَبدَ اللَّهِ): فيه دليل وتأكيد أن هذه الجمادات وسائر النباتات وغير ذلك هو من حلف المسلمين في ذلك الزمان، وأن الأرض كلها لفظت اليهود وتوحدت ضدهم.

قوله: (هَذا يَهودِيٌّ خَلفِي): وفي رواية: «ورائي»، وفي رواية: «تحت»، وفي رواية: «عندي» تعدد الألفاظ بتعدد الجهات إفادة أخرى أن لا مناص لليهود من الاختباء بناحية دون غيرها، وأنهم فقدوا المأوى والنصير بشكل كامل.

قوله: (فَتَعالَ فاقتُلْهُ): ويبدو - واللَّه أعلم- أن المناداة على الحقيقة وليس على المجاز، فتنادي هذه الجمادات والأشجار بصوت يسمعه المسلم، وبلغة يفهمها لتدل على مخبأ اليهود، وهذا وعد اللَّه عز وجل يجب اعتقاد أنه حق، قال ابن حجر[(٣)]: «ظهور الآيات قرب

---

(١) صححه الألباني وقال عنه: إسناده حسن ، في قصة المسيح الدجال، (ص ٨٨).
(٢) التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، الزركشي (٧٦٩).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٦١٠).

قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره أن ذلك حقيقة، ويحتمل المجاز، بأن يكون المراد أنه لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى. وأما كون الحجر يدل على اليهود؛ فلأن شؤم غدرهم أوجب أن نمت الحجارة بأخبارهم»[(١)].

قوله: (إِلَّا الغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليهودِ): وفي رواية «إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق» وقوله: (إلا)، استثناء، والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس وصغيرها عوسجة فإذا عظمت صارت غرقدة[(٢)]، وهو: ضَرْب من شجر العِضَاه وشَجَر الشّوك، والغَرْقَدَة واحدتُه، ومنه قيل لمَقْبَرة أهل المدينة: (بَقِيع الغَرْقَد) لأنه كان فيه غَرْقَدٌ وقُطع[(٣)]. وجمعه غراقد[(٤)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة (٤/ ٥١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ٤٢). غير أن الدكتور محمد إبراهيم ماضي، المتخصص في علم النباتات وعند سؤالي له في لقائي معه في غزة بتاريخ ٢رجب ١٤٣٥هـ الموافق ٢٣مايو٢٠١٢م حول التفريق بين العوسج والغرقد أفادني أن هناك فرقًا بين الشجرتين وأن كلًا منهما فصيلة مختلفة. ووصف العوسج في كتابه، طحالب ونباتات وادي غزة البرية، ص ١١٣، فقال: عوسج: شجرة طولها ١- ٢ م معقدة التفرع، التفرعات صغيرة، الأوراق معنقة ومغطاة بشعر صوفي كثيف قائمة تنتهي على شوكة قوية، تحمل الورقة عادة مجموعات زهرية أو أزهار فردية، الأوراق مستطيلة ملعقية، قممها كلية، مستدقة عند القاعدة الأزهار معنقة. وأشار في صورة جانبية للعوسج كتب أسفل منها المصطلح العلمي للشجرة باللغة الأجنبية (lyceum shawii Roem & schuit).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٦٩).

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٤٠).

ولا ينبت إلا في الأرض السبخة عالية الملوحة، وصفة هذا الشجر أنه من العائلة الرطراطية، صغيرة الأزهار، وأشواكها حادة تؤذي من يلمسها، ولها أوراق لحمية سميكة بعض الشيء شكلها غير منظم ويصل ارتفاعها إلى المترين، رأيت كثيرًا من أهل فلسطين في هذا الزمان يستعملونه كسياج يحيط مزارعهم وبيوتهم لما يتمتع به هذا النوع من الشجر كحاجز جيد يحمي من خلفه ويؤذي من أراد اختراقه.

وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء[١].

وقد تأملت هذا النوع من الشجر فوجدته بئس المأوى لهم، فمثلهم مثل المستجير من الرمضاء بالنار، وأن لا حيلة لهم سوى أن يختبئوا عند من لا يشي بهم للمسلمين، فإذا تأملنا وصف هذا الشجر وحال من اختبأ به أو عنده أنه سيصيبه منه أذى الشوك الكثيف الذي يملأ أغصانه الطويلة وأنها لا محالة تؤذي وتنهش جسد كل من اقترب منها، فما بال اليهود إذا اختبأوا فيه، خاصة إذا علمنا أنها في بعض البلدان وفلسطين بخاصة يجعل من هذا الشجر سياج يحيط به المزارع وبعض البيوت ليحميها من تسلل الآخرين، فهنيئًا لهم من

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٧٠٦).

مخبئ يضطرون للاختباء به مع ما يصيبهم من جراحات ينزفون بسببها الدم ويحبسون معها صوت أنينهم وآهاتهم.

كما لا يمكن استعجال استنطاقها في زمان قبل زمانها، ولا أرى من الفقه إنزال هذا الحديث على صراعنا الحالي مع اليهود، واستعجال بشارة نطق الحجر والشجر في فضح اليهود، كما أنه واللَّه أعلم أن يهود اليوم ليسوا هم الذين سيتبعون الدجال بل ستزول دولتهم ويعودون مرة أخرى إلى الشتات، أما يهود أتباع دجال آخر الزمان فسيكون أغلب أتباعه من يهود أصبهان كما جاء في حديث أَنس بن مالك أنّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»[(١)(٢)].

ولا يعني ذلك أن لا يتحقق نصر قبل هذه البشارة على اليهود؛ فليس ثمة مانع أن تقع الغلبة على اليهود قبل آخر الزمان.

فإن غرس هذا المفهوم في أذهان الناس في اتكالهم على أحاديث آخر الزمان فيه نوع من التقاعس عن العمل لمقاومة اليهود واسترداد الأقصى وأن عيسى عليه السلام آخر الزمان سيكفينا مؤونة مقاتلة يهود وأن الحجر والشجر وقتها سيكون حليفًا مهمًا للمسلمين.

---

(١) الطيالسة: جمع طيلسان وهو نوع من الأوشحة يلبس على الكتف كالشال، صحيح مسلم (٨/ ٢٠٧). يسميه يهود اليوم «طاليت».

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٧٩).

قال الشنقيطي[(١)]: لا مانع من وقوع ذلك النصر عليهم إلى نزول عيسى عليه السلام: (حتى يقول الحجر..). وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]

ما يدلل على أن اليهود في ألوان من العذاب إلى يوم القيامة، ولنا أن نستخلص أقوال نخبة من المفسرين لهذه الآية لنجد أن هذه الحقيقة شاخصة أمامنا، قال الطبري: في قوله: «ليبعثن عليهم»، يعني: أعلم ربك، ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر اللَّه وشرعه واحتيالهم على المحارم.

قال القرطبي: ومعنى «يَسُومُهُمْ» يذيقهم، قيل: المراد بخت نصر. وقيل: العرب. وقيل: أمة محمد ﷺ وهو أظهر، فإنهم الباقون إلى يوم القيامة.

وقال الزحيلي في «الوسيط»: «هذه الآيات إخبار لرسول اللّه ﷺ بما أوجبه اللّه على بني إسرائيل من ألوان العذاب المعنوي والمادي قبل مجيء الإسلام».

---

(١) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، محمد حبيب اللَّه الشنقيطي (٥/ ٢٤٤). منقول من الإسراء والمعراج، سعد المرصفي (١٧٦٥).

وقال أبو بكر الجزائري في «أيسر التفاسير»: «السياق في شأن اليهود، فقد أمر تعالى رسوله أن يذكر إعلامه تعالى بأنه سيبعث بكل تأكيد على اليهود إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث طواياهم وسوء أفعالهم»[(١)].

نستخلص من جملة أقوال المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين، لهذه الآية أن المقصود بها هم اليهود، وأن إذلالهم وعذابهم والغلبة عليهم ستكون عبر مراحل التاريخ إلى قيام الساعة، وأن ما جاء في حديث الباب المقصود به مقيد لخاتمة المعارك مع اليهود آخر الزمان وقد اختص اللَّه هذه المعركة أن الشجر والحجر ونحوه سيكون حليفًا مهمًا للمسلمين وأن إبادتهم ستكون في هذه المعركة الخاتمة، وليس ثمة مانع أن تقع لهم الغلبة تلو الغلبة قبل هذا الميعاد واللَّه تعالى أعلى وأعلم

من فوائد الحديث:

١- «حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر»: ذلك يقع زمن الدجال وهو من علامات نبوة محمد ﷺ أن يخبر عما سيقع. وهو إخبار النبي ﷺ بما سيقع في مستقبل الزمان.

٢- «إلا الغرقد» استثناء من كل شيء من حجر وشجر فهذا النوع من الشجر فقط الذي سيتستَّر على اليهود وسيكون الحليف الوحيد لهم

(١) التفسير الوسيط، للزحيلي (١/ ٧٤٦).
(٢) أيسر التفاسير، للجزائري (٢/ ٢٥٧).

آخر الزمان؛ لأن اللَّه تعالى لم ينطقه وله سبحانه حكمة في ذلك، وفيه عبرة لمن يلهثون وراء سراب اليهود يرجون رضا أمة لفظتهم الأحياء والجمادات في الأرض إلا شجر الغرقد الذي لا يثمر ولا يأتيك منه إلا الشوك والأذى.

٣- فيه دليل على أن سائر الأشجار والأحجار سيكونون مع جيش الإسلام وفي حلفه ضد اليهود في المعركة الفاصلة بين الحق والباطل.

٤- إن معركتنا مع اليهود آخر الزمان ستكون معركة إسلامية صرفة، لا حزبية فيها ولا قومية؛ لأن الحجر والشجر سينادي: «يا مسلم» وليس يا ذا القومية الفلانية ولا الحزبية الفلانية.

٥- في الحديث إشارة وبشارة أن دين الإسلام باقٍ إلى يوم القيامة، قال ابن حجر العسقلاني: «وفيه أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة»[(١)].

٦- أن النصر الذي يعيشه يهود في زماننا هي فترة استثنائية في تاريخهم، لا ينبغي أن نسقط عليها كثيرًا من الأحكام، فالأصل في حالهم وعبر تاريخهم أنهم أمة ذليلة طريدة، واقرأ قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦/ ٦١).

الحديث الأربعون
الشَّام أَرْضُ الْمَحْشَر والْمَنْشَرِ

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ ﷺ: «الشَّامُ أَرْضُ المحشَرِ والمنشَرِ»[(١)]، وفي رواية: (أَفتِنا في بَيتِ المقدِسِ؟ قالَ: أَرْضُ المحشَرِ والمنشَرِ)[(٢)].

ترجمة الصحابي راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الثاني

شرح الحديث:

فلسطين هي المكان والزمان الآخِر الذي تُشدُّ إليها الأمّة رغبةً ورهبةً، تُجمع على أرضها، لتكون فيها آخر أيام الدنيا بعد سلسلة من الأحداث العظام الجسام؛ لتنقل الخلق إلى الشام وفلسطين وهي

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٤٥) والطبراني في الأوسط (٨٢٣٠)، قال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده لا بأس به وفي متنه غرابة، قال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢): قال ابن الغرس: قال شيخنا: والحديث حسن لغيره، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رجاله رجال الصحيح»، قال الحاكم (٨٥٥٣): «صحيح الإسناد»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٧٩)، وصحيح الجامع (٧٣٢٦).

(٢) أخرجها أبو داود (٤٥٧) وابن ماجه (١٤٠٧) عن ميمونة مولاة النبي محمد ﷺ.

آخر محطات البشر على الأرض ومنها إلى عَرَصات الآخرة.

قوله: (الشّام أرضُ المحشَرِ): سبق التعريف بالشام مكانةً ومكانًا، والمحشر: هوحشر الناس وجمعهم، ومنه (يوم الحشر)، قال القرطبي: «الحشر» : هوالجمع[(١)]، قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وحشرها موتها و(المحشر) بكسر الشين موضع الحشر[(٢)].

والحشر هنا هو حشر الدنيا وهو أول مراحل الآخرة، قال الشيخ محمود عطية معلقًا على الحديث: «الناس عادة لا يستجيبون لمن يأمرهم باللين، إلا من رحم اللَّه، فاقتضت حكمة الخالق جل وعلا، أن يستجيبوا قسرًا، فيقيض اللَّه عز وجل لهم من يطردهم ويفروا من أمامه فزعين، يرسل النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت حيث باتوا حتى المحشر»[(٣)].

قوله: (والمنشَرِ): موضع النّشور، وهي: الأرض المُقَدّسة من

---

(١) راجع: تفسير اللباب لابن عادل في تفسير سورة الحشر.

(٢) مختار الصحاح (١٣٧). وقد جاء في الحديث الصحيح أن من أسماء النبي محمد ﷺ (الحاشر) من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّه بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» متفق عليه.

(٣) انظر مشكورًا كتابه الماتع، وقد جاء أشراطها (٤٦٢).

الشّام يحشُر اللَّه الموتى إليها يوم القيامة، وهي أرض المحشَر[١].
و(أنشره) اللَّه تعالى أي: أحياه[٢].

«أرض المحشر والمنشر»: أي البقعة التي يجمع الناس فيها للحساب وينشرون من قبورهم ثم يُساقون إليها، وخُصّت بذلك لأنها الأرض التي قال اللَّه فيها: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] وأكثر الأنبياء بعثوا منها فانتشرت في العالمين شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر والمنشر[٣].

هذا الحديث هو آخر آيات وأشراط ما قبل قيام الساعة يحشر الناس هناك في الشام، وهي مقدمة قيام الساعة، كما أخبر النبي ﷺ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس، قالوا: يا رسول اللَّه فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»[٤] والنار الخارجة منه إما حقيقة النار، أو فتنة عبر عنها بها.

وقوله: «عليكم بالشام» هذا يدل على أن ذلك يكون قبل قيام

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٩١٦).
(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (٦٥٩).
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (١٤/ ١٧١).
(٤) أخرجه أحمد (٩/ ١٤٥) وقال صاحب اللؤلؤ والزبرجد إسناده صحيح ، وهو من زوائد الإمام أحمد عن الكتب الستة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٦٠٣).

الساعة[١]. وهذه النار من علامات الساعة الكبرى المؤذنة بقيام الساعة ونهاية الدنيا. وبه أخبر أنس رضي الله عنه أن عبد اللَّه بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث: ما أول أشراط الساعة؟ فقال الرسول ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ...»[٢]، وعن النبي ﷺ قال: «... وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[٣].

وهذا الحشر سيكون آخر أيام الدنيا ومقدم الآخرة، قال به القرطبي وابن حجر وغيرهم من أئمة العلم، حين تخرج النار من قعر عدن، وتحشر الناس إلى بلاد الشام[٤].

قال ابن كثير: «فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر، هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة كما جاء في الحديث وارد الذكر.

وهذا كله يدل على أن هذا الحشر يكون في الدنيا، حيث الأكل، والشرب، والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك

---

(١) شرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ٥٢٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠١).
(٤) التذكرة، للقرطبي (ص٢٠٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١١/ ٣٨٠).

المتخلفون منهم بالنار.

ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري، ولا أكل ولا شرب، ولا لبس في العرصات، ومجمل هذه النيران كلها ومن أماكنها المختلفة، تدفع بالناس إلى مقر حشرهم ومنتهاه في الدنيا على أرض الشام.

وأن الحشر يشمل الناس، رجالًا، ونساء، راكبين، وراجلين، ومنهم من يُجر جرًا إلى محشرهم في الشام، كما أخبر به، بَهز، عن أبيه، عن جدّه، قال: قُلت: يا رسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «هَاهُنَا». وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ، قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكبَانًا، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ»[(١)].

وقد أفرد الإمام البخاري بابًا بعنوان: باب كيف الحشر؟

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٣١)، والترمذي (٢١٩٢ (٢٤٢٤)، وصححه الألباني في تخريج «فضائل الشام» للربعي (١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٧٣٨١).

قال الخطابي: «والمذكور هنا في الحشر إنما يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما المحشر الذي بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصورة، من ركوب الإبل، والمعاقبة عليها، إنما هو البعث دون الحشر، فليس بين الحديثين تضاد، قال: قوله: عشرة على بعير، يعني أنهم يتعقبون البعير الواحد يركب بعضهم، ويمشي الباقون عقبًا بينهم.

قال الداوودي: يُحملون على قدر أعمالهم، والاثنان على البعير أفضل من الثلاثة، والثلاثة أفضل من أكثر منهم.

وقوله: «تقيل معهم حيث قالوا»، إلى آخره يدل أنهم يقيمون كذلك أيامًا.

قال البيهقي: الراغبون يحتمل أن تكون إشارة إلى الأبرار.

والراهبون: المخلطون الذين هم بين الخوف والرجاء، والذين تحشرهم النار هم الكفار، ويحتمل أن يكون هذا وقت الحشر إلى موقف الحساب[(١)].

ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيثما قالوا: قال القاضي: هذا قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراطها كما ذكره مسلم[(٢)] عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ عن

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٣٠/ ٣٥).
(٢) برقم (٢٩٠١).

النبي ﷺ قال: «..وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تُرَحِّلُ الناس..» وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز»[(١)] وفي رواية: «إذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام»[(٢)].

قال القاضي البيضاوي في تعليقه على هذا الحديث: أراد بذلك حشرًا يكون للناس في حياتهم الدنيا إلى الشام[(٣)].

قال الشيخ محمود عطية إن هذا الحشر يكون بعدة طرق:

- يحشرون راغبين وراهبين، هربًا من الفتن.

- من ينطلقون عندما تشتد الفتن وتتوالى الآيات.

- من تحشرهم النار؛ لأنهم استمروا حيث هم، وضاقت سبل انتقالهم إلى المحشر[(٤)].ا.هـ

قال ابن الملك الرومي[(٥)]: قيل هذا الحشر إنما يكون قبل قيام الساعة أحياء إلى الشام بقرينة قيلولتهم وبيتوتهم؛ لأن هذه الأحوال إنما تكون في الدنيا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٤٢).

(٣) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٩٣).

(٤) فقد جاء أشراطها، محمود عطية (٤٦٥).

(٥) انظر: شرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ٢٧). ومصابيح الجامع، الدماميني (٩/ ٤٥٠).

ومثله قال ابن كثير: «هذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا إلى محلة، وهي أرض الشام»[(١)].

حشر الآخرة:

والحشر إذا ذكر مطلقًا يصرف إلى ما بعد الموت[(٢)]. وهو حشر الآخرة والذي به أخبر ابن عباس عن النبي ﷺ قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[(٣)].

«حفاة» وهو عكس المنتعل - أي: الذي يلبس النعل- وقوله عراة جمع عار من الثياب، وغُرلًا جمع أغرل وهو الأقلف، الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي الجلدة التي لم تقطع في الختان. وأكد صاحب مصابيح السنة في شرح تحفة الأبرار: وأما الحشر بعد البعث فالناس فيه حفاة[(٤)].

المقصود في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾:

الشام أول الحشر وهي التي قالها قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ١] هي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب تبيت

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (١/ ١٨٤).
(٢) انظر: شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٦/ ٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، مسلم (٢٨٦٠).
(٤) للقاضي البيضاوي (٣/ ٣٩٣).

معهم حيث باتوا وترحل فيرحلون، وتأكل من تخلف[١].

والمعنى عند أول الحشر: الجمع للتوجيه إلى ناحية مّا. وهو إخراج الجمع من مكان إلى آخر[٢] والجمهور: إلى أن هؤلاء الذين أخرجوا هم بنو النضير[٣].

وقال الكلبي: إنما قال: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ لأنهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر. قال قتادة هذا أول الحشر[٤].

وقال البيضاوي[٥] في تفسير سورة الحشر: فأول حشر الناس إلى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون إليه عند قيام الساعة.

وقال الشوكاني: إن أوّل الحشر إخراجهم من حصونهم إلى خيبر،

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (٣٠/ ٣١).
(٢) انظر: «تفسير روح البيان» للألوسي، وتفسير «مفاتيح الغيب» للرازي، وتفسير البيضاوي، لأبي عمر الشيرازي (٢/ ٤٧٩)، في تفسير سورة الحشر.
(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، في تفسير سورة الحشر.
(٤) انظر تفسير البغوي (٨/ ٦٩)، ابن كثير (٤/ ٣٤٩)، القرطبي (١٨/ ٢).
(٥) تفسير البيضاوي، أبو عمر الشيرازي (٢/ ٤٧٩).

وآخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام، وقيل: آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض المحشر، وهي الشام.

قال عكرمة: من شك أن المحشر يوم القيامة في الشام، فليقرأ هذه الآية[١]، وأن النبيّ ﷺ قال لهم: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر» قال ابن العربي: الحشر أوّل وأوسط وآخر، فالأوّل إجلاء بني النضير، والأوسط إجلاء أهل خيبر، والآخر يوم القيامة[٢]. وما قاله ابن العربي أظن أنه فاته أن يذكر حشر ما قبل يوم القيامة.

يقول ابن قتيبة في كتابه الماتع[٣]: والحشر عندي هو الجلاء ومنه قول اللَّه في سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾... الآية، يريد أنهم أول من أخرج من داره، وجلا، يقول: فلا هجرة إلا في جهاد، أو نية يفارق بها الرجل أهل الفجور والفسق إذا لم يقدر على إنكار ذلك، وتغييره، أو جلاء ينال الناس، فيخرجون عن ديارهم وهواهم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

(٢) فتح القدير شرح الجامع الصغير، المناوي (٧/ ١٨٢).

(٣) المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة (١٨٩)، دار ابن كثير دمشق / بيروت، ت: مروان العطية ومحسن خرابة.

صفة أرض الحشر:

أما صفة الأرض التي سيحشر عليها الناس حينها، وصفها رسول اللَّه ﷺ فقال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى أَرْضٍ بَيضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَد»[١].

«كقرصة النقي» وهو صفة لمحذوف، أي الخبز النقي هو تشبيه بها في اللون والشكل دون القرص، والنقي: الدقيق المنخول المنظف.

يريد بذلك استدارتها واستواء أجزائها، شبهها بقرصة النقي باعتبار صغر أجزائها؛ لأنها تدك يومئذ دكًا[٢].

حتى لا يكون لأي أحد أي بناء أو معلم خاص يختبئ به، أي أنها تكون قاعًا لا بناء فيها[٣]. لئلا يختفي بها أحد[٤].

شبهةٌ صهيونيةٌ سمجة:

وكعادة اليهود في تشويه التاريخ الإسلامي والتحامل عليه والاعتداء على ثوابته ونصوصه، يطالعنا الصهيوني إسحق حسون المتخصص في بث الشبه والأكاذيب ليقول: «إن معاوية بن أبي سفيان الذي بويع بالخلافة في القدس هو الذي أطلق على القدس وبلاد الشام اسم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٠).
(٢) شرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ٢٥).
(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (٣/ ٣٩٢).
(٤) شرح مصابيح السنة، ابن الملك الرومي (٦/ ٢٥).

الأرض المقدسة، وهو الذي أشاع عن القدس أنها أرض المحشر والمنشر نكاية بمعارضيه، وتثبيتًا لأركان حكمه في بلاد الشام»[١].
ويكفي ردًا عليه وأمثاله ما جاء في شرح حديث الباب ففيه الغنية في لجمه وتعرية أقواله.

وقد ظهر معنا أثناء شرحنا لأحاديث كتاب الأربعين الفلسطينية، كيف أن الأمر سيعود آخر الزمان إلى بلاد الشام، فخلافة آخر الزمان ستكون فيها، ورموز الكفر وساستهم ستكون نهايتهم فيها، فالدجال سيقتل في فلسطين على يد عيسى عليه السلام، ويقتل خنزير النصارى، ويكسر صليبهم، والإبادة الحقيقية لليهود ستكون هناك، ويعاونهم في ذلك الشجر والحجر، وفيها نحشر إلى عرصات الآخرة.

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى هذه المعاني فقال: كان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها. فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام[٢].

---

(١) مجلة دراسات بيت المقدس، صيف ٢٠١١م، المستشرقون اليهود ومحاولة التهوين من قدسية بيت المقدس، (ص ١٢) بقلم/ حسن السلوادي.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٢٧/ ٤٣).

من فوائد الحديث:

١- تسلسلت أخبار النبي ﷺ في إعلامه أتباعه بما سيكون آخر الزمان من وصف دقيق تحذيرًا وتوجيها لهم وحرصًا عليهم ورأفة بهم.

٢- هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ أن يخبر عن آخر أيام الدنيا وما سيكون فيها.

٣- أن الشام دون غيرها، هي المحطة الأخيرة لأهل الدنيا ومنها إلى الآخرة.

٤- هو مزيد تشريف للشام أن يُودِّع النّاس دُنياهم منها إلى الآخرة.

والحمد للَّه رب العالمين،،،

* * * * *

الخاتمة

بعد جولة ماتعة قضيناها في رحاب السنة، طافت بنا في محطات زمانية، ومكانية، في بلاد الشام وأهلها، وزهرة مساجدها، لنقف في نهاية المطاف، أمام تراث فلسطيني عظيم ومتين، مرتبط بكتاب اللَّه تعالى، وسنة نبيه محمد ﷺ، لنجمع بين دفَّتيّ هذا السفر النَسَق الشرعي والمتضمّن شيئًا من التاريخ للأرض المباركة، وما كان وكائن وسيكون عليها وأهلها، من أحداث إلى آخر الزمان.

هذا الكتاب:

- هو المدخل المهم والأول من نوعه في تأصيل وتقعيد دراسة «علوم الأرض المقدسة» بمساقه الشرعي.

- كما يؤسس إحدى مسارات الحقل المعرفي الجديد في باب من أبواب علوم الشريعة وبشقه الحديثي، المتخصص بعلوم «بيت المقدس» و«الأرض المقدسة».

- عمل جاد قائم على تأصيل الصراع بين الحق والباطل وإدراك أبعاده، وفق الرؤية الشرعية، المستمدة من كتاب اللَّه تعالى وسنة نبيه ﷺ.

- الكتاب منهج علمي تربوي، جمع بين أسلوب القدماء في شرح الحديث وحاجة المعاصرين في فهمه وإنزاله على واقعهم حسب الإمكان.

- يسهم هذا الكتاب في ترشيد مسيرة الصراع وطريقة التعاطي مع المعركة العقدية بين المسلمين واليهود.

- الكتاب ثَبْتٌ شرعيٌّ جامعٌ، وَردٌّ علميٌّ قاطعٌ، للحقوق الإسلامية، والتاريخية المشروعة بحق المسلمين في الأرض المباركة - فلسطين -.

- كما أنه المُلهم في التعبئة والاستنهاض لجماهير الأمّة للدّفاع بِوَعي عن الأرض المقدسة ومسجدها الأقصى.

وفي الختام أسأل المولى جل في علاه أن يجعله حجّة لي لا عليّ، وأن ينفع به المسلمين والمجاهدين، ومن حدَّث نفسه بالجهاد، وأعد نفسه ليوم التناد، والمرابطين على ثغور بيت المقدس، ليكون هذا الكتاب دليلًا ومرشدًا لهم إلى بيت المقدس وأكنافها، ومن وجد فيه عيبا أو خللًا أن يسده بمسارعة التواصل معي عبر البريد الإلكتروني الخاص / jehad67@hotmail.com أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى باسم (جهاد العايش).

والحمد للّه رب العالمين

قال العَتَّابيّ: «من صَنَع كتابًا فقدِ اسْتَشْرَف للمدح والذَّمّ، فإن أحسن فقدِ اسْتُهْدِف الحَسَد والغِيْبة، وإن أساء فقد تَعرَّض للشَّتْم واسْتُقْذِف بكلِّ لسانٍ»[(١)].

(١) الطيوريات، صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي الأصبهاني (٥٠١)، وأخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٢٨٣) عن العتيقي به مثله.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.
٢ - إتحاف الأنام بفضائل المسجد الأقصى والشام، هشام فهمي العارف إصدار مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣ - إتحاف القاري، أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار الوطن- الرياض، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٤ - الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم، وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٥ - الأحاديث الأربعون الفلسطينية، جهاد جميل العايش آل عملة، الناشر مركز بيت للدراسات التوثيقية، ط ١٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٦ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين أبي عبد اللَّه محمد بن أحمد البناء الشامي المقدسي ، طبع في مدينة ليدن، بمطبعة بريل، ط٢، سنة ١٩٠١م.
٧ - أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي تحقيق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.
٨ - أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب، المؤلف: أبو محمد عبد اللَّه بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٩ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
١٠ - الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. الناشر: دار قتيبة - دمشق، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
١٢ - أسد الغابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
١٣ - الإسراء والمعراج (الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء)، للسيوطي، خرج أحاديثه أبو عبد اللَّه القاضي، دار الحديث القاهرة.
١٤ - الإسراء والمعراج منحة ربانية بعد اشتداد المحن، تأليف: د. سعد المرصفي، الناشر: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - دولة الكويت، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٥ - الإسراء والمعراج، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - الأردن، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦ - أسماء اللَّه الحسنى الهادية إلى اللَّه والمعرفة به، أ.د عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.
١٧ - الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ.
١٨ - إعراب الحديث النبوي، أبو البقاء عبد اللَّه بن الحسين العكبري، تحقيق: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.
١٩ - الإعلام بسنِّ الهجرة إلى الشام، تأليف الإمام برهان الدين إبراهيم البقاعي ، اعتنى به: محمد مجير الخطيب الحسيني، الناشر: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٠ - الإفصاح عن معاني الصحاح، المؤلف: يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد ابن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.
٢١ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: فؤاد بن علي حافظ، الناشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٢ - إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار

الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٣ - إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢٤ - الأموال، الإمام أبو عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق: محمد خليل هراس، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر القاهرة، ط٣، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٥ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أبو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي العليمي، المكتبة الجديدة.

٢٦ - الأنساب، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.

٢٧ - الأوقاف الإسلامية في فلسطين ودورها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، تأليف: د. سامي محمود الصلاحات، الناشر: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٨ - البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، الناشر: دار

إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٩ - بذل المجهود في حل أبي داود - العلامة خليل أحمد السّهارنفوري تعليق: الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٠ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عام النشر: ج ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، وج ٤ ، ٥: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، وج ٦: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.
٣١ - بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، صدر عن رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٢ - بيت المقدس في الحديث النبوي، سعيد بن عبد الرحمن القزقي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.
٣٣ - بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة، محمد محمد حسن شراب، الناشر: دار القلم - دمشق، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٤ - تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، اعتنى به أبوصهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية، الأردن، لا يوجد رقم ولا تاريخ طبعة.
٣٥ - تاريخ حضر موت، تأليف: صلاح البكري، الناشر: مكتبة الصنعاني، ط١ .

٣٦ - تاريخ خليفة بن خياط، المؤلف: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.
٣٧ - تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة اللَّه المعروف بابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٣٨ - تاريخ مختصر الدول، أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي المعروف بابن العبري، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٩ - تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة الدينوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، لا يوجد رقم ولا تاريخ طبعة.
٤٠ - تبصير القانع في الجمع بين شرحي ابن شطي وابن مانع على العقيدة السفارينية، وعليها بعض تصحيحات العلامة محمد الجراح، جمع: ياسر المزروعي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤١ - تحصيل الأنس لزائر القدس، جمال الدين أبو محمد الأنصاري، تحقيق: عيسى قدومي وخالد نواصرة، مركز بيت المقدس للدرسات التوثيقية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٤٢ - تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للإمام البغوي، تأليف: القاضي ناصر الدين عبد اللَّه بن عمر البيضاوي ، تحقيق: لجنة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، طبع: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤٣ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٤ - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ .
٤٥ - تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٦ - تفسير البحر المحيط، المؤلف: العلامة أبو حيان الأندلسي، الناشر: دار الفكر.
٤٧ - تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» تأليف: القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد اللَّه بن عمر الشيرازي البيضاوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤٨ - تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.
٤٩ - تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، دار السلام - السعودية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .

٥٠ - تفسير اللباب، المؤلف: أبو حفص عمر بن على بن عادل الدمشقي الحنبلي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٥١ - تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٥٢ - تقديم بيت المقدس، د. عبد الفتاح العويسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٥٣ - التلمود البابلي (النسخة العربية) تصدر عن / مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
٥٤ - التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للبخاري، تأليف: أبي عبد اللَّه بدر الدين الزركشي، تحقيق: يحيى بن محمد الحكمي، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥٥ - تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٥٦ - تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
٥٧ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن ابن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٥٨ - التوشيح شرح الجامع الصحيح، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد وشركة الرياض للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٩ - التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٦٠ - التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن زين العابدين الحدادي المناوي، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦١ - تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، مكتبة دار التراث - الكويت، ط٦، بتاريخ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٦٢ - الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٦٣ - جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية).

٦٤ - جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق: بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، الجزء ١، ٢: ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م، الجزء ٣، ٤: ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، الجزء ٥: ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م، الجزء ٦، ٧: ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م، الجزء ٨ - ١١: ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م، الجزء ١٢ (التتمة): ط دار الفكر، تحقيق: بشير عيون.

٦٥ - الجامع في فضائل أهل اليمن، أبو حذيفة عبد اللَّه السقاف التعزي، الناشر: مكتبة خالد بن الوليد ودار الكتب القيمة - اليمن، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٦ - الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦٧ - الجبال والأمكنة والمياه، المؤلف: الزمخشري

٦٨ - جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تحقيق: وتعليق: عزت كرار وسيد عمران، دار الحديث - القاهرة.

٦٩ - جمل من أنساب الأشراف، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٧٠ - الجهاد، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن

الضحاك بن مخلد الشيباني، المحقق: مساعد بن سليمان الراشد الجميد، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧١ - الجوع، المؤلف: أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن عبيد بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٧٢ - حائط البراق، جهاد جميل العايش آل عملة، الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ط ٢، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

٧٣ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون رقم طبعة.

٧٤ - حاشية السندي على سنن النسائي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٥ - حاشية السندى على صحيح البخارى، المؤلف: محمد بن عبد الهادي السندي المدني، الحنفي، أبو الحسن، الناشر: دار الفكر.

٧٦ - حياة الحيوان الكبرى، المؤلف: محمد بن موسى الدميري، أبو البقاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ

٧٧ - الحيوان تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، لبنان / بيروت، سنة النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٨ - دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، تأليف: المعلم بطرس البستاني، الناشر: دار المعرفة: بيروت، لايوجد تاريخ ولا رقم طبعة.
٧٩ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.
٨٠ - الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الخبر، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٨١ - الرسالة الهادية في الرد على اليهود، للحبر عبد السلام المحمدي المهتدي، مخطوط يقوم الأخ الفاضل د. نايف منير فارس على خدمته، يسر اللَّه طبعه.
٨٢ - رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: عز الدين عبد الرزاق ابن رزق اللَّه الرسعني الحنبلي، تحقيق: د. محمد بن صالح البراك، ج١، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٨٣ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد اللَّه الحسيني الآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ.
٨٤ - الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن عبد المنعم الحِميرى، المحقق: إحسان عباس، الناشر:

مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م.

٨٥ - زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٨٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨٧ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف: مصطفى السباعي، الناشر: المكتب الإسلامي -الأردن، ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م.

٨٨ - سنن ابن ماجه، أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الأردن، ٢٠٠٤م.

٨٩ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٩٠ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٩١ - سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: ٣٠٣هـ، الناشر: بيت الأفكار الدولية - الأردن، ٢٠٠٤م.

٩٢ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٩٣ - السير الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، مقبل بن هادي

الوادعي، الناشر: دار الآثار - صنعاء، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٩٤ - شرح الأحكام الشرعية في التوراة شريعة موسى النص والتفسير، تأليف: نادي فرج العطار، الناشر: مركز ابن العطار للتراث، ط١، ٢٠٠٤م.
٩٥ - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٩٦ - شرح السنة، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
٩٧ - شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد اللَّه الطيبي، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٩٨ - الشرح الممتع على زاد المستقنع، شرح: محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد بن علي المشيقح. الناشر: مؤسسة آسام - الرياض، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٩٩ - شرح سنن ابن ماجه، الإمام أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت.
١٠٠ - شرح سنن أبي داود، المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد اللَّه بن حمد العباد البدر، المصدر: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية [درس رقم: ٥٩٨]

http: //www.islamweb.net

١٠١ - شرح صحيح البخارى، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٢ - شرح صحيح مسلمِ، المسمّى إكمال المعلمِ بفوائد مسلم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٠٣ - شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي، تأليف: كمال الدين محمد عبد الواحد السيواسي، المعروف ب: ابن الهمام الحنفي، علق عليه وخرج أحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٤ - شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ابن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٤٩٤م.

١٠٥ - شرح مصابيح السنة، للإمام البغوي، تأليف: محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الكرماني الرومي الحنفي المعروف بابن الملك الرومي، تحقيق: لجنة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة

الكويت، ط١، تاريخ ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٠٦ - شرف أصحاب الحديث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.
١٠٧ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.
١٠٨ - صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن خزيمة السلمي النيسابوري، اعتنى به: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مكتبة الأعظمي - الرياض، ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٠٩ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي. ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١١٠ - صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر: مكتبة أبو بكر الصديق - مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١١ - الصحيح من الأخبار المُجتَمِع على صحته البخاري ومسلم، أبو بكر محمد الجوزقي، تحقيق: د. علي حسين البواب، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.
١١٢ - صحيح وضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصميعي - الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١١٣ - الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد بن سعد بن منيع، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر

عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٤ - طحالب ونباتات وادي غزة البرية، د. محمد إبراهيم ماضي، الناشر مكتبة ومطبعة دار المنارة، لا يوجد تاريخ نشر ولا رقم طبعة.

١١٥ - طرح التثريب في شرح التقريب، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم العراقي، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، الناشر: الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

١١٦ - طيبة الطيبة تاريخ ومعالم وفضائل وأحكام، محمد عامر زكريا الحمصي، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، لا يوجد ناشر.

١١٧ - عطلة السبت شريعة يهودية منسوخة، جهاد جميل العايش آل عملة، الناشر: شركة بيت المقدس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

١١٨ - عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، عبد المحسن العباد البدر، الناشر: منارة الإسلام، مصر، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١١٩ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود ابن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢٠ - عون المعبود على سنن أبي داود، تأليف: أبي عبد الرحمن شرف الحق الشهير العظيم آبادي، اعتنى به / رائد صبري، الناشر: بيت

الأفكار الدولية.
١٢١ - العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٢٢ - غريب الحديث، أبو القاسم بن سلام الهروي، اعتنى به: محمد عبد المجيد خان، الناشر: دار الكتب العربية، بيروت، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
١٢٣ - غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٢٤ - غريب الحديث، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
١٢٥ - غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، المؤلف: أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٢٦ - الفتاوى للإمام العلامة المحدث الفقيه عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، د. محمد لقمان السلفي، ومحمد محسن التيمي، الناشر: مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية - الهند. ودار الداعي للنشر والتوزيع - الرياض، ط١، ١٤٢٨ هـ.
١٢٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني،

اعتنى به / عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، الناشر: دار السلام - دار الفيحاء - دمشق، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٨ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، المؤلف: زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٢٩ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني.

١٣٠ - الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام، د. بسام خليل الصفدي، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ط١، ٢٠١٦م.

١٣١ - فتوح البلدان، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام النشر ١٩٨٨م.

١٣٢ - فتوح الشام، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد اللَّه، الواقدي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٣ - فتوح مصر وأخبارها، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أعين القرشي المصري، دار النشر: دار الفكر بيروت، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٣٤ - فتوح مصر والمغرب، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ.

١٣٥ - الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد اللَّه بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
١٣٦ - الفِصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق: د. يوسف البقاعي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٣٧ - فضائل الشام، للحافظ أبي سعد السمعاني، تحقيق: عمرو علي، دار الثقافة العربية - دمشق، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٣٨ - فضائل بيت المقدس، أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: عمرو عبد العظيم نيازي، الناشر مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
١٣٩ - فضائل بيت المقدس، تأليف: أبي بكر بن أحمد الواسطي، تحقيق: عمرو بن نيازي شريف، الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية - قبرص، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٤٠ - فقد جاء أشراطها، تأليف: محمود عطية محمد علي، مطبعة ابن دسمان ومكتبتها، ط٣، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٤١ - فيض الباري على صحيح البخاري، المؤلف: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
١٤٢ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد

المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

١٤٣ - فيه ذكر الوباء والطاعون، أبو المظهر يوسف بن محمد بن مسعود السرمري، تحقيق: شوكت بن رفقي بن شوكت، الناشر: الدار الأثرية - الأردن، ط١ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

١٤٤ - قصة المسيح الدجال، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية - الأردن، ١٤٢١ه.

١٤٥ - القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، تأليف: أبي الحسن علاء الدين البعلي المعروف بابن اللحام، تحقيق: عبد الكريم الفضلي، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٤٦ - الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أبي محمد موفق الدين عبد اللَّه بن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٤٧ - كامل الزيارات، (مراجع شيعية) المؤلف: أبو القاسم ابن قولويه القمي، تحقيق: نشر الفقاهة لا يوجد بيانات أخرى.

١٤٨ - كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض.

١٤٩ - الكنوز في قصة العجوز، عدنان المقطري، دار الإيمان الإسكندرية، ٢٠١٠م.

١٥٠ - كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، المؤلف:

محمَّد الخَضِر بن سيد عبد اللَّه بن أحمد الجكني الشنقيطي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١٥١ - اللؤلؤ والزبرجد في زوائد أحمد، تأليف: محمد بن أحمد عثمان الحكمي، لا يوجد ناشر، ط١، ١٤٣١هـ.

١٥٢ - لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، اعتنى به: أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي، الناشر: داراحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٥٣ - مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، شهاب الدين أبو محمود بن تميم المقدسي، تحقيق: أحمد الخطيمي، الناشر: دار الجيل - بيروت ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٥٤ - المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم وجمعية التربية الإسلامية - مملكة البحرين، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥٥ - مجلة دراسات بيت المقدس، تصدر عن: مركز دراسات بيت المقدس في معهد آل مكتوم، بريطانيا، العدد الأول، صيف ٢٠٠٥م، دراسة بعنوان «المسجد الأقصى في الآثار القرآنية» للدكتور المهندس هيثم فتحي الرطروط، وعدد السنة الحادية عشر صيف ٢٠١١م.

١٥٦ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، الناشر: دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢م.

١٥٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب:

عبد الرحمن بن محمد قاسم العصمي النجدي الحنبلي، دار التقوى للنشر والتوزيع بلبيس -مصر.

١٥٨ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٥٩ - المحلى بالآثار، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت ط١ .

١٦٠ - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٦١ - مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: د.ماهر ياسين الفحل، وفريق من المحققين، وزارة الأوقاف في قطر ودار الميمان للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

١٦٢ - المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، المؤلف: المهلب بن أحمد بن أَبي صفرة الأندلسي، المريي، المحقق: أَحْمَدُ بن فارس السلوم، الناشر: دار التوحيد، دار أهل السنة - الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦٣ - مختصر صحيح البخاري، د. سعد بن ناصر الشثري، الناشر: دار إشبيليا، ط١، بتاريخ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦٤ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، المؤلف: عبد المؤمن ابن عبد الحق بن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ

الدين، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.
١٦٥ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
١٦٦ - المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، تأليف: الإمام أبي محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، الناشر: دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
١٦٧ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل اللَّه العمري، تحقيق: د.عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، مصر.
١٦٨ - المسالك والممالك، أبو القاسم عبد اللَّه بن عبد اللَّه المعروف خرداذبة، دار صادر، بيروت.
١٦٩ - المسالك والممالك، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي، الناشر: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٧٠ - المسالك والممالك، المؤلف: أبو عبيد عبد اللَّه بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.
١٧١ - المسجد الأقصى أم الهيكل المزعوم، دكتور مهندس يحيى وزيري، الناشر: المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ٢٠٠٩م.
١٧٢ - المسجد النبوي عبر التاريخ، د.محمد السيد الوكيل، دار المجتمع للنشر، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
١٧٣ - مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، المحقق: حسين

سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٧٤ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٧٥ - مشكاة المصابيح، محمد بن عبد اللَّه الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧٦ - مصابيح الجامع، شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، تأليف: الإمام القاضي بدر الدين الدماميني ، تحقيق: نور الدين طالب ونخبة من المحققين، وزارة الأوقاف في قطر ودار النوادر - دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٧٧ - المصنف في الحديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبد اللَّه بن محمد بن عثمان العيسى، تحقيق: كمال الحوت، ط١، ١٤٠٩ هـ.

١٧٨ - المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد اللَّه، شمس الدين، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٧٩ - معالم التنزيل، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد اللَّه النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٨٠ - معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
١٨١ - المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، المؤلف: يوسف الحنفي.
١٨٢ - معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد اللَّه ياقوت بن عبد اللَّه الحموي الرومي البغدادي دار صادر، بيروت، ط٨، ٢٠١٠م.
١٨٣ - معجم الصحابة، المؤلف: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ.
١٨٤ - المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢ .
١٨٥ - المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة، تأليف طارق بن عوض اللَّه، الناشر: دار الخير، دولة الكويت، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
١٨٦ - معجم المناهي اللفظية، بكر بن عبد اللَّه أبو زيد، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٨٧ - معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٨٨ - معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي

الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٨٩ - معرفة الصحابة، المؤلف: أبو عبد اللَّه محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٩٠ - معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٩١ - مفاتيح الغيب، المؤلف: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

١٩٢ - المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد ابن الشيخِ الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي.

١٩٣ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٩٤ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد

القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٩٥ - المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٩٦ - المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تأليف: محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي، تحقيق: د. حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٣م.

١٩٧ - موانح الأنس برحلتي إلى وادي القدس، مصطفى أسعد بن أحمد اللقيمي، تحقيق: عبد اللَّه أمين، الناشر: دار الرسالة، القاهرة، ط١ .

١٩٨ - موسوعة الصحابة على أرض فلسطين، أسامة جمعة الأشقر، الناشر: مؤسسة فلسطين للثقافة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٩٩ - الموسوعة الفلسطينية، المؤلف: مجموعة باحثين، تصدر عن هيئة الموسوعة الفلسطية، دمشق، ط ١، ١٩٨٤م.

٢٠٠ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة في جزأين، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق - مصر، ط٤، ٢٠٠٨م.

٢٠١ - الموطأ، مالك بن أنس، الناشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٩١هـ - ١٩٩٨م.

٢٠٢ - ناسخ القرآن ومنسوخه، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي، تحقيق: أبوعبد اللَّه العاملي، الناشر: شركة

أبناء شريف الأنصاري - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٠٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد اللَّه الظاهري الحنفي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
٢٠٤ - نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد، عبد اللطيف بن محمد بن أبي ربيع، مكتبة المعارف - السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٠٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات مبارك ابن الأثير، تصدر عن دار ابن الجوزي - السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٠٦ - وسائل الشيعة، (مراجع شيعية) المؤلف الحر العاملي، تحقيق: عبد الرحيم الشيرازي، الناشر دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٠٧ - ولنعم المصلى، د. رأفت محمد رائف المصري، الناشر: مؤسسة مدارج لإدارة البحوث، الأردن، ١٤٣٦هـ -٢٠١٥م.
٢٠٨ - اليهود في إيران، تأليف: مأمون كيوان، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٠٩ - اليهود في السنة المطهرة، تأليف: د. عبد اللَّه بن ناصر الشقاري، الناشر: دار طيبة للنشر - الرياض، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢١٠ - اليوم الآخر، القيامة الصغرى، تأليف: أ.د عمر سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح ودار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٥ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

فهرس الكتاب

- شكر وتقدير ٥
- مقدمة الكتاب ٧
- الْحَدِيْثُ الْأَوَّلُ: الْمَسْجِدُ الأَقْصَى أَوَّلُ قِبْلَةٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ ١٣
- سبب ورود الحديث ١٤
- شرح الحديث ١٥
- أسماء المسجد الأقصى ١٦
- هل كان استقبال بيت المقدس ثابتًا بالقرآن أم باجتهاد النبي ﷺ؟ ١٨
- كم صلى النبي نحو بيت المقدس؟ ١٩
- مجموع ما صلاه النبي ﷺ في مكة والمدينة نحو بيت المقدس ٢٠
- تحول النبي في صلاته نحو الكعبة ٢٠
- سبب رغبة النبي ﷺ بالتوجه في صلاته نحو الكعبة ٢١
- لماذا اختار اللَّه سبحانه وتعالى بيت المقدس قبلة؟ ٢٢
- متى كان تحويل القبلة؟ ٢٣
- في أَي شهر حولت القِبلَة؟ ٢٣
- أول صلاة أداها المسلمون قِبَل الكعبة ٢٤
- الجهة التي كان يصلي إليها النبي ﷺ إلى بيت المقدس وهو في مكة ٢٨
- هل يجوز للمصلي أن يصحح وجهته إلى الاتجاه الصحيح للقبلة؟ ٢٩
- كيف تحول المصلون إلى القبلة الجديدة؟ ٣٠
- ما حكم من مات على القبلة الأولى قبل أن تحول؟ ٣٠
- الكفار وإشاعة الفتنة بعد تحول القبلة ٣١
- القبلتان والعلاقة الهندسية بينهما ٣٢
- هل لليهود قبلة، وأين هي؟ ٣٣

- صخرة بيت المقدس، هي قبلة اليهود ٣٤
- من فوائد الحديث ٣٦
- الْحَدِيْثُ الثَّانِي: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى ثَانِي مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ ٣٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٩
- سبب ورود الحديث ٤٢
- شرح الحديث ٤٢
- أوجه التشابه بين الكعبة والمسجد الأقصى ٥٢
- حدود المسجد الأقصى ٥٤
- من فوائد الحديث ٥٧
- الْحَدِيثُ الثَّالِث: فَضْلُ الصَّلاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ٥٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٦٠
- شرح الحديث ٦٠
- هل المسجد الأقصى حرم؟ ٦٤
- التشكيك بمكان ومكانة المسجد الأقصى عند بعض الطوائف الضالة ٧٤
- أَين المسجد الأقصى بنظر اليهود؟! ٧٥
- من فوائد الحديث ٧٦
- الْحَدِيثُ الرَّابِعُ: ثَالِثُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ ٧٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٨٠
- شرح الحديث ٨٢
- المشككون في مشروعية زيارة الأقصى ٨٩
- من فوائد الحديث ٩٠
- الْحَدِيثُ الْخَامِسُ: فَضْلُ الْاعْتِكَافِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ٩٢
- سبب ورود الحديث ٩٣
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٩٣
- شرح الحديث ٩٥
- هل الاعتكاف خاص بالمساجد الثلاثة دون غيرها ٩٦

- اعتكاف اليهود ٩٩
- من فوائد الحديث ١٠٠
- الْحَدِيثُ السَّادِسُ: جَوَازُ نَذْرِ الصَّلَاةِ فِي بيْتِ الْمَقْدِسِ ١٠٢
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١٠٢
- شرح الحديث ١٠٤
- مذاهب العلماء في النذر الذي يجب الوفاء به ١٠٧
- النذر في شريعة بني اسرائيل ١٠٩
- من فوائد الحديث ١١٠
- الْحَدِيثُ السَّابِعُ: الْبُرَاقُ دَابَّةُ الرَّسُول ﷺ مِنْ مكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ١١٢
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١١٣
- شرح الحديث ١١٤
- هل البراق دابة خُصَّ بها نبينا محمد ﷺ عن غيره من الأنبياء؟ ١١٦
- دابة النبي ﷺ وعلاقته بحائط البراق في بيت المقدس ١٢٠
- ما هي علاقة اليهود بحائط البراق! ١٢٢
- من فوائد الحديث ١٢٤
- الْحَدِيثُ الثَّامِنُ: مُعْجِزَةُ إِسْرَاءِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ ١٢٦
- ترجمة الصحابية راوية الحديث ١٢٦
- شرح الحديث ١٢٨
- الحكمة في معراج النبي ﷺ من بيت المقدس ١٣٤
- هل أسري النبي محمد ﷺ بروحه فقط، أم بروحه وجسده؟ ١٣٥
- من فوائد الحديث ١٣٦
- الْحَدِيثُ التَّاسِعُ: النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَخْتَارُ الْفِطْرَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ١٣٨
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١٣٨
- شرح الحديث ١٣٩
- من فوائد الحديث ١٤٥

- الْحَدِيثُ الْعَاشِرُ: النَّبِيُّ مُحَمَّد ﷺ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ١٤٦
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١٤٧
- شرح الحديث ١٤٧
- هل صلى النبي ﷺ إمامًا بالأنبياء قبل عروجه أو بعد عروجه إلى السماء؟ ١٥٥
- في أي جزء من المسجد الأقصى صلى محمد ﷺ بالأنبياء؟ ١٥٧
- من فوائد الحديث ١٥٨
- الْحَدِيثُ الْحَادِي عَشْر: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُجَلَّى لِلرَّسولِ ﷺ فِي مَكَّةَ لِيَصِفَهُ لِقُرَيْش ١٥٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١٦٠
- سبب ورود الحديث ١٦١
- شرح الحديث ١٦٢
- من فوائد الحديث ١٦٥
- الْحَدِيثُ الثَّانِي عَشْر: النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُو نَصَارَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِلْإِسْلَامِ ١٦٧
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١٦٧
- ترجمة الصحابي أبي سفيان رضي الله عنه ١٦٩
- شرح الحديث ١٧٠
- أين كتاب النبي ﷺ الذي أرسله لهرقل ١٩١
- هل دخل هرقل في الإسلام؟ ١٩٤
- من فوائد الحديث ١٩٥
- الْحَدِيثُ الثَّالِثَ عَشَر: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى مِحْرَابُ الْأَتقِيَاءِ ١٩٦
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ١٩٧
- شرح الحديث ١٩٨
- من فوائد الحديث ٢٠٤
- الْحَدِيثُ الرَّابِعَ عَشَر: مُوسَى يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَ روحَهُ قَرِيبًا مِنْ فِلَسْطِين ٢٠٦
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٢٠٧

- شرح الحديث ٢٠٧
- كيف لموسى عليه السلام أن يفقأ عين المَلَكْ ٢١٢
- حدود الأرض المقدسة ٢١٥
- لماذا سأل موسى ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة؟ ٢١٦
- لماذا سأل موسى ربه الإدناء من الأرض المقدسة ولم يسأل الدفن فيها؟ .. ٢١٧
- من فوائد الحديث ٢٢٠
- الْحَدِيثُ الخَامِسَ عَشَر: حَبْسُ الشَّمْسِ عَنْ يُوشَع بِن نُون عليه السلام حَتَّى يُدْرِكَ دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِس ٢٢٢
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٢٢٣
- شرح الحديث ٢٢٣
- الحكمة من حبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام ٢٢٤
- هل حبست الشمس لغير يوشع بن نون عليه السلام ٢٢٥
- من فوائد الحديث ٢٢٨
- الْحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَر: سليمَانُ يُجَدِّدُ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ٢٣٠
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٢٣١
- شرح الحديث ٢٣٤
- ما علاقة المسجد الأقصى بما يسمى بـ هيكل سليمان الأول؟ ٢٤١
- هل ثبت اسم أو مصطلح «الهيكل» في شريعة الإسلام؟ ٢٤٨
- هيكل سليمان في نظر اليهود ٢٥٠
- أول دمار تاريخي قَوَّضَ بناء المسجد الأقصى ٢٥١
- أسباب الدمار الأول للمسجد الأقصى ٢٥٢
- تناقضات يهودية حول أسطورة بناء الهيكل ٢٥٥
- ما بين الدمارين للمسجد الأقصى ٢٥٩
- أسطورة هيكل سليمان الثاني كما يسميه اليهود ٢٦٣
- لماذا بنى هيرودوس هيكلًا لليهود؟! ٢٦٣
- الهَدْمُ الثاني للمسجد الأقصى ٢٦٥

- لماذا هدم المسجد الأقصى مرة ثانية؟ ٢٦٥
- دمار المسجد كاملًا عام (١٣٥) م ٢٦٧
- المسجد الأقصى في العهد الروماني بعد اجتياح «تيتوس» ٢٦٨
- عقائد فاسدة تجتاح ساحات المسجد الأقصى ٢٧١
- من فوائد الحديث ٢٧٢
- جدول الإمبراطوريات التي حكمت بيت المقدس خلال فترة ما بين دمار «بختنصر» ودمار «تيطس» للمدينة المقدسة ومسجدها ٢٧٣
- بعض ما ذكر عبر التاريخ من معابد وأوثان وهياكل في ساحات المسجد الأقصى ٢٧٤
- الْحَدِيثُ السَّابِعَ عَشَر: الْوَزَغُ تُلْهِبُ نِيرَانَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمَّا أُحْرِقَتْ وَالْوَطْوَاطُ تُطْفِئُهَا ٢٧٨
- ترجمة الصحابية راوية الحديث ٢٧٨
- شرح الحديث ٢٧٩
- الأمر بقتل الوزغ ٢٨١
- هل يجوز أن يحمل الوزغ على الفسق والضلال؟ ٢٨٢
- تباين الفضل في الأجر المترتب على قتل الوزغ ٢٨٣
- حكم بول الوطواط «الخفاش» ٢٨٧
- من فوائد الحديث ٢٨٨
- الْحَدِيثُ الثَّامِنَ عَشَر: جَسَدُ يُوسُف يُحْمَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْمُبَارَكَة ٢٨٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٢٩٠
- شرح الحديث ٢٩٢
- حكم إخراج الميت من قبره ٢٩٧
- من فوائد الحديث ٢٩٩
- الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَر: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى مِنْبَرُ الْأَنْبِيَاءُ ٣٠١
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٠٢
- شرح الحديث ٣٠٣

- من فوائد الحديث ٣٠٦
- الْحَدِيثُ الْعِشْرُون: طاعون الشام شهادة لأمة النبي محمد ﷺ ورجس على الكافرين ٣٠٧
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٠٧
- شرح الحديث ٣٠٨
- سبب تسميتها بالمدينة المنورة ٣١١
- حدود المدينة النبوية ٣١١
- حدود بلاد- إقليم- الشام ٣١٥
- أول طاعون في الإسلام ٣٢٠
- مراتب الناس عند وقوع الطاعون ٣٢٠
- كيف الأمر في بلد عمَّه الطاعون؟ ٣٢٢
- من فوائد الحديث ٣٢٧
- الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرُون: عَمُودُ الدِّينِ فِي الشَّامِ ٣٢٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٣٠
- شرح الحديث ٣٣٠
- من فوائد الحديث ٣٣٢
- الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْعِشْرُون: النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَدْعُو بِالْبَرَكَةِ لِلشَّامِ ٣٣٤
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٣٥
- شرح الحديث ٣٣٧
- السبب في بركة الشام ٣٤٠
- هل بركة الشام لازمة لكل أهلها ومن عصى منهم؟ ٣٤١
- من فوائد الحديث ٣٥٢
- الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُون: فَضْلُ الْهِجْرةِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ ٣٥٤
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٥٥
- سبب ورود الحديث ٣٥٥
- شرح الحديث ٣٥٥

- من فوائد الحديث ٣٦٨
- الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُون: عُقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ ٣٦٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٦٩
- سبب ورود الحديث ٣٧٠
- شرح الحديث ٣٧١
- من فوائد الحديث ٣٧٢
- الْحَدِيثُ الْخَامسُ وَالْعِشْرُونُ: الشَّامُ مَلَاذ الْمُؤْمِنِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ٣٧٤
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٧٥
- شرح الحديث ٣٧٥
- أنواع الحشر ٣٧٨
- من فوائد الحديث ٣٨٣
- الْحَدِيثُ السَّادسُ وَالْعِشْرُون: الشَّامُ مَأْوَى الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ ٣٨٥
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٨٥
- شرح الحديث ٣٨٧
- من فوائد الحديث ٣٩٠
- الْحَدِيثُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُون: تَكَفَّلَ اللَّهُ بِالشَّامِ وَأَهْلِهَا ٣٩١
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٩٢
- شرح الحديث ٣٩٣
- من فوائد الحديث ٣٩٨
- الْحَدِيثُ الثَّامِنُ والْعِشْرُون: مَلَائِكَةُ اللَّه بَاسِطَة أَجْنِحَتَهَا عَلَى الشَّامِ ٣٩٩
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٣٩٩
- شرح الحديث ٤٠١
- من فوائد الحديث ٤٠٣
- الْحَدِيثُ التَّاسِعُ والْعِشْرُون: إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُم ٤٠٤
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤٠٥
- شرح الحديث ٤٠٥

- من فوائد الحديث ٤١١
- الْحَدِيثُ الثَّلاثُون: عَسْقَلانُ أَفضلُ الرّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٤١٣
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤١٣
- شرح الحديث ٤١٣
- أيهما أفضل الجهاد أم الرباط؟ ٤١٥
- أجر الرباط في سبيل اللَّه ٤١٧
- سقوط عسقلان بيد الإفرنج عام: ٥٤٨هـ - ١١٥٣م ٤٢٢
- من فوائد الحديث ٤٢٥
- الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالثَّلاثُون: نُزُولُ الْخِلافَةِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَة آخِرَ الزَّمَانِ . ٤٢٦
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤٢٦
- سبب ورود الحديث ٤٢٧
- شرح الحديث ٤٢٧
- من فوائد الحديث ٤٣٢
- الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالثَّلاثُون: فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ ٤٣٣
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤٣٤
- شرح الحديث ٤٣٥
- من فوائد الحديث ٤٤٤
- الْحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُون: عمْرَانُ بَيْت الْمَقْدِسِ آخِر الزَّمَانِ ٤٤٦
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤٤٦
- شرح الحديث ٤٤٨
- سبب تسميتها يَثْرِب ٤٤٩
- النهي عن تسمية المدينة النبوية بيثرب ٤٥٠
- من فوائد الحديث ٤٥٤
- الْحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُون: الدَّجَالُ لَا يَدْخَل الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى ٤٥٥
- سبب ورود الحديث ٤٥٦
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤٥٦

- شرح الحديث ٤٥٨
- حرم مكة وحدّها ٤٦١
- من فوائد الحديث ٤٦٥
- الْحَديثُ الْخَامسُ وَالثَّلاثُون: يأجوج ومأجوج يَشْرَبُونَ مِيَاهَ بحَيْرَةِ طَبَرِيَّة فِي فِلَسْطِين ٤٦٨
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٤٦٨
- شرح الحديث ٤٦٩
- يأجوج ومأجوج في عقيدة اليهود ٤٧٠
- وصف بحيرة طبرية ٤٧١
- مدينة طبرية ٤٧٣
- من فوائد الحديث ٤٧٧
- الْحَديثُ السَّادسُ وَالثَّلاثُون: الدَّجَّالُ يَسْأَلُ عَنْ نَخْل بيسان وَبُحَيْرَة طَبَرِيَّة فِي فِلَسْطِينِ ٤٧٨
- ترجمة الصحابية راوية الحديث ٤٧٩
- سبب ورود الحديث ٤٨٠
- شرح الحديث ٤٨١
- فلسطين حدها وسبب تسميتها ٤٨٥
- وقف تميم الداري في فلسطين ٤٨٦
- بيسان مكانها وسبب تسميتها ٤٩٤
- من فوائد الحديث ٤٩٩
- الْحَدِيثُ السَّابعُ وَالثَّلَاثُون: عِيسَى عليه السلام يَقْتُلُ الدَجَّالَ فِي فِلَسْطِين ٥٠١
- ترجمة الصحابية راوية الحديث ٥٠٣
- سبب ورود الحديث ٥٠٤
- شرح الحديث ٥٠٤
- نشأة الوجود اليهودي في إيران ٥٠٧
- معنى كلمة «لد» وسبب تسميتها ومكانها وتاريخها ٥٠٩

- المنارة البيضاء ٥١٣
- عيسى عليه السلام يصلي خلف إمام المسلمين ٥١٤
- من فوائد الحديث ٥٢١
- **الْحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُون: عِيسَى عليه السلام يَؤُمُّ النَّاس فِي بَيْت الْمَقْدِسِ** ٥٢٣
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٥٢٤
- شرح الحديث ٥٢٤
- من فوائد الحديث ٥٢٧
- **الْحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُون: الشَّجَرُ وَالْحَجَرُ يَفْضَحُ الْيَهُودَ فِي فِلَسْطِين** ٥٢٨
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٥٢٩
- شرح الحديث ٥٢٩
- من فوائد الحديث ٥٣٨
- **الْحَدِيثُ الْأَرْبَعُون: الشَّام أَرْضُ الْمَحْشَر والْمَنْشَرِ** ٥٤٠
- ترجمة الصحابي راوي الحديث ٥٤٠
- شرح الحديث ٥٤٠
- حشر الآخرة ٥٤٧
- المقصود في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ ٥٤٧
- صفة أرض الحشر ٥٥٠
- شبهةٌ صهيونيةٌ سمجة ٥٥٠
- من فوائد الحديث ٥٥٢
- **الخاتمة** ٥٥٣
- **المصادر والمراجع** ٥٥٦
- **فهرس الكتاب** ٥٨٥